مكتبة
t.me/soramnqraa

دار الفاروق
للاستثمارات الثقافية

خطب غيرت التاريخ

النص الكامل لأهم الخطب التي غيرت مجرى التاريخ

منصور عرابي

الطبعة الثانية

سجل في مكتبة
اضغط الصفحة
SCAN QR

خطب غيرت التاريخ

النص الكامل لأهم الخطب التي غيرت مجرى التاريخ

مكتبة
t.me/soramnqraa

الناشر

دار الفاروق للاستثمارات الثقافية (ش.م.م)

العنوان: ١٢ ش الدقي – الجيزة – مصر

تليفون: ٣٧٦٢٢٨٣٠/ ٠٢ - ٣٧٦٢٢٨٣١/ ٠٢ - ٧٦٢٢٨٣٢/ ٠٢/ ٠٠٢ -

٣٧٤٨٠٧٢٩/ ٠٢ - ٣٧٤٩١٣٨٨/ ٠٢

فاكس: ٣٣٣٨٢٠٧٤/ ٠٢

خطب غيرت التاريخ / إعداد: منصور عرابي؛ - ط ١٠ - الجيزة: دار الفاروق للاستثمارات

الثقافية (ش.م.م) [٢٠١٥] ٤٠٨ ص؛ ٢٤ سم. / ١٦

تدمك: 978-977-455-997-1

رقم الإيداع: ٢٤٢٢/ ٢٠١٥

١ - الخطب السياسية

أ- العنوان

ديوي: ٣٢٠.٠٤

الطبعة العربية الثانية: ٢٠١٨

الطبعة العربية الأولى: ٢٠١٥

www.daralfarouk.com.eg
www.darelfarouk.com.eg

خطب غيرت التاريخ

النص الكامل لأهم الخطب التي غيرت مجرى التاريخ

مكتبة
t.me/soramnqraa

مقدمة

الخطبة رسالة صوتية غايتها الإقناع، وفن الخطابة هو فن مُخاطبة أو مشافهة الجماهير للتأثير عليهم أو استمالتهم، وهو من الفنون القديمة قدم الإنسان على وجه الأرض، وقد رُفِعَ قدرها منذ زمن بعيد إلى المستوى الأول في الأدب والدعوة والفن. وفن الخطابة له أسس وأركان، ومبادئ وأصول.. من يلتزم بها يستطيع استمالة سامعيه، وإقناعهم بفكرته، وتحقيق هدفه من خطابه لهم.

والخطيب هو القائم بعملية الخطابة وإلقاء الخطبة؛ لإقناع الناس بفكرة معينة أو رأي ما، واستمالتهم، والتأثير فيهم.

والخطبة تقوم على أركان خمسة؛ هي: الخبرة أو المعرفة أو المَلَكَة، والمشافهة أو المواجهة، والخطيب، والجمهور، والتأثير الذي يعني إثارة العواطف وتنبيه الشعور.

فإذا ما انعدم عنصر أو ركن من هذه الأركان الخمسة افتقدت الخطابة جزءًا مهمًّا منها، ولا ينبغي أن تسمى خطابة؛ لأنَّه إذا انعدمت المعرفة - مثلاً - كان الكلام تهريـجا، وإذا ألغيت المخاطبة كان تلاوةً أو ترديدًا. وإذا لم يوجد جمهور كان الكلام حديثًا أو وصيةً. وإذا لم يوجد خطيب كان إلقاءً، وقد يكون بالنيابة عن غيره. وإذا لم يحصل تأثير كانت عديمة الثمرة ومَضْيَعَةً للوقت.

وللخطابة فوائد اجتماعية وفوائد شخصية، فالفوائد الاجتماعية تتمثل في الحث على الأعمال التي تعود بالنفع على المستمعين، والتنفير من الأعمال السيئة على الفرد أو المجتمع، وإثارة حماس الناس تجاه إقناع المستمعين، وإقناع المستمعين بمسألة مهمة، والتعليم والتثقيف. أما الفوائد الشخصية فتتمثل في أن الخطبة فرصة للاتصال المباشر مع الناس، ومجال لبناء العلاقات، وإتقان مهارة جديدة تحتاج إليها معظم المهن، وزيادة فرص النجاح في الحياة.

وللخطيب المتميز صفات كثيرة، منها: كثرة العلم والثقافة، موافقة القول للعمل، مراعاة حال السامعين، إتقان اللغة التي يتحدث بها ودراسة علومها، الثقة بالنفس، الأمانة العلمية.

فالتميز في الخطيب يتحقق بالإطلاع الجيد والمعرفة بفنه الذي يتحدث فيه، وإلا كان مناقضًا لنفسه، وكما قيل: (كل إناء بما فيه ينضح). كما يتحقق التميز بمعرفة قواعد اللغة، وإلمامه الجيد بالتراكيب اللفظية وعلوم المعاني، وامتلاك مهارة لغوية تبنى لديه معجم واسع من المفردات، يزوده بقدرة فائقة على التعبير عن المعنى بأروع طريقة وأبدع أداء. كما يتحقق التميز في الخطيب عندما يكون رابط الجأش، فلا شك أنه سيكون أكثر وصولاً إلى قلوب وعقول الجمهور. ويبدع الخطيب فيما يريد إيصاله من رسالة عندما يعزو المعلومات إلى المصادر والمراجع؛ فهذه أمانة أمام الله وأمام مستمعيه.. فالخطيب المميز هو أولاً شخص مميز في ذاته، فيجب أن يرفع من ثقافته، ويُحسن من أدائه، ويكون جادًّا في إنجازه، صادقًا في حديثه وعاطفته.

ومن المشهور أن أول كتاب في فن الإلقاء هو لأرسطو صاحب كتاب الخطابة، وأن أول من دون علم الخطابة هم اليونانيون، وقد مدح الله ﷻ سيدنا داود بأنه كان خطيبًا مفوهًا، قال تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾﴾[ص: ٢٠]. وكان رسولنا محمد ﷺ من أعظم الخطباء، فعن أم المؤمنين السيدة عائشة - رضي الله عنها» قالت: «كان كلام رسول الله ﷺ كلامًا فصلاً؛ يفهمه كل من سمعه».

وهذا الكتاب يَضُمُ نماذج من خطب تاريخية خُلدت مع الأيام، وكان لها أثر كبير في تغير خريطة العالم وأحداث التاريخ على مر العصور والأزمان.. إنها خطب تستحق الوقوف والتأمل.

وقد تم انتقاء هذه الخطب العالمية بعناية فائقة، وساهم قسم الترجمة بدار الفاروق في ترجمة بعض الخطب من أصولها الأجنبية.

خطبة الوداع

لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

مناسبة الخطبة:

بعد أن أتـم النبي ﷺ رسـالته، وانتشر الإسـلام في ربـوع جزيـرة العـرب، وتم فتـح مكـة جاءها النبـي حاجًـا لبيت الله الحـرام، واجتمـع حولـه العـرب بعد أن دخلوا في دين الله أفواجًـا، وقد وقف النبي وخطـب في الناس الخطبـة الآتية؛ ليوضح للإنسـانية جمعاء أهم قيم ومبادئ الإسلام.

نص الخطبة:

روى الإمـام أبـو عبـد الله البخاري في صحيحـه بإسـناده - نص خطبـة الوداع المروي عن رسول الله ﷺ، حيث قال: حدثنا محمد بن المثنى حدثنا يزيد بن هارون أخبرنا عاصم بن محمد بن زيد عن أبيه عن سـيدنا عبـد الله بن عمـر رضي الله عنهما قال: قـال النبى ﷺ بمنى: «أتدرون أي يوم هـذا؟». قالوا: الله ورسـوله أعلم. فقال: «فإن هذا يوم حرام، أفتدرون أي بلد هذا؟». قالوا الله ورسـوله أعلم. قال: «بلد حرام، أفتدرون أي شـهر هذا؟». قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «شهر

نبذة عن حياة سيدنا محمد ﷺ:

هو محمـد بن عبد الله بـن عبد المطلب بن هاشـم العدناني القرشي؛ خاتم النبيين والمرسـلين وأشرف خلق الله وسـيد البشر أجمعين، أرسـله الله لهداية الناس كافة ودعوتهم إلى التوحيد الخالـص لله، وأنزل عليه كتابًا هو القرآن الكريم.

ولد في مكة في شـهر ربيع الأول من عام الفيل، قبل ثلاث وخمسـين سـنة للهجرة؛ أي ما يوافق سـنة ٥٧٠ أو ٥٧١ ميلاديًـا، وقد وُلد يتيم الأب، وفقد أمه في سـن مبكـرة، فتربى في كنف جده عبد المطلب ثم من بعده عمه أبي طالب حيث شب، وكان في تلك الفترة يعمل بالرعي ثم بالتجارة، وقد تزوج في سـن الخامسـة والعشرين من خديجة بنـت خويلد، وأنجب منها كل أولاده باسـتثناء إبراهيم، وكان قبل الإسـلام يرفض عبادة الأوثان؛ حتى نزل عليه الوحي بالرسـالة وعمره أربعون سـنة، وأمره بالدعـوة سرًا لثلاث سـنوات، ثم قـضى بعدهن عشر سنوات أخر بمكة مجاهرًا بدعوة أهلها، وكل من يرد إليها من التجـار والحجيج وغيرهم. هاجـر إلى المدينة المنورة والمسماة يثرب آنذاك عام ٦٢٢م، وهو في الثالثة والخمسين من عمره، فعاش فيها عشر سـنين أخر داعيًا إلى الإسلام، وأسـس بها نواة الحضارة الإسلامية، التي توسعت لاحقًا وشـملت مكة وكل المدن والقبائـل العربية، حيث وحد العرب لأول مرة، وأرشـدهم إلى عبادة الله رب العالمين، ودعاهم لنبذ العنصرية والعصبية القبلية، ثم ذهب رسول الله ﷺ إلى جوار ربـه في١٢ ربيع الأول من العام الحادي عشر بعد الهجرة المباركة.

حـــرام - قال - **فإن الله حـــرم عليكم دماءكــم وأموالكم وأعراضكــم، كحرمة يومكم هذا، في شــهركم هــذا، في بلدكم هذا»**. ولقد قال هشـــام بن الغاز: أخبرني نافع عن ابن عمـــر رضي الله عنهما وقف النبي ﷺ يوم النحر بـــين الجمرات فى الحجة التي حج بهـــذا، وقال: «هذا يوم الحج الأكبر»، فطفق النبي ﷺ يقول: «اللهم اشـــهد». وودع الناس. فقالوا: هذه حجة الوداع.

خطبة

أبي بكر الصديق رضي الله عنه

عند توليه الخلافة

مناسبة الخطبة:

بعد وفاة النبي ﷺ اجتمع الصحابة في سقيفة بني ساعدة، وبايعوا سيدنا أبا بكر الصديق رضي الله عنه بالخلافة، وقد وقف سيدنا أبو بكر وألقى على الناس هذه الخطبة؛ ليبين لهم منهجه في الحكم وإدارة الدولة.

نص الخطبة:

يروي الإمام الحافظ ابن كثير في كتابه «البداية والنهاية» نص كلام أبي بكر رضي الله عنه حين تولى خلافة المسلمين بعد وفاة سيدنا رسول الله ﷺ؛ حيث يقول: ثم تكلم أبو بكر، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: «أما بعد أيها الناس، فإني قد وليت عليكم، ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني، الصدق أمانة والكذب خيانة، والضعيف منكم قوي عندي حتى أزيح علته - إن شاء الله - والقوي فيكم ضعيف؛ حتى آخذ منه الحق - إن شاء الله - **لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله؛ إلا ضربهم الله بالذل. ولا يشيع قوم قط الفاحشة؛ إلا عمهم الله بالبلاء. أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله، فلا طاعة لي عليكم** .. قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله».

نبذة عن حياة سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه:

اسمه عبد الله بن أبي قحافة التيمي القرشي، وهو أول الخلفاء الراشدين، وأول من أسلم من الرجال من أهل مكة، ورافق النبي ﷺ منذ بدء الإسلام، وهو صديقه ورفيقه في الهجرة إلى المدينة المنورة، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، وقد أسلم على يده الكثير من الصحابة، وهو والد أم المؤمنين عائشة زوجة الرسول، وقد كان ميلاده بعد عام الفيل بسنتين وستة أشهر، بما يوافق سنة ٥٠ ق.هـ وسنة ٥٧٣م. وقد كان سيدًا من سادة قريش وغنيًّا من أغنيائها، وكان عاقلًا ممن رفضوا عبادة الأصنام في الجاهلية وشُرب الخمر، ويلقب بـ (الصديق)؛ لأنه صدق النبي محمدًا في حادثة الإسراء والمعراج، وقيل لأنه كان يصدق النبي في كل خبر يأتيه. بويع بالخلافة يوم الثلاثاء ١٢ ربيع الأول سنة ١١ هـ واستمرت خلافته قرابة سنتين وأربعة أشهر. وتوفي في يوم الاثنين ٢٢ جمادى الأولى سنة ١٣ هـ الموافق ٢٣ أغسطس ٦٣٤م.

خطبة الحجاج عند توليه إمارة العراق

للحجاج بن يوسف الثقفي

مناسبة الخطبة:

كانت العراق وإمارات أخرى تحت حكم الخليفة عبد الله بن الزبير، ثم خرج عليه عبد الملك بن مروان في الشام، وانتزع الحكم ظلمًا وجورًا، وأرسل بالحجاج بن يوسف الثقفي ليقمع الثورة بالعراق، وحتى يخضع أهلها تحت حكم عبد الملك بن مروان، وقد ألقى الحجاج في مسجد الكوفة هذه الخطبة – والتي تتميز بالفصاحة والبيان المبهر - كي يوضح للناس منهجه في حكم العراق، وضرورة أن يطيع الناس عبد الملك ابن مروان.

نبذة عن حياة الحجاج بن يوسف الثقفي:

اسمه أبو محمد الحجاج بن يوسف الثقفي، كان من كبار القادة العسكريين في دولة بني أمية، وقد ولد في الطائف بالحجاز، وتزوج من ابنة المهلب بن أبي صفرة، وقد لعب الحجاج دورًا كبيرًا في تثبيت أركان الدولة الأموية، وسير الفتوح، وخطط المدن، وبنى مدينة واسط، ويعد من الشخصيات المثيرة للجدل في التاريخ الإسلامي والعربي، عرف بـ (المبير) أي المبيد، ويُرجع إليه التخلص من أعداء بني أمية مثل عبد الله بن الزبير، كما قمع العديد من الثورات التي قامت؛ من أمثال ثورة ابن الأشعث وثورات الخوارج، وقد مات في مدينة واسط بالعراق عام ٩٥ من الهجرة النبوية.

نص الخطبة:

ذكر الإمام المبرد في كتابه الرائع «الكامل في اللغة والأدب» نص هذه الخطبة؛ حيث قال: وحدثني التوزي في إسناد ذكره آخره عبد الملك بن عمير الليثي، قال: «بينما نحن في المسجد الجامع بالكوفة، وأهل الكوفة يومئذ ذوو حال حسنة، يخرج الرجل منهم في العشرة والعشرين من مواليه، إذ أتى آتٍ فقال: هذا الحجاج قدم أميرًا على العراق. فإذا به قد دخل المسجد معتمًّا بعمامة غطى بها أكثر وجهه، متقلدًا سيفًا، متنكبًا قوسًا، يؤم المنبر، فقام الناس نحوه، حتى صعد المنبر، فمكث ساعة لا يتكلم، فقال الناس بعضهم لبعض: قبح الله بني أمية؛ حيث تستعمل مثل هذا على العراق. حتى قال عمير بن ضابئ البرجمي: ألا أحصبه لكم؟ فقالوا: أمهل حتى ننظر. فلما رأى عيون الناس إليه حسر اللثام عن فيه ونهض، وقال:

أنـــا ابــــن جـــلا وطـــــلاع الـثـنـايـا
مـتـــى أضــــع الـعـــمامــة تـعـرفـوني

ثم قال: يا أهــل الكوفة، **إني لأرى رؤوسًـا قد أينعت وحـان قطافها، وإنـي لصاحبها، وكأني أنظر إلى الدماء بين العمائم واللحى**، ثم قال:

هـــذا أوان الـشـــد، فـاشـتـدي زيـم
قـــد لـفـهـا الـلـيـل بـســـواق حطم
لـــيـس بـــراعـــي إبـــل ولا غـنـم
ولا بـــجـــزار عـــلى ظـــهـــر وضـــم

ثم قال :

قـــد لـــفـــهـــا الـــلـــيـــل بعـصـلبـي
أروع خـــــراج مـــــن الـــــدوي
مـــهـــاجـــر لـــيـــس بـــأعـــرابي

وقال:

قـــد شـــمـــرت عـــن سـاقـهـا فـشـدوا
وجـــــدت الحــــرب بـكـــم فـجـدوا
والـــقـــوس فـيـهـا وتـــر عـــرد
مـــثـــل ذراع الـــبـــكـــر أو أشـــد
لا بـــــد ممـــــا لـــيـــس مـــنـــه بـد

إني والله يــا أهل العراق، ما يقعقع لي بالشـــنان، ولا يغمز جانبي كتغماز التين، ولقد فرزت عن ذكاء، وفتشـــت عن تجربة، وإن أمير المؤمنين - أطال الله بقاءه - نثر كنانته بين يديه، فعجم

عيدانهـــا، فوجدني أمرها عودًا، وأصلبها مكسرًا، فرماكـــم بي؛ لأنكم طالما أوضعتم في الفتنة، واضطجعتـــم في مراقد الضلال، والله لأحزمنكم حزم الســـلمة، ولأضربنكم ضرب غرائب الإبل، فإنكم لكأهل قرية كانت آمنة مطمئنة، يأتيها رزقها رغدًا من كل مكان، فكفرت بأنعم الله؛ فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون. وإني والله ما أقول إلا وفيت، ولا أهم إلا أمضيت، ولا أخلق إلا فريت، وإن أمير المؤمنين أمرني بإعطائكم أعطياتكم، وأن أوجهكم لمحاربة عدوكم مع المهلب بن أبي صفرة، وإني أقســـم بالله لا أجد رجلاً تخلف بعد أخذ عطائه بثلاثة أيام، إلا ضربت عنقه. يا غلام، اقرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين.

فقرأ: «بســـم الله الرحمن الرحيم: من عبد الله عبد الملـــك أمير المؤمنين، إلى من بالكوفة من المسلمين، سلام عليكم»، فلم يقل أحد منهم شيئًا، فقال الحجاج: اكفف يا غلام. ثم أقبل على الناس، فقال: أســـلم عليكم أمير المؤمنين، فلم تردوا عليه شيئًا؟!! هذا أدب ابن نهية، أما والله لأؤدبنكم غير هذا الأدب أو لتســـتقيمن. اقرأ يا غلام كتاب أمـــير المؤمنين، فلما بلغ إلى قوله: «ســـلام عليكم»، لم يبقَ في المســـجد أحد إلا قال: وعلى أمير المؤمنين الســـلام. ثم نزل فوضع للناس أعطياتهم».

مكتبة
t.me/soramnqraa

خطبة
إلى قوات جيش المملكة البريطانية في مدينة «تيلبوري»

للملكة «إليزابيث الأولى»

مناسبة الخطبة:

ألقت الملكة «إليزابيث الأولى» هذه الخطبة الشهيرة عام ١٥٨٨، في الوقت الذي كانت تتأهب فيه المملكة البريطانية لصد الغزو الإسباني عليها تحت لواء الملك «فيليب»، بأسطول «الأرمادا» الحربي الذي عرف عنه أنه لا يقهر. ورغم كل تلك العوامل فإن النصر كان حليفًا مؤكدًا للجانب الإنجليزي على نظيره الإسباني؛ لأن الأخير قد انجرف بأسطوله بعيدًا عن الشواطئ الإنجليزية، بفعل الرياح العاتية التي عصفت به فأتت عليه ودمرته.

في هذه الخطبة، وقفت الملكة «إليزابيث الأولى»؛ لتدرأ الادعاء القائم على أنه نظرًا لكونها ملكة، فهي أقل كفاءة لقيادة شعبها وقت الحرب، عما لو كان يحكمه ملك، وهذا ما جعل أشهر سطر في هذه الخطبة هو الذي تقول فيه: «أعلم أن لي جسم أنثى ضعيفًا وواهنًا، ولكني أملك قلب وجرأة الملوك من الرجال، وليس أي ملك، بل ملك إنجلترا».

نبذة عن حياة الملكة إليزابيث الأولى:

عاشت في جرينيتش وريتشمون بإنجلترا، وهي ابنة الملك «هنري الثامن» و الملكة «آن بولين»، تنتمي إلى أسرة التيودر، ذات الأصول الويلزية. أوصى الملك «هنري الثامن» بعدم خلافة ابنته في الحكم؛ حيث إنه اعتبرها ابنة غير شرعية، وذلك بعد اتهام أمها الملكة «آن بولين» بالخيانة، وذلك حتى توافق الكنيسة على طلاقه منها، حتى يتزوج من أخرى، وتنجب له وريثًا «ذكرًا» للعرش.

تولت إليزابيث الحكم بعد شقيقتها ماري الأولى، والتي كانت كاثوليكية المذهب، فيما تبنت هي المذهب البروتستانتي المعتدل. عاشت الملكة عزباء طيلة حياتها، ولقبت بالملكة العذراء، عرفت بحيويتها الدائمة، كما تميز حكمها بالطابع الاستبدادي، فقد كانت تأخذ رأي البرلمان في جميع شؤون البلاد، إلا أنها كانت تنفرد بأخذ القرار. كان لها الفضل في ترسيخ العقيدة الوطنية في إنجلترا (الأنجليكانية)، بعد أن أقرت مرسوم السيادة ١٥٥٩ م، ثم وثيقة البنود التسعة والثلاثين ١٥٦٣ م، واجهت جماعات البيوريتانيين (التطهريين)، والذين انشقوا عن الحركة البروتستانتية، وأخذوا يطالبون بتطبيق تشريعات أكثر تشددًا. إلا أن أخطر خصومها كانوا الكاثوليكيين، والذين أرادوا أن يعيدوا المذهب الكاثوليكي إلى رأس الدولة، وجهت لهم الملكة ضربة حاسمة، عندما ألقت القبض على قريبتها ملكة اسكتلندا المخلوعة (ماري ستيوارت)، والتي لقبت بحامية العقيدة الكاثوليكية، وقد تورطت الأخيرة وبمعية بعض الكاثوليكيين النافذين في البلاط في مؤامرة لإسقاط نظام الحكم، فوجهت إليها تهمة الخيانة، ثم أعدمت عام ١٥٨٧ م.

كان من عواقب مقتل الملكة ماري ستيوارت، أن اشتعل فتيل المواجهات بين إنجلترا وإسبانيا (حامية

نص الخطبة:

«شعبي الحبيب..

لقد اقتنعنا بما قاله لنا البعض من الحريصين على سلامة أراضينا، مما جعلنا نتوخى الحذر، فيما نعلنه عن استعدادنا لمواجهة حشود القوات الغازية، خوفًا من وقوعنا في شرك الخيانة. ولكني أود أن أؤكد لكم عدم رغبتي في العيش لليوم الذي قد أفقد فيه ثقة شعبي المخلص والمحب. لنبث الرعب في قلوب الطاغين علينا، فقد حرصت دومًا على إلزام نفسي بهذا الأمر أمام الرب، وإني أضع كل ما أملك من قوة ومن سبل للحماية في قلوب أفراد شعبي، وفي نواياهم الحسنة بي، ولذا فأنا ها هنا جئت لأكون بينكم كما ترون الآن، ليس لغرض التسلية أو اللهو، وإنما لعزمي على أن أكون معكم في أتون الحرب، وحين يشتد وطيسها، ولأعيش أو لأموت بينكم، ولأهب نفسي فداءً للرب ولمملكتي ولشعبي، ولأقدم شرفي ودمي فداءً لترابها. **أعلم أن لي جسم أنثى ضعيفًا وواهنًا، ولكني أملك قلب وجرأة الملوك من الرجال، وليس أي ملك، بل ملك «إنجلترا».** إن ما أعرفه أن الاحتقار والسخرية سيكونان من نصيب ملك «بارما» أو «إسبانيا»، أو أي أمير بأوربا يجرؤ على التفكير في غزو حدود مملكتي، وإن لم أفعل فسيكون مصيري الخزي والعار، سأحمل السلاح وسأكون القائد عليكم في ساحة القتال، وسأكون الحكم والمكافئ لكل منكم على ما قدمه من الفضائل ومن القوة، بميدان الحرب. أعلم أنكم جميعًا تستحقون المكافأة ونيل الألقاب الرفيعة، على ما تتمتعون به من روح الإقدام، وإنني لأعاهدكم عهد الملوك

الكاثوليكية). كانت الأخيرة تعتز كثيرًا بقوتها البحرية، فدفعت بأسطولها القوي لمحاصرة الجزيرة البريطانية، إلا أن الإنجليز حسموا الموقف لصالحهم، وانهزمت الأرمادا التي لا تقهر (كان هذا لقب الأسطول الإسباني).

كرست هزيمة إسبانيا بداية حقبة جديدة، عرفت هيمنة إنجلترا على البحار، فأخذوا بعدها يتوسعون وينتشرون في أرجاء المعمورة (تأسيس شركة الهند الشرقية ١٦٠٠م)، عرفت إنجلترا أثناء فترة حكم الملكة إليزابيث نهضة علمية وفنية كبيرة (شكسبير في الأدب، مالرو في الشعر وغيرهم). كانت الملكة آخر الحكام من أسرة التيودر. خلفها على العرش «جيمس الأول» ابن «ماري ستيوارت».

والأمراء بنيل ما تستحقونه عليها. في هذا الوقت، سيحل من نصبته جنرالاً لقيادة الحرب مكاني بها، وعليكم أن تعاملوه كأمير لم يحظَ مثله بطاعة وبنبل أفراد شعبه له، ليس هذا من قبيل التشكيك فيكم، ولكن لأنه بطاعتكم له وباتحادكم في معسكر الحرب وببسالتكم في ساحتها، فإننا سنحرز نصرًا مدويًا في وقت وجيز على أعداء الرب ومملكتنا وشعبنا».

خطبة
حل البرلمان الطويل
لأوليفر كرومويل

مناسبة الخطبة:

قام أوليفر كرومويل الحاكم المطلق الفعلي للكومنولث، بحل البرلمان الطويل بالقوة في ٢٠ إبريل من عام ١٦٥٣. إن الأسباب الدقيقة التي دفعت كرومويل للقيام بذلك غير واضحة، فربما بدا له أن البرلمان الطويل يحاول تأسيس كيان تمثيلي منفصل عن الحكومة، وأنه يحاول إضعاف خطته لتنصيب نفسه كحاكم مطلق، علاوة على فشله في القيام بـ"الإصلاحات" التي طالب بها الجيش، واعتقادًا من كرومويل أن البرلمان يسعى إلى الديمومة.

نبذة عن حياة أوليفر كرومويل:

كان ميلاده في ٢٥ إبريل ١٥٩٩ وهو قائد عسكري وسياسي إنجليزي، اعتبره نقاده أحد القادة الدكتاتوريين، وقد حدث أن اندلعت الحرب الأهلية بين أنصار الملك تشارلز الأول من جهة، وجيش البرلمانيين والإسكتلنديين (حلفائهم الجدد) من جهة أخرى، وفي العام نفسه سنة ١٦٤٥م منيت القوات الملكية بهزيمة في نيزبي؛ حيث وجد الملك تشارلز الأول نفسه معزولاً، فقام في العام التالي (١٦٤٦م) بتسليم نفسه للإسكتلنديين، والذين بسلموه بدورهم إلى البرلمانيين.

ولكن استطاع تشارلز الأول الفرار سنة ١٦٤٧م، لتقوم الحرب الأهلية مرة ثانية، وكان الملك قد أقام تحالفًا جديدًا مع الإسكتلنديين، في مقابل إعطائهم بعض الحريات الدينية، ولكن قائد الثوار والذي كان أوليفر كرومويل - استطاع أن يحسم الموقف بصورة نهائية هذه المرة عام ١٦٤٨م، وقام كرومويل بعقد جلسة خاصة للبرلمان، بعد أن تم انتقاء أعضائه من بين أنصار الثوريين، وصدر الحكم بإعدام الملك، لتضرب عنقه في وايتهول، بالقرب من وستمنستر عام ١٦٤٩م، وقد جعل كرومويل إنجلترا جمهورية وقاد كومنولث إنجلترا، وقد توفي في ٣ سبتمبر ١٦٥٨.

نص الخطبة:

«لقد آن الأوان لكي أضع حدًّا لجلوسكم في هذا المكان الذي أهنتموه باحتقاركم لكل فضيلة، ودنستموه بارتكابكم لكل رذيلة. إنكم مجموعة من مثيري الفتنة والشقاق، وأعداء لكل حكومة صالحة. إنكم جماعة من التعساء المرتزقة، تريدون بيع بلدكم من أجل طبق من الحساء، وتريدون خيانة ربكم مثلما فعل يهوذا من أجل بضعة نقود.

هل توجد فضيلة واحدة ما زالت لديكم؟ هل هناك رذيلة واحدة لم ترتكبوها؟ لا صحة على الإطلاق لما تدَّعونه من تدين. **الذهب هو إلهكم**؛ فمن منكم من لم يقايض على ضميره بالحصول على الرشا؟ هل هناك واحد بينكم لديه أقل قدر من العناية بصالح الكومنولث؟

ألم تقوموا أيها الفجرة الدنيئون بتدنيس هذا المكان المقدس، وتحويل هيكل الرب إلى وكر لصوص بمبادئكم اللاأخلاقية وممارستكم الشريرة؟ فقد أصبحتم مصدر بغضاء غير محتملة بالنسبة للأمة بأسرها. إنكم مفوضون هنا من قبل الشعب للنظر في المظالم، وهو ما أخفقتم فيه، لذا استدعاني بلدكم لتطهير البرلمان الذي صار مستودعًا للقذارة، بوضع نهاية لإجراءاتكم الجائرة، ويمعونة الرب والقوة التي منحني إياها جئت الآن لأقوم بذلك. لذا، آمركم نظرًا للخطر الذي يهدد حياتكم أن تغادروا فورًا هذا المكان، خذوا معكم هذه الكرة اللامعة الموجودة هناك، وأغلقوا الأبواب. **باسم الرب، اذهبوا**».

خطبة
جورج واشنطن

مناسبة الخطبة:

هي الخطبة التي ألقاها جورج واشنطن - أبو الأمريكيين - في مارس من عام ١٧٩٧، بعد انتهاء فترته الرئاسية الثانية، وقد قرر جورج واشنطن التخلي عن السلطة طواعية، على الرغم من تجديد الثقة له؛ ليعود إلى بلدته مونت فيرنون، ويفتتح مصنعًا صغيرًا يعمل به، كأي مواطن أمريكي عادي حتى وفاته. يركز هذا الجزء الذي سنقدمه على السياسة الخارجية في عهد جورج واشنطن؛ خاصةً ما يتصل بالموقف الحيادي الذي تبنته الولايات المتحدة من الحروب المشتعلة في أوربا آنذاك.

نبذة عن حياة جورج واشنطن:

ولد في ٢٢ فبراير ١٧٣٢ في ولاية فيرجينيا لأسرة تمتهن الزراعة والتحق عام ١٧٦٠ بالجيش الإنجليزي، ولما ازداد ظلم الإنجليز للأمريكان كان جورج واشنطن القائد الفعلي للأمريكان، فقاد ثورة التحرير، ثم اختير عام ١٧٧٥ م قائدًا لجيش أمريكا؛ ليخوض به حروبًا عنيفة انتهت بعد ست سنوات.

اختارت الانتخابات واشنطن كأول رئيس للولايات المتحدة الأمريكية. لقد وضع واشنطن الكثير من السياسات والتقاليد التي لا تزال موجودة حتى الآن؛ بسبب دورته المركزية في تأسيس الولايات المتحدة، ومدينة واشنطن يطلق عليها في أغلب الأحيان اسم (أب البلاد)، والعلماء يصنفونه مع أبراهام لينكولن بين أعظم الرؤساء الأمريكيين.

استمر في جهوده الرامية إلى إقرار النظام الفيدرالي بين الولايات الأمريكية؛ حتى تكللت في النهاية بعقد مؤتمر دستوري في فيلادلفيا عام ١٧٨٧، وبعد إقرار الدستور في مؤتمر فيلادلفيا انتخبته الهيئة الانتخابية بالإجماع رئيسًا للولايات المتحدة، ليبدأ حكم دولة مقدر لها أن تكون أكبر قوة في العالم، وقد عمل على تحييد أمريكا، وعدم إقحامها في الصراع الدائر بين بريطانيا وفرنسا، ورفض الأخذ بآراء العديد من وزرائه في التحيز لإحدى الدولتين. وقبل أن تنتهي السنة الثالثة من خروجه من الرئاسة أصيب بمرض توفي على إثره في ١٤ ديسمبر ١٧٩٩.

نص الخطبة:

[الجزء الذي يتناول السياسة الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية]

«يجب أن نلتزم حسن النية والعدالة تجاه الأمم كلها، وأن نسعى لغرس روح السلام والتآلف مع الأمم جميعها؛ وعلى الرغم من أن كلاً من الدين والأخلاق يأمران بانتهاج هذا السلوك، فإن مقتضيات الأمور في عالم السياسة يمكن ألا تشجعنا بالقدر نفسه على انتهاج هذا السلوك، ولكن هذا السلوك هو ما يليق بالأمم الحرة المستنيرة، والتي لن يمضي وقت طويل حتى تصل إلى مصاف الأمم العظيمة القادرة على أن تضرب مثلاً نبيلاً وجديدًا يجب

أن تحتذي به البشرية بأسرها، لشعب لا يسمح إلا للعدالة المطلقة وحب الخير بتوجيه مسار تصرفاته. عندئذ، من منا يمكن أن يخالجه الشك في أنه بمرور الوقت، وبسير الأحداث في مجراها الطبيعي، فإن الثمار التي سنحصدها من تطبيق هذا المخطط ستعوضنا بسخاء عن أي ميزات وقتية يمكن أن تضيع منا؛ بسبب تمسكنا بهذا المخطط؟ فهل يمكن ألا تربط السماء بين النعمة الأبدية التي تسبغها على الأمم، وبين تمسك هذه الأمم بالفضيلة؟ على الأقل، تحضنا كل عاطفة تعمل على السمو بالطبيعة البشرية على خوض هذه التجربة، ويا للحسرة إذا تمكنت النوازع الشريرة للطبيعة البشرية من إقناعنا بأن تطبيق هذه التجربة ضرب من ضروب المستحيل.

في سعينا لتنفيذ هذا المخطط، ليس هناك ما هو أهم من تجنب مشاعر العداء الدائم والمستحكم التي نشعر بها تجاه أمم معينة، وكذلك مشاعر التعلق المتقد التي نشعر بها تجاه أمم أخرى. وبدلاً من كليهما، يجب أن نشجع على غرس مشاعر مفعمة بالعدل والود تجاه الأمم كلها. إن الأمة التي دأبت على الانغماس في مشاعر الكراهية أو مشاعر الولع الشديد تجاه أمة أخرى تضع أغلال الأسر في عنقها بشكل ما؛ حيث تصبح أسيرة لمشاعر العداء أو المحبة التي تسيطر عليها، وفي كليهما ما يكفي ليقود الأمة بعيدًا عن جادة الصواب، وعما يمليه عليها واجبها ومصلحتها؛ ففي حالة نشوب مسببات عارضة أو تافهة للخلاف بين أمتين، تجعل مشاعر العداء المستحكم المتمكنة من نفس إحدى الأمم تجاه أخرى - هذه الأمة أكثر عرضة للتسبب في إهانة الأمة الأخرى وفي جرحها. كذلك تجعل مشاعر الاستعلاء والنفور من الأمة الأخرى تتملك منها، وهو ما يؤدي إلى نشوب التصادمات المتكررة بين الطرفين، وكذلك إلى وجود الصراعات التي يغلب عليها التشبث بالرأي والامتلاء بالحقد والدموية. إن الأمة التي يحركها الغل والحقد أحيانًا ما تدفع حكومتها دفعًا تجاه حرب تخالف تمامًا كل الحسابات الرشيدة للسياسة. أحيانًا ما يكون للحكومة دور في وجود تلك النزعة داخل الأمة، وتتبنى بعواطفها ما يرفضه المنطق السليم، وفي أحيان أخرى، يكون ما تقوم به الحكومة من تصرفات عدائية بدافع من الكبرياء والطموح وغيرهما من الدوافع الآثمة والخبيثة - هو ما يولد شعور

العداء المستحكم لدى الأمة. عندئذ، غالبًا ما يكون السلام بين الأمم هو الضحية، وقد تكون حرية هذه الأمم هي الضحية في بعض الأحيان.

بالمثل، يتولد عن التعلق بدافع من الحماس الشديد الذي تبديه إحدى الأمم تجاه أخرى عدد متنوع من الشرور؛ حيث يسهل التعاطف مع إحدى الأمم توهم وجود مصلحة مشتركة بين الأمتين، بينما لا وجود حقيقي لهذه المصلحة، كما يملأ صدور أبناء هذه الأمة بالعداوات التي نكنها الأمة محل تعاطفها تجاه أمم أخرى، مما يدفع هذه الأمة للمشاركة في الصراعات والحروب التي تخوضها الأمة محل تعاطفها، دون وجود دافع حقيقي للقيام بذلك أو مبرر له. يؤدي ذلك أيضًا إلى منح الأمة المفضلة امتيازات تحرم منها أمم أخرى، الأمر الذي يلحق الضرر بشكل مضاعف بالأمة التي تمنح هذه الامتيازات؛ حيث تتخلى عما يجب عليها الاحتفاظ به من جانب، وتستثير الغيرة والغل والرغبة في الانتقام في نفوس من حرموا التمتع بحقهم في الحصول على الامتيازات نفسها من جانب آخر. علاوةً على ذلك، يذلل ذلك الفرصة أمام المواطنين الذين أعماهم الطموح والفساد والضلال (والذين كرسوا جهودهم لخدمة مصالح الأمة محل التفضيل) لخيانة مصالح بلدهم أو التضحية بها لصالح الأمة التي يميلون إليها بمشاعرهم، وهو ما يقومون به دون أدنى شعور بالخزي، بل أحيانًا ما يتيح لهم ذلك الفرصة لإضفاء صفتي القبول والاستساغة لدى العامة بإلباس أفعالهم حلة نزاهة الالتزام بالمصلحة العامة، وهو أكثر دفاع يمكن أن يلقى استحسانًا لدى الرأي العام، أو يضفي على هذه التصرفات المشروعية بدعوى أنها تتم بدافع من الغيرة المحمودة على الصالح العام، كما أن ذلك يمهد الطريق للامتثال لما تمليه دوافع الطموح أو الفساد أو الهوس الموجودة في نفوس البعض.

ولأن الدروب التي يمكن أن يغزو منها التأثير الأجنبي الوطن لا يمكن إحصاؤها، فإن هذه المظاهر للتعلق تدق ناقوس الخطر، لمن لديهم نزعة وطنية حقيقية تتسم بالاستنارة والاستقلال أكثر من غيرهم من الأشخاص، وفي ظل هذا المناخ، تتولد العديد والعديد من الفرص للتلاعب بالشقاقات الداخلية، وممارسة حيل الخداع وتضليل الرأي العام والتأثير

على مجالس العامة أو إلقاء الرعب في نفوسهم. إن ارتباط الأمم الصغيرة أو الضعيفة بالأمم العظيمة والقوية وتعلقها بها يجعل من الأولى تابعًا منقادًا للثانية.

وفي مواجهة أساليب الخداع الخبيثة للتأثير الأجنبي (أناشدكم أن تثقوا في كلامي إخواني المواطنين) يجب الحفاظ على غيرة النفوس الحرة في حالة دائمة من اليقظة؛ لأن التاريخ والتجربة قد أثبتا أن التأثير الأجنبي ألد أعداء الحكومات الجمهورية، وينبغي أن تتميز هذه الغيرة بعدم الانحياز، حتى يمكن الاستفادة منها، وإلا سيستخدمها التأثير الذي يجب أن تحاربه لصالحه، بدلاً من أن يتم استخدامها للوقاية من شروره، فالانحياز المفرط لإحدى الأمم الأجنبية والكراهية المفرطة لأمة أخرى، يجعلان من يتحركون بدافع من هذه المشاعر يبصرون مصدرًا واحدًا فقط للخطر، يساعدان في حجب حيل التأثير التي تمارسها مصادر أخرى بل وتدعمها. يتعرض الوطنيون الحقيقيون القادرون على مقاومة ألاعيب المنحازين لأطراف أجنبية أكثر من غيرهم لمشاعر الشك والبغض من أبناء وطنهم، عندما يحاول المنحازون استخدام ما لديهم من أدوات وأساليب خداعية لانتزاع استحسان أبناء الوطن وثقتهم، حتى يتخلوا عما تمليه المصلحة العامة.

إن القاعدة الذهبية التي يجب أن تحكم تصرفاتنا تجاه الأمم الأجنبية هي التوسع بقدر المستطاع في علاقاتنا التجارية معهم، مع التحفظ بقدر المستطاع في علاقاتنا السياسية بهم. أما الالتزامات القائمة بالفعل بيننا وبين بعض الأمم، فيجب أن تتصف اتصافًا تامًّا بحسن النية، وهنا ينبغي أن تكون لنا وقفة، فلا بد أن نعرف أن لأوربا مجموعة من المصالح الرئيسة التي لا علاقة لها بنا، أو لها علاقة بعيدة بنا. إن أوربا كانت دائمًا مسرحًا لخلافات متكررة لها من الأسباب ما هو غريب تمامًا علينا. ومن ثم، فإنه ليس من الحكمة أن نقيد أنفسنا بروابط مصطنعة تجرنا معها في تيار من التقلبات السياسية التي اعتادوا عليها، والتي لا شأن لنا بها، أو تدخلنا معها في اتحادات مع أصدقائها أو في تصادمات مع أعدائها.

إن موقفنا المنفصل عن أوربا والبعيد عن موقفها يدعونا لسلوك درب مختلف عن الدرب الذي تسلكه، ويمكننا من القيام بذلك. فإذا حافظنا على وحدتنا كشعب واحد تحت قيادة

حكومة تؤدي دورها بكفاءة، فلن يمضي وقت طويل حتى نتمكن من دحر أي خطر مادي يمكن أن تسببه لنا جهة خارجية، ونستطيع أن نتخذ من هذا الموقف قاعدة للحيادية في تصرفاتنا في كل الأوقات، حتى نحظى بالاحترام غير المنقوص، ولا تستطيع الأمم المتقاتلة التي لن تقدر أبدًا على النيل منا أن تستثير مشاعرنا وتستفزها، ونستطيع أن نختار ما بين الحرب والسلام بما يتفق مع مصالحنا، وفي ضوء العدالة التي تهدينا إلى سواء السبيل.

فلم ينبغي علينا أن نتخلى عن كل المميزات التي يمنحها لنا موقفنا المتميز؟ لم ينبغي علينا أن نترك أرضنا لنقف فوق أرض غريبة عنا؟ لم ينبغي علينا أن نقرن بين مصيرنا وبين مصير أي جزء من أوربا، لنزج بالسلام والرخاء اللذين ننعم بهما في النيران الأوربية المستعرة، والتي تتخذ وقودًا لها الطموح أو العداوة أو المصالح أو الاستهزاء أو النزوات؟

إن السياسة التي ننتهجها تفرض علينا أن ننأى عن الانضمام لأي تحالفات دائمة، مع أية جهة من العالم الخارجي، وما أعنيه هو أن ننأى عن ذلك بالنسبة لأي تحالفات لم نقم بها بالفعل؛ لأنني لا أرغب مطلقًا في أن يتم فهم كلامي على أنه تحريض على عدم الوفاء بالالتزامات القائمة بالفعل بيننا وبين بعض الجهات الخارجية، فأنا أؤيد المبدأ الذي لا تقل أهمية تطبيقه على الشؤون العامة عن أهمية تطبيقه على الشؤون الخاصة؛ بأن الأمانة هي دومًا أفضل السياسات التي يمكن انتهاجها؛ لذلك، أكرر كلامي عن ضرورة الوفاء بهذه الارتباطات، بما يتفق مع المفهوم الحقيقي لها، ولكنني لا أرى حاجة أو حكمة تدعو إلى التوسع في هذه الارتباطات.

إن حرصنا الدائم على امتلاك الاستعدادات اللازمة التي تضعنا في موقع محترم يمكننا من الدفاع عن أنفسنا، ويسمح لنا أن نثق في أمان بالتحالفات المؤقتة التي تفرضها علينا الظروف الاستثنائية الطارئة.

إن فنون السياسة والمبادئ الإنسانية والسعي لتحقيق المصلحة، كل ذلك يرشدنا إلى التعامل مع الأمم جميعها، وفق مبدأ ثابت وحر يسوده التآلف، حتى سياستنا الاقتصادية يجب أن تتسم

بالمساواة وعدم الانحياز، بحيث لا تسعى للاستئثار بمميزات لها وحدها أو لمنح مميزات لآخرين دون سواهم، ويجب أن يتم وضع هذه السياسة في ضوء السياق الطبيعي للأمور، مع الحرص على استخدام الأساليب الهادئة لنشر روافدنا التجارية المختلفة والمتنوعة، والحفاظ على عدم استخدام القوة لفرض أي منها. كذلك، ينبغي إرساء أسس القواعد التقليدية للتعاملات التجارية (باستخدام قدراتنا التي تتسم بالود لتحقيق الاستقرار للتجارة وتحديد الحقوق التي يتمتع بها التجار وتمكين الحكومة من دعمهم)، وذلك في أفضل إطار ممكن أن تسمح به الظروف الراهنة وآراء الجانبين، على أن يكون هذا الإطار مؤقتًا وقابلاً للاستغناء عنه، أو تغييره من وقت لآخر، حسب ما تمليه علينا خبرتنا الفعلية بالموقف وظروفنا. علينا أن نضع في اعتبارنا دائمًا أنه من الحماقة أن نتصور أنه يمكننا الحصول على مميزات من أمة أخرى دون أن يقف وراء هذه المميزات مصلحة ما، وأنه علينا أن ندفع مقابل الحصول على مميزات في هذا الإطار جزءًا من استقلالنا، وأن ذلك يحتم علينا رد هذه المميزات بما يساويها، ويضعنا في موقف المقصر ناكر الجميل في حالة عدم ردها بما هو أكثر منها، فلا يوجد خطأ أفدح من قبول أمة لمثل هذه المميزات من أمة أخرى، أو اعتمادها على هذه المميزات في خططها. ولا يمكن أن نعتبر ذلك إلا مجرد وهم يجب أن تشفينا منه التجربة الفعلية، وأمرًا ينبذه تمامًا الكبرياء غير المتحيز الذي يجب أن نتحلى به.

إنني إذ أسدي لكم النصح يا بني وطني، فإنني أعتبر نفسي صديقًا ودودًا تقدم به العمر، وإنني لا يمكن أن أطلق العنان لأملي في أن تترك هذه النصائح انطباعًا قويًا ودائمًا داخل نفوسكم أو أن تتحكم في فيض المشاعر الذي تشعرون به أو أن تجعل الأمة تخالف السياق الطبيعي للأمور الذي تفرضه مقدرات الأمم. ولكن ما يمكن أن يبعث الأمل في نفسي هو أن هذه النصائح قد تثمر عن منفعة جزئية لبني وطني، أو تأتي ببعض الخير من وقت لآخر أو تتردد من وقت لآخر بينهم؛ لتخفف من ضراوة تحزبهم لجهة ما، أو تحذرهم من الوقوع ضحايا للمؤامرات والخدع التي تحيكها لهم جهات أجنبية، أو تحميهم من شر الوقوع في براثن من يدعون الوطنية، وهو ما فيه الثواب الذي أبتغيه من عنايتي المفرطة بما فيه رخاؤكم، وهو الأمر الذي أملى علي أن أسدي لكم النصح.

إن المبادئ التي أوضحتها لكم هي التي وجهت مسار أدائي لواجباتي الرسمية إلى أبعد الحدود، وهو ما تشهد عليه السجلات العامة، والأدلة الأخرى على ما قمت به من أعمال أمام العالم بأسره. وبالنسبة لي، فإن ما يطمئن إليه ضميري هو أنني قد جعلت هذه المبادئ هي المرشد لكل تصرفاتي.

أما فيما يتعلق بالحرب التي لا تزال رحاها تدور في أوربا، فيعتبر الإعلان الرسمي الذي قدمته في الثاني والعشرين من إبريل لعام ١٧٩٣ هو اللائحة التي توضح خطتي، بشأن هذا الأمر. إن الروح التي تحرك الإجراء الذي قمت به هي التي كانت دومًا تقف خلف تصرفاتي جميعها، وهي ما صدقت عليها موافقتكم وموافقة ممثليكم في مجلسي الكونجرس، ولم تتأثر بأية محاولات هدفت إلى رجوعي عن القيام بهذا الإجراء أو إثنائي عنه.

بعد دراسة متأنية، وفي ضوء أفضل ما يمكن الاسترشاد به لاتخاذ القرار السليم، أصبحت مقتنعًا تمامًا أن بلادنا لها الحق في أن تتخذ موقفًا محايدًا من هذه الحرب، وهو الأمر الذي يمليه عليها الواجب ومصلحة البلاد. وباتخاذي لهذا القرار، فقد قررت الحفاظ عليه، بكل اعتدال ومثابرة وحزم، وباستخدام كل جهد يمكن أن أبذله في هذا الشأن.

ليس من الضروري في هذا المقام أن أتعرض بالتفصيل للاعتبارات التي تعطينا الحق في التصرف على هذا النحو. وسأعمل فقط، وفي ضوء إدراكي للأمور، على التأكد من أن حقنا في الالتزام بهذا الإجراء أبعد ما يكون عن أن تنكره علينا إحدى القوى المتصارعة، ومن أنه حق معترف به بشكل حقيقي من الأطراف جميعها.

إن الحق في التمسك بموقف محايد يمكن الاستدلال عليه، دون أدنى شك، من الالتزام الذي تفرضه العدالة والإنسانية على كل الأمم في المواقف التي تتمتع فيها هذه الأمم بحريتها في اتخاذ الموقف الذي تريده؛ لتحافظ به على علاقات السلام والود تجاه الأمم الأخرى.

أما الدوافع التي تحتمها المصلحة لاتخاذ هذا القرار فأتركها لأفكاركم وتجاربكم، للحكم عليها. أما بالنسبة لي، فإن أحد دوافعي بالغة الأهمية لاتخاذ هذا القرار محاولتي أن أوفر بعض

الوقت لبلادي حتى يستقر لها أمر مؤسساتها التي لا تزال في بداياتها وتبلغ مرحلة النضج، وأن تواصل تقدمها دون أن يعترض طريقها أي عراقيل، لمنحها القوة والثبات الضروريين للتحكم في ثرواتها، وهو ما أقوله لكم بمنتهى الصدق.

على الرغم من أنني عندما أنظر للوراء لأراجع الأحداث التي تمت أثناء إدارتي لا أجد فيها أي خطأ قد تم بشكل متعمد، فإنني على الرغم من هذا أتعامل بمنتهى العقلانية مع عيوب شخصيتي، وهو ما يجعلني أدرك أنه من المحتمل أن أكون قد ارتكبت العديد من الأخطاء، ومهما كانت هذه الأخطاء، فإنني أتضرع إلى الله القدير أن يساعدني على تفادي الأضرار التي نتجت عنها، أو التخفيف من وطأتها. سأحمل بين حنايا ضلوعي دومًا الأمل في أن ينظر وطني إلى هذه الأخطاء بعين التسامح، وأنه بعد مرور خمسة وأربعين عامًا من عمري كرستها لخدمة بلادي في حماسة تحميها الأخلاق القويمة، فإن الأخطاء التي يمكن أن أكون قد وقعت فيها؛ بسبب قدراتي المحدودة قد تذهب طي النسيان في الوقت الذي سأعتزل فيه قريبًا لأخلد للراحة.

في ظل اعتمادي على الرأفة التي يتمتع بها الشعب الأمريكي، تجاه الأخطاء التي ارتكبتها – كما هو الحال تجاه أمور أخرى – ومدفوعًا بالحب الفياض الذي أشعر به تجاه هذا الشعب، وهي مشاعر من الطبيعي أن يشعر بها رجل يعتقد أن هذه الرأفة من المقومات الغريزية التي يتمتع بها، وكذلك أسلافه لأجيال عديدة من أبناء هذا الوطن، فإنني أتوقع بنفس مشبعة بالأمل ألا يشوب انسحابي من ساحة العمل السياسي أية شائبة، وأن يكون في هذا الانسحاب مشاركة لإخواني المواطنين في متع الحياة العذبة تحت رعاية القوانين العادلة لحكومتنا الحرة، وأن يكون هذا الإجراء هو الأمر المحبب إلى نفسي والمكافأة السعيدة التي أثق أنني أستحقها بعد ما خضناه معًا من هموم وأعمال وأخطار».

مكتبة
t.me/soramnqraa

خطبة
نابليون بونابرت

مناسبة الخطبة:

وجه نابليون بونابـرت في ٢٠ إبريل عام ١٨١٤ خطابًا تاريخيًا، إلى من أسـاهم جنود الحرس القديـم، وذلك إثـر هزيمته وقبيل إبعـاده إلى منفاه في جزيرة إلبا على الشـاطئ الإيطالي، ولم يلبث نابليون بعد عشرة شـهور أن هرب من منفاه في ١٥ مارس ١٨١٥ متجهًا إلى باريـس على رأس عـدة آلاف من هؤلاء الجنود، أي جنود حرسه القديم، وكانت تلك فيما يبـدو المرة الأولى في التاريخ الحديث التي يستخدم فيها تعبير الحرس القديم، في خطاب رسمي أصبح وثيقة تاريخية.

نبذة عن حياة نابليون بونابرت:

هو نابليون بونابرت الأول، قائد عسـكري وحاكم فرنسا وملك إيطاليا، وقد عاش خلال أواخر القرن الثامن عشر، وحتـى أوائل عقد العشرينيات من القرن التاسـع عشر، وكان لأعمالـه وتنظيماته تأثير كبير على السياسـة الأوربية.

ولد في جزيـرة كورسـيكا لأبوين ينتميـان لطبقة أرسـتقراطية، وأنهـى دروسـه الحربية وتخرج في سـنة ١٧٨٥م، وفي سـنة ١٧٩٥ أتته فرصة الظهـور؛ ليظهر براعته لأول مرة في باريس نفسـها حين ساهم في تعضيد حكومة الإدارة، وفي القضـاء على المظاهرات التي قام بها الملكيون، وقد بـزغ نجم بونابرت خلال عهد الجمهورية الفرنسية الأولى، عندما عهدت إليه حكومة الإدارة بقيادة حملتين عسـكريتين موجهتين ضد ائتلاف الدول المنقضة على فرنسا. وفي سـنة ١٧٩٩، قام بعزل حكومة الإدارة، وأنشـأ بدلاً منها حكومة مؤلفة من ٣ قناصل، وتقلد هو بنفسـه منصب القنصـل الأول؛ وبعد ٥ سـنوات أعلنه مجلس الشيوخ الفرنسي إمبراطورًا. خاضت الإمبراطورية الفرنسـية نزاعات عدة عرفت باسم الحروب النابليونية، ودخلـت فيها جميع القوى العظمـى في أوربا، وأحرزت فرنسـا انتصارات باهرة في ذلك العهد، وقد شكل الغزو الفرنسي لروسـيا سـنة ١٨١٢م نقطة تحـول في حظوظ بونابـرت؛ حيث أصيب الجيش الفرنسـي خلال الحملة بأضرار وخسائر جسيمة، لم تمكن نابليون من النهوض به مرة أخرى بعد ذلك.

نص الخطاب:

«جنود حرسي القديـم، أودعكم بعد أن رافقتكم بصـورة دائمة لمـدة عشرين عامًا، على طريق الشرف والمجد، وفي هذه الأوقات الأخيرة كنتم دائمًا مثالاً للشـجاعة والوفاء، كما عهدتكم في فـترة ازدهارنا. ومع وجود جنـود مثلكم، لا يمكننا أن نفقـد هدفنا؛ لكن الحرب سـوف تطول وسـوف تحدث حرب أهلية، وقد يحمل ذلك في طياته مصائب عظيمة على فرنسا.

لقـد ضحيت بجميع مصالحي من أجل هذا البلد. ســوف أرحل، لكــن عليكم يا أصدقائي الاستمرار في خدمة مصالح فرنسا. إن ســعادتها كانت همي الوحيد، وســوف يبقى هذا الأمر أســمى أمنياتي. لا تأســفوا على مصيري؛ فــإذا بقيت على قيــد الحياة، فســوف أحيا لخدمة المجد الذي حققتموه. إنني أنوي كتابــة تاريخ الإنجازات العظيمة التي حققناها معًا، وداعًا يا أصدقائي. أود لو أستطيع ضمكم جميعًا إلى قلبي».

نابليون بونابرت – ٢٠ نيســان/ إبريل، ١٨١٤.

وفي ســنة ١٨١٣، هزمــت قــوات الائتلاف الســادس الجيش الفرنسي في معركة الأمم؛ وفي الســنة اللاحقة اجتاحت هذه القوات فرنســا ودخلت العاصمة باريس، وأجبرت نابليون على التنازل عن العرش، ونفوه إلى جزيرة إلبا، ثم هرب بونابــرت من منفاه بعد أقل من ســنة، وعاد ليتربع على عرش فرنســا، وحــاول مقاومة الحلفاء، واستعادة مجده السابق، لكنهم هزموه شر هزيمة في معركة واترلو، خلال شــهر يونية مــن عام ١٨١٥م، واستســلم بونابرت بعد ذلك للبريطانيين، ونفي لجزيرة القديســة هيلانة، حيث أمضى الســنوات الست الأخيرة مــن حياته، وقد أظهر تشريح جثة نابليون أن وفاته كانت بسبب سرطان المعدة، بالرغم من أن كثيرًا من العلماء يرون أن الوفاة جاءت بسبب التسمم بالزرنيخ، حيث توفي في ٥ مايو ١٨٢١.

خطبة
توماس جيفرسون

مناسبة الخطبة:

ألقى - «توماس جيفرسون» - هذا الخطاب في الرابع من مارس عام ١٨٠١، ويعد هذا الخطاب واحدًا من أعظم الوثائق التاريخية للحكومة صاحبة صفة الديمقراطية، ومن أشهر الخطب البلاغية في تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية، بعد سباق المنافسة الانتخابية الضارية الذي شهده عام ١٨٠٠، والذي استطاع «جيفرسون» صاحب منصب نائب الرئيس من خلاله اكتساح منافسه الفيدرالي «جون آدمز» رئيس الولايات المتحدة الأمريكية آنذاك، والفوز عليه.

سلم «آدمز» السلطة دون أية مقاومة إلى خصمه «جيفرسون»، الذي تعهد بعدم اتخاذ أي إجراءات انتقامية ضد «آدمز»؛ سواء وهو على كرسي الرئاسة، أو بعد نزوله عنه، وهذا ما أعطى الشهرة للسطر الذي أكد فيه «جيفرسون» على هذا المقصد، بخطاب تنصيبه الأول: «نحن جميعًا جمهوريون، ونحن جميعًا فيدراليون».

نبذة عن حياة توماس جيفرسون:

ولد في ١٣ إبريل ١٧٤٣ وهو مفكر سياسي شهير، في العصر المبكر للجمهورية الأمريكية، كان أحد الآباء المؤسسين للولايات المتحدة، والمؤلف الرئيسي لإعلان الاستقلال الأمريكي ١٧٧٦، ثم أصبح الرئيس الثالث للولايات المتحدة الأمريكية، في الفترة من ١٨٠١ حتى ١٨٠٩، وأحد أشهر رؤسائها.

كانت ولادته في ولاية فرجينيا لأسرة عملت في الزراعة، ودرس في معهد وليام وماري الذي تخرج فيه العديد من الرؤساء الأمريكيين، واشتغل بالتدريس في المعهد نفسه، ثم درس القانون. عرف بفصاحته، إلا أنه لم يكن خطيبًا جماهيريًّا بل كان يغلب عليه الصمت، فقد اشتهر في برلمان فرجينيا والمؤتمر القاري بكتابته عن المسألة الوطنية أكثر من أحاديثه حولها.

انتخب عضوًا للكونجرس، وكتب أثناء ذلك مسودة إعلان الاستقلال التمهيدية، كما وضع قانونًا يضمن الحرية الدينية طبق سنة ١٧٨٦. تقلد منصبًا وزاريًّا في حكومة الرئيس واشنطن، إلا أنه استقال منه عام ١٧٩٣؛ بسبب الخلاف مع ألكسندر هاملتون.

نمت في عهده خلافات سياسية عنيفة، كما برز الحزبان الجديدان: حزب الفيدراليين وحزب الديمقراطيين الجمهوريين المعروف حاليًّا باسم الحزب الديمقراطي. تنامى الخلاف السياسي عام ١٨٠٠؛ إذ حاول الجمهوريون أن يعلنوا الرئيس ونائبه من حزبهم، وبرز أثناء تلك الأحداث خصمًا للاستبداد، وكتب في ذلك رسالة مشهورة.

ويحكى أن له مقولة أبداها عن الوظائف العامة المدنية، في حديث له بتاريخ ١٢ يولية ١٨٠١، وهي «القلة يموتون ولا أحد يستقيل».

نص الخطاب:

وبما قام بــه في عهده أنه خفض مــن النفقات العسكرية والميزانية العامة، واتخذ إجراءات عديدة قلص بها الديون الأمريكية، بمعدل الثلث. وسـعى إلى الحفاظ على أمريكا محايدة، إبان الحرب الفرنسـية البريطانية، مما أدى بفرنسا وبريطانيا إلى تأييد سياسة بلاده المحايدة، وقد قام بتأسـيس جامعة فيرجينيا، وتوفي جيفرسون في الرابع من يولية سـنة ١٨٢٦، في اليوم نفسه الذي توفي فيه جون آدمز الرئيس الأمريكي الذي سبقه.

«الأصدقــاء والإخوة المواطنــون، بناءً على انتخــابي لتولي مهام المكتــب التنفيذي الرئيــسي للبلاد، أقدم نفــسي لخدمة كل ما فيه تحقيــق صالحهــا أمام هذا الحشــد من إخــواني المواطنين، الذيــن اجتمعت بهم في هذا المكان؛ كي أعبر لهم عن عميق شكري، لما حملوه لي من نظــرة تقدير وإعجاب، ولكني أقر أنني أعي تمام الوعي أن المســؤولية المسنود لي تأديتها تفوق ما أملكه من مواهب، وأنني وأنــا أقترب من حملها أجد نفسي يتملكها شــعور بالغ بالقلق، وأجد حدسي يرشــدني لعظم حجمها ولضعف قوتي أمامها. إن بلادي صاحبة شــعب ناهض يمتد على مساحات شاسعة مــن الأراضي المثمرة، وصاحبة صناعة عبرت منتجاتها كل البحــار، وكونت علاقات تجارية مع شــعوب قوية، فهي تسرع الخطى في توســعاتها بكل أنحاء العالم، للدرجة التي جعلت من الصعب عــلى عين المرء إدراك حدودها مترامية الأطراف. عندما أفكر في كل هذه الأمور التي تفوق واقع خبرتي ومعرفتي ببلادي، وأرى الفخر والسعادة والآمال التي عقدها أفراد شعبها عليَّ بتنصيبي رئيسًا عليها، وأتأمل هذا اليوم المهيب، وما يحمله من بشرى بالخير، أجدني أشعر بضآلة حجمي، وبمدى تواضع قدراتي أمام كبر حجم المسؤولية المنوط بي تنفيذها. إني لا محالة كنت لأقع فريسة سهلة لسطوة مشاعر اليأس، عند النظر لنفسي على هذا الحال، لولا وجودكم بجانبي بهذا الحشــد الكبير لدعمي ومســاندتي، **فأنتم مــن ذكرتموني بما يمنحه دســتور بلادنا من ســلطات عالية لمن يشــغل منصب رئيســها، تلك الســلطات التي ســأجد بها مــن مصادر الحكمة ومــن الفضيلة ومن الحماس ما أركن إليه، فــي مواجهة الصعوبات التــي ســأواجهها.** لذا، فأنا أتوجه بكل شــجاعة إلى الرجال الشرفــاء من بني وطني، المنوط بهــم العمل بالوظائف التشريعية المهيبة، وإلى كل ذي صلة بهــذه الوظائف مطالبًا إياهم بتقديم

الإرشاد والدعم اللازمين، لتوجيه دفة الأمور بسفينة بلادنا بما يجعلنا نصل بها إلى بر الأمان، وسط الأعاصير والاضطرابات التي تواجهها بهذا العالم المتصارع.

خلال مرحلة السعي الحثيث لكسب أصوات داعمة لي بالانتخابات، تلك التي تخطيت فيها مرحلة إحياء الأنشطة النقاشية والاجتهاد في الرأي، أجدها قد اكتست في بعض الأحيان بمظهر فرض هذه الأنشطة على الغرباء عن معسكري المدعمين لي، أولئك الذين لم يعتادوا على التفكير بحرية، وعلى الحديث والكتابة عما يجول بعقل كل منهم، ولكن أمر الانتخابات قد حسم الآن بناءً على رأي الشعب، وتم الإعلان عن نتائجها وفقًا لقواعد الدستور، وبمحض إرادة شعبية، تلك التي التف أصحابها تحت إرادة القانون، واتحدوا لبذل جهود مشتركة من أجل تحقيق الصالح العام، وسيرسخ بذهن الشعب هذا المبدأ الجليل القائم على أنه على الرغم من سريان إرادة الأغلبية في كل الأحوال، فإنه كي تتصف هذه الإرادة بالعدل وبالشرعية؛ فإنه يتحتم عليها أن تتصف أولاً بالاعتدال، وأن يعرف أصحابها أن الأقلية تتمتع بالحقوق ذاتها، وأن هذه الحقوق واجبة الحماية بموجب القوانين التي تخضع لها الأغلبية، وأن التعدي على هذه الفئة لن ينظر إليه سوى على أنه شكل من أشكال الاضطهاد والظلم. دعونا إذن أيها الإخوة المواطنون نتحد على قلب وعقل رجل واحد. دعونا نرجع الحوارات الاجتماعية التي من شأنها بث روح التآلف والحب بيننا، تلك الروح التي بدونها ستصبح الحرية، بل والحياة بأسرها أمرًا موحشًا يدعو إلى الكآبة والحزن، ودعونا نفكر مليًا كيف ستسير الأمور للأفضل ولو على نحو يسير في الوقت الحاضر - إذا خلصنا الوطن من عدم التسامح الديني، ذلك الذي عانى منه الشعب لأمد طويل، وتسبب في إراقة الدماء، وإذا نظرنا إليه على أنه شكل من أشكال الطغيان ومصدر لكل الشرور وأداة للاضطهاد المرير والدموي أثناء فترات النضال والاضطرابات المجتمعية العنيفة بالعالم القديم، وأثناء الثورات العنيفة التي مر بها الإنسان، وفي أحلك أوقات شعوره بالضيق، وعلى طول مشوار سعيه لاسترجاع حريته المفقودة، منذ أمد طويل ولو بإعمال القتل وإراقة الدماء، لم يكن من العجيب أن تصل تلك الموجات من المشاعر المتأججة إلى شاطئ بلادنا البعيدة الذي ينعم بالسلام، تلك المشاعر التي ساورت، وأخافت بدرجة كبيرة البعض،

مقارنة بالبعض الآخر بمجتمعنا، وعملت على تقسـيم الآراء بين مؤيد ومعارض كوسـيلة لتحقيق الأمان، ولكــن الاختلاف في الرأي لا يعني بالتبعية الاختلاف في المبدأ، والدليل على ذلك أنه على الرغم من أن لكل منا اسـما مختلفًا عن الآخر، فإننـا جميعًا تربطنا علاقة أخوة في الإنسـانية، **نحن جميعًا جمهوريون، ونحـن جميعًا فيدراليـون**. إذا وجد بيننا من يرغب في حل هذا الاتحاد، أو التغيير من شـكله الجمهوري، فإن الفريقين الجمهوري والفيدرالي عليهما أن يبقيا كنصـب تذكاري للأمان الذي يمكن، بناءً على وجوده التسـامح مع الرأي الخاطئ، بإعمال التفكير المتعقـل الحر الذي يمكنه التصدي للرأي الخاطـئ. إنني أعلم علم اليقين أن هناك البعض من الرجال الشرفاء الذين يخافون من نقطة أنه ليس بإمكان الحكومة الجمهورية أن تتمتع بالقوة، أو بالقدر الكافي منها، ولكن هل للمرء المخلص المحب لوطنه، في ظل النجاح الساحق الذي تمر به التجربة التي تخوضها بلاده أن يتخلى عن الحكومة التي طالما حافظت على أبناء وطنه أحرارًا وأقوياء؛ بسبب ما يراود خياله من مشاعر الخوف القائمة على أسباب نظرية ترى أن هذه الحكومة، والتي هي أفضل أمل للعالم، قد تكون بحاجة إلى القوة اللازمة للحفاظ على نفسها؟ إنني لا أثق في صحة هذا الرأي، بل إنني على العكس أعتقد أنها أقوى حكومة على وجه الأرض. إنني أرى أنها الحكومة الوحيدة التي قد يرغب الكل - بموجب نداء القانون - أن يرتقي للوصول إلى المعيار القانوني لها، وأنه سيقابل الاعتداءات التي يواجهها النظام العام، بدافع من اهتمامه وقلقه الشخصي.

دعونا إذن نسعى بكل شجاعة وثقة إلى تحقيق مبادئنا الفيدرالية والجمهورية، وإلى التمسك بهذه الحكومة الاتحادية الممثلة لنا، وبحكم طبيعة موقع بلادنا الجغرافي، نجد أنفسـنا منفصلين بمحيط شاسـع الاتسـاع عن الفوضى المدمرة، التي تعم ربع أرجاء المعمورة. إننا شعب نبيل يمكنـه تحمل غيره من الشـعوب الأدنى. نحن ننتمي لدولة قد اخترناها بأنفسـنا، وتتسـع أراضيها لاسـتيعاب الآلاف والآلاف من أحفادنا على تعاقب الأجيال. نحن شـعب يتمتع أفراده بالشعور بالمساواة في الحقوق، باستخدام ما لديهم من إمكانات ومن مكتسبات حققوها بأنفسهم، ويتمتعون بمشـاعر الاحترام والثقة المتبادلة بينهم ليس بحكم المولد، ولكن بحكم

ما يؤدونه من أفعال، وما تتركه من آثار لدى الآخرين. نحن شعب مستنير بفضل ما يؤمن به من دين كريم ومعتدل، تمارس طقوسه وشعائره بأشكال مختلفة، ولكن جميعها تغرس في النفس صفات الأمانة والصدق والاعتدال، والعرفان وحب البشر وإجلال وعبادة الرب الحكيم صاحب السلطان والقوة المهيمنة، الذي يدلل تدبيره لشؤون العالم على أنه يسعد لسعادة الإنسان في الدنيا، ويسعد أكثر لتحقيقه السعادة في الحياة الأبدية، مع كل هذه النعم، ما الذي يلزمنا أكثر كي نكون شعبًا ينعم بالسعادة والرخاء؟ أيها الإخوة المواطنون، إن الشيء الوحيد الذي ينقصنا لتحقيق هذين الأمرين حكومة حكيمة ومدبرة، تلك التي ستضع من القيود ما يحول دون أذى المواطن لأخيه المواطن، حكومة تترك للشعب حرية تنظيم مساعيه للعمل وللتحسين من حاله، حكومة لا تحرم العامل من قوت يومه الذي يتحصل عليه بكده وتعبه. هذه هي مجموعة صفات الحكومة الجيدة، وهذه هي الصفات اللازمة لاستكمال دائرة شعورنا بالهناء والسعادة في بلادنا.

أيها الإخوة المواطنون، ونحن على أعتاب القيام بالواجبات التي يتطلب تنفيذها تكريسكم لكل ما هو قيم وغالٍ على نفوسكم، يتعين أن تفهموا رؤيتي للمبادئ الأساسية لحكومتنا، الأمر الذي سيستتبعه معرفتكم للمبادئ التي لا بد أن تشكل إدارتنا لشؤون البلاد، إنني سأسعى إلى إيجاز هذه المبادئ قدر المستطاع، وسأعرض للملمح العام لها، وليس لكل حدودها. إن هذا الملمح يتلخص في كلمتي المساواة والعدل بمعناهما الحقيقي بين البشر أيًا ما كان وضعهم، أو معتقداتهم، أو توجهاتهم الدينية، أو السياسية، وفي حالة السلم، وفي التعاملات التجارية وعلاقة الصداقة الأصيلة التي تربطنا بكل شعوب العالم، وفي عقدنا لاتحادات جديدة، وفي دعمنا لكامل حقوق حكومات الولايات لكونها من وجهة نظرنا أكفأ الإدارات لتسيير الشؤون الداخلية للبلاد، وأضمن الحصون التي يمكن الالتجاء إليها عند مواجهة الاتجاهات المعادية للجمهوريين، وفي الحفاظ على الحكومة العامة، وما لها من صلاحيات دستورية بالكامل، واعتبارها المرسى الذي تركن إليه بلادنا؛ لتحقيق السلام داخليًا وخارجيًا، وفي الغيرة على أهمية ممارسة الشعب لحقه في الانتخاب، وهي من عوامل التصحيح الآمنة والمتعقلة في الوقت

نفسه للإساءات التي اجتثها سيف الثورة في الوقت الذي لم يكن هناك حلول سليمة مطروحة على الساحة، وفي الإذعان التام لقرارات الأغلبية، وفي تنفيذ المبدأ الأساسي للتيار الجمهوري، الذي لا سبيل إلا إلى الاحتكام للقوة لتنفيذه، وهو المبدأ الأساسي والسبب المباشر في ظهور الحكومة أو الدولة الاستبدادية في شكل ميليشيا محكمة التنظيم، تلك التي تعد أفضل عون لنا في وقت السلم، وأول ما نلجأ إلى خدماته وقت الحرب، وفي إعلاء السلطة المدنية على السلطة العسكرية، وفي ترشيد النفقات العامة وتخفيف حمل أعباء العمل، وفي تسديد ديوننا والمحافظة بإخلاص على ثقة العامة من الشعب، وفي تشجيع الزراعة والتجارة بوصفها الخادم للزراعة، وفي نقل المعلومات، وفي استدعاء كل صاحب إساءة لاستجوابه أمام المحكمة، وفي حرية الدين والصحافة، وفي حرية المرء بموجب الحماية المكفولة له، بالمثول أمام القضاء، والتقدم للمحاكمة أمام قضاة تم اختيارهم بحيادية. لقد استسقينا هذه المبادئ من النخبة المتألقة التي سارت على هذا الدرب من قبلنا، والتي استرشدنا بها في خطانا في عصر الثورة والإصلاح. لقد كرسنا حكمة عقلائنا، وبذلنا دماء شهدائنا من أجل تحقيق هذه المبادئ، وعلى هذا، لا بد من النظر إليها على أنها عقيدة إيماننا السياسي، وعلى أنها نصوص التربية المدنية في بلادنا، والاختبار الحقيقي الذي يمكننا به تجريب الخدمات المعروضة، من قبل أصحاب الثقة لدينا. لذا، يتعين علينا في حال الانجراف عن تحقيقها في أوقات الخطر، أو على سبيل الخطأ أن نسرع تلمس خطى الطريق الصحيح لتنفيذها، ذلك الطريق الوحيد لتحقيق السلام والحرية والأمان.

أيها الإخوة المواطنون، أرجع الآن إلى الحديث عن المنصب الذي وليتموني إياه، إنني بما هو متوافر لدي من خبرات كافية، بحكم عملي بإدارات تابعة لشؤون الحكم بالدولة أدرك الصعوبات المرتبطة بهذا المنصب؛ لكونه الأعلى بها، لقد دربت نفسي على توقع أنه ما من شخص تولى هذا المنصب، وخرج منه حاملاً الصفات نفسها التي نسبها إليه مرشحوه لتوليته عليهم، إلا في حالات نادرة وأن هذا الأمر يرجع السبب فيه إلى أننا كبشر لا نتصف بالكمال، ودون ادعاء التحلي بهذا القدر العالي من الثقة التي وضعتموها في شخصي، كأول وأكبر شخصية ثورية قادتها خدماتها البارزة لبلادها إلى تولي أعلى منصب بها، ومنحها القدر مساحة كبيرة

بســجل تاريخ بلادها العظيمة، فإنني أطالبكم بمنحي مزيدًا من الثقة لتقوية ولتفعيل الإدارة القانونية لشؤون حياتكم. إنني قد أذهب في كثير من الأحوال في الاتجاه الخاطئ؛ بسبب قصور في حكمي على الأشياء، ولكن حتى عندما أسير على الدرب الصحيح، سينظر لي الكثير - ممن لا تخولهم مناصبهم رؤية الصورة الكاملة لحال البلاد - على أني مخطئ. لذا، أطالبكم بمسامحتي على مــا أرتكبه من أخطاء، تلك التي من المحال أن أقع فيها عن عمد، كما أســألكم دعمي في مواجهة أخطاء الآخرين تجاهي، تلك الأخطاء التي قد تدين مرتكبيها أنفســهم، إذا ما اطلعوا على الصــورة الكاملة لأوضاع البلاد. إن تنصيبكم لي كرئيــس عليكم بموجب حق الاقتراع المخول لكم لهو أكبر تعزية عما واجهته في الماضي، وسيكون همي الأول في المستقبل الحفاظ على آرائكم الجيدة في شخصي، والتي أوليتموني إياها من قبل أن آتيكم ببرهان عليها، والعمل على كسب رضا غير أصحاب هذه الآراء بي ببذل كل ما أملكه من قوة؛ لتحقيق صالحهم وبالعمل كأداة لتحقيق السعادة والحرية للجميع.

وانطلاقًــا من دعمكم لي القائم على إرادتكم القوية، فإنني أمتثل للعمل بهذا المنصب، وأنا على اســتعداد للنزول عن كرسي الحكم في أي وقت ترتؤون فيه أنه بمقدوركم اختيار من هو أفضل مني، وإني أدعو الرب صاحب القدرة المطلقة، والذي يشمل حكمه كل أرجاء المعمورة أن يلهم مجالس حكمنا أفضل ما فيه الخير لبلادنا، وأن يرشدها إلى ما فيه تحقيق الأمن والرخاء لشعبنا».

خطبة
أبراهام لينكولن

مناسبة الخطبة:

هي خطبة قصيرة ألقاها أبراهام لنكولن رئيس الولايات المتحدة الأمريكية، في ١٩ نوفمبر ١٨٦٣م، أثناء الحرب الأهلية الأمريكية، في أرض معركة جتسبيرج في بنسلفانيا، وقد ألقى هذه الخطبة في دقيقتين في احتفال؛ لتخصيص جزء من ميدان المعركة كمقبرة لمن فقدوا أرواحهم في الحرب الأهلية الأمريكية، واختار لنكولن كلماته البسيطة النبيلة بعناية فائقة أثَّرت بعمق في أحاسيس الأمريكيين.

نص الخطبة:

«قبل سبعة وثمانين عامًا، أعلنت المستعمرات الإنجليزية الأمريكية الشمالية استقلالها عن إنجلترا، ومن ثم نشأت الولايات المتحدة الأمريكية، وقامت هذه الأمة الجديدة على مبدأي الحرية والمساواة بين الجميع.

ونحن الآن منخرطون في حرب أهلية عظيمة، سوف تحدد مصير هذه الأمة، أو أية أمة أخرى، قامت على أساس الحرية والمساواة.

نبذة عن حياة أبراهام لينكولن:

في ١٢ فبراير ١٨٠٩ وُلد أبراهام لينكولن الرئيس السادس عشر للولايات المتحدة الأمريكية في الفترة من ١٨٦١ إلى ١٨٦٥، وهو يعتبر من أهم رؤسائها على الإطلاق، إذ قامت في عهده الحرب الأهلية الأمريكية بعد انفصال إحدى عشرة ولاية، وإعلانها تكوين دولة مستقلة سميت الولايات الكونفيدرالية الأمريكية، فتمكن لينكولن من الانتصار، وإعادة الولايات المنفصلة إلى الحكم المركزي بقوة السلاح، كما كان لينكولن صاحب قرار إلغاء الرق في أمريكا عام ١٨٦٣.

ولد أبراهام لينكولن في مزرعة بولاية كنتاكي، وانتقل مع عائلته إلى إنديانا في سن الثامنة. في سن الحادية والعشرين انتقل إلى إلينوي؛ حيث شغل العديد من الوظائف، وبدأ في دراسة القانون. ورغم أنه حصل على أقل من عام واحد من التعليم الرسمي، فإنه أصبح كاتبًا ماهرًا من خلال قراءة الكتاب المقدس (طبعة الملك جيمس) وغيرها من كلاسيكيات الإنجليزية. مارس مهنة القانون في ولاية إلينوي، وخدم في الجمعية العامة لإلينوي، وانتخب عضوًا في مجلس النواب الأمريكي.

وفي عام ١٨٦٠م انتخب رئيسًا للولايات المتحدة، على أساس برنامج يعارض توسيع العبودية إلى الغرب الأمريكي، وهو موقف عجل بانفصال الولايات الجنوبية عن الاتحاد، ورفض لينكولن قبول الانفصال، وخاض حربًا ضد الجنوب للحفاظ على الاتحاد وإلغاء الرق في الولايات المتحدة. اغتيل أبراهام لنيكولن برصاصة قاتلة في ١٤ إبريل ١٨٦٥م بعد وقت قصير من استسلام الجنوب.

إننا نجتمع اليوم على أرض معركة عظيمة؛ لتخصيص جزء من هذه الأرض كمقبرة للجنود الذين لقوا حتفهم في هذه المعركة، بعد أن قاتلوا حفاظًا على بقاء الولايات المتحدة دولة واحدة دون تقسيم. بالفعل يجب علينا تخصيص جزء من هذه الأرض لهم، لكننا اليوم لا نستطيع فعل أي شيء حيال هذه الأرض، من اهتمام أو تبجيل أكثر مما فعله هؤلاء الجنود الذين قتلوا عليها.

لن يعير العالم اهتمامًا كبيرًا لهذا الاحتفال الذي نقيمه اليوم، لكنه لن ينسى أبدًا المعركة التي دارت فوق هذه الأرض. لهذا، ينبغي علينا - من يقف هنا الآن - العمل على ألا تذهب أرواح هؤلاء الجنود هباءً. ينبغي علينا تكريس جهودنا، لتحقيق الغايات التي ضحى هؤلاء الجنود بأرواحهم من أجلها؛ ألا وهي: تحرير العبيد، وعدم تقسيم هذه الأمة، والتأكيد على أن حكومة الشعب التي يختارها الشعب من أجل الشعب لن تتلاشى من على وجه الأرض».

خطبة
فلاديمير لينين

مناسبة الخطبة:

ألقى فلاديمير لينين هذه الخطبة في ١٠ إبريل عام ١٩١٧، أمام فرقة من جنود مدينة إزميلوفسكي، وذلك عقب اندلاع ثورة فبراير بروسيا التي أطاحت بالحكم القيصري، وأدت إلى تولي حكومة رأسمالية مؤقتة مقاليد الحكم في البلاد.

نص الخطبة:

«رفقائي الجنود، إن نظام الدولة أصبح الآن الشغل الشاغل لنا، وهو ما نضعه نصب أعيننا دائمًا في كل اجتماعاتنا. إن الرأسماليين، الذين يملكون سلطة البلاد حاليًا، يرغبون في جمهورية برلمانية برجوازية، بمعنى ألا يكون في نظام الدولة قيصر، ولكن في الوقت نفسه تظل السلطة في أيدي هؤلاء الرأسماليين الذين يحكمون البلاد بالمؤسسات القديمة، إذ يحكمونها بالشرطة والجهاز البيروقراطي والجيش الدائم.

نحن نرغب في جمهورية مختلفة، جمهورية ترعى مصالح الشعب أكثر مما هي عليه الآن، نريد جمهورية أكثر ديمقراطية من ذلك. إن عمال «بتروجراد» وجنودها الثوريين

نبذة عن حياة فلاديمير لينين:

اسمه فلاديمير أليتش أوليانوف، كان ميلاده في ٢٢ إبريل ١٨٧٠، هو ثوري روسي، كان قائدًا للحزب البلشفي وللثورة البلشفية، ومن منطلق أفكاره أسس المذهب اللينيني السياسي، وقد كان شعاره «الأرض والخبز والسلام».

سافر لينين إلى سويسرا، وخلال ثورة عام ١٩٠٥ في روسيا عاد لينين إلى وطنه؛ ليشارك في التمرد ضد الحكومة، وفي عام ١٩٠٨ توجه مرة أخرى إلى سويسرا، وبعد ذلك سافر إلى باريس. وفي عام ١٩١٦، بعد انقسام شهده حزب العمال الاشتراكي الديمقراطي الروسي؛ ترأس لينين الحزب البلشفي، ومع نشوب الحرب العالمية الأولى، دعا لينين إلى تحويل الحرب العالمية إلى حروب أهلية، ضد حكومات رأسمالية في الدول الأوربية.

ولما انتهى حكم القياصرة في روسيا بانتصار ثورة فبراير ١٩١٧، ثم تولت الحكومة المؤقتة السلطة في البلد؛ سمحت ألمانيا للينين مع مجموعة من أنصاره بالعودة إلى روسيا، وفي أكتوبر عام ١٩١٧ قاد لينين ثورة أدت إلى تولي الحزب البلشفي السلطة في البلد ونشوب الحرب الأهلية، وبعد هذه الأحداث وتكوين الدولة السوفيتية واجه لينين خطر الغزو الألماني، ومن ثم وقع اتفاقية سلام مع برلين، وعندما جاء عام ١٩١٨ تعرض لينين لمحاولة اغتيال من قبل «فانيا كابلان»؛ التي كانت منتمية لأحد الأحزاب المعارضة للينين، وقد أصابته بـ ٣ رصاصات، استقرت في كتفه ورئتيه، ومع ذلك لم ينتهِ أجله.

ومع تسارع وتيرة الأمور أخذت محاولة الاغتيال، وهموم إدارة الدولة نصيبها من صحة لينين؛ حيث أصيب بالعديد من الجلطات القلبية؛ التي أفقدته القدرة على النطق؛ مما أبعده عن أضواء السياسة، ثم كانت وفاته عام ١٩٢٤.

أســقطوا القيصرية، وأخرجوا كل أفــراد الشرطة من العاصمة، فالعــمال في كل أنحاء العالم ينظرون بكل فخر وأمل إلى عمال وجنود روسيا الثوريين، باعتبارهم طليعة جيش تحرير الطبقة العاملة في العالم، وعليكم أن تعلموا أنه ما إن تبدأ ثورة، إلا ويجب أن تزداد قوة واســتمرارية، فعلينا ألا نسمح بقيام الشرطة مرة أخرى! فكل سلطة الدولة، من أدناها إلى أقصاها ومن أبعد قرية فيها إلى أقرب حي ســكني في «بتروجراد»، يجب وأن توضع تحت إمرة مجالس سوفيتات نواب العمال والجنود والأجراء الزراعيين والفلاحين وغيرهم. ولا بد أن تتمثل سلطة الدولة المركزية الموحدة لكل هذه الســوفيتات المحلية في جمعية تأسيســية، أو جمعية وطنية، أو مجلس سوفيتات، فلا يهم الآن الاسم الذي سيطلق على هذه الهيئة.

أيها الرفقاء، لا الشرطة ولا البيروقراطية، اللتان تعتبران فوق مســتوى مســاءلة الشــعب والجاثمتان على صدور أفراده، ولا الجيش الدائم - منفصلون عن الشعب، غير أن الشعب المسلح والموحد بالكامل في مجالس السوفيتات، يجب أن يدير تلك الدولة بنفسه، فهذا الشعب هو من سيضع نظام الدولة الأساسي، ومن سوف تطاع سلطته بل وتحترم أيضًا من قبل العمال والفلاحين.

هذه الســلطة فقط - سلطة مجالس ســوفيتات نواب الجنود والفلاحين فقط - هي القادرة على التعامل مع قضية امتلاك الأراضي وتحديد مصيرها بطريقة غير بيروقراطية، ودون موالاة لمصلحــة ملاكها. لا يجب أن تتبــع تلك الأراضي مالكيها؛ بل لا بــد أن تنزع لجان الفلاحين تلك الأراضي فورًا من هؤلاء الملاك، مع حراســة كل هذه الممتلكات حراســة مشددة؛ لكي لا يتــم إتلافها، كما يجب النظر في إمكانية زيادة إنتاجنا من الحبوب، حتى نمد جنودنا الواقفين على الخطــوط الأمامية من جبهة القتال بالغذاء اللازم عــلى أكمل وجه، فيجب أن تكون كل الأراضي ملــكًا للأمة بأسرها، ويتعين أن يكون التصرف فيها محور اهتمام مجالس الســوفيتات المحلية لنــواب الفلاحين، ولكي لا يســتطيع الفلاحــون الأغنياء - وهم في الوقت نفســه الرأسماليون - أن يسيئوا للأجراء الزراعيين والفلاحين الفقراء أو يخدعوهم، يجب على هؤلاء الأجراء والفلاحين أن يتشــاوروا أو يجتمعوا أو يتحدوا كل على حدة، أو أن يقوموا بإنشــاء مجلس سوفيتات محلي لنواب الأجراء الزراعيين خاص بهم.

أقولها لكم ... لا تسمحوا بأن يعاد تأسيس الشرطة، لا تدعوا سلطة الدولة أو إدارتها تقع في يد هذا الجهاز البيروقراطي، ذلك الجهاز الذي لا ينتخب من قبل الشعب، ولا يمكن استبداله، ويتقاضى أفراده رواتب باهظة. لذا، **عليكم أن تلتحموا وتتحدوا وتنظموا أنفسكم وألا تثقوا في أحد وأن تعتمدوا فقط على ذكائكم وخبراتكم**، فحينها ستكون روسيا قادرة على التحرك بخطى ثابتة ومدروسة وواثقة، نحو تحرير بلادنا وكل الإنسانية من استعباد رأس المال ومن ويلات الحرب.

إن حكومتنا، حكومة الرأسماليين، ما زالت تواصل الحرب لمصلحة الرأسماليين فقط. فمثل الرأسماليين الألمان، بقيادة إمبراطورهم اللص فيلهلم، يواصل باقي الرأسماليين في كل الدول الأخرى الاشتراك في هذه الحرب؛ فقط من أجل الحصول على نصيبهم من الأرباح الرأسمالية، ومن أجل الهيمنة على جميع أنحاء العالم، وقد انقاد مئات الملايين من البشر، من كل دول العالم تقريبًا، إلى هذه الحرب الإجرامية، وتستثمر الحكومة مئات الملايين من الأموال في كل ما هو مربح؛ كدفن الموتى وإزهاق الأرواح ونشر المجاعات والدمار والهمجية على حساب الشعوب، بينما تقدم على نحو مخزٍ أرباحًا طائلة للرأسماليين. لكن ثمة طريقة واحدة للخروج من هذا النفق المظلم والتخلص من هذه الحروب المروعة والتوصل لسلام ديمقراطي حقيقي، ليس مفروضًا بالقوة؛ ألا وهي نقل سلطة الدولة بالكامل إلى سوفيتات نواب العمال والجنود، فالعمال والفلاحون الفقراء، الذين لا يهتمون بالحفاظ على أرباح الرأسماليين ولا بنهب الأمم الأكثر ضعفًا، هم القادرون، وبشكل فعال، على تنفيذ ما وعد به هؤلاء الرأسماليون وقطعوه على أنفسهم، وهو إنهاء الحرب والتوصل لسلام دائم يضمن حرية كل الشعوب دون استثناء».

خطبة
وودرو ويلسون

مناسبة الخطاب:

هذا الخطاب ألقاه وودرو ويلسون في الجلسة المشتركة للكونجرس التي عقدت في الثاني من إبريل عام ١٩١٧، وفيه أعلن أن الولايات المتحدة ستشن الحرب على الحكومة الألمانية، وليس الشعب الألماني. وجاء ذلك في أعقاب «حرب الغواصات»؛ التي هدفت بها ألمانيا إلى إغراق أية سفينة تجارية دون سابق إنذار، لتجويع بريطانيا وإجبارها على الاستسلام، غير أن هذه الحرب استفزت الولايات المتحدة، ودفعتها لدخول الحرب في إبريل ١٩١٧، خصوصًا بعد أن علمت أن الألمان قاموا بمحاولة لإغراء المكسيك؛ لكي تهاجم الولايات المتحدة، في مقابل ضم ثلاث ولايات أمريكية إليها.

نبذة عن حياة وودرو ويلسون:

كان ميلاد الرئيس وودرو ويلسون في ٢٨ ديسمبر ١٨٥٦، وهو الرئيس الثامن والعشرون للولايات المتحدة الأمريكية في الفترة من ٤ مارس ١٩١٣ إلى ٤ مارس ١٩٢١، وقد كان في بداية حياته أكاديميًّا ثم صار رئيسًا لجامعة برنستون، ثم الحاكم رقم ٤٥ لولاية نيو جيرسي من عام ١٩١١ إلى ١٩١٣م، وكان ثاني رئيس ديمقراطي يحكم لمدتين متواليتين بالبيت الأبيض بعد أندرو جاكسون، وقد تولى الرئاسة بعد فوزه في انتخابات عام ١٩١٢، عن الحزب الديمقراطي ضد كل من الرئيس ويليام هوارد تافت، والرئيس السابق ثيودور روزفلت، وقد عمل في فترة ولايته الأولى على إبقاء بلاده محايدة أمام الحرب العالمية الأولى، وفي انتخابات عام ١٩١٦ فاز ضد مرشح الحزب الجمهوري تشارلز إيفانز هيوز، حدث في إبريل ١٩١٧ أن أعلنت حكومته الحرب على الإمبراطورية الألمانية، بعد كشف تواطؤ سري بين الأخيرة وبين المكسيك ضد أمريكا، وقاد الولايات المتحدة الأمريكية إلى أن فازت في الحرب العالمية الأولى، وعرف ببنوده الأربعة عشر للسلم، وهو أول من أعطى الحمامة كرمز للسلم، وقد حصل على جائزة نوبل للسلام سنة ١٩١٩، وكانت وفاته في ٣ فبراير ١٩٢٤.

نص الخطاب:

«لقد دعوت الكونجرس لعقد جلسة استثنائية؛ لأن ثمة خيارات جد خطيرة؛ تتعلق بسياسة البلاد، ولا بد من اتخاذها على الفور؛ إذ لم يكن من الصحيح أو الجائز دستوريًّا أن أتحمل مسؤولية اتخاذها. لقد وضعت بين أيديكم رسميًّا في الثالث من شهر فبراير الماضي الإعلان الاستثنائي للحكومة الألمانية المستبدة، والذي ذهبت فيه إلى أنه في الأول من فبراير، وما بعده سيكون هدفها طرح كل قيود القانون أو ضوابط الإنسانية جانبًا، واستخدام غواصاتها في

إغراق كل سفينة تسعى للاقتراب من موانئ بريطانيا العظمى وأيرلندا أو السواحل الغربية لأوربا، أو أي من الموانئ الخاضعة لأعداء ألمانيا داخل البحر الأبيض المتوسط.

لقد بدا أن ذلك هدف حرب الغواصات الألمانية في وقت سابق في الحرب، ولكن منذ شهر إبريل من العام الماضي فرضت الحكومة الألمانية المستبدة إلى حد ما الضوابط على ضباط غواصاتها؛ تماشيًا مع وعدها الذي أبدته لنا آنذاك، بألا يتم إغراق قوارب نقل الركاب، وأن يجرى توجيه تحذير لجميع السفن الأخرى التي قد تسعى غواصاتها لتدميرها متى لا يتم إبداء أية مقاومة، أو محاولة للهروب من جانبها، بالإضافة إلى إبداء الاهتمام بحصول طاقم تلك السفن - على الأقل - على فرصة عادلة؛ لإنقاذ أرواحهم في زوارق السفن المفتوحة. كانت التدابير الوقائية المتخذة من جانبها ضعيفة وعرضية، على نحو ما هو مثبت في حادث مؤسف تلو الآخر في تطور للعنف القاسي والمشين من جانبها، ولكن جدير بالذكر أنه قد روعي قدر معين من التقييد.

لقد ضربت السياسة الجديدة لألمانيا بجميع الضوابط عرض الحائط؛ إذ أرسلت إلى قاع البحر السفن بجميع أنواعها أيًا كان عملها وصفتها وحمولتها ووجهتها ومهمتها، دون أي تحذير ودون التفكير في تقديم المساعدة أو إبداء الرحمة للأشخاص الذين كانوا على متنها؛ لتتسبب بذلك في إغراق سفن الدول المحايدة الصديقة، وكذلك سفن الدول المشاركة في الحرب. لقد وصل الأمر إلى حد ارتكابها للعمل الطائش ذاته، المفتقر إلى الشفقة أو التحلي بالشرف؛ حينما قامت بإغراق السفن المقدمة لخدمات المستشفى العلاجية، وكذلك السفن التي كانت تحمل المساعدات للمنكوبين وشديدي التضرر في بلجيكا، على الرغم من أن تلك السفن كانت تسترشد بمسار آمن، عبر المناطق التي حددتها الحكومة الألمانية، علاوةً على أن تلك السفن كانت مميزة بعلامات جلية دالة على هويتها.

على مدار وقت ليس بطويل كنت عاجزًا عن أن أصدق أن مثل هذه الممارسات قد ترتكب في الواقع من قبل أية حكومة كانت تبدي حتى الآن تأييدها للممارسات الإنسانية للأمم المتحضرة، وسجل القانون الدولي البداية الأولى لمحاولة وضع قانون ما يحظى بمراعاته

والالتزام به في البحار، وهو القانون الذي بموجبه لا يحق لأية دولة إظهار الهيمنة على البحار، والذي يرسي حدود البحار كممرات حرة للعالم، وخرج هذا القانون إلى حيز النور بنتائج ضعيفة إلى حد ما، بعدما تم اجتياز مرحلة مؤلمة تلو الأخرى، وبعدما تم تحقيق كل ما يمكن تحقيقه، ولكنه كان يحمل على الأقل دومًا رؤية واضحة لما يمليه علينا جوهر الإنسانية.

لقد طرحت الحكومة الألمانية هذا الحد الأدنى من الحقوق جانبًا متسلحة بحجتي الانتقام والضرورة، وكذلك يرجع ذلك إلى أنه لم يكن لديها أية أسلحة يمكنها استخدامها في البحار، فيما عدا تلك التي استخدمتها والتي كان من المستحيل توظيفها دون أن يلقى بالاعتبارات الأخلاقية للإنسانية أو الاحترام أدراج الرياح، كبديل عن رؤى التفاهم التي من المفترض أن تكون أساس العلاقات في جميع أنحاء العالم. أنا لا أفكر الآن فيما ينطوي عليه ذلك من خسارة في الممتلكات، على الرغم من قدرها الهائل والفادح، ولكنني لا أفكر سوى في الخسائر الجماعية والوحشية في أرواح المدنيين - الرجال والنساء والأطفال - الذين يشاركون في مساعٍ كانت تعد دومًا مساعي بريئة وشرعية، حتى في أكثر الفترات المظلمة للتاريخ الحديث، ففي النهاية يمكن تعويض الممتلكات بينما لا يمكن ذلك لأرواح الأشخاص الأبرياء والمسالمين.

إن حرب الغواصات التي تشنها الحكومة الألمانية ضد التجارة هي حرب ضد الإنسانية. هي حرب ضد كل الأمم. لقد أغرقت السفن الأمريكية، وكذلك أزهقت الأرواح الأمريكية بطرق أثارتنا بشدة عند علمنا بها، ولكن الأمر لم يقتصر على ذلك، فقد أغرقت أيضًا بالطريقة نفسها سفن الدول الأخرى المحايدة والصديقة، وأودت بحياة الأشخاص الذين كانوا على متنها لم يكن هناك تمييز؛ لذا يعد ذلك تحديًا لكل الإنسانية.

لا بد لكل دولة أن تقرر عن نفسها كيف السبيل لمواجهة ذلك التحدي، وبالنسبة للخيار الذي سنتخذه لأنفسنا، فلا بد من اتخاذه بقدر معتدل من التشاور، وباعتدال في الحكم يلائم طابعنا وأهدافنا كإحدى الأمم. لا بد لنا أن ننحي المشاعر المتأججة جانبًا؛ فهدفنا لن يكون الانتقام والتأكيد على القوة المادية البالغة لأمتنا، وإنما هدفنا الدفاع عن الحقوق وعن الحق الإنساني الذي لسنا سوى مناصر واحد له.

عندما خاطبت الكونجرس في السادس والعشرين من شهر فبراير الماضي، اعتقدت أنه قد يكون كافيًا بالغرض أن ندافع عن حقوقنا المحايدة بالأسلحة، وعن حقنا في استخدام البحار ضد التدخل غير المشروع، وعن حقنا في حماية شعبنا من العنف غير المشروع، ولكن الحيادية المسلحة بدت الآن أمرًا غير عملي؛ ولأن الغواصات تستخدم الآن بطريقة مخالفة للقانون على نحو ما استخدمت الغواصات الألمانية ضد الشحن التجاري بالسفن، فيستحيل الدفاع عن السفن ضد الهجمات التي تشن عليها؛ حيث افترض قانون الأمم أن التجار قد يدافعون عن أنفسهم ضد القراصنة أو الأساطيل الحربية، فالإبحار المرئي للسفن يتيح الملاحقة في آفاق البحار المفتوحة.

وإنه لأمر عادي في مثل هذه الظروف أن يتم إبداء الحذر، وأن يكون ثمة ضرورة جادة حقًّا أن يتم السعي لتدميرها، قبل أن تظهر نواياها. لا بد من التعامل معها حين رؤيتها، إن تم التعامل معها على الإطلاق، وتنكر الحكومة الألمانية حق الدول المحايدة في استخدام الأسلحة على الإطلاق داخل المناطق البحرية التي حظرتها، حتى وإن جاء ذلك دفاعًا عن الحقوق التي لم يشكك أي خبير دولي في القانون من قبل في أحقيتها في الدفاع عنها، والإشارات الضمنية التي لوحت بها ذهبت إلى أن الحراس المسلحين الذين وضعناهم على سفننا التجارية، سيتم التعامل معهم كأشخاص يندرجون خارج حدود القانون، وسيكونون عرضة للتعامل معهم على نحو ما يعامل القراصنة.

ليست الحيادية المسلحة فعالة بقدر كافٍ في أحسن الأحوال، ففي مثل هذه الظروف، وفي وجه مثل تلك الادعاءات تكون تلك الحيادية أسوأ من كونها غير فعالة، ومن المحتمل أن تؤدي إلى ما قصدت أن تحول دونه، وكذلك هي بلا شك تدفعنا عمليًّا إلى دق طبول الحرب، دون أن نتمتع بحقوق الدول المشاركة في الحروب أو كفاءتها، ومع ذلك ثمة خيار واحد لا يمكننا اتخاذه، بل نحن عاجزون عن اتخاذه؛ نحن لن نختار مسار الخضوع ونعاني من تجاهل الحقوق المقدسة لأمتنا وشعبنا أو انتهاكها. إن الممارسات الخاطئة التي نحشد أنفسنا ضدها ليست ممارسات خاطئة عادية، وإنما هي تصل إلى حد الجذور العميقة للغاية للحياة البشرية.

وفي ضوء منظور عميق للطابع المهيب، بل والمأسوي للخطوة التي أتخذها والمسؤوليات الخطيرة التي تشملها، مع كونها خطوة نابعة من طاعتي التامة، دون تردد، لواجبي الدستوري؛ أقدم توصياتي للكونجرس بأن يعلن أن النهج الحالي للحكومة الألمانية المستبدة، ليس أقل من الحرب ضد حكومة الولايات المتحدة وشعبها، وأنه يوافق رسميًّا على صفة الدولة المحاربة التي فرضت علينا، وأنه سيتخذ خطوات فورية ليس فقط لإدخال البلاد في حالة دفاع شاملة، ولكن أيضًا لبذل كل قوته وتوظيف كل موارد البلاد للوصول لاتفاق مع حكومة الإمبراطورية الألمانية وإنهاء الحرب.

إن ذلك الأمر سيتضمن خطوات جلية. إنه سيتضمن تحقيق أقصى درجات التعاون في التشاور واتخاذ الإجراءات، مع الحكومات المشاركة الآن في الحرب مع ألمانيا، ونتيجة لذلك، يأتي الانضمام إلى الحكومات ذات الاعتمادات المالية الضخمة؛ حتى يمكن قدر الإمكان إضافة مواردنا إلى مواردها. كذلك سيتضمن ذلك الأمر تنظيم جميع الموارد المادية للبلاد، وحشدها لتوفير جميع احتياجات الحرب وتلبية الاحتياجات العرضية للأمة بأكثر الطرق الممكنة وفرة، والتي تتصف في الوقت ذاته بأنها أكثر كفاءة واقتصادًا، وسيتضمن - أيضًا - التجهيز الكامل والفوري للقوات البحرية في الجوانب كافة، ولكن يشمل الأمر بشكل خاص تزويدها بأفضل سبل التعامل مع غواصات العدو. سينطوي ذلك الأمر أيضًا على العمل بشكل فوري - في حالة اندلاع الحرب - على تعزيز القوات المسلحة الأمريكية المتاحة بالفعل بموجب القانون، بعدد ٥٠٠٠٠٠ جندي على الأقل، والذين ينبغي اختيارهم - من وجهة نظري - وفقًا لمبدأ الالتزام العام بالخدمة، ويضاف إلى ذلك إجازة التعزيز الإضافي بالقوة العسكرية ذاتها، بمجرد أن تستدعي الحاجة ذلك، وذلك الأمر يمكن الاهتمام به أثناء تدريب القوات.

وهو يتضمن - أيضًا - إمداد الحكومة بالاعتمادات الكافية التي تكون مستديمة، حسبما آمل، إلى الحد الذي يمكن به الإبقاء عليها على نحو عادل في الجيل الحالي؛ وذلك عن طريق سداد الضرائب الموضوعة بشكل جيد، والسبب الذي دفعني إلى أن أذهب إلى ضرورة القيام بذلك هو أنه يبدو لي أنه من غير الحكمة تمامًا أن تعتمد الاعتمادات الواجب لنا جمعها الآن

بشـــكل آني على أموال مقترضة. إنه واجبنا، وهو ما أحث عليه باحترام، أن نحمي شعبنا قدر اســـتطاعتنا من الصعاب والكوارث شـــديدة الخطورة التي من المحتمل أن تنشأ عن التضخم الناتج عن القروض الضخمة.

وفي إطار تنفيذ الإجراءات التي ســـيجرى أداء هذه الخطوات في ضوئها، ينبغي أن نبقي في اعتبارنا باســـتمرار حكمة التدخل بأقل قدر ممكن في إعداد قواتنا العسكرية وتجهيزها؛ بدافع واجب تزويد الدول المشـــاركة - بالفعل في الحرب مع ألمانيـــا - بالتجهيزات التي لا يمكنها الحصول عليها إلا منا أو بمســـاعدتنا، وهو الذي ســـيكون واجبًا عمليًّا للغاية. إنها في ساحة القتال، ولا بد أن نساعدها بكل السبل الممكنة؛ كي تكون مؤثرة هناك.

وسأتجرأ بأن أقترح الإجراءات التي عن طريقها يمكن تحقيق الأهداف العديدة التي ذكرتها، وذلـــك عبر إدارات الحكومة التنفيذية العديدة؛ كي تنظر اللجان في أمرها، وآمل أن يكون من دواعـــي سروركم التعامل مع تلك الإجراءات التي تمت صياغتها، بعد تفكير دقيق من جانب تلك الجهة الاختصاصية من الحكومة، التي ستقع عليها المسؤولية المباشرة عن خوض الحرب وتأمين البلاد.

وبينما نتخذ تلك الخطوات شديدة الأهمية، دعونا نبدي بوضوح شديد للعالم بأسره دوافعنا وأهدافنـــا. يجدر بي أن أوضح أن ما راودني من أفكار لم ينبع من الأحداث المحزنة التي وقعت خلال الشهرين الماضيين، ولا أعتقد أن أفكار الأمة قد تغيرت أو تأثرت سلبًا بتلك الأحداث. إن مـــا يدور في ذهني من أفكار الآن هي نفســـها التي دارت فيه، حينما وجهت خطابي لمجلس الشـــيوخ في الثاني والعشرين من شهر يناير الماضي، وهي نفســـها التي راودتني حينما وجهت خطابي للكونجرس في الثالث من شهر فبراير والسادس والعشرين من الشهر نفسه.

وهدفنا الآن - وحسبما كان آنذاك - هو حماية مبادئ السلام والعدالة في حياة شعوب العالم ضد القوة الأنانية والاســـتبدادية، وإرســـاء مثل هذا التناغم للأهداف والأفعال، بين شعوب العالم التي تتصف فعلاً بالحرية، والحكم الذاتي عـــلى نحو ما يضمن الالتزام بتلك المبادئ من

الآن فصاعـدًا. لا تعد الحيادية أمرًا ملائمًا أو مرغوبًا فيه متى تعلق الأمر بسـلام العالم وحرية شـعوبه، والتهديد الموجه لذلك السلام والحرية يكمن في وجود حكومات استبدادية تدعمها قوة منظمة تهيمن على إرادتها تمامًا، وليس إرادة شـعوبها. لقد شهدنا نهاية الحيادية في ظل تلك الظروف، ونحن على أعتاب عصر سوف يشهد الإصرار على أن تكون المعايير نفسها للسلوك والمسـؤولية عن الأخطاء التي تراعيها البلاد وحكوماتها - محل مراعاة بين المواطنين الفرادى للدول المتحضرة.

ليس لنا نزاع مع الشـعب الألماني، ولا نشعر تجاهه بأي مشاعر سوى التعاطف والصداقة. هو ليس الحافز الذي دفع الحكومة إلى دخول هذه الحرب، ولم يكن له أن يعلم بشكل مسبق بهذا الأمر، أو أن يوافق عليه. كانت حربًا متفقًا عليها على نحو ما كان معتادًا أن يجري الاتفاق بشأن الحروب في الأيام الماضية الحزينة التي لم يكن هناك فيها مجال، لأن يستشـير الحكام شـعوبهم، وحينما كانت الحروب تشـن وتثار لصالح السـلالات الحاكمـة أو المجموعات الصغيرة من الرجال الطموحين الذين اعتادوا الاستعانة بغيرهم كأدوات تخدم مآربهم.

لا تدس الدول المتمتعة بالحكم الذاتي جواسـيس في الـدول المجاورة لها، ولا تدبر المكائد التي توجد وضعًا حرجًا يتيح لها فرصة الانقضاض والاستيلاء على جيرانها، ولا يمكن تنفيذ مثل هذه الخطط بنجاح إلا تحت سـتار، وحينما يجرد الجميع من حقهم في طرح الأسئلة عنها. ومثل هذا الشـكل من خطط الخداع أو الاعتداء المحبوكة بمكـر وبراعة - التي ربما تنفذ من جيـل لآخر - لا يمكن العمل على تنفيذها وإخفائها إلا ضمن إطار الخصوصية المميز لقصور الحكام أو أن تكون مسـترة وراء طابع الثقة المصان بعناية لطبقة محدودة ثرية. ولحسن الحظ، هذه الخطط تكون مسـتحيلة حينما يطالب الرأي العام بإمداده بمعلومات كاملة بشـأن جميع شؤون البلاد ويصر على ذلك.

إن الاتفاق الثابت على السـلام لا يمكن الحفاظ عليه إلا بوجود شراكة تجمع ما بين الأمم الديمقراطيـة، ولا يمكن الوثوق بوفاء أية حكومة اسـتبدادية بوعودها أو التزامها بعهودها؛ فلا بد أن يكون هناك رابطة شرف، وهي شـكل من أشـكال الشراكة في الرأي. إن المكر يدمر

مقوماته الأساسية؛ فالخطط الماكرة التي تحيكها الدوائر الداخلية التي يمكنها أن تخطط لما لا تنسبه لأي شخص قد تكون فسادًا كامنًا في جوهرها. والشعوب الحرة فحسب هي التي يمكنها أن تبقي على هدفها وشرفها موجهين نصب هدف مشترك، وتفضل مصالح البشرية على أية مصلحة ذاتية محدودة.

ألا يشعر كل أمريكي بأن ثمة شعورًا بالثقة عزز أملنا بشأن السلام المستقبلي للعالم بفضل الأشياء الرائعة التي تشدد العزم، والتي حدثت خلال الأسابيع القليلة الماضية في روسيا؟ كان معروفًا عن روسيا لدى من يعرفونها المعرفة المثلى أنها كانت دومًا ديمقراطية في الصميم، وفي جميع مناهجها المعتادة الجوهرية في التفكير، وفي جميع العلاقات الودية لشعبها التي عبرت عن فطرته الطبيعية، وموقفه الفطري تجاه الحياة. أما عن الاستبداد الذي توج قمة هيكلها السياسي الذي دام طويلاً، وكان شنيعًا بقدر ما كانت حقيقة قوتها، فهو لم يكن روسيًّا في أصله أو طابعه أو هدفه، والآن تزعزع هذا الاستبداد، وأضيف الشعب الروسي الكريم والعظيم في بساطته وقوته إلى القوات التي تدافع عن الحرية في العالم وعن العدالة وعن السلام. ها هو شريك ملائم لرابطة الشرف.

ومن الأمور التي أفادت في إقناعنا بأن النظام الاستبدادي الذي جسدته بروسيا لم يكن، ولن يكون أبدًا صديقًا - قيامه منذ بداية الحرب الحالية بدس عدد كبير من الجواسيس في جالياتنا التي لا مجال للشك بشأنها، وحتى مكاتبنا الحكومية، وقيامه بتدبير مكائد مخزية مخطط لها في كل مكان ضد وحدة تشاورنا الوطنية، وسلامنا الداخلي والخارجي وصناعاتنا وتجارتنا. في الواقع صار جليًّا الآن أن جواسيسه كانوا هنا حتى قبل اندلاع الحرب، وعلى نحو محزن ليس ذلك مسألة تخمينية ولكنه حقيقة مثبتة، في محاكم العدل لدينا، وهي الحقيقة التي كشفت عن المكائد التي كادت لأكثر من مرة أن تقترب على نحو محفوف بالمخاطر من زعزعة السلام، وإحداث الاضطراب في صناعات البلاد، وهي المكائد التي دبرت بتحفيز ودعم من المسؤولين الرسميين للحكومة المستبدة المفوضين لحكومة الولايات المتحدة، بل كان ذلك في ظل توجيه شخصي من هؤلاء المسؤولين.

وحتى في إطار التحقق من هذه الأمور ومحاولة استئصالها، سعينا لأن نبدي أكبر قدر من السماحة في تفسيرها؛ لأننا كنا نعلم أن مصدرها لا يكمن في أي شعور أو غرض عدائي يتسلح به الشعب الألماني تجاهنا (الذين كانوا بلا شك يجهلونها على نحو مماثل لنا)، ولكنه يكمن فحسب في الخطط الأنانية لحكومة فعلت ما أسعدها، ولم تطلع شعبها على أي شيء. ومع ذلك، مثل هذه الأمور كان لها دور بأن كانت مفيدة في إقناعنا في النهاية بأن الحكومة الألمانية لا تبدي صداقة حقيقية تجاهنا، وأنها ترمي إلى استهداف سلامنا وأمننا على النحو الأفضل لها. ولما كانت ترمي إلى إثارة الأعداء ضدنا، تكون الملاحظة العارضة التي وجهت للوزير الألماني في مدينة مكسيكو دليلاً بليغًا على ذلك.

نحن نقبل هذا التحدي الذي يفرضه هذا الغرض العدائي؛ لأننا نعلم أنه لا يمكن لنا أبدًا أن نحظى بصديق في مثل هذه الحكومة التي تتبع مثل هذه الأساليب، وأنه في ظل قوتها المنظمة وبقائها دومًا في ترقب لتحقيق ما لا نعرف غرضها منه، لا يمكن أن يكون هناك أمان أكيد للحكومات الديمقراطية في العالم. نحن الآن على وشك أن نقبل تحدي خوض المعركة مع هذا العدو صراعًا على الحرية، وسوف نوجه - متى لزم الأمر - القوة الكاملة لأمتنا؛ للتحقق من ادعاءاته وقوته وإحباطها. والآن وبينما نرى الحقائق دون أي ستار من الادعاء الكاذب بشأنها، **يسعدنا أن نحارب سعيًا وراء السلام النهائي للعالم، وتحرير شعوبه ومن بينها الشعوب الألمانية؛ من أجل حق الأمم - مهما كبر أو صغر حجمها - وكذلك البشر في كل مكان في اختيار أسلوب حياتهم، وطريقة إبداء الامتثال والطاعة.**

لا بد أن نهيئ العالم كمكان آمن للديمقراطية، ولا بد أن يرسخ السلام فيه على الأسس التي جرى اختبارها للحرية السياسية. ليس لنا أهداف أنانية نعمل على خدمتها، ولا نرغب في أي استيلاء أو سيادة. إننا لا نسعى لأي تعويض نجنيه لأنفسنا، ولا أي مقابل مادي نظير التضحيات التي سنبذلها بلا مقابل؛ فنحن لسنا سوى أحد أنصار حقوق البشرية، وسوف نشعر بالرضا حينما تكون تلك الحقوق مضمونة على النحو الذي يمكن لحرية الأمم وإيمانها أن تحققه.

ونظرًا لأننا نحارب دون أن نضمر في أنفسنا ضغينة أو أن نتسلح بهدف أناني، ودون أن نسعى إلى أن نحقق لأنفسنا أثناء ذلك أي شيء سوى ما نأمل أن نشاركه مع جميع الشعوب الحرة، فسوف نجري عملياتنا - على نحو ما أثق - كدول محاربة لا تخالجها أية عاطفة، وسوف نتنبه بفخر لمبادئ الحق والعدل التي نعترف بأننا نحارب من أجلها.

لم أذكر شيئًا عن الحكومات المتحالفة مع الحكومة الألمانية الاستبدادية؛ لأنها لم تشن حربًا علينا أو لم تتحدنا؛ بما يدفعنا للدفاع عن حقنا وشرفنا. لقد جاهرت حقًّا الحكومة النمساوية المجرية بمصادقتها وموافقتها التامة، على حرب الغواصات الطائشة المخالفة للقانون التي تنتهجها الحكومة الألمانية المستبدة الآن دون أي ستار؛ ومن ثم لم يكن ممكنًا استقبال الحكومة للكونت تارنوسكي، وهو السفير الذي فوض للحكومة مؤخرًا من الحكومة النمساوية المجرية الملكية، ولكن لم تشارك تلك الحكومة فعلاً في الحرب ضد المواطنين الأمريكيين في البحار. وعلى مدار الوقت الحالي على الأقل أنا أتحمل على عاتقي مسألة تأجيل مناقشة علاقتنا مع السلطات في فيينا. نحن لا نخوض هذه الحرب إلا لأننا مجبورون بوضوح عليها؛ لأنه ليس هناك وسائل أخرى للدفاع عن حقوقنا.

سيكون من الأسهل علينا أن نتصرف كدول محاربة تسعد برفعها لرايات الحق والعدالة؛ لأننا نتخذ أفعالنا دون عداء ودون إبداء الخصومة تجاه أحد الشعوب، أو إبداء الرغبة في إلحاق الأذى والخسارة به. لن يكون ذلك إلا كمعارضة مسلحة تجاه حكومة غير مسؤولة، ضربت بكل اعتبارات الإنسانية والحق عرض الحائط، وتنطلق كالمجنون وتقتل كل من تصادفه. ودعوني أكرر مجددًا أننا الأصدقاء المخلصون للشعب الألماني، ولا نرغب في أي شيء بقدر ما نرغب في إعادة إقامة العلاقات الودية، ذات النفع المشترك فيما بيننا - مهما كان صعبًا بالنسبة له في الوقت الحاضر أن يصدق أن ما نفصح عنه نابع بصدق من قلوبنا.

لقد تحملنا حكومته الحالية على مدار كل هذه الأشهر المريرة؛ بسبب تلك الصداقة، وقد تحلينا وتجملنا خلالها بالصبر الذي ربما كان مستحيلاً بخلاف ذلك. ومن دواعي سرورنا أنه لا تزال لدينا فرصة أن نثبت تلك الصداقة في مواقفنا وأفعالنا اليومية، تجاه ملايين الرجال

والنساء الألمان الذين يعيشون بيننا، ويشاركوننا حياتنا ويحملون تجاهنا مشاعر تعاطف فطرية، وسوف نفخر بأن نثبت تلك الصداقة تجاه جميع من يبدون في الواقع الولاء لجيرانهم وللحكومة وقت المحنة. إنهم - على نحـــو ما هو جلي في معظمهم - مواطنون أمريكيون مخلصون، كما لو كانوا لم يعلموا قط أي ولاء أو إخلاص آخر. ســيكونون على أهبة الاستعداد للوقوف بجانبنا في توبيخ القليلين الذين ربما يكون لهم وجهة نظر وأغراض مختلفة، والوقوف كحائل أمامهم، وفي حالة إن تعرضنا للغدر، فســوف يتم التعامل معه بيد قوية تتسلح بالقمع الشديد، ولكن إن رفع هؤلاء الغادرون رؤوسهم على الإطلاق فسيرفعونها فحسب هنا وهناك، دون تشجيع سوى من قليلين ماكرين يبتهجون بأذى الآخرين.

أيها الســادة أعضاء الكونجرس، إنه لواجب موجع وثقيل الوطأة على صدري، ذاك الذي أديته في مخاطبتي لكم. ربما تنتظرنا شـــهور عديدة نشهد فيها محنًا وتضحيات شديدة، إنه لشيء مخيف أن تقود هذا الشـعب العظيم المسالم إلى الحرب وإلى أكثر الحروب فظاعة ودمارًا، والتي فيها يبدو وأن مصير الحضارة نفسها سيتحدد، ولكن الحق كنز ثمين على نحو أكبر من السلام، وسنحارب من أجل كل الأشياء التي حملناها دومًا في قلوبنا؛ سنحارب من أجل الديمقراطية، ومن أجل حق أولئك الذين يرضخون للســلطة؛ لكي يكون لهـم حق التعبير في حكوماتهم، ومن أجل حقوق الأمم الصغيرة وحرياتها، ومن أجل ســيادة الحق على مســتوى العالم، عن طريق مثل هذا التناغم بين الشــعوب الحرة، على نحو ما سيجلب السلام والأمان لكل الأمم ويجعل العالم ذاته حرًّا في النهاية.

لمثل هذه المهمــة يمكننا أن نكرس أرواحنــا وأموالنا، وكل ما نحن عليــه وكل ما لدينا، شاعرين بالفخر الذي يملأ نفوس أولئك الذين يعلمون أن ذلك اليوم قد أتى، والذي ستنفرد فيه أمريكا ببذلها لدماء أبنائها وقوتها؛ من أجل المبادئ التي أمدتها بالحياة والســعادة والسلام الذي تعزه. ليكن الرب في عونها، ما بقي لديها شيء آخر لتفعله».

خطبة
ماري كوري

مناسبة الخطاب:

وجهت ماري كوري هذا الحديث عقب اكتشافها وزوجها لعنصر الراديوم. تعد ماري كوري أول سيدة تحصل على دبلوم الفيزياء من جامعة السوربون، وأول سيدة تحاضر هناك.

نص الحديث:

«يمكنني إخباركم بالعديد من الأشياء حول عنصر الراديوم والنشاط الإشعاعي، وسوف يستغرق ذلك الكثير من الوقت. لكن بما أننا لن نستطيع ذلك، فسوف أعطيكم نبذة قصيرة عن بدايات بحثي عن عنصر الراديوم. إن الراديوم ليس عنصرًا حديثًا، فقد كان موجودًا منذ أكثر من عشرين عامًا، بيد أن ظروف اكتشافه كانت غريبة إلى حد ما، ولهذا أصبح من المهم دائمًا ذكرها وشرحها.

نبذة عن حياة ماري كوري:

اسمها ماري سكلودوفسكا كوري، وقد ولدت في وارسو، في ما كان يعرف آنذاك بمملكة بولندا في ٧ نوفمبر ١٨٦٧، وهي فيزيائية وكيميائية، نالت شهرتها بسبب أبحاثها العظيمة في النشاط الإشعاعي، وهي تعتبر أول امرأة تفوز بجائزة نوبل، وتعتبر - أيضًا - المرأة الوحيدة التي فازت بتلك الجائزة في حقلين، والشخص الوحيد الذي حقق الفوز في العلوم المتعددة، وقد شغلت أيضًا منصب أستاذ في جامعة (السوربون) في باريس.

وكان مما شملته إنجازاتها نظرية النشاط الإشعاعي، وتقنيات لعزل النظائر المشعة، واكتشاف عنصري البولونيوم والراديوم، وخلال الحرب العالمية الأولى، أسست أول مراكز عسكرية إشعاعية، ورغم حصولها على الجنسية الفرنسية فإنها لم تفقد إحساسها بهويتها البولندية، وقد علمت بناتها اللغة البولندية، واقتادتهن في زيارات لبولندا، وقد أسمت أول عنصر كيميائي اكتشفته وعزلته بالبولونيوم، نسبة إلى بلدها الأصلي بولندا، وقد توفيت كوري في عام ١٩٣٤ بفعل مرض فقر الدم اللاتنسجي الناجم عن سنوات عملها التي تعرضت خلالها للإشعاع.

يتعين علينا العودة إلى عام ١٨٩٧، حيث كنا نعمل، أنا والبروفيسور كوري، في معمل كلية الفيزياء والكيمياء، وهو المكان الذي يلقي فيه البروفيسور كوري محاضراته. كنت منخرطة في بعض الأبحاث المتعلقة بأشعة اليورانيوم التي قام باكتشافها منذ عامين البروفيسور بيكريل، لقد أمضيت بعض الوقت لدراسة الطريقة التي يمكن بها قياس أشعة اليورانيوم، وبعدها أردت أن أعرف ما إذا كانت هناك عناصر أخرى تعطي أشعة اليورانيوم نفسها أم لا. لهذا

عكفت على دراسة جميع العناصر المعروفة ومركباتها، فوجدت أن مركبات اليورانيوم نشطة، وكذلك جميع مركبات الثوريوم، بينما لم يتم العثور على عناصر أو مركبات أخرى نشطة. أما بالنسبة لمركبات اليورانيوم والثوريوم، فقد وجدت أنها تنشط وفقًا لنسبة اليورانيوم أو الثوريوم التي تحتوي عليها. فكلما زادت نسبة اليورانيوم أو الثوريوم، زاد نشاط العنصر، ولما كان هذا النشاط ذريًا، ظهرت خصائص هذين العنصرين؛ اليورانيوم والثوريوم. بعد ذلك أجريت قياسات على المعادن، ووجدت أن العديد منها الذي يحتوي على اليورانيوم أو الثوريوم، أو كليهما نشطاً. لكنني اكتشفت بعد ذلك أن النشاط لم يكن كما توقعت؛ حيث كان أكبر من ذلك الموجود في مركبات اليورانيوم أو الثوريوم؛ مثل الأكسيدات التي تتكون بالكامل تقريبًا من هذين العنصرين. بناءً على ذلك، فكرت في أنه لا بد من وجود عنصر مجهول في هذه المعادن له نشاط إشعاعي أكبر من اليورانيوم أو الثوريوم، وكنت أحاول اكتشاف هذا العنصر وفصله، واشتركت في هذا العمل مع البروفيسور كوري. كنا نعتقد أن هذا العمل سوف يتم خلال عدة أسابيع أو أشهر، لكن لم يحدث ذلك، لقد احتاج الأمر إلى سنوات عديدة من العمل الشاق من أجل إنجاز هذه المهمة، لم يكن هناك عنصر واحد جديد وخفيف التأثير، بل كان هناك العديد. لكن أهم عنصر تم اكتشافه كان الراديوم الذي تمكنا من فصله والحصول عليه في صورة خالصة. والآن، يكمن الاهتمام الكبير الذي حظي به الراديوم في كثافة أشعته التي تزيد ملايين المرات عن كثافة أشعة اليورانيوم، كما أن آثار أشعة الراديوم زادت من أهمية العنصر نفسه. فإذا نظرنا من الناحية العملية، نجد أن أكثر الخصائص أهمية في الراديوم هي إنتاج تأثيرات فسيولوجية في خلايا الكائن الحي. ويمكن استخدام هذه التأثيرات في علاج العديد من الأمراض، وبالفعل تم تسجيل نتائج جيدة في كثير من الحالات، من أهمها فاعلية هذه الأشعة في علاج السرطان. إن الاستخدام الطبي لأشعة الراديوم جعل من الضروري الحصول على كميات كافية من هذا العنصر، ومن ثم تم إنشاء مصنع في فرنسا لإنتاج الراديوم، وبعد ذلك في أمريكا حيث يتوفر فيها كمية كبيرة من الراديوم الخام الذي يطلق عليه اسم خام اليورانيوم. إن أمريكا تقوم بالفعل بإنتاج العديد من جرامات الراديوم سنويًا، لكن سعره

لا يزال مرتفعًا جدًّا؛ لأن كميــة الراديوم المتوفرة في الخام قليلة جدًّا. لقد أصبح الراديوم أغلى من الذهب بمئات الآلاف من المرات، بيد أننا يجب ألا ننســى أنه عندما تم اكتشاف الراديوم، لم يكن أحد يعلم أنه سيفيد في المستشــفيات كنوع من العلاج؛ بل كان اكتشافه نوعًا من أنواع البحث العلمي البحت، وهــذا دليل على أنه لا يجب إجراء البحث العلمي بحســب الفائدة التي تعود منه؛ بل يجب إجراؤه لذاته، للاســتمتاع بجمال العلم، وبعد ذلك تكون هناك فرصة دائمة لأن يحمل الاكتشاف العلمي في طياته فائدة للبشرية، مثلما حدث مع عنصر الراديوم. إن التاريخ العلمي لاكتشاف الراديوم ممتع، وقد تمت دراسة خصائص أشعة الراديوم بعناية فائقة، ونحن نعلم أن الجزيئات التي تخرج من الراديوم لها سرعة كبيرة جدًّا تقارب سرعة الضوء، كما نعلم أيضًا أن ذرات الراديوم تدمر نتيجــة انفجار هذه الجزيئات، وبعضها من ذرات الهليوم، وبهذه الطريقة ثبت أن العناصر المشــعة تتفكك بصورة دائمة، وأنهــا تنتج في النهاية العناصر العادية، ومنها الهليوم والرصاص كعناصر أساســية. هذه كــما ترى نظرية تحويل الذرات غير المستقرة، كما كان يعتقد سابقًا، لكن من الممكن خضوع هذه الذرات لتغيرات عفوية.

إن الراديوم ليــس العنصر الوحيد الذي يتمتع بهذه الخصائص، فهناك العديد من العناصر الأخرى المشــعة والمعروفة بالفعــل؛ ألا وهي البولونيــوم والميزوثوريوم والثوريوم المشــع والأكتينيوم، ونحن على علم أيضًا بالغازات المشــعة؛ التي يطلق عليها اسم الغازات المنبعثة. هناك مجموعة كبيرة من المواد المشــعة والآثار الناجمة عن النشاط الإشعاعي، وهناك دائمًا مجال واســع للتجارب، وآمل أن نتمكن من تحقيق تقدم ملحوظ في الســنوات القادمة. **إنني أرغب بشــدة أن يقــوم بعضكم بحمل لــواء هذا العمــل العلمي، مع الإصرار على المســاهمة الدؤوبة من أجل خدمة العلم»**.

خطبة
كلارنس دارو

مناسبة الخطبة:

بدأت الأحداث المتعلقة بهذه الخطبة في «ديترويت»، عندما تم تهجير أعداد هائلة من العمال أصحاب البشرة السمراء؛ بسبب زيادة الطلب عليهم في المدينة نتيجة لنمو صناعة السيارات. ولكن، لم تستطع مجموعة من أصحاب البشرة البيضاء قبول هذا الأمر، وكان «هنري سويت» واحدًا من أصحاب البشرة السمراء الذين تم تهجيرهم، والذي تمت مهاجمته على يد مجموعة من أصحاب البشرة البيضاء وإلقاء الحجارة على منزله؛ مما أدى إلى شعوره بالذعر، ومن ثم قام عن غير عمد بإطلاق النار على واحد من المهاجمين، وعلى إثر ذلك أحيل إلى المحكمة بتهمة القتل العمد. كان «كلارنس دارو» المحامي صاحب البشرة البيضاء؛ الذي دافع عن ذلك الرجل الأسمر، فقد أكد على أن هذه القضية تناقش مسألة العنصرية وليس القتل، وفيما يلي الخطبة الأخيرة التي ألقاها «كلارنس دارو» مدافعًا عن «هنري سويت» في إبريل من عام ١٩٢٦.

نبذة عن حياة كلارنس دارو:

اسمه كلارنس دارو سيوارد كان ميلاده في ١٨ إبريل ١٨٥٧، وهو محام أمريكي، وعضو قيادي في الاتحاد الأمريكي للحريات المدنية، ولعب دورًا بارزًا في الدفاع عن حقوق السود، وكانت وفاته في ١٣ مارس ١٩٣٨.

نص الخطبة:

«إنني أؤمن بقانون الحب.

الآن أيها السادة، أود فقط أن أضيف كلمة واحدة وأنا على وشك إنهاء حديثي في هذه القضية. إنني لا أعيش في «ديترويت»، ولكنني لا أشعر بالعداء إزاء هذه المدينة، وفي الحقيقة، سأظل دائمًا أحمل أجمل الذكريات الطيبة لها، ولا سيما إذا انتهت هذه القضية كما أعتقد وأشعر؛ فإنني آخر شخص يمكن أن يأتي إلى هنا من أجل إثارة الكراهية العنصرية، أو أي شكل آخر من أشكال الكراهية، فأنا لا أؤمن بقانون الكراهية، وقد لا ألتزم بما أؤمن به من مثاليات في بعض الأحيان، ولكنني أؤمن بقانون الحب وبأنك لن تجني شيئًا من وراء الكراهية، وأتطلع إلى الزمان الذي أجد فيه الإنسان محبًّا لأخيه الإنسان، دون النظر إلى لونه أو عقيدته الدينية، فلن نصبح مدنيين حتى يأتي هذا الزمان.

إنني أعرف أن السلالة الزنجية أمامها طريق طويل لتسلكه، وكذلك أؤمن أن حياة السلالة الزنجية كانت مليئة بالمآسي والظلم والاضطهاد، فقد أقر القانون المساواة لأفراد هذه السلالة، ولكن الإنسان لم يفعل. والأهم هنا ما الذي قام به الإنسان؟ وليس ما الذي قام به القانون؟ إنني أعرف أن الفرد الزنجي أمامه طريق طويل قبل أن يحتل المكانة التي أؤمن بأنه ينبغي أن يحتلها. أعرف أن أمامه معاناة وحزنًا ومحنًا وقتلاً بين الأشخاص من أصحاب البشرة السمراء، وربما بين أصحاب البشرة البيضاء أيضًا، وأنا أأسف لذلك، وسوف أقوم بكل ما أستطيع لتجنب حدوثه، سوف أنصح بالتحلي بالصبر، سوف أنصح بالتسامح، سوف أنصح بالتفاهم، سوف أنصح بكل هذه الأمور الضرورية للبشر الذين يعيشون مع بعضهم بعضًا.

أيها السادة، ماذا تظنون واجبكم في هذه القضية؟ لقد راقبت يومًا بعد يوم هؤلاء الأفراد من أصحاب البشرة السمراء، تلك الوجوه المشدودة المتوترة، التي احتشدت في قاعة هذه المحكمة؛ **تلك الوجوه السمراء التي تتطلع إلى وجوهكم الاثني عشر البيضاء، والتي تشعر أن آمالها ومخاوفها من الحكم العنصري في أيديكم.**

أيها السادة، إن القضية أوشكت على الانتهاء. وبالنسبة لهم، فإن الأمر يشكل مسألة حياة أو موت، ليست حياة هذا الشخص أسمر اللون الماثل هنا أمام هيئة المحكمة، بل إن مصائرهم جميعًا معلقة بين أيدي اثني عشر فردًا من أصحاب البشرة البيضاء. إن أبصارهم مركزة عليكم، وقلوبهم مرتبطة بكم، وآمالهم معلقة على حكمكم.

هذا هو كل ما في الأمر، إني أطلب منكم نيابةً عن المدعى عليه، ونيابةً عن هؤلاء الأفراد البؤساء الذين يستجدون عطفكم، والأكثر من ذلك نيابةً عن هذه الولاية العظيمة، وهذه المدينة الرائعة التي يجب وأن تتصدى لهذه المشكلة وتواجهها دون تحيز، أطلب باسم التقدم والجنس البشري الحكم في هذه القضية بأن المدعى عليه غير مذنب!».

خطبة
نيفيل تشامبرلين

مناسبة الخطاب:

هذا التصريح ألقاه نيفيل تشامبرلين في وقت لاحق، من صباح اليوم ذاته الذي شهد التوصل إلى معاهدة ميونخ في ٣٠ سبتمبر عام ١٩٣٨، وتم التوقيع على هذا التصريح أثناء اجتماع خاص جمع ما بين تشامبرلين وهتلر.

نص الخطاب:

«لقد التقينا نحن - رئيس الوزراء البريطاني - برئيس الوزراء الألماني في اجتماع آخر اليوم، واتفقنا في إدراكنا لما تحمله مسألة العلاقات الإنجليزية الألمانية من أهمية أولى لبلدينا ولأوربا.

نحن نرى الاتفاقية التي تم توقيعها ليلة أمس، وكذلك الاتفاقية البحرية الإنجليزية الألمانية كرمزين لرغبة شعبينا في عدم خوض أي من البلدين للحرب ضد البلد الآخر مرة أخرى مطلقًا.

وخلصنا إلى أن سبل التشاور ستكون تلك المتبعة في التعامل مع أية قضايا أخرى، قد تؤرق البلدين، **ونحن عازمون على**

نبذة عن حياة نيفيل تشامبرلين:

اسمه آرثر نيفيل تشامبرلين، وهو رئيس وزراء ووزير بريطاني أسبق تاريخ ميلاده ١٨ مارس ١٨٦٩، وهو سياسي ينتمي إلى حزب المحافظين؛ حيث تذكر لنا المصادر أنه ابن جوزيف تشامبرلين أحد زعماء حزب المحافظين، ووزير المالية في وزارة سالسبوري، وهو صاحب مبدأ التفضيل الإمبراطوري، كما أنه أخ (غير شقيق) لأوستن تشامبرلين؛ وزير الخارجية في وزارة ستانلي بلدوين. لقد ارتبطت حياة نيفيل تشامبرلين بمقدمات الحرب العالمية الثانية، فهو لم يصبح عضوًا في البرلمان إلا في سن الخمسين، إذ كان قبلها قد وجه اهتمامه إلى الأعمال التجارية، وقضايا الحكم المحلي، فكان رئيسًا لبلدية مدينة برمنجهام ومثل المدينة بعدها في البرلمان عام ١٩١٨، وحتى نهاية حياته. وقد نجح تشامبرلين في منصب وزير الصحة الذي تولاه في عهود حكومات حزب المحافظين للفترة ما بين ١٩٢٣ و١٩٢٨، وفي عام ١٩٣٧ انتخب رئيسًا لحزب المحافظين، وقد تميزت سياسته الخارجية بالحرص على السلام، فعمل على إلغاء العقوبات التي فرضتها عصبة الأمم ضد إيطاليا بعد غزو الحبشة، وإعلان حياد إنجلترا في الحرب الأهلية الإسبانية، وعدم الاحتجاج على ضم النمسا لألمانيا، وقد حاول تشامبرلين استرضاء هتلر اجتنابًا لشره، حتى كان الاحتلال النازي لمدينة براغ في مارس ١٩٣٩، وحينذاك حاول إقامة تحالف مع بولندا ورومانيا واليونان، وبموجب تحالفه مع الأولى أعلنت حكومته الحرب على ألمانيا في سبتمبر ١٩٣٩، وقد ظهرت واضحة للعيان مواقف تشامبرلين المترددة إضافة إلى سوء تحكمه في علاقاته الشخصية، وقد قدم استقالته بعد احتلال ألمانيا للنرويج، ولكنه بقي في منصب رئيس مجلس اللوردات، في حكومة تشرشل الائتلافية؛ حتى وفاته بعد ستة أشهر في ٩ نوفمبر ١٩٤٠.

أن نواصل جهودنا لإزالة أي مصادر مختلفة للخلاف، والتي من شـــأنها أن تساهم في ضمان سيادة السلام في أوربا.

يـــا أصدقائي، تلك هي المرة الثانية في التاريخ التي يعود فيها رئيس وزراء بريطاني من ألمانيا حاملاً معه الســـلام، على نحو مثير للفخر، وأنا أعتقد أن هذا الســـلام لزماننا. لذا، عودوا إلى منازلكم وتمتعوا بنوم هادئ ومريح».

خطبة هتلر

مناسبة الخطاب:

في ٢٦ سبتمبر عام ١٩٣٨، وقبل عام من الحرب العالمية الثانية، ألقى «أدولف هتلر» الخطاب التالي في برلين، وكان يهدف منه أن يعلن للعالم أنه سيلجأ للحرب إن كانت هي السبيل الوحيد لحماية الألمان الموجودين في منطقة «سوديتنلاند» غرب تشيكوسلوفاكيا. ولكن في الحقيقة، فإنه كان يرغب في توسيع رقعة حكمه وفرض سيطرته على المزيد من الدول، فقد استخدم الثلاثة ملايين ونصف ألماني الموجودين في تشيكوسلوفاكيا كذريعة لشن الحرب عليها.

نص الخطاب:

«متحدثًا أمام نواب الرايخستاج الألماني في ٢٠ فبراير الماضي، أعلنت للمرة الأولى مطلبًا قائمًا على مبدأ لا يمكن تغييره أو التنازل عنه. فمنذ فترة طويلة أصغت إلي الأمة بأكملها وأدركت مقاصدي! رجل واحد فقط من رجال الدولة لم يفهم ما أعنيه، وقد تمت إقالته من منصبه، وقد وفيت بالوعد الذي قطعته على نفسي في ذلك الوقت! وفي اجتماع حزب الرايخ، تناولت هذا المطلب بالحديث

نبذة عن حياة هتلر:

كان ميلاده في ٢٠ إبريل ١٨٨٩، وهو سياسي ألماني نازي، وقد ولد في النمسا، وكان زعيم حزب العمال الألماني الاشتراكي الوطني، وهو المعروف للعامة باسم الحزب النازي، وقد تولى أدولف هتلر حكم ألمانيا في الفترة ما بين عامي ١٩٣٣ و١٩٤٥؛ حيث شغل منصب مستشار الدولة في الفترة ما بين عامي ١٩٣٣ و١٩٤٥، والفوهرر في الفترة ما بين عامي ١٩٣٤ و١٩٤٥، واختارته مجلة تايم واحدًا من بين مائة شخصية تركت أكبر الأثر في تاريخ البشرية في القرن العشرين.

وباعتباره واحدًا من المحاربين القدامى الذين تقلدوا الأوسمة؛ تقديرًا لجهودهم في الحرب العالمية الأولى بجانب ألمانيا، كان أن انضم هتلر إلى الحزب النازي في عام ١٩٢٠، وأصبح زعيمًا له في عام ١٩٢١، وبعد سجنه إثر محاولة انقلاب فاشلة قام بها في عام ١٩٢٣، استطاع هتلر أن يحصل على تأييد الجماهير بتشجيعه لأفكار تأييد القومية، ومعاداة الشيوعية، بفعل الكاريزما أو الجاذبية التي كان يتمتع بها في إلقاء الخطب وفي الدعاية المقنعة لفكره.

وعندما جاء عام ١٩٣٣، تم تعيينه مستشارًا للبلاد؛ حيث عمل على إرساء دعائم نظام تحكمه نزعة شمولية ودكتاتورية، وانتهج هتلر سياسة خارجية لها هدف معلن، وهو الاستيلاء على ما أسماه بالمجال الحيوي، ويقصد بذلك السيطرة على مناطق معينة لتأمين الوجود لألمانيا النازية، وضمان رخائها الاقتصادي، وتوجيه موارد الدولة نحو تحقيق هذا الهدف، وقد قامت قوات الدفاع التي أعاد بناءها بغزو بولندا في عام ١٩٣٩؛ مما أدى إلى اندلاع الحرب العالمية الثانية، وخلال ثلاث سنوات، احتلت ألمانيا ودول المحور معظم قارة أوربا، وأجزاء كبيرة من إفريقيا، ودول شرق وجنوب شرق آسيا، والدول المطلة على المحيط الهادي.

ومع ذلك، نجحت دول الحلفاء في أن يكون لها الغلبة في النهاية.

وفي عام ١٩٤٥، نجحت جيوش الحلفاء في اجتياح ألمانيا، من جميع جوانبها وحتى سقوط برلين، وأثناء الأيام الأخيرة من الحرب في عام ١٩٤٥، تزوج هتلر من عشيقته إيفا براون بعد قصة حب طويلة، وبعد أقل من يومين، انتحر العشيقان، فكانت نهايته في ٣٠ أبريل ١٩٤٥.

للمرة الثانية، واستمعت الأمة لي ثانيةً وأنا أطالب بالمطلب نفسه. واليوم أقف أمامكم متحدثًا مباشرة لأبناء شعبي العزيز للمرة الأولى تمامًا، كأيام نضالنا العظيم، وأنتم تعلمون جيدًا ماذا يعني ذلك! لم يعد لدى العالم أي شكوك في أن المتحدث الآن ليس رجلاً واحدًا بل الشعب الألماني بأكمله!

عندما أتحدث الآن إلى الشعب الألماني، أعلم أن هذا الشعب، الذي يقدر عدده بالملايين، يتمتم معي بكلماتي نفسها، ويؤكد عليها ويجعل منها قسماً مقدسًا، ومن الصائب أن يفكر الزعماء الآخرون فيما إذا كان الحال بينهم وبين شعوبهم على غرار ذلك أم لا.

إن المشكلة التي أرقتنا بشدة خلال الأسابيع والشهور القليلة الماضية ليست بجديدة. إن هذه المشكلة ليست «تشيكو - سلوفاكيا» ولكنها بالأحرى السيد «بينيش». هذا الاسم هو ما يؤرق ملايين الأشخاص اليوم، وإما يجعلهم يشعرون باليأس والقنوط، أو يترك فيهم عزمًا وتصميماً حماسيًا. كيف بلغت تلك القضية هذا المستوى من الأهمية؟ لأجيب عن هذا السؤال، أود أن أعرض لكم، أيها الشعب الألماني العظيم، موجزًا عن جوهر وأهداف السياسة الخارجية لألمانيا.

بعد عامين من تقديم عرض تلو الآخر للعالم، وتلقي رفض تلو الآخر منه، أصدرت أوامري بإعادة تسليح الجيش الألماني، والنهوض به لأعلى مستوى ممكن. واليوم، أستطيع أن أعترف صراحةً أننا أعدنا التسليح لمدًى لم يشهد العالم مثله حتى الآن، وقد عرضت أن أنزع السلاح طالما كان ذلك ممكنًا، ولكن بعد أن واجهت رفضًا آخر، قررت أن أمضي في طريقي للنهاية.

أنا اشتراكي وطني وجندي ألماني قديم في الجبهة الأمامية للجيش. فإذا كان العالم لا يرغب في نزع السلاح، فله ذلك. والآن، أيها الشعب الألماني، احملوا أسلحتكم أيضًا. إن ألمانيا تستطيع

أن تفخر بجيشــها. في الواقع، لقد قمت بتنفيذ عملية إعادة التسليح تلك خلال الخمسة أعوام الماضية، وأنفقت عليها البلايين، ويحق للشــعب الألمــاني أن يعلم ذلك، وقد حرصت على أن يتســلح الجيش الجديد بأحدث الأســلحة الموجودة على الإطلاق. وعــلاوة على ذلك، فقد أصدرت أوامري لصديقي «جورينــج» قائلاً: «أعد لي قوات جوية قادرة على حماية ألمانيا ضد أي هجوم يمكن حدوثه».

وبذلك بنينا جيشًا يستطيع أن يفخر به الشعب الألماني اليوم، جيشًا سيجله العالم متى عرفه. لقد صنعنا لأنفســنا أفضل دفاع مضاد للطائرات، وأفضل دفاع مضاد للدبابات لم يرَ من قبل على ظهر البسيطة!

لقد واصلنا العمل طوال الليل والنهار خلال هذه الأعوام الخمســة، ونجحت خلال تلك المدة في تكوين مفهوم عن موضوع واحد فقط، وسأتطرق لذلك لاحقًا.

وعلى الرغم من ذلك، فقد واصلت اتباع أفكار الحد من الأســلحة وسياسة نزع السلاح، وخلال تلك السنوات، انتهجت سياسة برجماتية للسلام.

لقد باشرت العمل في جميع الموضوعات، وأصررت بشــدة على حلها بطريقة سلمية؛ حتى إن اســتدعى ذلك تضحيات عظيمة من جانب ألمانيا، فأنا أحــد جنود الجبهة الأمامية وأعلم ويلات الحرب. ولذلك، تمنيت أن أجنب الشــعب الألماني المرور بهــذه التجربة الأليمة. لقد باشرت العمل - في أية مشــكلة وكل مشكلة - بثبات وحزم، معتزمًا في قرارة نفسي أن أجرب أي شيء كي أتوصل لحل سلمي لها.

وكانت أكثر المشكلات التي تواجهني إلحاحًا هي العلاقة بين ألمانيا وبولندا، فقد كان الخطر القائم يتمثل في أن فكرة «العداوة الموروثة» تســيطر على شــعبنا والشــعب البولندي على حد سواء، وقد حاولت التغلب على تلك المشــكلة. وأعلم جيدًا أنني ما كنت لأنجح في ذلك، إذ لم تكن بولندا تمتلك دســتورًا ديمقراطيًا خلال تلك الفترة، وبالنسبة لحديثهم عن الديمقراطية والسلام الذي يتشدقون به في كل مكان، فأحب أن أقول إنهم أكثر دعاة الحرب تعطشًا للدماء.

إن الديمقراطية لا تحكم بولندا، ولكن هناك رجل واحد يفعل ذلك! ومع هذا الرجل توصلنا لاتفاق ينص على إزالة الصـــدام بين الدولتين، لمدة عشرة أعوام. ونحن مقتنعون أن أهمية هذا الاتفاق ســتتأكد في يوم ما. ولقد أدركنا أن هذين الشعبين يحتاجان للتعايش مع بعضهما جنبًا إلى جنب، وأن أيًا منهما لا يستطيع التخلص من الآخر.

إن ألمانيــا كدولة تتكون من ٣٣ مليون مواطن، ســتبذل كل ما في وســعها دائمًا من أجل الحصول على منفذ إلى البحر.

ولذلك، فقد كان علينا أن نتوصل إلى حل وســط يرضي الطرفين، ولقد نجحنا بالفعل في التوصل إلى حل وســط ونعمل على تحسينه باستمرار. ما لا شــك فيه أنه خلال تلك المرحلة كانت كلتا الحكومتين، وجميع الأشخاص العقلانيين في كلا البلدين لديهم العزم والإصرار على تحسين العلاقات أكثر بين الدولتين، وكان ذلك حقًّا في خدمة السلام، وكان يستحق فعليًّا أكثر من الأحاديث عديمة الجدوى؛ التي كانت تجرى في مقر عصبة الأمم في جنيف.

خلال تلك الفترة، حاولت أيضًا أن أحســن العلاقات مع دول أخرى، وأن أحافظ عليها لفترة طويلة.

لقد منحنــا ضمانات لجميع الدول الغربية، وطمأنا جميع الــدول التي تقع على حدودنا أن ألمانيا ستحترم سلامة أراضيها. إن ذلك ليس كلامًا عديم الجدوى، بل إنه فعل نابع من رغبتنا المقدسة في ذلك؛ حيث إن زعزعة سلام تلك الدول ليست في صالحنا. وقد لاقت تلك الوعود من جانب ألمانيا زيادة في الشعور بالرضا والحماسة.

تدريجيًا، فصلت دول أكثر وأكثر نفســها عن الحماقة التي تحدث في جنيف والتي - إن كان يمكنني قول ذلك - لا تخدم مصالح السلام، ولكنها بالأحرى تحمل في طياتها التزامًا بالحرب. لقد فصلت تلك الدول نفسها عن تلك الحماقات، وبدأت التفكير في المشكلات على نحو أكثر عقلانية. إن تلك الدول ترغب في التفاوض وتتوق إلى السلام.

ولم أكتفِ بذلك ولكني واصلت العمل، ومددت يدي إلى إنجلترا! وكي أمنح الإمبراطورية البريطانية شــعورًا بالأمان، تراجعت طواعيةً عن الدخول في سباق تسليح بحري مع بريطانيا

العظمى، ولم أفعل ذلك لأني لست قادرًا على إضافة المزيد من السفن الصغيرة لأسطولنا البحري، بل إن السبب الوحيد وراء ذلك رغبتي في حفظ السلام بين الشعبين، السلام الذي يدعم بقاء الدولتين.

بالطبع، يجب الوفاء بشروط معينة، فليس ممكنًا أن يقول أحد الجانبين ببساطة: «لن نشن حربًا عليكم مرة أخرى، ولتحقيق ذلك نعرض عليكم أن نخفض أسلحتنا طواعية إلى نسبة ٣٥٪» بينما يصرح الطرف الآخر معارضًا: «سنشن الحرب في وقت ما عندما نشعر بالرغبة في ذلك». مستحيل! لا يمكن الحفاظ على استمرار تلك الاتفاقية، إلا إذا تعهد الشعبان بعدم شن الحرب على بعضهما أبدًا مرةً أخرى. إن ألمانيا لديها تلك الرغبة، ونتمنى أن يشاركنا فيها غالبية الشعب البريطاني.

مرة أخرى لم أقف عند هذا الحد، بل واصلت العمل. فعقب عودة «سارلاند» مباشرةً لألمانيا من خلال استفتاء عام، وجهت ناظري نحو فرنسا، وأخبرتها أننا أصبحنا سواء، وأنه لم يعد بيننا أي فروق، وأنه لم يعد لمشكلة ألزاس - لورين وجود؛ لأننا عملنا بجد على حلها. إنها منطقة حدود، ولم يسأل الأشخاص القاطنون في تلك المنطقة عن رأيهم خلال العقود السابقة، ولكن لدينا انطباع بأن سكان تلك المنطقة؛ سيكونون الأكثر سعادة، إذا انتهت جميع الصراعات على منطقتهم. إننا لا نرغب في الحرب مع فرنسا، ولا نريد شيئًا من فرنسا، لا نريد شيئًا على الإطلاق! وفور أن عادت ولاية «سارلاند» إلى الرايخ - ويرجع الفضل في ذلك لنزاهة فرنسا في تفهم الاتفاقيات والتي يجب أن أعرب لها عن شكري - أعلنت بوقار وإجلال: الآن تم حل جميع النزاعات على الأمور الإقليمية بين فرنسا وألمانيا. لا أرى أي خلافات بيننا اليوم، فلم يعد هناك سوى شعبين عظيمين يرغبان في أن يعملا ويعيشا معًا في سلام، وستكون معيشتهما أفضل بمجرد أن يعملا معًا.

بعد هذا البيان غير المسبوق والذي كان إلقاؤه أمرًا محتومًا، تحولت إلى مشكلة أخرى، مشكلة أيسر في حلها من الأخريات؛ نظرًا لوجود معتقد فلسفي مشترك يسهل التفاهم المتبادل فيما بين الدولتين، ألا وهو العلاقة بين ألمانيا وإيطاليا. بالطبع، إن حل تلك المشكلة إنجازي

بشكل جزئي فقط؛ لأن الجزء الآخر إنجاز الشخص العظيم الذي يشرف الشعب الإيطالي بأنه رئيسه.

لقد تجاوزت العلاقة بين ألمانيا وإيطاليا الحدود الاقتصادية والسياسية، منذ أمد بعيد، فبعد أن تم التوصل للعديد من الاتفاقيات، وتم تكوين العديد من التحالفات، تحولت تلك العلاقة إلى صداقة من القلب، فقد كون شعبان لديهما فلسفة وأهداف وسياسات مشتركة - علاقة صداقة وحلفًا تتحدى قوته الانفصال. ومراعاةً أيضًا لمسؤوليتي تجاه أبناء وطني هنا، فقد اتخذت إجراءً حاسمًا ونهائيًا، فقد قمت بحل مشكلة كبيرة، والتي لن يكون لها وجود من الآن فصاعدًا، ولا يهم إلى أي مدى قد يكون ذلك قاسيًا على الفرد؛ فالمصلحة العامة للشعب مقدمة على مصلحتنا جميعًا كأفراد، وهذه المصلحة تقتضي أن نكون قادرين على العمل في سلام، وهذا العمل في خدمة السلام، يا أبناء شعبي العزيز، هذه ليست مجرد عبارات طنانة عديمة الجدوى، ولكن هذا العمل تدعمه حقائق لا يمكن أن ينكرها أي شخص، مهما كان.

ولم يبقَ سوى مشكلتين تحتاجان إلى حل، وعلى الرغم من ذلك، فلدي هنا بعض التحفظات، فقد وجد ١٠ ملايين ألماني أنفسهم خارج حدود الرايخ في منطقتين رئيسيتين من المستوطنة، وكان هؤلاء الألمان يتوقون إلى العودة إلى وطنهم. إن ١٠ ملايين ليس بالعدد القليل الذي يمكن إهماله، ففي فرنسا، تمثل العشرة ملايين ربع إجمالي عدد السكان.

ونظرًا لأنه لأكثر من ٤٠ سنة لم تتخلَّ فرنسا عن المطالبة بملايين قليلة من الفرنسيين، كانوا موجودين في منطقة ألزاس - لورين آنذاك، فأمام الله والعالم، لدينا أيضًا الحق في مواصلة المطالبة بعودة العشرة ملايين ألماني هؤلاء إلى الرايخ.

أبناء شعبي العزيز، لقد بلغ رفقي وتساهلي منتهاهما، فالمزيد من التساهل أو الرفق من جانبي سيؤول على أنه ضعف شديد، ولن يذكرني التاريخ الألماني بخير إذا تخليت ببساطة عن هؤلاء الألمان، وتركتهم لقدرهم المجهول، علاوة على أنه لن يكون لدي الشرعية الأخلاقية، لأكون حاكم هذا الشعب العظيم. لقد قدمت العديد من التضحيات، وأبديت الكثير من السيطرة على النفس، والآن وصلت إلى النقطة التي عجزت عندها عن الاستمرار، فالاستفتاء العام في

أستراليا أثبت أني مصيب، وتلا ذلك اعتراف أكثر حماسة، وهو اعتراف لم يتوقعه سائر العالم بالتأكيد. ألم نشهد مرة بعد أخرى كيف أصبح الديمقراطيون ينظرون للاستفتاءات العامة على أنها غير ذات جدوى، وأنها تضر بقضيتهم متى جاءت نتائجها مخالفة لأهوائهم؟ وعلى الرغم من ذلك كله، فقد تم حل المشكلة لصالح الشعب الألماني العظيم.

والآن تواجهنا المشكلة الأخيرة التي يجب أن نحلها وسوف نقوم بحلها. وهذه المشكلة هي المطلب الإقليمي الأخير الذي سأطلبه من أوربا، وهو مطلب لن أتنازل عنه بأي حال من الأحوال، وسأتأكد من تحقيقه بمساعدة الله. يرجع تاريخ تلك المشكلة لعام ١٩١٨، فمن منطلق «حق الأمم في تقرير مصيرها»، تم تقسيم أوربا الوسطى؛ حيث بدأ من يطلق عليهم الساسة أو رجال الدولة، في إعادة رسم الساحة السياسية، وتكونت ولايات جديدة بشكل اعتباطي في أوربا الوسطى، بتجاهل تام لأصول شعوبها أو رغباتهم القومية أو ضرورياتهم الاقتصادية. ولهذه العملية، تدين تشيكوسلوفاكيا بوجودها.

بدأت دولة التشيك بكذبة، وكان صاحب هذه الكذبة رجلاً يدعى «بينيش». فقد ظهر «بينيش» في هذا الوقت في «فرساي»، وادعى وجود دولة تشيكوسلوفاكية فيما مضى، وقد اضطر إلى اختلاق هذه الكذبة؛ كي يضفي على رجال دولته - رغم قلة عددهم - المزيد من الأهمية والتأثير، وفي هذا الوقت، لم ترَ القوى الأنجلو - سكسونية الشهيرة، بافتقارها الشديد إلى المعلومات المتعلقة بالأمور الجغرافية، وتلك الخاصة بالشعب - ضرورة في استقصاء مدى صحة أو كذب ادعاء السيد «بينيش»، وإن كانوا فعلوا ذلك لكانوا بالتأكيد سيدركون أنه لم تكن هناك دولة تشيكوسلوفاكية من قبل، وأن الحقيقة المؤكدة هي وجود الشعبين التشيكي والسلوفاكي، وأن الشعب السلوفاكي ليس لديه إلا رغبة قليلة في أن يكون مع الشعب التشيكي... وفي النهاية، نشكر جهود السيد «بينيش»، فلقد ضمت التشيك نتيجة لكذبته تلك دولة سلوفاكيا.

ونظرًا لما كان يبدو من عدم إمكانية استمرار ونجاح مثل هذا الكيان، فقد ضم السيد «بينيش» إليه ببساطة ثلاثة ملايين ونصف ألماني منتهكًا حقهم في تقرير مصيرهم، ورغبتهم في

تحديد أقدارهم بأنفسهم، وعلى الرغم من كل ذلك، فلم يكن هذا العدد كافيًا. ولذلك، ضم أيضًا أكثر من مليون مواطن مجري، ومليون روسي وأخيرًا مئات الآلاف من البولنديين.

وهذه هي الدولة التي أطلقت على نفسها فيما بعد «تشيكوسلوفاكيا». وقد تكونت متعارضة مع إرادة الأمم ورغباتها، ومنتهكةً لحقوق تلك الأمم في تقرير مصيرها. وأنا أتحدث إليكم الآن أشفق على مصير جميع هؤلاء الأشخاص الذين يعانون من الظلم والقمع؛ أشفق على أبناء الشعب السلوفاكي والبولندي والمجري والأوكراني، وعلى الرغم من ذلك، فأنا لا أستطيع إلا أن أكون الصوت المدافع عن أبناء بلدي ومصيرهم فقط.

وبينما كان السيد «بينيش» مشغولاً ببناء تلك الدولة على أساس من الأكاذيب، والحقيقة أنه قد وعد ببنائها، على طراز الكانتونات السويسري، فقد كان هناك مجموعة من رجال الدولة الديمقراطيين الذين كانوا يمثلون مصدر إزعاج بالنسبة له، ويذكرونه بعذاب الضمير، ونعلم جميعًا كيف حل السيد «بينيش» مشكلة الكانتونات تلك، فقد وضع نظام حكم أساسه الإرهاب والذعر. ومنذ فترة طويلة، حاول الألمان الاحتجاج على الانتهاك السافر لحقوقهم. ونتيجة لذلك، بدأت سريعًا عمليات إعدامهم. ومنذ ذلك الوقت، تم شن حرب لإبادة الألمان الموجودين هناك. وخلال تلك السنوات من التنمية السلمية لدولة «تشيكوسلوفاكيا»، غادر حوالي ٦٠٠ ألف ألماني منازلهم هناك، وكان سبب ذلك بسيطًا وواضحًا للغاية؛ ألا وهو أنهم كانوا سيموتون جوعًا إذا استمروا في الإقامة فيها.

ويدل سير الأحداث منذ عام ١٩١٨ على شيء واحد فقط؛ ألا وهو أن السيد «بينيش» كان عازمًا على إبادة العنصر الألماني ببطء، وقد نجح في ذلك إلى حد ما، فقد جعل عددًا لا يحصى من الألمان يعاني من حالة لا توصف من البؤس والشقاء واليأس، وخطط لجعل الخوف والجبن ملازمين لملايين الألمان، وقد أدار حملة متواصلة من الإرهاب، عمل خلالها على إسكات هؤلاء الملايين، وفي الوقت نفسه، لم يترك أي شك في الهدف الأساسي من تكوين هذه الدولة، فلم تكن تبذل إلا جهود قليلة لإخفاء حقيقة أن هذه الدولة تستخدم ضد ألمانيا، وقد عبر عن ذلك رجل واحد يدعى «بيير كوت» - وزير الطيران الفرنسي - حيث قال صراحةً: «نحن نحتاج

لهذه الدولة لنستخدمها كقاعدة نقوم من خلالها بتدمير الاقتصاد الألماني والصناعة الألمانية بالقنابل بسهولة أكبر». والآن تستخدم البلشفية هذه الدولة كوسيلة دخول لأوربا الوسطى، فنحن لم نسعَ لتكوين علاقات مع البلشفية؛ ولكن البلشفية هي التي استخدمت هذه الدولة كمدخل لأوربا الوسطى.

وفي تلك اللحظة، كنا شهودًا على ما تفعله تشيكوسلوفاكيا، من صفاقة شديدة لا يمكن تخيلها. فهذه الدولة، التي تعتمد على أقلية كدعامة لنظام حكمها، تكره الأفراد المنتمين لجنسيات أخرى على المشاركة في سياسة ستجبرهم على إطلاق النار، على إخوانهم في يوم من الأيام. ذلك حيث يقول السيد «بينيش» للألمان: «إذا شننت الحرب على ألمانيا، فيجب عليكم إطلاق النار على الألمان، وإذا لم تكن لديكم الرغبة في ذلك، ستكونون خونة، وسأكون مجبرًا على قتلكم رميًا بالرصاص». وقد طلب السيد «بينيش» الأمر نفسه من المجريين والبولنديين، وطلب من الشعب السلوفاكي أن يدافع عن سياسات لا تتعلق بالموقف السلوفاكي على الإطلاق. إن الشعب السلوفاكي يرغب في العيش في سلام وليس لديه أية رغبة في الدخول في مجازفات، وعلى الرغم من ذلك، فقد صور السيد «بينيش» هؤلاء الأشخاص إما كخائنين لدولتهم، أو كخائنين لقضية شعبهم. وإما أن يوافقوا على إطلاق النار على أبناء بلدهم ويخونوا شعبهم، أو سيقول لهم السيد «بينيش»: «أنتم خائنون لدولتكم، ولذلك سأقتلكم رميًا بالرصاص». هل يمكنكم أن تتخيلوا صفاقة أكبر من أن يطلب من الأشخاص أن يطلقوا الرصاص على أبناء وطنهم، إذا سنحت لهم الفرصة لذلك؟ وكل ذلك نتيجة لأن هناك نظام حكم إجراميًّا وفاسدًا ومثيرًا للاشمئزاز يطلب منهم ذلك؟ دعوني أؤكد لكم أننا عندما قمنا باحتلال النمسا، كان أول أمر أصدرته أنه لا حاجة لنا - وليس مسموحًا - أن يخدم أي من أبناء الشعب التشيكي في الجيش الألماني، فأنا لا أريد أن أجعلهم جزءًا من الجيش.

أيًا كان من يعارض السيد «بينيش»، فسيتم إسكاته من خلال تطبيق الضغط الاقتصادي عليه، وهذه حقيقة لا يمكن أن ينكرها هؤلاء الديمقراطيون والداعون لعالم أفضل، ففي دولة السيد «بينيش» هذه، كانت العواقب بالنسبة للجنسيات الأخرى مروعة ورهيبة. وهنا،

سأخص الشعب الألماني بالحديث، ووسط هؤلاء، نسبة الوفيات بين الأطفال هي الأعلى، وقلة الذرية هي السائدة بين قبائل الشعب الألماني، علاوة على زيادة نسبة البطالة بينهم بشدة. إلى متى سيستمر ذلك؟ طوال فترة عشرين عامًا، كان الألمان في تشيكوسلوفاكيا والشعب الألماني في الرايخ مجبرين على مشاهدة ما يحدث، دون أن يحركوا ساكنًا. ولم يكن السبب في ذلك أنهم راضون عما آلت إليه الأوضاع، فالأمر ليس كذلك. لقد فعلوا ذلك؛ لأنهم ضعفاء وعاجزون عن مواجهة معذبيهم، ولأنهم يشعرون بأنهم وحدهم في هذا العالم المتشدق بالعبارات الطنانة عن الديمقراطية. نعم، إذا كان هناك خائن حبيس هنا أو شخص ما تحت مراقبتنا، فإن الإنجليز والأمريكان سيجن جنونهم وستثور ثائرتهم، وسيكون الحال كذلك بالنسبة لجميع الديمقراطيين على مستوى العالم، والذين لم يحركوا ساكنًا أو يتفوهوا بكلمة، عندما تم إقصاء مئات الآلاف من الأشخاص عن أوطانهم، أو عندما تم إلقاء عشرات الآلاف من الأشخاص في السجن أو عندما تم قتل الآلاف. لقد تعلمنا درسًا عظيمًا خلال هذه الأعوام الماضية، والآن لا نحمل لهم بداخلنا سوى مشاعر الازدراء والاحتقار.

نحن نرى فحسب قوة عظيمة في أوربا يتزعمها شخص واحد، يعي بأس الشعب الألماني ويشعر به. إنه صديقي العظيم، أعتقد أنه يمكنني أن أدعوه بذلك، «بينيتو موسوليني». إننا لن ننسى ما حيينا ما فعله من أجلنا في تلك الأيام العصيبة، وكذلك مساندة الشعب الإيطالي لنا. وإذا احتاجتنا إيطاليا في يوم من الأيام، فسأقف أمام الشعب الألماني، وأطالبه بأن يساندها كما فعلت معنا. وآنذاك، أيضًا، لن يكون هناك دولتان تدافعان عن نفسيهما، وإنما سيكون هناك كيان واحد يدافع عن نفسه.

في خطابي أمام الرايخستاج في ٢٠ فبراير هذا العام، أكدت على ضرورة تغيير حياة الألمان الذين يعيشون خارج حدود الرايخ، وفي الواقع، لقد غير السيد «بينيش» حياتهم بالفعل بعد ذلك، فقد شن عليهم حملة أكثر ظلمًا وقمعًا، وأرهب الأقلية الألمانية، على نحو يفوق ما كان يفعل من قبل. لقد أعلن عصر التدمير والتحريم ومصادرة الممتلكات وما شابه ذلك، وقد جرت الأمور على هذا المنوال حتى يوم ٢١ مايو. أبناء شعبي العزيز، لا يمكنكم إنكار أننا كنا

مثالاً يحتذى به في الصبر، ولكن ٢١ مايـــو كان يومًا لا يحتمل. لقد كررت تاريخه لفترة طويلة في اجتماعات حزب الرايخ. وأخيرًا، كان يجب أن يكون هناك استفتاء عام في تشيكوسلوفاكيا، استفتاء ما كان ليؤجل أكثر من ذلك.

لقد فكر السـيد «بينيش» في طريقة يرهب بها الألمان الموجودين في تشيكوسـلوفاكيا، فقام بالاحتلال العســكري للمناطق المعنية، وقد خطط للإبقاء على هذا الاحتلال العسكري آملاً أنه لن يجد من يقف في وجهه، طالما أن أتباعه يلتفون حوله. لقد كانت الكذبة الخاصة بيوم ٢١ مايو حقيرة لا تصدق، حيث تم ادعاء أن ألمانيا حشدت جيشها في ذلك اليوم، وكان الهدف من تلك الكذبة إخفاء حقيقة أن التشيك هي التي حشدت جيشها.

وأنتم تعلمون جميعًا ما حدث بعد ذلك؛ حملة دولية قاسـية. لم تسـتدعِ ألمانيا رجلاً واحدًا، حتى إنها لم تفكر في حل تلك المشـكلة عسكريًا، وكنت أعلل نفسي - حتى اللحظة الأخيرة - بأن الشـعب التشيكي سيدرك أن هذا الطغيان لا يمكن أن يستمر أكثر من ذلك، ولكن السيد «بينيش» لا يزال مقتنعًا بقدرته - بمساندة فرنسا وبريطانيا العظمى - على فعل أي شيء يرغبه بألمانيا. ماذا يمكن أن يحدث له؟ على أية حال، يمكنه اللجوء إلى الاتحاد السوفيتي، إذا لم تنجح خططه. لذلك، كان متحمسًـا في رد فعله تجاه جميع ما يخالف رغباتـه، فقد كان يأمر أعوانه: اقتلوهم، اسـجنوهم، تحفظوا عليهم. وبعد ذلك، أعلنت مطلبـي في «نورينبرج»؛ لأول مرة أطالب صراحةً، الآن بعد عشرين عامًا من التعهد الذي أخذه الرئيس ويلسـون على نفسـه، بأن يكون الحق في تقرير المصير حقيقة بالنسـبة لهؤلاء الثلاثة ملايين ونصف ألماني، واستجاب السـيد «بينيش» مرة أخرى بطريقته المعهودة: المزيد من القتلى والمزيد من السجناء والمزيد من المحتجزين، ونتيجة لذلك كله كان الألمان مجبرين على الفرار.

وهنا جاء دور إنجلترا. لقد كنت صريحًا تمامًا مع السـيد «تشامبرلن» في حديثنا عما اعتبرناه الحل الوحيد الممكن والمعقول لتلك المشـكلة، فأنا أعلم أن جميع الجنسيات الأخرى لا ترغب في أن تظل مع السيد «بينيش» في تشيكوسلوفاكيا.

وعلى الرغم من ذلك، فأنا أتحدث عن الألمان فحسب، ومن أجلهم تحدثت وأكدت على أنني لم أعد أرغب في أن أقف مكتوف اليدين دون تدخل، بينما يستمر هذا المعتوه في اعتقاد أنه قادر على إساءة معاملة ثلاثة ملايين شخص ونصف، وهو يجلس هناك في مدينة «براج».

لم يعد عندي أي شك في حقيقة أن صبر ألمانيا بلغ منتهاه. لم أترك أي شك في أنه على الرغم من أن الصبر الشديد وقوة تحمل الوقوع تحت وطأة ظروف قاسية لفترة طويلة هي سمات نتميز بها نحن الألمان، فبمجرد أن ينفد صبرنا، تكون تلك هي النهاية! وأخيرًا، طالبت إنجلترا وفرنسا تشيكوسلوفاكيا بتنفيذ الحل الوحيد الممكن لتلك المشكلة، والذي ناقشته مع السيد «تشامبرلن»، ألا وهو تحرير المناطق الألمانية، وتسليمها إلى الرايخ.

واليوم لدينا معلومات عن الحلول التي درسها السيد «بينيش»، في ذلك الوقت للخروج من هذا الموقف.

مصطدمًا بإعلان فرنسا وألمانيا عن نيتهما فصل نفسيهما عن أي شيء يحدث لتشيكوسلوفاكيا، إذا لم يتغير مصير الثلاثة ملايين ونصف ألماني، ولم يتم تسليم تلك المناطق للرايخ، لم يجد السيد «بينيش» مخرجًا آخر. لذلك، فقد أصدر أوامره بتحرير هذه المناطق، وعلى الرغم من تصريحه بذلك، فماذا فعل؟ لم يتخلَّ عن تلك المناطق، بل بالأحرى يقوم الآن بإجلاء الألمان عنها، وهنا انكشفت حيلته للجميع، فما كاد السيد «بينيش» ينهي تصريحاته؛ حتى شن الجيش حملة ظلم وقمع أخرى، والاختلاف الوحيد في هذه الحملة أنها مكثفة بشكل أكبر، علاوة على أنها أشد وطأة من سابقتها، وكانت نتيجة هذه الحملة أرقامًا رهيبة؛ كان هناك في اليوم الأول حوالي ١٠ آلاف لاجئ، واليوم الثاني ٢٠ ألفًا والثالث ٣٧ ألفًا والرابع ٤١ ألفًا، ثم ٦٢ ألفًا وبعدها ٧٨ ألفًا، ثم بلغ العدد ٩٠ ألفًا ثم ١٠٧ آلاف، ثم ١٣٧ ألفًا، والآن وصل إلى ٢١٤ ألف لاجئ. وتم إخلاء المناطق موضع النزاع بأكملها من سكانها، وتم تدمير القرى بالكامل وإجلاء الألمان بالغاز والقنابل اليدوية، وعلى الرغم من ذلك كله، يجلس السيد «بينيش» في «براج»، معتقدًا أنه: «لا يمكن أن يحدث شيء لي، ستساندني إنجلترا وفرنسا دائمًا». والآن، يا أبناء شعبي العزيز، أعتقد أنه قد حان الوقت لإخباره بالحقائق المهمة؛ التي تغيب عن ذهنه.

سيد «بينيش»، لا يمكنك ببساطة إنكار أن الشخص يكون محبًا للسلام بحق، إذا صبر واحتمل المكـوث تحت وطأة مثل هذا الخزي والعار علاوة على مصير يرثى له لمدة ٢٠ سـنة كما فعلنا. عندما يظهر أحد هذا الصبر الطويل، لا يمكنك حقًا أن تتهمه بأنه من دعاة الحرب.

وعلى الرغم من ذلك كله، فقد يكون لدى السيد «بينيش» ٧ ملايين من الشعب التشيكي، ولكننا لدينا هنا ٧٥ مليون ألماني. لقد وضعت مذكرة تحت تصرف الحكومة البريطانية، مذكرة تتضمن العرض الأخير والنهائي؛ الذي يمكن أن تقدمه ألمانيا، ولا تطالب تلك المذكرة بشيء إلا أن يفي السـيد «بينيش» بوعوده التي قطعها بالفعل. إن مضمون تلك المذكرة بسيط للغاية وهو أن أية منطقة يسـكنها ألمان يرغبون في العودة إلى ألمانيا، فهي تخص ألمانيا. ولن ننتظر حتى تأتي السـيد «بينيش» الفرصة لأن يجلي عن تلك المناطـق مليون ألماني أو اثنين؛ إن تلك المناطق يجب أن تعود تحت سيادة ألمانيا الآن وعلى الفور! إن الحد الجغرافي الذي أعدت رسمه، يصور بشكل جيد حقائق توزيع الجماعات العرقية واللغوية في تشيكوسلوفاكيا، خلال العقد المنصرم. إنني أمتلك الآن قوة أكبر بكثير من تلك التي يملكها السـيد «بينيش»، ولا أرغب في إسـاءة استخدامها، وكان ذلك هو السـبب من البداية، في أن أوضح أن أية منطقة ستقع تحت سيادة الرايخ فقط إن كان أغلب سكانها من الألمان.

وأتـرك التعيين النهائي لهذا الحـد الجغرافي لما يقرره أبناء الشـعب الألماني هناك! ولذلك، قررت أن أجري استفتاءً عامًا في المنطقة المعنية.

وبالتالي، لا يمكن لأحد أن يدعي أن ذلك ليس عادلاً، فهذا الاستفتاء سيعقد وفقًا لقوانين ولاية «سارلاند»؛ التي تخص الاستفتاءات العامة.

كنت أرغب دائمًا، ولا أزال أرغب في إجراء استفتاء عام في المنطقة بأكملها إذا كان هناك حاجة إلى ذلك، وعلى الرغم من ذلك، فقد كان السـيد «بينيش» ورفاقه معارضين لتلك الفكرة، وكانوا يرغبون في أن تعقد الاستفتاءات العامة في مناطق بعينها فقط. حسنًا، هنا أظهرت بعض التساهل واللين، بل إني وافقت على أن تقوم لجنة دولية بالإشراف على إجراء الاسـتفتاءات، ولم أقف عند هذا الحد، بل إنني وافقت على أن تقوم لجنة ألمانية – تشيكية برسم هذا الحد الجغرافي الفاصل.

وقد سأل السيد «تشامبرلن» عن إمكانية قيام لجنة دولية بذلك، بدلاً من اللجنة الألمانية – التشيكية، ووافقت أيضًا على ذلك؛ حتى إنني كنت أرغب في سحب قواتنا من المنطقة طوال مدة الاستفتاء. واليوم وافقت حتى على دعوة رابطة المحاربين القدماء البريطانية لهذه المناطق؛ حيث إنها عرضت أن تضمن تطبيق القانون والنظام هناك خلال الفترة الانتقالية، وكنت أرغب في التمادي أكثر من ذلك، وأن تقوم اللجنة الدولية بتحديد المسار النهائي للحد الفاصل بيننا وبين التشيك، وأن تتم مناقشة التفاصيل من خلال لجنة تضم ألمانًا وتشيكيين على السواء.

لا تطالب المذكرة التي قدمتها للحكومة البريطانية سوى بتنفيذ ما وعد به السيد «بينيش»، وتطالب بأقصى الضمانات الدولية لتحقيق ذلك.

والآن، يدعي السيد «بينيش» أن تلك المذكرة تضعه في «موقف جديد» تمامًا، ومم يتألف هذا «الموقف الجديد» في الحقيقة؟ إن الشيء الوحيد الجديد في هذا الموقف هو أن يفي السيد «بينيش» بوعده كنوع من التغيير؛ حيث إنه غير معتاد على ذلك، وهذا هو «الموقف الجديد» تمامًا بالنسبة للسيد «بينيش».

فهذا الرجل لم يفِ بأي من الوعود التي قطعها طوال حياته! والآن للمرة الأولى، سيكون مجبرًا على الوفاء بوعد.

يقول السيد بينيش: «لا يمكننا الانسحاب من المنطقة». بوضوح، إن السيد «بينيش» يعي أن التخلي عن المنطقة يدل ضمنًا على أن الرايخ يفترض ملكيته القانونية للأرض، بينما التشيك تستمر في اغتصابها لتلك الأراضي.

لقد انتهى ذلك الآن! إنني أطالب بأن يتم إجبار السيد «بينيش» بعد عشرين سنة على أن يكون صادقًا وأمينًا. يجب عليه أن يسلمنا تلك المناطق في الأول من أكتوبر.

لقد أعرب السيد «بينيش» عن آماله الأخيرة في العالم، في الوقت الذي لا يبذل هو ورفاقه فيه سوى القليل لإخفائها، فقد صرحوا: «إن أملنا الوحيد أن يسقط «تشامبرلن»، وأن نتخلص من «دلادييه»، وأن يسود الدمار كل مكان». إنهم يضعون آمالهم على الاتحاد السوفيتي، والسيد «بينيش» يعتقد أنه يستطيع أن يتملص من الوفاء بوعوده هذه المرة أيضًا.

كل ما أستطيع أن أقوله في ذلك: «هناك رجلان يقفان في مواجهة أحدهما الآخر. هناك يقف السيد «بينيش» وهنا أقف أنا»، إننا رجلان مختلفان تمامًا. فبينما يرقص السيد «بينيش» على خشبة مسرح العالم ويقصي نفسه عن مسؤولياته، كنت أؤدي جميع واجباتي كجندي ألماني جدير بالاحترام، وعندما أواجه هذا الرجل اليوم، فأنا لست إلا جنديًّا أدافع عن أبناء شعبي الألمان.

ليس لدي الآن سوى القليل لأضيفه، فأنا ممتن للسيد «تشامبرلن» للجهود التي بذلها من أجلنا. لقد أكدت له أن الشعب الألماني لا يرغب شيئًا سوى السلام، وعلى الرغم من ذلك، فقد أخبرته أيضًا أنني لا أستطيع التراجع عن الحدود التي رسمها صبرنا.

لقد أكدت للسيد «تشامبرلن» أيضًا، وأكرر ذلك أمامكم، أنه بمجرد أن يتم حل تلك المشكلة، لن تكون لألمانيا مشكلات إقليمية أخرى في أوربا. ولقد أكدت له أيضًا أنني لن أتعرض لدولة تشيكوسلوفاكيا بأي شكل من الأشكال، بمجرد أن تقوم بحل مشكلاتها الداخلية، وسيحدث ذلك عندما يتعامل أبناء الشعب التشيكي مع الأقليات الأخرى الموجودة هناك، بطريقة سلمية وليس من خلال سبل الاضطهاد والقمع. وأنا أضمن ذلك للسيد «تشامبرلن» العزيز. إننا لا نرغب في وجود أي من أبناء الشعب التشيكي في أراضينا على الإطلاق. وعلى الرغم من ذلك، فأنا أعلن أمام الشعب الألماني أن صبري قد أشرف على النفاد، فيما يتعلق بمشكلة الألمان الموجودين في منطقة «سوديتنلاند». لقد عرضت على السيد «بينيش» أن ينفذ وعوده، والقرار بيده الآن؛ فليجعل ما بيننا حربًا أو ليجعله سلامًا. إنه يمكنه إما أن يقبل عرضي، ويمنح هؤلاء الألمان حريتهم، أو أننا نحن الألمان سنحصل لهم على الحرية بأنفسنا.

يجب أن يعترف العالم أجمع أنني خلال الأعوام الأربعة والنصف التي قضيتها في الحرب، وخلال السنوات الطويلة لحياتي السياسية لم يتهمني أحد أيًّا كان، بأنني جبان لأنني لم أكن يومًا كذلك.

والآن أتقدم شعبي العزيز كأول الجنوده، وليعلم العالم أجمع أن أبناء شعبي يقفون خلفي، وأن هذا الشعب مختلف تمامًا عما كان عليه عام ١٩١٨. ففي ذلك الوقت نجح باحث مضلل، في تسميم أفكار الشعب الألماني بالعبارات الطنانة عن الديمقراطية، فلتعلموا جميعًا أن الشعب الألماني الآن مختلف عن الشعب الألماني عام ١٩١٨، فهذه التعبيرات بالنسبة لنا الآن كلدغات النحل...

سيتعامل الشعب مع رغبتي على أنها رغبته، كما أعتبر مستقبل شعبي ومصيره المحرك لتصرفاتي، والآن نرغب في تعزيز هذه الرغبة المشتركة حتى يمكنها أن تصمد في أوقات الحرب، والتي كنت أتحرك فيها وحدي كجندي بسيط مجهول، وأخطط لأحكم سيطرتي على الرايخ، ولم يكن يساورني شك في تحقيق النجاح المؤكد والانتصار الحاسم. وآنذاك احتشد حولي مجموعة من النساء والرجال الشجعان وشاركوني مسيرتي.

واليوم أناشدكم يا أبناء شعبي العزيز أن تقفوا خلفي وتساندوني رجالاً ونساء. **في هذا الوقت، دعونا نكون صادقين جميعًا في رغبتنا المشتركة، والتي يجب أن تكون أقوى من أي يأس أو خطر يمكن تخيله، وعندما تصير هذه الرغبة كذلك، فستستطيع يومًا ما أن تقهر اليأس والخطر**. لقد اتخذنا قرارنا واعتزمنا الدفاع عن حقوق أبنائنا، وعلى السيد «بينيش» الآن أن يختار.

في هذه اللحظة التاريخية، أتحدث باسم الشعب الألماني بأكمله، وأعلن يا أبناء شعبي أن ألمانيا تساندكم بقوة، وتعمل على تنفيذ أوامركم بإخلاص وطاعة وحماسة. لقد استعاد الشعب الألماني شعوره بالفخر والواجب القومي، وأنا أعلم كيف أعمل وفقًا لذلك.

لن يتكرر أبدًا ما حدث في نوفمبر عام ١٩١٨، وأيًّا كان من يعتمد على تكرار ذلك، فهو واهم ومخطئ في حساباته، فبمجرد أن نستدعي أبناء شعبنا للحرب، سيلبون النداء بكل قوة وصرامة؛ للدفاع عن حياة وشرف أمتهم حتى آخر نفس من أنفاسهم. نقسم لك على ذلك بالله، فساعدنا».

خطبة فرانكلين روزفلت

مناسبة الخطاب:

ألقى الرئيس فرانكلين د. روزفلت، الرئيس الأمريكي رقم ٣٢ للولايات المتحدة الأمريكية، هذا الخطاب الافتتاحي الذي يعد خطابه الأول في إحتفال تنصيبه لتوليه فترة رئاسته الأولى (من ٤ مارس ١٩٣٣ إلى ١٢ إبريل ١٩٤٥). إنه من الخطابات القليلة التي لم تبرح ذاكرة الناس. ويعد هذا الخطاب الأخير من نوعه؛ حيث تم بموجب التعديل العشرين لدستور الولايات المتحدة الأمريكية إلغاء إجراء إلقاء الرئيس الجديد أي خطابات افتتاحية، عند بدء فترة رئاسته.

نبذة عن حياة فرانكلين روزفلت:

اسمه فرانكلين ديلانو روزفلت كان ميلاده في ٣٠ يناير ١٨٨٢، وهو رئيس الولايات المتحدة الأمريكية الثاني والثلاثون، وكان ينتمي إلى الحزب الديمقراطي. شغل فرانكلين روزفلت منصب حاكم على ولاية نيويورك ما بين سنة ١٩٢٩ إلى سنة ١٩٣٢، وتولى روزفلت منصب رئيس الولايات المتحدة من تاريخ ٤ مارس ١٩٣٣ إلى١٢ إبريل ١٩٤٥، وذلك لأنه أعيد انتخابه أربع مرات متتالية، إذ توفي في العام الأول من ولايته الرابعة، وقد صنف من أعظم ثلاثة رؤساء لأمريكا، وقد عاصر الحرب العالمية الثانية؛ حيث قاد الحلفاء إلى النصر على الرغم من شلله، وله مقولة مشهورة هي: «الشيء الوحيد الذي يجب أن نخاف منه هو الخوف نفسه». كانت وفاته في ١٢ إبريل ١٩٤٥.

ألقى فرانكلين ذلك الخطاب موضحًا فيه أزمة الكساد الكبير التي مرت بها الولايات المتحدة الأمريكية في الثلاثينيات، وتداعياتها على شتى طبقات الحياة الاقتصادية والتجارية والصناعية، وعلى الأفراد ومدى استعداده لاتخاذ التدابير المطلوبة لتخطي تلك الأزمة، ولتحسين الوضع الاقتصادي للبلاد، وقد اتسم خطابه بأنه مليء بالتشجيع وإلهاب حماس الشعب وعزيمته، على تحمل الأوضاع العصيبة الراهنة، كما كان باعثًا على التفاؤل وشحذ الهمم للعمل والنشاط.

نص الخطاب:

«أحب أن أبدأ خطابي بإيضاح إدراكي ويقيني من أن المواطنين الأمريكيين يتوقعون أني عند توليتي منصب الرئاسة سأتعامل معهم بصراحة وبقرار يفرضه علي الوضع الحالي لبلدنا وشعبه، وهذا بلا شك دلالة على أنه آن أوان التصريح بالحقيقة، كل الحقيقة، بصراحة وجرأة، فلسنا في حاجة إلى عدم مواجهة الظروف في بلدنا اليوم بصدق. إن هذه الأمة العظيمة سوف

تتحمل هذه المحنة كما ظلت تتحمل أمثالها من قبل، وستبقى وتزدهر. وإذن، بادئ ذي بدء، اسمحوا لي بأن أؤكد إيماني الراسخ بأن **الشيء الوحيد الذي يجب أن نخشاه الخوف نفسه؛ الخوف الذي لا يعرف اسمًا ولا منطقًا ولا مبررًا، والذي يعرقل الجهود اللازمة لتحويل التراجع إلى تقدم**. في كل ساعة مظلمة مرت على أمتنا الحبيبة على مدار تاريخها كانت مؤازرة القيادة التي تتسم بالصراحة والعزم بتفهم الشعب ودعمه لها - الأمر الذي يعد ضروريًا للنصر بصورة بارزة، وأنا متأكد بأن الشعب سيمنح مرة أخرى ذلك الدعم لقيادته التي اختارها في تلك الأيام العصيبة.

ينبغي بمثل تلك الروح والمعنويات من جانبي وجانبك - شعبي العظيم - أن نواجه صعابنا المعتادة، والحمد لله أن هذه الصعاب لم تهاجم سوى العناصر المادية فقط، فلقد انخفضت قيمة السندات والأسهم لمستويات غير معقولة، وارتفعت الضرائب المستدين بها الشعب، وزاد عجز الأفراد عن سداد مستلزماتهم المالية، وواجهت كل الهيئات الحكومية عجزًا خطيرًا في دخولها، وتجمدت كل سبل التبادل المتاحة في تدفقات التجارة وأصاب الشلل كل الشرائح الصناعية، وعجز المزارعون عن تسويق منتجاتهم، وأنفقت آلاف الأسر مدخرات سنوات سابقة عن آخرها.

الأهم من ذلك، ارتفعت نسبة البطالة وكذلك نسبة ذوي الدخول المنخفضة على التساوي، فليس هناك سوى المتفائل الأحمق الذي يمكنه إنكار الحقائق المظلمة الحالية.

لكن مع كل ذلك لم تكن محنتنا بسبب فشل أصاب جوهرنا، فلم ترجع محنتنا إلى تفشي مرض أو انتشار حشرة الجراد، ومقارنةً بالمصائب التي واجهها أسلافنا؛ لأنهم كانوا يؤمنون بقوة بلادهم ولا يهابون شيئًا، فما زال لدينا الكثير مما يستحق شكرنا عليه، فما زالت تجزل علينا الطبيعة عطاياها، وتعمل الجهود البشرية على مضاعفتها، فهناك الكثير من الفرص تنتظرنا في المستقبل لكن استغلالها غير الرشيد يهدرها، وهذا يرجع بشكل أساسي إلى فشل المتحكمين بتبادل سلع البشرية؛ بسبب عنادهم وعدم كفاءتهم أن يقروا بفشلهم، ويتنازلوا عن مناصبهم، وتقف ممارسات تجار العملة عديمي الضمير مدانة أمام محكمة الرأي العام، وترفضها قلوب وعقول الرجال.

بالفعل قد حاول هؤلاء السابقون، ولكن جهودهم لم تأتِ بثمارها المرجوة، وجاءت نمطية وتقليدية مع ظروف غير معتادة، ولم توجههم مواجهتهم لفشل جهود الائتمان فقط إلا لإتاحة إقراض المزيد من الأموال، وعندما ذهب بريق إغراء تحقيق الأرباح الذي يحثون به الأفراد على اتباع تعليمات قيادتهم غير الحكيمة؛ لجؤوا إلى عمليات الإقناع ملتمسين ثقتهم المستعادة. إنهم لم يتمكنوا من الاسترشاد في عملهم سوى بنماذج الحكام الذين يرجعون إلى جيل الباحثين عن الذات، فلم تكن لديهم رؤية، وعندما لا يكون هناك رؤية يضل الأفراد.

لقد تهاوى تجار العملة من عروشهم الرفيعة في معبد الحضارة. قد نعمل الآن على استعادة ذلك المعبد، ورده إلى الحقائق القديمة. يكمن معيار الإصلاح في مدى تطبيقنا للقيم الاجتماعية الأكثر نبلاً، من مجرد سعينا وراء تحقيق أرباح نقدية.

لا تكمن السعادة في مجرد امتلاك ثروات، إنما تكمن في متعة الإنجاز في إثارة الجهد الإبداعي، فلم يعد ينبغي تغافل متعة العمل وتحفيزه الأخلاقي، في خلال السعي المجنون وراء تحقيق الأرباح الفانية، وستستحق تلك الأيام المظلمة تكلفتها التي تحملناها إذا تعلمنا منها أن قدرنا الحقيقي، ليس لأن نبحث عمن يعيننا، ولكن قدرنا أن نعين أنفسنا وشعوبنا.

بجانب الاعتراف بزيف الثروة المالية كمعيار لمدى النجاح، بدأ التخلي عن الاعتقاد الخاطئ بأن المنصب العام أو السياسي رفيع المستوى يتم تقييمه فقط من خلال معايير مدى رفعة المكان والربح الشخصي؛ ولا بد من إنهاء أسلوب العمل الساري في المجالين المصرفي والتجاري الذي يعطي الثقة المقدسة مظهر الخطأ الأناني القاسي، وما يثير العجب أن الثقة تفنى وتتبدد؛ لأنها تترعرع فقط على الأمانة والشرف وقدسية الالتزامات، وعلى الحماية الأمينة وعلى الأداء المتفاني، ودون كل ذلك لا يمكنها أن تزدهر.

مع ذلك، لا يدعو هذا الاتجاه الإصلاحي إلى التغيير في الأخلاقيات فقط؛ فدواء تلك الأمة في العمل والتحرك؛ والتحرك الآن.

تعد مهمتنا الأساسية العظمى هي حث الأفراد على العمل، فتلك المشكلة يمكننا حلها إذا واجهناها بحكمة وبشجاعة، ويمكن تنفيذ ذلك جزئيًا من خلال قيام الحكومة ذاتها ببدء أعمال التوظيف المباشر؛ معاملةً تلك المهمة مثلما تعامل حالة الطوارئ عند الحرب لكن في الوقت نفسه تراعي أن يكون هذا التوظيف خطوة نحو إنجاز المشروعات الأكثر إلحاحًا...

بجانب ذلك، يجب أن ندرك بصراحة تجاوز عدد العاملين في المراكز الصناعية لاحتياجاتها، ومن خلال المشاركة على نطاق وطني في عملية إعادة توزيع؛ يجب محاولة توفير استغلال أفضل للأرض لهؤلاء المناسبين لها. يمكن أيضًا المساعدة في إنجاز المهمة من خلال بذل جهود محددة لرفع قيم المنتجات الزراعية، وبالتالي رفع القدرة على شراء نتاج مدننا. يمكن التأثير في الموقف من خلال منع مأســاة الخسارة المتزايدة في الواقع من خلال حجز البنوك على منازلنا ومزارعنا الصغيرة. يمكن تحســين الموقف أيضًا من خــلال التأكيد على أن تعمــل الفيدرالية والدولة والحكومات المحلية فورًا على طلب تخفيض تكلفتهم بشــكل كبير، سيفيد أيضًا توحيد أنشطة الإصلاح التي غالبًا ما تتشتت وتكون غير اقتصادية وغير متساوية، ومن الممكن أن يفيد أيضًا في الموقف الحالي التخطيط الوطني لكل وســائل النقل والاتصالات وغيرها من المرافق العامة والإشراف عليهــا. هناك طرق عديــدة يمكن إنقاذ الوضع بها لكن لن يفيــد مطلقًا الاكتفاء باستعراضها فقط، فلا بد من العمل على تطبيقها؛ والبدء في ذلك بسرعة.

في النهاية، خلال مسيرة تقدمنا نحو استئناف العمل نحن في حاجة إلى حارسين ضد عودة شرور العهد الســابق؛ لذا علينا المراقبة بحزم لكل الأعمال المصرفية والائتمانية والاستثمارات؛ وعلينا وضع حد للمضاربات بأموال الآخرين، ووضع احتياط لعملة ملائمة ولكن ثابتة.

هناك توجهات أســتعد للبدء بها، فســوف أطالب الكونجرس الجديد في جلســة خاصة بعرض تدابير تفصيلية عن خطة عملهم، وسأبحث عن المساعدة الفورية من دول عديدة،

وذلك من خــلال برنامج عمــل، ونطالب أنفســنا بأن نعيــد النظام إلى منازلنــا وحياتنا وتســيير ميزانية الدخــل. على الرغم من الأهمية الشــديدة التي تتســم بها علاقاتنــا التجارية الدوليــة، فإنها في فترة تتراجــع أهميتها، وتعــد ضرورة ثانوية مقارنة بتأســيس اقتصاد قومي مســتقر، **وأنــا أؤيــد سياســة تحــدي الأولويــات؛ لأنهــا سياســة عملية، ولــن أدخــر جهدًا لاســتعادة تجارتنــا العالميــة، مــن خــلال تعديــلات اقتصاديــة دولية، لكــن الوضــع الخطيــر الداخلــي للبــلاد لا يمكــن إرجــاء التعامــل معــه والعمــل علــى اســتقراره.**

تعد الفكرة الأساسية التي توجه تلك السبل المحددة للتعافي القومي ليست قومية فحسب. إنها، لكونها الاعتبار الأول، حيــث الإصرار على الاعتماد المتبادل بين العناصر المتعددة في كل

أنحاء الولايات المتحدة والإقرار بالتجلي السابق القديم، ودائم الأهمية لروح الريادة الأمريكية. إنها الطريق لتعافي الاقتصاد القومي مـــن محنته. إنها الطريق السريع، والضمان الأقوى لتحمل مراحل التعافي الاقتصادي.

فيما يتعلق بميدان السياسة العالمية، سأكرس هذه الأمة لسياسة الجار الصالح - الجار الذي يحترم نفسه بلا تردد، ولأنه يفعل ذلك، فإنه يحترم حقوق الآخرين - الجار الذي يحترم التزاماته وحرمة اتفاقياته في ومع عالم الجيران.

إذا قرأت الحالة التي يعيشها شعبنا بشكل صحيح، سندرك الآن ما لم ندركه من قبل، حيث مدى اعتمادنا المتبادل على بعضنا البعـــض؛ لدرجة لا يمكننا الأخذ فقط بل ينبغي أن يصاحبه العطـــاء أيضًا؛ لدرجة أنه إذا كنا على طريق التقـــدم، فينبغي أن نتحرك كجيش مدرب، ولديه ولاء ورغبـــة في التضحية لصالح نظام عام، الذي بدونه لن يكون هناك تقدم، ولن تصير هناك قيادة فعالة، وأنا أدرك أننا على اســـتعداد ولدينا الإرادة والعزم، لتقديم أرواحنا وأموالنا فداءً لمثل هذا النظام؛ لأنه السبيل الذي يتيح قيادة تعمل لصالح هدف أكبر.

هذا ما أقترح تقديمه، متعهدًا أننا ســـنلتزم جميعًا بالأهـــداف الأكبر؛ لأن أي التزام مقدس بجانب وحدة الواجب حتى اليوم، فهو يستدعى فقط في وقت الكفاح المسلح.

مع أخذ هذا العهد على نفسي، أفترض بلا تردد أن قيادة هذا الجيش العظيم، من أفراد شعبنا ستكرس إلى هجوم منظم على مشكلات أمتنا الشائعة.

إن التحـــرك بهذا النمط، ونحو هذا الهدف عملي في ظل شـــكل الحكومة التي ورثناها من أجدادنا، فدستورنا بسيط وعملي لدرجة أنه من الممكن دائمًا سداد احتياجات غير معتادة، من خلال عمل تغييرات في مواطن التأكيد والتنظيم، دون فقد شكله الأساسي؛ من أجل هذا أثبت نظامنا الدســـتوري أنه الآلية السياســـية الأكثر تحملاً، التي تعد نتاج العالم الحديث. لقد كانت تلك الآلية ملائمة للتعامل، مع شـــتى الضغوط التي يسببها التوســـع الهائل لأراضي البلاد، ونشوب الحروب الخارجية والمحنة المريرة الداخلية وعلاقاتنا العالمية، من الأشياء التي نطمح

لها أن تكون الميزانية المعتادة للسـلطة التنفيذية والتشريعية كلها ملائمة للوفاء بمهمتنا الملحة، التي لم يسـبق لها مثيل. لكن من الممكن أن أي مطلب أو حاجة إلى تحرك فوري، على نحو غير مسبوق قد يتطلب إلى التحول المؤقت عن الميزانية المعتادة للإجراء العام.

أنا على استعداد بموجب واجبي الدستوري أن أطرح المعايير التي قد تتطلبها أمة تمر بمحنة في وسـط عالم مبتلى، وسأسعى بكل طاقتي ومن خلال نطاق سلطاتي التي يكفلها لي الدستور أن أضـع هذه المعايير، أو تلك المعايير التي قد يتخذها الكونجرس بناءً على خبرته وحكمته في إطار التطبيق بسرعة.

لكن إذا فشـل الكونجرس عن اتخاذ التدابير اللازمة لمواصلة السير في أحد تلك المسارين، وإذا اسـتمرت الحالـة الوطنية الطارئة الحرجـة، فلن أتهرب من الواجبـات الواضحة التي سـتواجهني، سـأطالب الكونجرس بالحصول على الأداة الأخيرة المتبقيـة، لمواجهة الأزمة الحالية؛ ألا وهي السلطة التنفيذية لشن حرب على الحالة الطارئة، وسيكون نطاق تلك السلطة كبيرًا محاكيًا لنطاق السلطة التي كنت سأحصل عليها، في حالة مواجهة حرب مع غزو أجنبي.

بسـبب الثقة التي وضعها منتخبي في، سأعمل على إعادة الشجاعة والتفاني اللازمين لهذه الآونة، ولن أرضى بأقل من ذلك.

إننا نواجه تلك الأيام العصيبة التي تنتظرنا متحلين بدفء شجاعة الوحدة القومية والوعي النقـي للبحث عن المبـادئ الأخلاقية القديمة القيمـة، والرضا التام النابع مـن أداء كبيرنا وصغيرنا، بإخلاص لواجبه نحو بلده، إننا نهدف إلى ضمان حياة قومية مستقرة ومتكاملة.

إننا نثق في مسـتقبل الديمقراطية الأساسية؛ ولم يسبق أن فشل الشعب الأمريكي من قبل، فعند الحاجة، سـجل ذلك الشعب إرادته باتخاذ خطوات جادة وحيوية ومباشرة للخروج من أزمتـه، فلقد طالب بوجود نظام وتوجه في ظل قيادته التي يختارها، ولقد اختارني لأكون أداته الحالية لتنفيذ رغباته وإرادته، ولقد ارتضيت تحمل تلك المسؤولية.

ولتلك الأمة نسـأل الـرب أن يجزل نعماءه عليها، ويحيطنا بعنايتـه، ويوجهنا لما هو خير لنا ولها في الأيام القادمة».

الخطبة الثانية لفرانكلين روزفلت

مناسبة الخطاب:

في ٧ ديسمبر من عام ١٩٤١، شنت الإمبراطورية اليابانية هجومًا مباغتًا على الأسطول الأمريكي القابع في المحيط الهادئ وقاعدته البحرية في ميناء بيرل هاربر بجزر هاواي، الأمر الذي تطلب أن يلقي الرئيس الأمريكي «فرانكلين روزفلت» ذلك الخطاب في ظهر ٨ ديسمبر من عام ١٩٤١ إلى جلسة مشتركة للكونجرس، وهذا أجبر الولايات المتحدة على دخول الحرب العالمية الثانية، وفي خلال ساعة من إلقاء الخطاب، أصدر الكونجرس إعلانًا رسميًا بالحرب على اليابان، وبهذا أجبرت الولايات المتحدة على دخول الحرب العالمية الثانية رسميًا، وهذا الخطاب يعد من أشهر الخطابات السياسية الأمريكية في القرن العشرين، ويتسم الخطاب بأنه موجز لم يستغرق إلقاؤه ما يتعدى ٧ دقائق، ولكن الرئيس أتاح وقتًا أطول له لوصف طبيعة العلاقة التي تربط بين الولايات المتحدة واليابان، وبحثًا عن حل سلمي يقي البلاد من شر الحرب.

نص الخطاب:

«واجهت الولايات المتحدة بالأمس - الموافق ٧ ديسمبر من عام ١٩٤١ - يومًا تاريخيًا سيترك أثرًا في جبين التاريخ، ويذكرها بالعار والخداع التي عانت منهما؛ حيث واجهت بلادنا أمس هجومًا مباغتًا من الأسطول البحري والقوات الجوية التابعة للإمبراطورية اليابانية.

لقد كانت الولايات المتحدة حتى آخر وقت في سلام مع تلك الأمة - وكان سيظل - بناءً على طلبها - هناك حوار مع حكومتها وإمبراطورها؛ تطلعًا من بلدنا في الحفاظ على السلام والهدوء في منطقة المحيط الهادئ. وبالفعل، بعد مرور ساعة من بدء الطائرات اليابانية هجومها وتفجيراتها في جزيرة هاواي الأمريكية، سلم السفير الياباني للولايات المتحدة ومساعده إلى وزير الخارجية ببلدنا ردًا رسميًا على الرسالة الأمريكية الأخيرة، وعلى الرغم من أن هذا الرد يؤكد على أنه يبدو من غير المجدي الاستمرار في المفاوضات الدبلوماسية الحالية، فإنه لا يشمل

أي تهديد أو تلميح بالحرب أو أي هجوم مسلح، وتوضح المسافة بين جزيرة هاواي واليابان أن الهجوم الياباني كان مخططًا له بشكل مسبق وعمدًا منذ أيام عديدة أو حتى أسابيع، وخلال ذلك الوقت، عمدت الحكومة اليابانية على خداع الولايات المتحدة، من خلال البيانات الزائفة وتعبيرها عن آمالها في استمرار السلام بين الدولتين.

لقد أدى الهجوم على جزر هاواي التابعة للولايات المتحدة بالأمس، إلى حدوث أضرار بالغة بين صفوف القوات البحرية والعسكرية الأمريكية، وأشعر بالأسف عندما أخبركم أننا تكبدنا العديد من الخسائر البشرية من جنودنا جراء تلك الهجمات، بالإضافة إلى ذلك، كما تم إغراق السفن الأمريكية بضربها بطربيدات في خارج المياه الإقليمية بين سان فرانسيسكو وهونولولو.

كما شنت بالأمس الحكومة اليابانية هجومًا على ملايا البريطانية.

كما هاجمت القوات اليابانية الليلة الماضية هونج كونج.

كما هاجمت القوات اليابانية الليلة الماضية جوام.

كما هاجمت القوات اليابانية الليلة الماضية الجزر الفلبينية.

كما هاجمت القوات اليابانية الليلة الماضية جزيرة ويك.

في صباح اليوم هاجمت القوات الأمريكية جزيرة ميدواي.

لذلك، فقد بدأت اليابان هجومًا مباغتًا ممتدًّا خلال منطقة المحيط الهادئ، ومن الواضح أن حقائق الأمس واليوم تعلن عن نفسها، لقد كون الشعب الأمريكي بالفعل آراءه، ويستوعب جيدًا التداعيات التي يجب أن يتحملها من أجل حياة أمتنا وأمنها.

باعتباري قائدًا للقوات البحرية والقوات المسلحة، قد أصدرت أوامري باتخاذ كل التدابير للدفاع عن بلادنا، لكن دومًا ستذكر أمتنا الهجوم العنيف الذي شن ضدنا، وعانت منه بلادنا عبر تاريخها».

خطبة
جورج باتن

مناسبة الخطاب:

لقد ألقى الجنرال «جورج إس باتن» هذه الخطبة الشهيرة في الخامس من يونية من عام ١٩٤٤، أمام أفراد وحدات الجيش الثالث الأمريكي، ولقد كانت هذه الخطبة قبل يوم واحد من بدء عمليات الإبرار؛ التي قامت بها قوات الحلفاء لغزو «نورماندي» في شمال فرنسا، وذلك لبدء تحرير المناطق المحتلة في أوربا من قبل قوات المحور، وذلك أثناء الحرب العالمية الثانية. إن الهدف الأساسي من هذه الخطبة تحفيز القوات الأمريكية، بعد أن كثرت الأقاويل حول القوة العسكرية الكبيرة للألمان، وازدياد مشاعر الخوف والقلق بين صفوف القوات الأمريكية.

نص الخطاب:

«أيها الرجال، إن الأقاويل التي تناقلتها بعض المصادر عن عدم رغبة أمريكا في دخول هذه الحرب، وعدم رغبتها في القتال عارية تمامًا من الصحة.

فالأمريكيون طالما أحبوا الحرب. إن كل أمريكي حقيقي يحب الحرب.

نبذة عن حياة جورج باتن:

كان ميلاده في ١١ نوفمبر ١٨٨٥ في سان جابرييل، في ولاية كاليفورنيا، وقد تربى في أسرة ثرية من فرجينيا، لها تاريخ طويل في الخدمة العسكرية، وقد تعلم باتن في أرقى المدارس الابتدائية، قبل قبوله في أكاديمية ويست بوينت العسكرية، وتخرج عام ١٩٠٩ .

وفي الحرب العالمية الأولى كان معاونًا عند نشر القوات الأمريكية في فرنسا خلال الحرب العالمية الأولى، وهناك عين قائدًا لأول وحدة مدرعات أمريكية، كانت مهمتها كسر الجمود الذي كان على جبهات الحرب بسبب حرب الخنادق، ثم تم تكليفه بمهمة الإشراف على مدرسة لتدريب العسكريين في نوفمبر ١٩١٧ في لانجريه، وقد تمت إصابة باتن في خلال الهجوم ميوز-آرجون بجروح طفيفة، وقد نال صليب الخدمة المتميزة للتقدير على شجاعته وبسالته في القتال. وخلال الحرب العالمية الثانية، ونجاح الهجمات الخاطفة التي قام بها سلاح المدرعات الألماني، اتجهت الولايات المتحدة لبناء سلاح المدرعات الخاص بها، وفي يولية ١٩٤٠ تولى باتون قيادة اللواء الأول المدرع الذي تم توسيعه؛ ليصبح فيما بعد الفرقة المدرعة الأولى في إبريل التالي، ثم تولى قيادة مركز التدريب الصحراوي، على طول حدود كاليفورنيا وأريزونا في الفترة ما بين مارس حتى يولية ١٩٤٢؛ حيث وضع مبادئ المدرعات الأمريكية، وقام بتدريب وحدات المدرعات الأمريكية.

ساهم باتن في التخطيط للإنزال الأمريكي في شمال إفريقيا، وقد قاد قوة المهام الغربية بعد العملية الفعلية، وتولى قيادة الفيلق الأمريكي الثاني في مارس ١٩٤٣ وحولها من وحدة منهارة معنويًا، إلى قوة مقاتلة ذات بأس شديد. وفي يولية التالي تولى باتن، وكان قد وصل إلى رتبة جنرال - قيادة الجيش الأمريكي السابع أثناء عملية غزو صقلية، واكتسب هناك شهرة.

إنكم هنا اليوم لثلاثة أسباب. أولاً، إنكم هنا لتدافعوا عن أوطانكم وأحبابكم. ثانيًا، إنكم هنا دفاعًا عن احترامكم لذواتكم لأنكم لا ترغبون في أن تكونوا الآن في أي مكان آخر.

ثالثًا، إنكم هنا لأنكم رجال حقيقيون، والرجل الحقيقي هو من يحب القتال.

عندما كنتم صغارًا، كنتم تبدون جميعًا إعجابكم بأبطال الملاكمة وسباقات الجري، ولاعبي الفرق الفائزة في دوريات الرياضات الشهيرة المختلفة، فالأمريكيون يحبون الرابح، ولا يحتملون الخاسر، فالأمريكيون يحتقرون الجبناء.

الأمريكيون دائمًا يلعبون ليربحوا، إنني أحتقر احتقارًا عميقًا كل خاسر لا يبالي بالخسارة، وهذا ما جعل الأمريكيين لم يخسروا ولن يخسروا أبدًا حربًا قط؛ وذلك لأن مجرد التفكير في الخسارة أمر مكروه بالنسبة للأمريكي.

إنكم لن تموتوا جميعًا في هذه الحرب. فقط اثنان بالمائة منكم سيموتون، وهم يخوضون ببسالة معركة عظيمة. إن الموت شيء يجب ألا تهابوه، فالموت مصير كل الناس في نهاية الأمر.

لأن باتن صفع اثنين من جنوده لاتهامه إياهم بالتمارض والجبن؛ فقد تم حرمانه من الاشتراك في غزو إيطاليا؛ ثم نقل في يناير ١٩٤٤ إلى إنجلترا للمساعدة في غزو نورماندي والإنزال بها، وتمت توليته قيادة بعض الوحدات الثانوية التي كان هدفها إبعاد أنظار الألمان عن نورماندي، حتى يظنوا أن الهجوم الرئيسي من كاليه، ثم تم توليته القيادة الميدانية للجيش الثالث الأمريكي، بعد مضي شهر على الإنزال الناجح في نورماندي. وأثناء قيادته لهذا الجيش ذاع صيته بوصفه أحد أكفأ القادة العسكريين الميدانيين، وفي أغسطس قاد الهجوم الأمريكي في إفرانشيه، انطلاقًا من رأس الشاطئ، وحاصر ما يزيد على ١٠٠ ألف جندي ألماني في فاليه - أرجنتن جاب، وفي ديسمبر ١٩٤٤ قام بقيادة قواته صوب ميتز، ثم حول مسار قواته ٩٠° حين قام الألمان بهجومهم المباغت في الآردين، مهددين المناطق الخلفية للحلفاء. وأوقف التقدم الألماني، ومن إقليم الآردين انطلق صوب ألمانيا مدمرًا الحصون التي رفضت الاستسلام، وعبر نهر الراين عند أوبنهايم، وهزم الألمان في جيب الرور، واندفع صوب بافاريا واخترقها إلى تشيكوسلوفاكيا والنمسا، حيث انتهت الحرب، وختامًا ونتيجة لصراحته وتصريحه بأن على الولايات المتحدة محاربة الشيوعيين آنذاك على أن تحاربهم فيما بعد بالإضافة إلى معاملته اللينة للنازيين السابقين الذين وقعوا في قبضته، فقد كان يعتقد أنه سوف يحتاج إليهم في إعادة بناء ألمانيا بعد الحرب؛ كلفه ذلك منصبه القيادي في الجيش، وعين في منصب غير ذي أهمية نسبية، وكان الحكم العسكري لمقاطعة بافاريا، وبعد انتهاء الحرب تعرض لإصابة في حادث سيارة في ديسمبر ١٩٤٥، ودفن في المقابر الأمريكية في لوكسمبورج إلى جوار الجنود الذين سقطوا أثناء القتال في أوربا.

صحيح أن كل مقاتل يخاف في معركته الأولى الموت، وإذا قال غير ذلك، فهو كاذب. إن بعض الرجال في داخلهم جبناء، ولكنهم يحاربون كما يحارب الرجال الشجعان، أو يتخلصون من جبنهم وهم يشاهدون رجالاً يحاربون، وهم يتملكهم الخوف ذاته الذي يتملكهم.

إن البطل الحق هو الرجل الذي يقاتل حتى إذا كان الخوف يتملكه.

إن بعض الناس يتغلبون على خوفهم بعد دقيقة واحدة من الدخول في المعركة، ويحتاج البعض الآخر إلى ساعة وربما إلى أيام، ولكن الرجل الحقيقي هو الذي لا يدع خوفه من الموت يقضي على شرفه، ويتغلب على إحساسه بواجبه تجاه بلده وإحساسه برجولته. إن المعركة هي أشرف صراع يمكن لأي إنسان أن يدخله، فهي تخرج أفضل ما عنده وتخلصه من أسوأ ما لديه. إن الأمريكيين يفتخرون بأنهم رجال حقيقيون، وهم بالفعل رجال حقيقيون.

تذكروا أن العدو يتملكه الخوف نفسه الذي لديكم، وربما أكثر، فهم ليسوا رجالاً فوق العادة.

في خلال حياتكم العسكرية، كنتم تشكون من التدريبات العسكرية الروتينية المملة. إنها - شأن كل شيء في الجيش - لها غرض محدد، وهذا الغرض هو اليقظة. إن اليقظة يجب أن توجد داخل كل جندي. أنا لا أبالي بأي رجل غير يقظ، وغير مستعد دائمًا لأية مواجهة. أيها الرجال، إنكم عسكريون مخضرمون، وإلا فلن تكونوا الآن في هذا المكان، إنكم مستعدون لما هو قادم، والرجل يجب أن يكون يقظًا وحذرًا في كل وقت، إذا أراد أن يبقى حيًّا، فإذا لم تكونوا حذرين حتى لبعض الوقت، فسيتسلل الألمان الحقراء من ورائكم ويقتلونكم دون رحمة.

هناك ٤ آلاف قبر في مكان مميز في «صقلية»، كلها لجنود قتلوا لأن واحدًا منهم نام أثناء الخدمة، ولكن هذه القبور لجنود ألمان أوغاد استطعنا استغلال غفلة أحدهم للقضاء عليهم جميعًا.

إن الجيش عبارة عن فريق، فهو يعيش وينام ويأكل ويحارب كفريق. إن الحديث عن الأعمال البطولية الفردية ليس إلا ضربًا من الهراء، فالحمقى الذين كتبوا عن أهمية هذا الأمر في

جريدة «ساترداي إيفنينج بوست» معلوماتهم عن مغازلة عشيقاتهم أكثر بكثير من معلوماتهم عن القتال الحقيقي في المعركة، فجيشـنا لديه أفضل طعام وأحدث معدات وأعلى روح معنوية وأفضل محاربين في العالم. والله إنني لأشفق على حال هؤلاء الأنذال الجبناء الذين سنقابلهم في الحرب.

أيها الرجال، لا تستسـلموا أبدًا، ولا أريد أن أسـمع أن أي جندي تحت إمرتي قد أسر إلا إذا تعرض لإصابة، وحتى إذا تعرضتم للإصابة، فما زال بإمكانكم المقاومة. إن نوعية الرجال الذين أريدهم أن يكونوا تحت إمرتي يجب أن يكونوا مثل الملازم الذي كان يخدم في ليبيا، والذي كان أحد الجنود الألمان يصوب ناحية صدره أحد مسدسات «لوجر»، والذي قام بخلع خوذته بإحدى يديه، وباليد الأخرى اسـتطاع أن يوقع المسدس من يد الجندي الألماني، ثم انهال عليه ضربًا بخوذته حتى قضى عليه، ثم قفز على المسـدس واستحوذ عليه وقتل به جنديًّا ألمانيًّا آخر قبل أن يتم إنقاذه. إن هذا الرجل طـوال هذا الوقت كان مصابًا بطلق ناري بإحدى رئتيه. إن هذا بالفعل هو الرجل الحقيقي!

إن كل الأبطال الحقيقيين ليسوا المحاربين الخياليين الذين تقرأون عنهم في الكتب، فكل فرد في هذا الجيش يلعب دورًا حيويًّا، فلا تجعلوا عزيمتكم تخور أبدًا، ولا تعتقدوا يومًا أن دور أي منكم غير مهم، فكل رجل منكم له مهمة يقوم بها، ويجب أن يقوم بها، فكل منكم حلقة مهمة في إطار السلسلة الكبيرة.

ماذا لو قرر أحد قائدي العربات العسـكرية فجأة أنه يزعجه صوت القذائف، التي تنطلق حوله، وجبن وتراجع مختبئًـا بأحد الخنادق؟ قد يقول هذا الجبان الحقير: «تبًّا، لن يلاحظوني؛ فأنا مجرد رجل واحـد ضمن آلاف»، ولكن ماذا لو فكر كل الجنود بهذه الطريقة؟ عندئذ، أين كنا سنكون الآن؟ وما الشكل الذي تكون عليه بلدنا وأحباؤنا وبيوتنا وحتى العالم؟

لا، لعنك الله! الأمريكيـون لا يفكرون بهذه الطريقة، فكل رجل منهم يقوم بواجبه، وكل رجل منهم يخدم الجميع، وكل سلاح وكل وحدة مهمة في إطار الخطة العامة لهذه الحرب.

فأفراد سلاح الأسلحة والذخيرة مهمون؛ لأنهم يمدون جيشنا بالأسلحة والمعدات العسكرية اللازمة، لاستمرارنا بكفاءة في مسيرة الحرب، وهناك حاجة لسلاح الإمداد والتموين، كي يحضر لنا الطعام والملابس، لأن المناطق التي سنذهب إليها لا يوجد بها ما يمكننا الاستيلاء عليه، وحتى كل مجند جديد يعمل في المطبخ الخاص بالجيش له مهمة عليه أن يؤديها، وحتى هذا الذي يقوم بتسخين المياه من أجلنا.

لا يجب أن يفكر كل رجل منا في نفسه فقط، ولكن أيضًا في زميله الذي يحارب بجواره. إننا لا نريد جبناء أخساء في جيشنا، فهؤلاء يجب أن يتم التخلص منهم جميعًا كالفئران، وإذا لم يتم هذا، فإنهم سيعودون إلى بيوتهم بعد هذه الحرب ويلدون مزيدًا من الجبناء، سيلد الرجال الشجعان المزيد من الرجال الشجعان. تخلصوا من الجبناء الوضعاء، وستكون لدينا أمة من الرجال الشجعان.

إن من أشهر الرجال الذين شاهدتهم في حياتي أحد الجنود الذي رأيته بأعلى عمود هاتف، في وسط تبادل كثيف لإطلاق النار في تونس. توقفت وسألته عما يفعل بأعلى العمود في وقت كهذا. أجابني: «إنني أصلح السلك، سيدي». سألته: «أليس ما تقوم به غير مناسب الآن وأمرًا محفوفًا بالمخاطر؟» رد قائلاً: «بلى، سيدي، ولكن يجب إصلاح هذا السلك اللعين». سألته: «ألا تزعجك تلك الطائرات التي تطلق قذائفها على الطريق؟» أجاب: «نعم سيدي، ولكن علي القيام بواجبي». هذا رجل بمعنى الكلمة، فهو جندي بمعنى الكلمة. لدينا هنا رجل وهب كل ما يملك من أجل القيام بواجبه، بغض النظر عن مدى عدم الأهمية الظاهرية لما يقوم به من عمل في هذا الوقت، وبغض النظر عن النتائج المترتبة عما يقوم به.

لقد كان يجب أن تروا العربات العسكرية التي كانت في طريقها لتونس، لقد كان قائدوها رائعين، لقد كانوا يتحركون ذهابًا وإيابًا طوال النهار والليل عبر طرق لعينة، دون توقف ودون انحراف عن مسارهم، وفي ظل قذف لا ينقطع من حولهم طوال الوقت، لقد استطعنا تحقيق ما نريد برغم الصعوبات التي لاقيناها بفضل شجاعتنا. لقد قاد الكثير من هؤلاء الرجال عرباتهم لأكثر من ٤٠ ساعة متتالية، وهؤلاء الرجال لم يكونوا مقاتلين، وإنما كانوا جنودًا هم

مهمة عليهم القيام بها، وقد قاموا بها بالفعل، وفي ظروف صعبة جدًّا. لقد كانوا جزءًا من فريق عمل، وبدون الجهد الجماعي، وبدونهم، كنا سنخسر المعركة، وقد تشبكت معًا كل حلقات السلسلة، حتى أصبحت السلسلة قوية ومتينة لا يمكن أن تفك حلقاتها.

لا تخبروا أحدًا أنني هنا معكم، ولا تذكروا ذلك في أية رسائل، فليس من المفترض أن يعرف العالم أي شيء عن هذا، فأنا ليس من المفترض أن أقود هذا الجيش، أو حتى أن أكون هنا في إنجلترا، اجعلوا أول من يكتشف هذا هم الألمان الأوغاد. يومًا ما، أود أن أراهم وقد أخذهم الذهول وشلتهم المفاجأة وهم يصيحون: «يا إلهي، إنه الجيش الثالث اللعين ثانيةً وهذا الوغد الحقير (باتن)». نريد أن نفاجئهم ونحول ساحة المعركة إلى جحيم يكتوون بناره، وكلما أسرعنا في التخلص من هؤلاء الملاعين، أصبح بإمكاننا التحول إلى اليابانيين الأنذال والقضاء عليهم، وذلك قبل أن تحصل قوات المارينز الأمريكية على الفضل كله وحدهم.

نحن بالتأكيد نريد أن نعود لوطننا، ونريد أن تنتهي هذه الحرب، وأسرع طريقة لتحقيق ذلك هي التخلص من الأوغاد الذين كانوا السبب في هذه الحرب، وكلما أسرعنا في إبادتهم، عدنا أسرع إلى وطننا، وأقصر طريقة للعودة لوطننا هي من خلال غزو برلين وطوكيو؛ وعندما نغزو برلين، أنا شخصيًّا سأقتل هذا الوغد الحقير المدعو «هتلر»، تمامًا كما لو كنت أقتل ثعبانًا!

عندما يختبئ أي جندي في أحد الخنادق، ويبقى هناك طوال اليوم، فإن الألمان سيصلون إليه حتمًا في نهاية الأمر. هذه فكرة وضيعة يجب أن تذهب للجحيم. إن رجالي لا يحفرون خنادق للاختباء، وأنا لا أريدهم أن يقوموا بذلك، إنني أطلب منهم أن يستمروا في الزحف. كذلك، لا تعطوا العدو الفرصة ليحفر خنادق له. نحن سنكسب الحرب، ولكننا سنكسبها فقط بالكفاح، وبأن نثبت للألمان أننا أكثر بسالة منهم.

نحن لن نقتل فقط هؤلاء الملاعين، ولكننا سنمزق أجسادهم إربًا إربًا، ونستخدمها لتشحيم سيور دباباتنا. نحن سنسحق هؤلاء الأنذال الأنجاس دون رحمة، فالحرب عمل دموي لا رحمة فيه. علينا أن نسفك دماءهم وإلا سيسفكون هم دماءنا. اسحقوهم جميعًا ولا تأخذكم بهم شفقة. عندما يجد أحدكم النيران من حوله في كل مكان، ويقوم بمسح التراب

عن وجهه، ويدرك أن هناك بدلاً من التراب دم أحد أفضل رفقائه وأحشــائه الذي كان يقاتل بجواره، فسيعرف ماذا عليه أن يفعل!

أنا لا أقبل بأية رســائل تقول: «إنني أدافع عــن موقعي». إننا لا ندافع عن أي موقع بعينه، دعــوا الألمان هم مــن يقومون بذلك. إن علينا أن نتقدم بشــكل منتظــم ونحن غير مهتمين بالسيطرة على أي شيء، فيما عدا قلوب الألمان التي علينا أن نقتلعها بأيدينا ونمضغها بأسناننا. إن الخطة الأساسية لتحركنا هي التقدم والاستمرار في التقدم بغض النظر عما نلاقيه من العدو. علينا أن ندمره تدميرًا ونجهز عليه، كما يجهز الوحش على فريسته.

من آن لآخر، تثار بعض الشكاوى التي تدعي أننا نقسو على جنودنا في التدريب. أنا لا أعير تلك الشكاوى أية أهمية، فأنا أؤمن بالقاعدة المعروفة والحكيمة التي تقول إن القليل من العرق ومن التدريب يوفر الكثير مــن الدماء. فكلما زاد التدريب، زاد عدد القتلى في صفوف الألمان، وكلــما زاد عدد القتلى في صفوف الألمان، قل عدد القتــلى في صفوفنا، فالتدريب القاسي يعني خسائر بشرية أقل، أريدكم جميعًا أن تتذكروا هذا.

هناك شيء مهم سيكون بإمكانكم أيها الجنود أن تقولوه بعد انتهاء هذه الحرب، وعودتكم إلى وطنكم، ربما يكون كل واحد منكم ممتنًا، بعد مرور ٢٠ عامًا من الآن عندما يكون جالسًــا بالقرب من المدفأة، وحفيده جالس على ركبته ويســأله عما فعلــه في الحرب العالمية الثانية، إنه ليس عليــه أن يفكر كثيرًا وينقل حفيده إلى ركبته الأخرى، قبــل أن يتهرب من الإجابة؛ لأنه يعرف جيدًا أنه لم يســاهم بشيء من أجل نصرة بلده. لا، أيها البطــل، يمكنك النظر في عينيه بجرأة، وأن تقول له: (حفيدي، لقد حــارب جدك مع الجيش الثالث العظيم، تحت إمرة قائد وغد اسمه (جورجي باتن)».

خطبة
المهاتما غاندي

مناسبة الخطاب:

ألقى الزعيم «موهانداس كرمشاند غاندي»، الشهير باسم «المهاتما غاندي» وأحد الساسة والزعماء الروحيين للهند ورائد مقاومة الاستبداد من خلال العصيان المدني الشامل - هذا الخطاب في ٤ فبراير ١٩١٦، عند استجابته لدعوة أحد الرواد السياسيين للنهضة الهندية «بانديت مالفيا» لحضور افتتاح جامعة «بنارس» الهندية، وحرص غاندي على أن يكون خطابه عفويًّا ويتسم بالتلقائية، وأبدى ذلك حين طلب من جمهور الحاضرين أن يسمحوا له بالتفكير معهم بصوت عالٍ والتعبير عما يراوده من أفكار وأحاسيس دون حواجز.

نص الخطاب:

«أود أن أقدم لكم اعتذاري المتواضع عن تأخري عن الوصول في الميعاد المحدد إلى هذا المكان. وبالطبع، سوف تقبلون اعتذاري عندما أخبركم بأن تأخري ليس مسؤوليتي ولا مسؤولية أية وكالة إنسانية أخرى، والحقيقة هي أني كما لو كنت في عرض، ومن يرافقونني بحراستهم المفرطة

نبذة عن حياة المهاتما غاندي:

اسمه موهانداس كرمشاند غاندي ولد في ٢ أكتوبر ١٨٦٩، بلغ منزلة السياسي البارز والزعيم الروحي للهند، وذلك خلال حركة استقلال الهند، حيث كان رائدًا للساتياجراها، وهي فكرة مقاومة الاستبداد من خلال العصيان المدني الشامل، التي تأسست بقوة بعد اللاعنف الكامل، والتي أدت إلى استقلال الهند، وألهمت الكثير من حركات الحقوق المدنية والحرية في جميع أنحاء العالم، وغاندي معروف في جميع أنحاء العالم باسم «المهاتما غاندي»، والمهاتما تعني «الروح العظيمة»، وهو تشريف تم تطبيقه عليه، وأيضًا في الهند يعرف باسم بابو، وبابو أي «الأب»، وتم تشريفه رسميًّا في الهند باعتباره (أبو الأمة)؛ حيث إن عيد ميلاده ٢ أكتوبر يتم الاحتفال به هناك كـ: غاندي جايانتي، وهو عطلة وطنية، وعالميًّا هو اليوم الدولي للاعنف.

قام غاندي باستعمال العصيان المدني اللاعنفي: حينما كان محاميًا مغتربًا في جنوب إفريقيا، في الفترة التي كان خلالها المجتمع الهندي يناضل من أجل الحقوق المدنية. بعد عودته إلى الهند في عام ١٩١٥، قام بتنظيم احتجاجات من قبل الفلاحين والمزارعين والعمال في المناطق الحضرية، ضد ضرائب الأراضي المفرطة والتمييز في المعاملة. بعد توليه قيادة المؤتمر الوطني الهندي في عام ١٩٢١، قاد حملات وطنية لتخفيف حدة الفقر، وزيادة حقوق المرأة، وبناء وئام ديني ووطني، ووضع حد للنبذ، وزيادة الاعتماد على الذات اقتصاديًّا. قبل كل شيء، كان يهدف إلى تحقيق استقلال الهند عن السيطرة الأجنبية. وقد قاد غاندي أيضًا أتباعه في حركة عدم التعاون؛ التي احتجت على فرض بريطانيا ضريبة على الملح في مسيرة ملح داندي عام ١٩٣٠، والتي كانت مسافتها ٤٠٠ كيلومتر. وقد تظاهر

دائمًا ما يغفلون أهمية انضباطي في مواعِيدي؛ وهـي الجزء المهـم في هذه الحيـاة لذلك لم يستعدوا لسلسلة الحوادث التي مررنا بها - أنا وحراسي وحاملِيّ - ومن ثم أدى ذلك إلى تأخري.

ضد بريطانيا لاحقًا للخروج من الهند، وقضى غاندي عدة سنوات في السجن في كل من جنوب إفريقيا والهند.

وعن حياته فقـد عاش غانـدي متواضعًا في مجتمع يعيش على الاكتفاء الذاتي، وكان يرتدي الدوتي والشـال الهنديين التقليديين، وكان ينسـجهما يدويًّـا بالغزل على الشـاركا، وكان يأكل أكلاً نباتيًّا بسـيطًا، وقام بالصيام لفترات طويلة كوسيلة لكل من التنقية الذاتية والاحتجاج الاجتماعـي، وعند الحديث عـن وفاته نجـد أن أفكار غاندي عن احترام حقوق الأقلية المسـلمة لم ترقَ للأغلبية الهندوسية، وقد اعتبرتها بعض الفئات الهندوسية المتعصبة خيانة عظمى؛ فقررت التخلص منه، وفي ٣٠ يناير ١٩٤٨ أطلق أحد الهندوس المتعصبين ويدعى ناثورم جوتسـى ثلاث رصاصات قاتلة؛ سـقط على إثرهـا المهاتما غاندي صريعًا عن عمر يناهز ٧٨ عامًا.

أصدقائي، لو تسـمحون لي، تحت تأثير بلاغة السـيدة «بيسانت» الفريدة التي أنهت للتو خطابها قبـلي، أن أقول لكم لا تصدقوا أن الجامعـة التي قمنا بافتتاحهـا حاليًّا، قد صارت صرحًـا جاهزًا للاسـتخدام، وأن كل هـؤلاء الشـباب الذين سـيحضرون إليها سـيعودون عند انتهائهم من الدراسة بها مواطنـين كاملين، ينتمـون للإمبراطورية البريطانية العظمى. فلا تنجذبوا بشـدة نحو هذا الشعور، وإذا كنتم - أعزائي الطلاب الذين من المفترض أني أوجه إليهم هذا الجزء من خطابي في هذا المسـاء - تعتقدون للحظة أن الحياة الروحيـة التي يتميز بها بلدنا، والذي ليس له منازع فيها، يمكـن أن تنتقل عبر الكلام؛ عفوًا فصدقوني أنكم سـتكونون مخطئين في ذلك الاعتقاد، فلا يمكن أبـدًا من خلال الكلام فقط توصيل الرسـالة التي آمل أن توصلها الهند يومًا إلى العالم أجمع. بالنسـبة لي، فقد مللت كثيرًا الخطابات والمحاضرات، وأسـتثني من ذلك تلك المحاضرات التي تم إلقاؤها خلال اليومين الماضيين هنا لأنها كانـت ضرورية، فأرى -أعزائي الحاضرين- أننا قد وصلنا غالبًا إلى منتهى مواردنا في إلقاء الخطابات؛ فليس كافيًا أن تسـتمتع آذاننا وعيوننا فقط بتلك الخطابات، لكن من المهم أن تستشـعرها قلوبنا وتحركنا للعمل بها، لقد تناولت إحدى الخطب خلال اليومين الماضيين مدى أهمية أن نتحرك بجميع حواسـنا بالتوازي، مع قلوبنـا، إذا كنا ما زلنا نحتفظ

بتمسكنا ببساطة الشخصية الهندية. لكن هذه مجرد مقدمة وتمهيد لخطابي. أود أن أقول إني أشعر بالــذل والمهانة؛ لأني أخاطبكم الليلة، تحت مظلة هــذه الجامعة الهندية العظيمة في تلك المدينة الهندية المقدســة أبناء وطني من الهنود - بلغة أجنبية هي اللغــة الإنجليزية. أعرف أني إذا تم توليتي مسؤولية اختبار كل هؤلاء الذين حضروا خلال هذين اليومين الماضيين تلك السلسلة من المحاضرات، فسوف يرسب معظمهم، والســبب أن تلك المحاضرات لم تلعب على أوتار قلوبهم وتمسها بعمق.

لقد حضرت جلســات حزب المؤتمر الوطني الهندي الحاكم التي عقدها في شهر ديسمبر، وكان هناك أعداد غفيرة من الحاضرين، وإذا أخبرتكم بأن الخطب التي لمست قلوب الحاضرين في بومباي هي تلك الخطب التي تم إلقاؤها باللغة الهندوستانية، فهل ستصدقونني؟ وأحب أن ألفت نظركم إلى أن تلك الخطب كانت في بومباي، وليســت في بنارس، حيث يتحدث الجميع اللغة الهندية الشمالية (التي تتســم بكونها أدبية ورسمية)، ولكن ليس هناك اختلاف كبير بين لهجات ولغات مسؤولي رئاسة بومباي من جانب، واللغة الهندية من جانب آخر، كما هو الحال بين اللغة الإنجليزية واللغة الشــقيقة في الهند، واســتطاع الحاضرون عــلى نحو أفضل متابعة المتحدثين باللغة الهندية، ولدي أمل أن تتمتع تلك الجامعة برؤية جديدة تتمثل في أن الشــباب الذين ســيحضرون إليها ســيتمكنون على نحو أفضل من تلقي تعليمهــم من خلال معلمين يتحدثون اللغات المحليــة الهندية، باختلاف لهجاتها. فلغاتنا هي انعــكاس لهويتنا، وإذا كان بداخلنــا اعتقاد بأن لغتنا الأم فقيرة، ولا تصلــح كأداة للتعبير والإبداع، فيمكن حينها اعتبار أن انتهاء الأمة كلها في أقرب وقت هو الأفضل. هل هناك من يحلم بأن تصير اللغة الإنجليزية هي اللغة الرسمية في الهند؟ فلماذا هناك ذلك العائق المفروض على الأمة؟ فكر للحظة فحسب في قدر الجهد المضاعف الذي ســيتطلب من طلابنا بذله لملاحقة مستوى الطالب الإنجليزي، في تحصيل المعرفة.

لقد أســعدني الحظ بأن هيأ لي الفرصة والمجال للحديث عن كثب مع بعض أساتذة جامعة بونا، وأكدوا لي أن كل شــاب هندي مر من عمره على الأقل ســت سنوات من أزهى سنوات

شبابه خلال سعيه في تحصيل معرفته باللغة الإنجليزية. يمكنكم ضرب عدد هذه السنوات في عدد الطلاب الذين تخرجوا في مدارسنا وجامعتنا، وستكتشفون أن آلاف السنوات من عمر أمتنا، قد أهدرت دون فائدة، وكل ذنبنا أننا لم نبدأ من قبل أية مبادرة، بإعلاء شأن لغتنا الهندية في التعليم، وكيف يمكننا ذلك إذا كنا نكرس أفضل سنوات عمرنا في إجادة لغة أجنبية؟ ولكننا - أيضًا - نخفق في تلك المحاولة، ويمكننا الاستدلال على ذلك إذا فكرنا للحظة هل كان بإمكان أي متحدث بالأمس أو اليوم التأثير في مستمعيه، مثلما كان بإمكان السيد هيجن بوثام؟ ولم يكن ذلك خطأ المتحدثين السابقين، فخطبهم كانت ثرية بالمعلومات والمعارف، ولكنها لم تجد طريقها إلى أذهان وقلوب المستمعين. لقد سمعت من قبل بعضهم؛ يقولون على أية حال إنها الهند ذات التعليم الإنجليزي هي التي ستقود وستفعل كل إنجازات الأمة، وستكون الأمور موحشة إذا كانت غير ذلك. لقد كان التعليم الوحيد الذي نتلقاه هو التعليم الإنجليزي، وبالطبع سنبدي ملامحه في حياتنا. لكن افترض أننا كنا نتلقى تعليمنا خلال الخمسين سنة الماضية، على أيدي معلمين محليين، فماذا كان سيكون حالنا اليوم؟ لو حدث ذلك، لكنا قد تمتعنا بالهند الحرة المستقلة التي تتمتع بشباب متعلم، وليسوا كما لو كانوا أجانب في بلادهم يتحدثون إلى قلب الأمة. لكانوا سيحاولون جاهدين العمل بين أشد الفقراء فقرًا، ومهما كان ما يعود عليهم من نفع خلال تلك الخمسين سنة، فكانوا سينتجون تراثًا للأمة، ولكن حالنا الآن مؤسف؛ فحتى زوجاتنا، شريكات حياتنا، لا يشاركننا في أفضل أفكارنا، فلننظر إلى الأستاذ «بوز» والأستاذ «راي» وأبحاثهم النابغة. ألم يكن من المخزي ألا تكون أبحاثهم ملكية عامة للشعب؟

أما الآن، فسأتطرق إلى موضوع آخر:

لقد مرر حزب المؤتمر الوطني الهندي قرارًا عن الحكم الذاتي، وليس لدي أدنى شك في أن كلاً من لجنة صنع القرار بحزب المؤتمر وعصبة مسلمي الهند سيؤديان واجبهما، ويتقدمان ببعض الاقتراحات الملموسة الفعالة. لكن في المقام الأول، يجب أن أعترف بصراحة أنني لست مهتمًا كثيرًا، بما ستكون تلك الجهات قادرةً على تحقيقه مثل اهتمامي بأي شيء يتعلق بما

ســيتوصل إليه الطالب أو أطياف الشعب كلها، ولن تمنحنا أية مساهمة نظرية ما نطمح إليه من حكم ذاتي، كما لن تؤهلنا الخطب الكثيرة للحصول على حكم ذاتي؛ إنه فقط سـلوكنا هو الذي سيمكننا منه. لكن، كيف نحاول أن نحكم أنفسنا بأنفسنا؟

أود أن أشارككم أفكاري اليوم، فأنا لا أريد أن أخطب فيكم، لذا إذا رأيتموني اليوم أتحدث معكم بشكل عفوي دون حواجز، فلو أذنتم لي اعتبروا أنني فقط أشارككم أفكار رجل يسمح لنفسه أن يفكر بصوت عالٍ، وإذا اعتقدتم أني أتخطى حدود احترامي وتوددي لكم، فاعذروني للحرية التي قد أسـتبيحها لنفسي. لقد زرت معبد «كاشي فيشواناث» أمس، وكنت أسير بين ممراته وراودتني الأفكار التالية. إذا سـقط غريب من أعـلى على هذا المعبد العظيم، ألن تكون لديه مبررات قوية لإدانتنا كهندوس؟ ألم يعد هذا المعبد العظيم انعكاسًـا لهويتنا؟ إنني أتحدث وكل مشـاعري تتحرك لكوني أحد الهندوس. أليس إثمًا أن تكـون كل ممرات معبدنا المقدس مليئة بالقاذورات وغير نظيفة، كما هي الآن؟ بالإضافة إلى ذلك، يتم بناء المنازل حوله بشـكل عشوائي، وبالتالي صارت ممرات المعبد ضيقة ومتعرجة. فإن لم تكن حتى معابدنا المقدسة نماذج للاتساع والنظافة، فماذا سيكون حال حكمنا الذاتي؟ ألا يجب أن تكون معابدنا موطنًا للقدسية والنظافة والسلام، بمجرد إجلاء الإنجليز تمامًا عن الهند؛ سواء طوعًا أو جبرًا؟

إنني أتفق تمامًا مع رئيس حزب المؤتمر بأننا يجب أن نفعل كل ما يجب علينا أولاً، قبل أن نفكر في الحكم الذاتي أو الاسـتقلال بالحكم. في كل مدينة هندية، هناك قسمان: الثكنات العسكرية وسـكان المدينة. غالبًا تكون المدينة موطنًا لعدم النظافة يعج بالقاذورات، فنحن شعب لم يعتد على الحياة المدنية النظيفة. لكن إذا أردنا إرسـاء قواعد حياة مدنية، فلن يمكننا اسـتعادة حياة القريـة الهادئة، فليس باعثًا على الراحة تخيل أن يمشي الناس في شـوارع مدينة بومباي الهندية خائفين باستمرار من سكان الأبنية العالية مسـتائين منهم. لقد أتاحت لي الحياة فرصًا عديدة للسفر عبر القطار، ولاحظت مدى فظاظة طباع وسلوكيات ركاب الدرجة الثالثة. لكن إدارة السـكك الحديدية لا تلوم هؤلاء الركاب - ولا بأية وسيلة - على سلوكياتهم؛ فإننا لا نعرف حتى القواعد الأولية للنظافة. سـتجدون بعض الأشخاص يبصقون في أي مكان على أرضية

عربة القطار، بغض النظر عما إذا كـان البعض ينام على تلك الأرضية، في أغلب الأحيان. إننا لا نرهق أنفسنا في كيف يجب أن نتصرف في القطار؛ وبالتالي تكون النتيجة قذارة العربة كلها بشكل بشع. أما في ركاب الدرجة التي تعد أعلى فنجد رجال الدين غير سعيدي الحظ، ومن بينهم نجد أيضًا الطلاب؛ وفي بعض الأحيان لا تكون سلوكياتهم أفضل من ركاب الدرجة الثالثة، ويمكنهم التحدث بالإنجليزية وقد ارتدوا معاطف مواكبة لسمات التحضر، ولذلك فإنهم يدعون أن لديهم الحق في إخلاء الآخرين لطريقهم أثناء ركوب القطار، واختيار أفضل المقاعد.

لقد تأملت كل تفاصيل حياتنا، ولأنكم - أعزائي الحاضرين - قد منحتموني فرصة التحدث معكم، فأنا أفضي إليكم بكل ما يدور في ذهني، وأكتمه في خلجان قلبي. بالطبع، يجب أن نضع كل هذه التفاصيل أمامنا على طريق السعي قدمًا نحو الحصول على الحكم الذاتي. لذا، فأنا مجددًا أعرض أمامكم مشهدًا آخر. بالأمس تحدث عظمة المهراجا الذي رأس مداولاتنا عن قضية الفقر في الهند، والتي أكد متحدثون آخرون عليها كثيرًا. لكن ما الذي نشهده في فندق بندال الفخم؛ حيث يقام الاحتفال على شرف حاكم مستعمرة الهند؟ بالتأكيد لقد كان العرض الأكثر فخامة في نوعه؛ كان عرضًا للمجوهرات التي أثارت إعجاب أفضل صانع مجوهرات، قد اختار الإتيان من باريس. إني أقارن بين أكثر الرجال ثراءً ونبلاً وبهاءً، وبين ملايين الفقراء من حولنا، وأشعر كما لو كنت أقول لهؤلاء النبلاء: «لن يكتب للهند الخلاص من حكم الأجنبي إذا لم تخلعوا عن أنفسكم كل هذه المجوهرات وتتصدقوا بها لأبناء الهند وشبابها الفقراء». أنا على يقين من أنه لن يرحب الإمبراطور الملك أو اللورد هاردنج بأنه لكي نظهر له أصدق ولائنا له، لا بد أن نرتدي كل مجوهراتنا، ونظهر في أبهى صورنا، ويغطينا حلينا تمامًا، وأنا على استعداد بأن أخاطر بحياتي لإحضار رسالة من فخامة الملك جورج نفسه؛ مفادها أنه لا يتوقع أو يرغب في أي شيء من هذا القبيل.

سادتي، متى سمعت أن هناك قصرًا عظيمًا يتم تشييده في أية مدينة فخمة في الهند، أو في الهند البريطانية، أو في الهند التي يحكمها رؤساؤنا العظماء، تثار بداخلي الغيرة للحظة وأقول: «إنها أموال المزارعين في بلدنا»، فهناك حوالي ما يزيد عن ٧٥٪ من سكان الهند مزارعون،

ولقد أخبرنا السيد هيجن بوثام الليلة الماضية بلغته الفصيحة أنهم الرجال الذين زرعوا ورقتي حشيش مكان ورقة واحدة. لكن لم يكن هناك تصور أكبر لروح الحكم الذاتي إذا استفدنا أو سمحنا لآخرين بالاستفادة منهم، ومن كل ثمار عملهم، فخلاص بلادنا يمكن فقط من خلال المزارع، وليس بإمكان المحامين أو الأطباء أو أصحاب العقارات الأثرياء ضمانه.

أما الآن، فأخيرًا وليس آخر، إنه من واجبي الواقع على كاهلي أن أشير إلى ما دار في أذهاننا خلال اليومين أو الثلاثة أيام الماضية. لقد مرت علينا جميعًا لحظات قلق عديدة، حين كان حاكم مستعمرة الهند يمر في شوارع بنارس. كان ينتشر العديد من المخبرين ورجال الأمن في أماكن عديدة، ونشعر حينها نحن - أهل البلد - بالخوف ونسأل أنفسنا: «لماذا كل هذا الانعدام للثقة؟»، أليس من الأفضل أن يموت الشخص حتى لو كان السيد هاردينج نفسه، من أن يعيش ميتًا؟ لكن، قد لا يشعر كذلك ممثل جلالة الملك. قد يجد أنه من الضروري أن يضع كل هؤلاء المخبرين بيننا قد نغضب أو نثور أو نستاء، لكن دعنا لا ننسى أن الهند الآن بنفاد صبرها قد ولدت جيشًا من الثوار؛ فأنا عن نفسي ثائر لكن من نوع آخر. لكن هناك فئة من الثوار بيننا، إذا استطعت الوصول إليهم، فسأخبرهم بأن ثورتهم الفوضوية ليس لها مكان في الهند، وإذا كانت الهند على وشك أن تكون محاربة، فهذه علامة خوف، وإذا كنا نثق ونخاف الله، فلا يجب أن نخاف غيره، لا المهراجا ولا حكام الهند ولا المخبرين ولا حتى الملك جورج.

أنا أحيي أي ثوري لحبه لبلاده وشجاعته ورغبته في التضحية بحياته فداءً لوطنه، لكن أود أن أسأله: هل القتل أمر مشرف؟ هل خنجر الاغتيال الأداة المناسبة لموت مشرف؟ لا أصدق ذلك، فليس هناك برهان على انتهاج أسلوب العنف للإصلاح في أي من الأديان السماوية. لو رأيت أنه من المهم لاستقلال الهند أن يرحل الإنجليز وأن يطردوا من البلاد، لم أكن لأتردد مطلقًا في أن أعلن عن وجوب رحيلهم، وفي أن أكون على استعداد لأن أموت دفاعًا عن ذلك الاعتقاد ميتة ستكون - من وجهة نظري - مشرفةً لصاحبها. فإذا أمعنا النظر قليلاً فسنجد أن رجل المقاومة الانتحاري الذي يتولى عملية اغتيال من خلال قنبلة، أو ما شابه ذلك، يؤدي إلى وجود أسرار جهادية يخاف أن تنكشف، وعندما يتم القبض عليه يدفع ثمن ثورته الجامحة الخاطئة.

لقد سمعت آراء غريبة عن ذلك منها: «لو لم نلجأ لأسلوب العنف في إجلاء الإنجليز وتحرير البلاد، ولم تقم فرق المقاومة بانتهاج ذلك الأسلوب باستخدام المتفجرات وما شابه ذلك - لم نكن لنحصل على ما حصلنا عليه، فيما يتعلق بحركة المقاطعة الاقتصادية للمنتجات الإنجليزية». (حينها نوهت السيدة «بيسانت» قائلةً: «من فضلك لا تستمر في ذلك الحديث»). هذا ما قلته في البنغال عندما ترأس السيد «ليون» الاجتماع. أظن أن ما أحاول التنويه عنه مهم، وإذا أردتم أن أتوقف عن الحديث فيه، فسأنزل على رغبتكم بالطبع. (استدار إلى مدير الاحتفال) إني في انتظار أوامرك، إذا كنت تعتقد أن حديثي هذا ليس في صالح الدولة والإمبراطورية كلها، فبالتأكيد سأتوقف عنه. (صاح الحاضرون «استمر.. استمر»)، (فأجاب مدير الاحتفال: «من فضلك وضح بغيتك وهدفك من الحديث») أنا ببساطة ... (وجود مقاطعة أخرى). أصدقائي، لا تستاؤوا من تلك المقاطعة. إذا كانت السيدة «بيسانت» ترى هذا المساء أنه يجب أن أتوقف عن هذا الحديث، فلأنها تحب هذا البلد كثيرًا وتعتقد أني مخطئ في الإفصاح عما أفكر فيه أمامكم أيها الشباب. لكن حتى لو كان الأمر كذلك، فأنا ببساطة أقول إني أريد تطهير الهند من مناخ التشكك والريبة بين جميع الأطراف، وإذا كنا نوشك على الوصول لهدفنا فيجب أن يكون لنا إمبراطورية قائمة على الحب والثقة المتبادلين. أليس من الأفضل أن نتحدث جميعًا تحت مظلة هذه الجامعة من أن نتحدث بشكل غير مسؤول في منازلنا وفيما بيننا؟ أعتقد أنه من الأفضل كثيرًا أن نتحدث عن هذه الأمور بصراحة، وقد جربت ذلك من قبل وحصدت ثماره. أعلم أنه لم يعد يخفى شيء على الطلاب، لذلك أنا أوجه كشافات البحث لتغور داخلنا. إنني أعتز ببلادي على نحو يدفعني إلى أن أتبادل معكم تلك الأفكار، وأوضح لكم أنه لم يعد هناك مكان في الهند للثورة الفوضوية. دعونا نقول بصراحة ما نرغب في قوله لحكامنا ونواجه عواقبه، إذا لم يحظَ برضاهم، لكن بعيدًا عن ممارسة أية صورة من صور العنف.

في يوم آخر، كنت أتحدث مع أحد أعضاء الخدمة المدنية التي أسيء استخدامها كثيرًا. لم أكن على معرفة كبيرة بأعضاء الخدمة لكني لم أعجب بأسلوب حديثه معي. فقد قال: «يا سيد «غاندي»: هل تفترض للحظة أن كل العاملين بالخدمة المدنية سيئون وأننا نريد أن نكبت

الشعب الذي أتينا لنحكمه؟» فــأجبته: «لا.» فرد قائلاً: «حسنًا، فإذا واتتك الفرصة لتوضح حقيقة وضع الخدمة المدنية التي أسيء اســتخدامها فلتقل»، وها قد جاء الوقت لأفصح عنها. مما لا شــك فيه أن العديد من أعضاء الخدمة المدنية الهندية غالبًا يستخدمون القوة القهرية بلا تردد، فإنهم مستبدون وفي بعض الأحيان طائشون، ويمكننا قضاء الوقت في وصفهم بما شابه ذلك. إني أقر كل هــذا، ولكني أقر أيضًا بعد إقامتي في الهند لســنوات محدودة بأن الحياة هي التي أفســدتهم وحطت من أخلاقهم. لكن ماذا يعني ذلك؟ فهذا يشير إلى أنهم كانوا نبلاء قبل مجيئهم إلى بلادنا، وإذا كانوا قد فقدوا بعضًا من أخلاقياتهم، فهذا انعكاس لأنفســنا ولطبيعة حياتنا.

لا يتطلب الأمر ســوى أن تتدبــروا الموضوع لبعض الوقت، إذا صــار رجل كان صالحًا بالأمس ســيئًا اليوم، بعد أن تعاملت معه، فهل سترجع مسؤولية تدهور أخلاقه عليه أم عليَّ؟ إن مناخ التملق والزيف المحيط بهم منذ مجيئهم إلى الهند كان ذا تأثير ســلبي عليهم، وســاهم في إفســادهم كما هو الحال مع العديد منا، ففي بعض الأحيــان يكون من الأفضل أن نتحمل اللوم على أفعالنا، فإذا كنا على وشــك الحصول على الحكم الذاتي، فإننا مضطرون لأخذه؛ فلن يتم منحه لنا أبــدًا. يمكن الرجوع إلى تاريخ الإمبراطورية البريطانية والأمة البريطانية؛ وحب الحرية كما هي تعتقد، فلن يكون هناك حزب يمنح الحرية لشــعب لم يعمل بنفسه على أخذها، والتمتع بها. عليك أن تتعلم درسًا إذا رغبت في الحكم الذاتي من حرب البوير؛ التي دارت بين جمهوريتي بور والإمبراطورية الإنجليزية، وهــا هم الذين كانوا يعتبرون أعداءً للإمبراطورية الإنجليزية فقط، منذ سنوات قليلة صاروا الآن أصدقاء».

(في تلــك اللحظة، حدثت مقاطعــة ليتناول متحدث آخر فرصتــه لإلقاء خطابه. لذلك، انتهى خطاب «غاندي» فجأةً).

خطبة
جوزيف ستالين

مناسبة الخطبة:

ألقى «جوزيف ستالين» قائد الاتحاد السوفيتي السابق خطبة في التاسع عشر من أغسطس عام ١٩٣٩ لأعضاء المكتب السياسي للحزب الشيوعي، تناول فيها إستراتيجية الاتحاد السوفيتي لشن حرب على أوربا، وضم ألمانيا إلى الاتحاد. ألقى «ستالين» هذه الخطبة عشية الحرب العالمية الثانية.

نص الخطبة:

«إن قضية الحرب والسلام قد باتت في مرحلة حرجة بالنسبة لنا، ويعتمد حل هذه القضية بالكامل على الموقف الذي سيتخذه الاتحاد السوفيتي. إننا مقتنعون بالتأكيد أننا إذا قمنا بعقد اتفاقية مساعدة متبادلة مع فرنسا وبريطانيا العظمى، فإن ألمانيا ستنسحب من بولندا، وستسعى إلى تسوية مؤقتة مع القوى الغربية. سوف يتم بالطبع تجنب الحرب، ولكن ستكون هناك العديد من الأحداث التي قد تمثل خطرًا على الاتحاد السوفيتي.

ومن ناحية أخرى، إذا قبلنا عرض ألمانيا، الذي تعرفونه، وعقدنا معها اتفاقًا بعدم

نبذة عن حياة جوزيف ستالين:

هو جوزيف فيساريونوفيتش ستالين، والكنية الأصلية: جوجاشفيلي. كان ميلاده في ١٨ ديسمبر ١٨٧٨، وهو القائد الثاني للاتحاد السوفيتي، ويعتبر المؤسس الحقيقي للاتحاد السوفيتي، وقد عرف بقسوته وقوته، وأنه قام بنقل الاتحاد السوفيتي من مجتمع زراعي إلى مجتمع صناعي؛ مما مكن الاتحاد السوفيتي من الانتصار على دول المحور في الحرب العالمية الثانية، والصعود إلى مرتبة القوى العظمى. وقد ولد ستالين في مدينة جوري في الإمبراطورية الروسية، لإسكافي يدعى «بيسو»، وأم فلاحة تدعى «إيكاترينا». كانت عائلة ستالين تعيش في وضع اجتماعي يدعى (القنانة)، وهو حالة من الرق أو العبودية، واعتنق ستالين المذهب الفكري لفلاديمير لينين في النظرية الشيوعية، وتأهل لشغل منصب عضو في اللجنة المركزية للحزب البلشفي في عام ١٩١٢. وفي عام ١٩١٣، تسمى بالاسم «ستالين» وتعني «الرجل الفولاذي»، وبعد ممات فلاديمير لينين في يناير ١٩٢٤، تألفت الحكومة من الثلاثي: ستالين، وكامينيف، وزينوفيف. وفي فترة الحكومة الثلاثية، نبذ ستالين فكرة الثورة العالمية الشيوعية لصالح الاشتراكية المحلية؛ مما ناقض مبادئ «تروتسكي» المنادية بالشيوعية العالمية، وقد تغلب ستالين على الثنائي (كامينيف وزينوفيف)، بمساعدة التيار الأيمن للحزب المتجسد في بوخارن وريكوف؛ حيث نجح في طرد تروتسكي، وزينوفيف وكامينيف من اللجنة المركزية في عام ١٩٢٧، ثم من الحزب الشيوعي. وبعدها بشهور سعى ستالين إلى إضعاف نفوذ بوخارن، واستطاع إزاحته من القيادة؛ حتى أصبح القائد الأوحد. وتم ذلك بين عام ١٩٢٨- ١٩٢٩. إلا أن ستالين لم يبلغ السلطة المطلقة، إلا بعد التصفيات الجسدية التي حدثت في الثلاثينيات.

الاعتداء، فسوف تشن حربًا بالتأكيد على بولندا، وسيكون تدخل فرنسا وإنجلترا أمرًا لا يمكن تجنبه. بالإضافة إلى أن أوربا الغربية ستتعرض لاضطرابات خطيرة وفوضى. في هذه الحالة، ستكون لدينا فرصة كبيرة لنبقى بمنأى عن الصراع، وسوف نستطيع التخطيط للوقت المناسب لنا لدخول الحرب.

كانت قيادته للاتحاد السوفيتي تتسم بالقسوة والدكتاتورية اللتين قل أن يوجد لهما مثيل.

وفي الأول من مارس ١٩٥٣، وخلال مأدبة عشاء بحضور وزير الداخلية السوفيتي لافرينتي بيريا وخوروشوف وآخرين، تدهورت حالة ستالين الصحية، ومات بعدها بأربعة أيام. وتجدر الإشارة إلى أن المذكرات السياسية لـ «مولوتوف» والتي نشرت في عام ١٩٩٣ تقول إن الوزير «بيريا» تفاخر لـ: مولوتوف بأنه عمد إلى دس السم لستالين بهدف قتله. وقد ذكرت المصادر الرسمية أن وفاته كانت نتيجة جلطة دماغية.

لقد أثبتت التجربة على مدار العشرين عامًا الماضية أن الحركة الشيوعية في وقت السلام لا تكون قوية بالدرجة الكافية؛ لكي يستولي الحزب البلشفي على السلطة، فإن دكتاتورية هذا الحزب ستكون ممكنة فقط كنتيجة لحرب كبرى.

إن اختيارنا واضح. علينا أن نقبل عرض ألمانيا، ونقوم برد البعثة الفرنسية البريطانية بلطف بعد الرفض.

ليس من الصعب تصور الأهمية التي سنكتسبها بهذه الطريقة، فمن الواضح لنا أن بولندا سوف تنهار، حتى قبل أن تكون إنجلترا وفرنسا قادرتين على مساعدتها، وفي هذه الحالة، ستتنازل ألمانيا لنا عن جزء من بولندا .. سيفيدنا ذلك في الاستيلاء على بولندا كلها حتى نصل إلى عاصمتها وارسو، وكذلك منطقة جاليسيا الأوكرانية التابعة لبولندا.

تمنحنا ألمانيا حرية كاملة للتصرف في الدول الثلاث الواقعة على بحر البلطيك (ليتوانيا ولاتفيا وإستونيا)، وتعترف كذلك بحقنا في المطالبة بمنطقة بيسارابيا، وتستعد أيضًا للاعتراف بمصالحنا في رومانيا وبلغاريا والمجر، ويبقى أمر يوغوسلافيا مشكلة يعتمد حلها على الموقف الذي ستتخذه إيطاليا. فإذا ظلت إيطاليا في صف ألمانيا، فسوف تطلب ألمانيا أن تكون يوغوسلافيا في نطاق تأثيرها، وسوف تكون يوغوسلافيا كذلك وسيلة يمكنها بها الاستحواذ على البحر الأدرياتيكي، ولكن إذا لم تكن إيطاليا في صف ألمانيا، فسوف تعتمد الأخيرة على

إيطاليا حتى تستحوذ على البحر الأدرياتيكي، وفي هذه الحالة ستصبح يوغوسلافيا في نطاق تأثيرنا.

هـذا يتوقف بالطبع على خروج ألمانيا من الحرب منتصرة، ومع ذلك، علينا أن نتصور جميع الاحتمالات التي ستنتج عن هزيمة ألمانيا، وكذلك عن انتصارها. في حالة هزيمتها، فإن ضم ألمانيا إلى الاتحاد السوفيتي؛ سيحدث لا محالة وسوف يتم تأسيس حكومة شيوعية. لكن يجب ألا ننسى أن ألمانيا السوفيتية قد تجلب خطرًا كبيرًا، إذا كان ضمها إلى الاتحاد السوفيتي قد حدث نتيجة لهزيمة ألمانيا في حرب عابرة، حيث ستظل كل من إنجلترا وفرنسا قويتين بالدرجة الكافية للسيطرة على برلين وتدمير ألمانيا السوفيتية، وسوف نكون غير قادرين على مساعدتها فعليًّا؛ مساعدة زملائنا البلشفيين في ألمانيا.

لذلك، يتمثل هدفنا في أن تشن ألمانيا حربًا طويلة بقدر الإمكان، فتصبح كل من إنجلترا وفرنسا منهكتين لدرجة تجعلهما غير قادرتين على تدمير ألمانيا السوفيتية.

هذا هو الموقف الذي سنتخذه. فبينما يحافظ الاتحاد السوفيتي على الحيادية، وينتظر الوقت المناسب، فسوف نقوم بمساعدة ألمانيا اقتصاديًّا وإمدادها بالمواد الخام والمؤن، ومن الطبيعي أن مساعدتنا لن تتعدى مقدارًا معينًا؛ فلا يجب أن نرسل الكثير من المساعدات لدرجة تضعف اقتصادنا أو قوة جيشنا.

في الوقت نفسه، علينا أن نبدأ حملة ترويج فعالة للشيوعية في الجبهة الفرنسية البريطانية، وبشكل سائد في فرنسا. يجب أن نترقب من الحزب في أوقات الحرب بهذه الدولة أن يترك السبل القانونية للحرب، ويصبح حزبًا سريًّا. إننا نعلم أن عملهم سيتطلب الكثير من المال وتقديم تضحيات كبيرة، ولكن علينا أن نقبل دون تردد هذه التضحيات، ولن يتردد زملاؤنا الفرنسيون. ستتمثل المهمة الأولى للحزب في إيقاع الفوضى بين صفوف الجيش والشرطة، فإذا تم القيام بهذا العمل التمهيدي على نحو جيد، فسوف يتم ضمان أمن ألمانيا السوفيتية، وهذا سوف يسهم في ضم فرنسا للاتحاد السوفيتي.

من أجل تحقيق هذه الخطط، من الضروري أن تستمر الحرب أطول فترة ممكنة، ويجب توجيه جميع القوى التي نملكها في أوربا الغربية ودول البلقان؛ لتحقيق هذا الغرض.

لنفكــر الآن في الاحتمال الثاني وهو انتصار ألمانيا. يعتقد البعض أن ذلك ســيجعلنا نواجه خطرًا حقيقيًا، وهذا صحيح بعض الشيء، ولكن من الخطأ أن نعتقد أن الخطر قريب جدًا منا، أو أن مستواه عالٍ جدًا كما يرى البعض.

إذا انتصرت ألمانيا، فســوف تصبــح منهكة جدًا بعد الحرب؛ لأن تشــن حربًا أخرى ضد الاتحاد السوفيتي قبل عشر سنوات على الأقل، وســوف تكون بحاجة إلى أن تراقب احتلالها لفرنسا وإنجلترا، وأن تمنع استعادتهما.

بالإضافة إلى ذلك، إذا انتصرت ألمانيا فســوف يكون لديها مســتعمرات شاسعة؛ واستغلال هذه المستعمرات وتكييفها وفقًا للنظم الألمانية؛ سوف يستنزف أيضًا ألمانيا على مدار عدة عقود.

ففي الحقيقة، ســتكون ألمانيا في هذه الحالة مشغولة جدًا حتى تشن حربًا ضدنا، وهناك شيء آخر سوف يدعم أمننا. فإذا تم غزو فرنسا، فإن الحزب الشيوعي الفرنسي سيكون دائمًا قويًا جدًا، وســوف تندلع لا محالة ثورة شيوعية، وســوف نكون قادرين على استغلال هذا الموقف، فنقوم بمساعدة فرنسا ونجعلها حليفة لنا. بالإضافة إلى ذلك، ستصبح كل الدول التي تقع تحت حماية ألمانيا المنتصرة حلفاء لنا، وهذا يفسح لنا مجالاً عريضًا للعمل من أجل بدء ثورة عالمية.

زملائي، لقد قدمت لكم وجهة نظري، وإنني أكرر أنه في صالح الاتحاد السوفيتي، موطن العمال، أن تقــوم الحرب بين ألمانيا النازية والكتلة الفرنســية - الإنجليزية الرأســمالية، فهذا ضروري بالنســبة لنا. يجب أن يحدث كل شيء بحيث يطول قدر الإمكان بهدف إضعاف كلا الجانبين، ولهذا الســبب، من الضروري أن نوافق على عقد الاتفاقيــة التي اقترحتها ألمانيا، ثم نعمل وفقًا لطريقة تؤدي إلى إطالة مدة الحــرب إلى أقصاها، بمجرد الإعلان عنها، وعلينا أن ندعم عملنا الترويجي والاقتصادي في الدول المشاركة في الحرب؛ من أجل أن نكون مستعدين عندما تنتهي الحرب».

خطبة جون كينيدي

مناسبة الخطاب:

وهـــذا الخطاب الافتتاحـــي لفترة ولاية الرئيس الأمريكي «جون كينيدي»، والذي ألقـــاه في الكونجرس الأمريكي في ٢٠ يناير من عام ١٩٦١.

نص الخطاب:

«السيد «جونسون» نائب الرئيس، السيد المتحدث، السـيد رئيس المحكمـة العليا، الرئيـس «أيزنهاور»، السـيد نائب الرئيس «نيكسون»، السيد الرئيس «ترومان»، رجال الدين المحترمين، إخواني المواطنين:

إن ما نشـــهده اليوم ليس مجـــرد احتفال بانتصار حزب، بـــل احتفال بالحرية - وهي بدايـــة وغاية في حد ذاتهـــا - حرية ترمز إلى التجديـــد وكذلـــك التغيير، فقد أقســـمت أمامكم وأمام الله ســـبحانه وتعالى، بالقسم الرسمي نفسه الذي التزم به أسلافنا، منذ ما يقرب من قرن وثلاثة أرباع القرن.

إن العالم مختلف بشـــكل كبير الآن؛ لأن الإنسان يحمل بين يديه الفانيتين القدرة على القضاء على جميع أشـــكال الفقر الإنساني، كما يحمل جميع أشـــكال الحياة البشرية، وعلى الرغم

نبذة عن حياة جون كينيدي:

يســـمى جون فيتزجيرالـــد كينيـــدي أو جون إف. كينيدي، وهو رئيس الولايات المتحدة الخامس والثلاثون. تولى الرئاســـة خلفًا للرئيس دوايت أيزنهاور، وقد خلفه نائبه ليندون جونسون، وكان قد ولد في ٢٩ مايو ١٩١٧، وتوفي مقتولاً في ٢٢ نوفمبر ١٩٦٣ في دلاس - تكساس، وقد اتهم لي هارفي أوسولد باغتياله.

كان توليـــه رئاســـة الولايات المتحـــدة، منذ ١٩٦١ وحتـــى اغتيالـــه في ١٩٦٣، وقبلهـــا كان يمثـــل ولايـــة ماساتشوستســـمن ١٩٤٧ وحتى ١٩٦٠ بداية كعضو في مجلس النواب، ولاحقًا في مجلس الشيوخ. انتخب لرئاسة أمريكا كمرشح عن الحزب الديمقراطي، وعمره في ذلك الوقت ٤٣ عامًا، وذلك في انتخابات عام ١٩٦٠، والذي واجه فيه خصمه الجمهوري ريتشارد نيكسون، وقد ربح في تلك الانتخابات بفارق ضئيل، وهو الرئيس الأمريكي الكاثوليكي الوحيد، وهو أصغر رئيس أمريكي منتخب، وقد تولى الرئاســـة في فترة رهيبـــة وحرجة من الصراع في الحـــرب الباردة، وكان صاحب مواقـــف قوية في مواجهة الســـوفيت، في المجالات كافة؛ ســـواء العســـكرية منها (بشكل غير مباشر) أو السياسية من خلال مجلس الأمن أو الإعلام أو القنوات الدبلوماســـية، وهو الأمر الذي جعله أحد أكثر رؤســـاء أمريكا شـــعبية، وأحد أكثرهم أهمية، وكان من أهـــم الأحداث في فترة ولايتـــه؛ عملية اقتحام خليج الخنازيـــر، وأزمة الصواريخ الكوبيـــة وبناء جدار برلين، والإرهاصات الأولى لحرب فيتنام وحركة الحقوق المدنية الأمريكية، وسباق غزو الفضاء؛ حيث إنه صاحب الوعد الشهير بإنزال إنسان على القمر.

من ذلك، فإن المعتقدات الثورية نفسها التي خاض أجدادنا الحروب لأجلها من قبل لا تزال قيض نزاع وخلاف، في جميع أنحاء العالم، وهو الاعتقاد بأن حقوق الإنسان لا تتأتى تكرمًا من الدولة، ولكن الله من يتكرم بها علينا.

يجب علينا ألا ننسى اليوم أننا ورثة تلك الثورة الأولى، ولندع هذه الكلمة تنطلق في هذا الزمان، ومن هذا المكان لتصل إلى مسامع الصديق والعدو على حد سواء، تعلمهم أن جيلاً أمريكيًا جديدًا قد تسلم الشعلة، وهو وليد هذا القرن، ونالت منه الحرب، وتربى على ظروف تحقيق سلام قاسية مريرة، وهو فخور بتراثنا القديم، وغير راغب في أن يشهد أو يسمح بالتقويض البطيء لحقوق الإنسان التي طالما التزمت بها هذه الأمة، والتي نلتزم بها اليوم أيضًا في بلدنا وحول العالم.

لندع كل أمة، سواء أكانت تتمنى لنا السعادة أم الشقاء، تعلم بأننا سندفع أي ثمن، وسنتحمل أي عبء، وسنواجه أية صعوبات، وسندعم أي صديق، وسنعارض أي عدو، سعيًا لضمان بقاء ونجاح الحرية.

ونحن نتعهد بذلك - وأكثر منه.

نحن نلتزم بولاء الأصدقاء المخلصين تجاه حلفائنا القدامى الذين نتشارك معهم في الثقافة والأصول الروحية، فإن اتحدنا، فستكون العقبات قليلة في ظل مجموعة من المشاريع التعاونية، وإن تفرقنا، فقليل هو ما نستطيع القيام به - ذلك لأننا لن نجرؤ على مواجهة تحديات قوية إن اختلفنا وانقسمنا على أنفسنا.

بالنسبة لتلك الدول الجديدة التي نرحب بها في صفوف الحرية، فإننا نلتزم بكلمتنا بأن شكلاً واحدًا من أشكال السيطرة الاستعمارية لن يقضي نحبه؛ ليحل محله شكل آخر أكثر طغيانًا وتعسفًا، ويجب علينا ألا نتوقع دائمًا دعمهم لوجهة نظرنا، لكننا سنأمل دائمًا أن نجدهم يدعمون وبقوة حريتهم، وللتذكرة فإن أولئك الذين سعوا لحيازة القوة بحماقة في الماضي، بامتطاء ظهر النمر انتهى بهم الأمر بالتهامه لهم.

نتعهد كذلك ببذل قصارى جهدنا، لمساعدة من يعيشون في الأكواخ والقرى في العالم، الذين يكافحون لكسر أغلال البؤس الشـامل، سنساعدهم على مساعدة أنفسهم، مهما طالت المدة، ليس لأن الشـيوعيين ربما يكونون يفعلون ذلك، أو لأننا نطلب أصواتهم، بل لأنه الصواب. فإذا لم يسـتطع المجتمع الحر مساعدة كثيرين ممن يعانون الفقر، فإنه لا يمتلك القدرة على إنقاذ الأقلية الغنية.

أما بالنسبة للجمهوريات الشـقيقة الواقعة جنوب حدودنا، فنحن ندين لها بالتزام خاص في مبادرة منا، لترجمة كلماتنا الطيبة إلى عمـل صالح، ضمن تحالف جديد لإحراز التقدم، بأن نمد يد العون، لمسـاعدة الرجال الأحرار والحكومات الحرة، على التخلص من أغلال الفقر، ولا يمكن أن تصبح الثورة الأمل السـلمية هذه فريسـة للقوى المعادية. دعونا نعلم جيراننا جميعهم بأننا سـنتضافر معهم، لاعتراض أي عدوان أو تخريـب في أي مكان في الأمريكتين، ولنـدع كل القوى الأخرى تعلم أن هذا الجزء الغربي مـن الكرة الأرضية يعتزم المحافظة على سيادته الخاصة والمطلقة.

نحـن نجدد التزامنـا تجاه منظمة الأمم المتحـدة، التي تمثل التجمـع العالمي للدول ذات السـيادة، والتي تعتبر أفضل أمـل أخير لنا، في عصر تفوقت فيـه أدوات الحرب على أدوات السـلام - بتقديم الدعم للحيلولة دون أن تصبح مجرد محفل، لتبـادل القدح والذم، ولتعزيز حمايتها للجديد والضعيف، وتوسيع النطاق الذي قد يسري فيه ميثاقها.

وأخـيرًا، فنحن نقدم طلبًا لا تعهـدًا لتلك الدول التي جعلت من نفسـها خصمًا لنا: بأن يبدأ الجانبان السـعي من جديد؛ لتحقيق السـلام قبل أن يطلق العنان لقوى الدمار المظلمة، باستخدام العلم، فتغمر الإنسانية جمعاء، في تدمير ذاتي مخطط أو عرضي.

نحن لا نجرؤ على حثهم أن يكونوا ضعفاء، فعندما تكون أسـلحتنا كافية بما لا يدع مجالاً للشك، سنكون على ثقة بلا ريب من أنها لن تستعمل أبدًا.

لكـن لا يمكن لأمتين كبيرتين وقويتين أن تشـعرا بالراحة، إزاء مسـارنا الحالي، فكلاهما تكونان مثقلتين بنفقات الأسـلحة الحديثة، وقلقتين حقًا جراء الانتشـار المتواصل للسـلاح

الذري القاتل، ومع ذلك، فهما تتسابقان لتغيير ذلك التوازن غير الأكيد للإرهاب الذي من شأنه وقف مسببات الحرب النهائية للبشرية.

لذا، دعونا نبدأ من جديد، ونذكر كلا الطرفين أن الكياسة ليست علامة على الضعف، وأن الإخلاص مرهون دائمًا بإثباته، ودعونا لا نتفاوض أبدًا بدافع الخوف، بل دعونا لا نخاف أبدًا من التفاوض.

لنسمح لكلا الطرفين أن يستكشفا المشاكل التي توحدنا، بدلاً من الاستفاضة فيها لتفرقنا.

لنسمح لكلا الطرفين، لأول مرة، أن يصوغا اقتراحات جادة ودقيقة؛ من أجل التفتيش والرقابة على الأسلحة، ووضع السلطة المطلقة لتدمير أمم أخرى - تحت السيطرة المطلقة لجميع الأمم.

لندعهما يسعيان كذلك لطلب المعجزات العلمية، بدلاً من أهوالها، ولنستكشف معًا النجوم، ونخضع الصحراء ونقضي على الأمراض، ونستفيد من أعماق المحيط، ونشجع الفنون والتجارة.

لندع كلا الجانبين يتحدان في أن يرقبا في كل ركن من أركان الأرض إنهاء الظلم وتحرير المضطهدين.

فإن كان جسر التعاون قد يدحر غيامة الشك، فليتشارك كلا الطرفين في خلق مسعى جديد لتوازن قوي جديد، هذا عالم جديد يسود فيه القانون، ويصان فيه السلام؛ حيث يكون فيه القوي عادلاً والضعيف آمنًا.

ربما لن يتم كل ذلك في الأيام المائة الأولى، ولا في الألف الأولى، ولا في ظل هذه الإدارة، بل وربما لن يتم حتى طوال حياتنا على هذا الكوكب، ولكن دعونا نبدأ.

بأيديكم إخواني المواطنين لا يدي ستستقر النتيجة النهائية لنجاح أو فشل مسارنا، فمنذ تأسيس هذا البلد، تم استدعاء جميع الأمريكيين من كل جيل؛ ليشهدوا بولائهم للوطن، وقبور الشباب الأمريكي - الذين استجابوا لنداء خدمة الوطن - تنتشر في جميع أرجاء العالم.

والآن يستدعينا النداء مرة أخرى، ليس دعوة إلى حمل السلاح على الرغم من أننا نحتاج إليه، وليس دعوة للحرب على الرغم من تحصننا، ولكن دعوة لتحمل عبء كفاح طويل مستمر، كل عام منذ أمد طويل «مبتهجين بالأمل، صبورين في المحن». إنه نضال في مواجهة أعداء البشرية، وهم: الطغيان والفقر والمرض والحرب ذاتها.

هل بمقدورنا أن نشكل ضد هؤلاء الأعداء تحالفًا عالميًا هائلاً، في الشمال والجنوب والشرق والغرب، من شأنه ضمان حياة أكثر إثمارًا للبشرية جمعاء؟ وهل ستشاركون في هذا المسعى التاريخي؟

لقد منحت بضعة أجيال، فحسب خلال تاريخ العالم الطويل دور الدفاع عن الحرية في ساعة الخطر القصوى، وأنا لا أتملص من هذه المسؤولية، بل أرحب بها، فأنا لا أعتقد أن أيًا منا يود أن يتبادل الأماكن، مع أي شعب أو جيل آخر. إن الطاقة والإيمان والتفاني الذي جئنا به إلى هذا المسعى، سوف يضيء بلدنا وجميع من يخدمونه؛ بحيث يمكن للوهج المنبعث من هذه النار أن يضيء وبحق العالم.

هكذا، إخواني الأمريكيين: لا تسألوا عما يستطيع بلدكم أن يحققه لكم، لكن اسألوا أنفسكم عما يمكنكم فعله لبلدكم.

إخواني مواطني العالم الأعزاء: لا تسألوا عما ستقدمه أمريكا لكم، بل عما يمكننا فعله مجتمعين من أجل حرية البشرية.

أخيرًا، سواء أكنتم من مواطني الولايات المتحدة، أم من مواطني العالم، اطلبوا منا هنا المعايير العالية نفسها للقوة والتضحية التي نطلبها منكم، وبدعم من ضمير قوي هو مكافأتنا الوحيدة الأكيدة، ومع وقوف التاريخ حكمًا نهائيًا على أفعالنا، دعونا ننطلق لنقود هذه الأرض التي نحبها، **نطلب بركة الله ومساعدته، موقنين أن هنا على هذه الأرض يجب أن تكون أوامر الله هي ما نسعى إليه بحق»**.

خطبة
جواهر لال نهرو

مناسبة الخطاب:

بوصفه رئيس وزراء الهند، ألقى جواهر لال نهرو هذه الخطبة بمناسبة استقلال الهند في الجمعية التأسيسية في نيودلهي، في الرابع عشر من أغسطس عام ١٩٤٧، ومع كون هذه الخطبة زاخرة بالعبارات المثالية والطنانة؛ لإلهام الأمة آنذاك بشأن اتخاذها لبداية جديدة، فهي تعد خطبة تاريخية، ويمكن اعتبارها أول صوت تنطق به الهند المستقلة.

نص الخطاب:

«طيلة سنوات عديدة مضت تعاهدنا مع القدر، والآن آن الأوان لكي نفي بعهدنا، ليس كاملاً ولكن بصورة جوهرية. عندما تدق عقارب الساعة معلنة حلول منتصف الليل، وعندما يخلد العالم إلى النوم، ستستيقظ الهند على نور جديد للحياة والحرية، حينها ستأتي اللحظة ولكنها لحظة نادرة في التاريخ، حينما نترك وراءنا عهدًا قديمًا، ونطرق أبواب عهد جديد، وحينها سينتهي عصر الاستبداد، وستجد الأمة التي طالما عانت من القمع سبيلها إلى التعبير عن ذاتها، ومن الملائم أن نأخذ على عاتقنا في هذه

نبذة عن حياة جواهر لال نهرو:

في ١٤ نوفمبر ١٨٨٩ ولد جواهر لال نهرو وسط أسرة غنية أرسلته إلى بريطانيا ليدرس القانون؛ حيث درس في مدرسة هارو، ثم في كلية ترينيتي في جامعة كامبردج، وعاد لبلاده بعد أن أتم دراسته وطاف في دول أوربا؛ مما زاد من اتساع أفقه، ولكن أصبح بعيدًا عن الثقافة الشعبية والدينية الهندية، على عكس زوجته الهندوسية المتدينة.

بعد عودته للهند لم يمل إلى العمل المهني واتجه إلى السياسة، وأعجب بغاندي وتتلمذ على يديه سياسيًا ودينيًا ونبذ الملابس الأوربية وارتدى الملابس الهندية، وتميز بالاشتراكية والعدالة ولم يكن متعصبًا للهندوسية.

يعد نهرو أحد زعماء حركة الاستقلال في الهند، وأول رئيس وزراء للهند بعد الاستقلال، وشغل المنصب من ١٥ أغسطس ١٩٤٧ حتى وفاته، كما شغل أيضًا منصب وزير الخارجية والمالية، ومن إنجازاته أنه أسهم في إدخال الكهرباء للكثير من مناطق الهند المحرومة، كما أدخل الطاقة النووية للهند، وشجع الصناعات الثقيلة وكذلك الصناعات المنزلية، حتى يطور الريف الهندي. كما ضمن الحريات والحقوق الاجتماعية للمرأة، وأسس مع الرئيس جمال عبد الناصر وسوكارنو وتيتو حركة عدم الانحياز عام ١٩٦١.

كان نهرو كان كاتبًا باللغة الإنجليزية، وألف عددًا من الكتب، مثل اكتشاف الهند ولمحات من تاريخ العالم. سيرته الذاتية، نحو الحرية (١٩٣٦)، نشرت تسع طبعات في السنة الأولى وحدها، وتوفي في ٢٧ مايو ١٩٦٤.

اللحظة الجليلة العهد بالعمل بإخلاص، على خدمة الهند وشعبها والقضية الأكبر حجمًا، وهي قضية الإنسانية.

منذ بزوغ فجر التاريخ بدأت الهند في سـعيها الأبـدي، وهناك قرون عديدة بلا أثر باقٍ لها كانت زاخرة بنضال الهند، وعظمة نجاحها في أحيان وفشلها في أحيان أخرى، ومرورًا بأزمان شهدت الحظ الحسن والعسر على حد سواء، لم يغب نظر الهند قط عن سعيها، ولم تنسَ أهدافها التي منحتها قوتهـا، واليوم ننهي عصرًا من الحظ العسر، وتكتشـف الهند ذاتها مجددًا، وليس الإنجاز الذي نحتفل به اليوم سـوى فرصة أولى، وخطوة في طريق الانتصارات والإنجازات التي تنتظرنا. هل نتصف بالشـجاعة والحكمة الكافية لاقتنـاص هذه الفرصة، وقبول تحدي المستقبل؟

إن الحرية والسـلطة يجلبان معهما المسؤولية، وتقع المسـؤولية على كاهل هذه الجمعية التي هي هيئة ذات سيادة، تمثل شعب الهند المستقل، فقبل مولد الحرية تحملنا كل آلام مخاض الدولة وقلوبنا مثقلة بذكرى هذا الأسـى، ولا تزال بعض تلك الآلام مستمرة حتى الآن، ومع ذلك فالماضي عهد وانقضى، والمستقبل يشير إلينا الآن.

ليس ذلك المستقبل عهدًا للراحة والسكون، وإنما عهد للنضال المستمر حتى يمكننا الوفاء بالعهود التي كثيرًا ما أخذناها على عاتقنا، إضافة إلى ذلك الذي سـنأخذه على عاتقنا اليوم. إن خدمة الهند تعني خدمة الملايين الذين عانوا طيلة سـنوات ماضية. إنها تعني وضع نهاية للفقر والجهل والمرض، وعدم تكافـؤ الفرص، وما كان يرنو إليه أعظم رجل في جيلنا هو أن يمحو الدمـع من كل عين تذرفه، وربما قد صار ذلك وراءنا الآن، ولكن ما دامت هناك عيون تذرف الدمع وأشخاص يعانون لن ينتهي العمل الطويل الذي يقع على عاتقنا.

لـذا علينا أن نعمل ونكدح بـل نعمل بكد كي تصير أحلامنا حقيقـة. تلك الأحلام هي الأحلام التـي تراود الهند وشـعبها، ولكنها أحلام للعالم بأسره؛ لأن كل الأمم والشـعوب صارت اليوم متشـابكة عن قرب؛ مثل اللحمة والسـداة، بما يجعل من الصعب على أي منها

أن تتخيل إمكانية العيش في انعزال، لقد قيل إن السلام كل لا يتجزأ، وهكذا الحال للحرية والرخاء، وهكذا هو الحال لأية كارثة تحل في هذا العالم الواحد الذي لم يعد يمكن تجزئته إلى أجزاء منفصلة.

يا شعب الهند الذي نحن ممثلون عنه، نناشدكم أن تنضموا إلينا بإيمان وثقة، في هذه المجازفة الرائعة. لم يعد هناك وقت للنقد التافه المدمر.

لقد جاء اليوم الموعود، جاء اليوم الذي حدده القدر، ووقفت الهند على قدميها ثانيةً بعد وقت طويل جمع ما بين الهجوع والنضال، لتشهد بعده اليقظة والحيوية والحرية والاستقلال، ولا يزال الماضي يأسرنا ببعض القيود، وعلينا أن نقوم بالكثير قبل أن نفي بالوعود التي كثيرًا ما أخذناها على عاتقنا. ومع ذلك صارت النقطة الحاسمة في عداد الماضي، ويطرح التاريخ عهدًا جديدًا لنا، وهو التاريخ الذي سنعيشه ونصفه بأفعالنا، وسيكتب آخرون عنه.

إنها لحظة حاسمة لنا في الهند، وهي هكذا لكل شعوب آسيا وللعالم بأسره، فها هو نجم جديد يبزغ وهو نجم الحرية في الشرق. ها هو أمل جديد يتحقق، ورؤية تتجسد بعدما ظلت باقية في الأذهان لوقت طويل، ونرجو ألا يغيب هذا النجم أبدًا، وألا يضل ذلك الأمل طريقه.

نحن نستمتع بتلك الحرية على الرغم من سحب الضباب المحيطة بنا، وعلى الرغم من الأحزان التي تثقل صدور الكثير من شعبنا، وعلى الرغم من المشكلات الصعبة التي تطوقنا. ولكن الحرية تجلب معها المسؤوليات والأعباء، وعلينا أن نواجهها بروح شعب حر ومنضبط.

في هذا اليوم، تنسب أولى أفكارنا إلى مصمم هذه الحرية، وهو والد أمتنا (غاندي) الذي يجسد الروح القديمة للهند، والذي رفع مشعل الحرية عاليًا، وأضاء الظلام الذي أحاط بنا. كثيرًا ما كنا أتباعًا غير ذوي قيمة له، وضللنا عن المسار الذي حملته رسالته، ولكننا وكذلك الأجيال المتعاقبة، ستتذكر رسالة هذا الابن الرائع للهند الذي كان رائعًا في إيمانه وقوته وشجاعته وتواضعه، وسنحمل بصمته في قلوبنا. لن نسمح قط لذلك المشعل للحرية بأن ينطفئ مهما كانت الرياح عالية، أو كانت العاصفة شديدة.

ولا بد أن تنسب أفكارنا التالية للمتطوعين وجنود الحرية المجهولين الذين خدموا بلادنا حتى الموت، دون أن ينتظروا ثناءً أو مكافأة.

وفي هذا الصدد، لا ننسى إخواننا وأخواتنا الذين تفصلنا عنهم الحدود السياسية، والذين لا يستطيعون في الوقت الحالي أن يشاركونا الحرية التي تحققت، والحزن يتملكهم إثر هذا الأمر. هم جزء منا وسيظلون هكذا مهما حدث، وسنشاركهم حظهم الجيد أو العسر على حد سواء.

يشير المستقبل إلينا. إلى أين سنذهب، وما المساعي التي سننتهجها؟ ما سنسعى إليه هو جلب الحرية والفرص للمواطن العادي، وإلى فلاحي الهند وعمالها، ومحاربة الفقر والجهل والمرض ووضع نهاية لهم، وبناء أمة ديمقراطية مزدهرة ومتقدمة، وتشكيل مؤسسات اجتماعية واقتصادية وسياسية تضمن تحقيق العدالة، وتمتع كل رجل وامرأة في بلادنا بحياة مثمرة.

لقد سبق لنا أن عملنا بكد، ولا مجال لأي شخص منا أن يحظى بوقت للراحة حتى نفي بعهدنا تمامًا، وحتى نوفر لكل الشعب الهندي ما يعتزم القدر توفيره له. نحن أبناء أمة عظيمة نقف على حافة تقدم جسور، ولا بد أن نحقق هذا المعيار المرتفع. وجميعنا أبناء هذا الوطن، ونتمتع بحقوق وامتيازات والتزامات متساوية أيًا كانت الديانة التي ننتمي إليها، ولا يمكننا أن نشجع الطائفية أو ضيق الأفق؛ لأنه ما من أمة يمكن أن تتصف بالعظمة وشعبها يجسدون ضيق الأفق في أفكارهم أو تصرفاتهم.

إلى جميع أمم وشعوب العالم نرسل تحياتنا، ونتعهد بالتعاون معها في تحقيق مزيد من السلام والحرية والديمقراطية.

وإلى الهند - بلدنا الحبيب الجليل الأبدي والمتجدد دائمًا - نبدي ولاءنا بتبجيل ونجدد عهدنا بخدمتها».

جواهر لال نهرو

خطبة
دوجلاس ماك أرثر

مناسبة الخطاب:

في ٢٥ يونيــة ١٩٥٠، اندلعــت الحرب الكورية التــي بدأت بهجوم قــوات كوريا الشــمالية على كوريا الجنوبية. وهنا، أصدر الرئيس الأمريكي «ترومان» أمره إلى الجنرال «دوجلاس مــاك أرثر» بالتدخــل السريع لدعــم جيش كوريــا الجنوبيــة. وبالفعل، تمكنت قــوات التحالف - التي تشــكلت للتصدي للهجوم الشــيوعي - بقيادة «ماك أرثر» من حصــار كوريا الجنوبية؛ مما اضطر قوات كوريا الشــمالية للانسحاب إلى خط الحدود، وتحررت كوريا الجنوبية، وزحفت قوات «ماك أرثر» شــمالاً حتى نهر «اليالو» الفاصل بين كوريا الشمالية والصين الشعبية.

بعد ذلك، أخذت الحرب منعطفًا جديدًا إبان قرار الصين الشــعبية بدخول الحرب، فهاجمت جيش قــوات التحالــف الذي لم يستطع دحر القوات الصينية، وأجبرته على التقهقر إلى الجنوب. عندئذ، لم تلقَ اقتراحات «ماك أرثر» للتصدي للقوات الصينية قبولاً لدى القيادات العليا في الولايات المتحدة.

وفي ١١ إبريل ١٩٥١، اســتدعاه الرئيس الأمريكــي «ترومــان» وعزلــه مــن القيادة

نبذة عن حياة دوجلاس ماك أرثر:

كان ميلاده في ٢٦ يناير ١٨٨٠، وهو جنرال أمريكي في الأمم المتحدة ومشــير في الجيش الفلبينــي. كان قائد جيش الولايــات المتحدة الأمريكيــة في ثلاثينيات القرن العشرين، ولعب دورًا بارزًا في حرب المحيط الهادي أثناء الحرب العالمية الثانية.

خدم في الفلبين كقائد للقوات الأمريكية هناك، وفي عام ١٩٣٧ قدم استقالته؛ لكن وبعد هجوم بيرل هاربور وإعلان اليابان الحرب على الولايات المتحدة؛ اســتدعاه الرئيس الأمريكي روزفلت وأعاده إلى الجيش الأمريكي، وجعلــه برتبة فريق؛ حيــث قام بفتح جبهة شاســعة في جنوب شرق آســيا والمحيط الهادي. كانت إستراتيجيته تعتمد عــلى الانقضاض على الجزر؛ التــي تحتلها اليابان الواحدة تلو الأخــرى، وصولاً إلى الجــزر اليابانية تولى منصــب قائد القوات البرية الأمريكيــة في منطقة المحيط الهادي، وجنوب شرق آســيا في الحــرب العالمية الثانية، وبعد انتصار الولايات المتحدة على اليابان، قدمت جائزة مالية لماك أرثــر قدرها ٥٠٠ ألــف دولار، أي ما يعادل عــشرة ملايين دولار عام ٢٠٠٦، قبل استســلام اليابان في ٢ ســبتمبر ١٩٤٥، ثم أصبح الحاكم العسكري أثناء احتلال اليابان من الفترة بين ١٩٤٥و١٩٥١.

ســاعد ماك آرثــر اليابان على بناء نفســها، ووضع أســس نظام ديمقراطي فيهــا، كما كان لــه دور كبير في إصدار الأوامر لهيئته بوضع مسودة دستور اليابان.

تولى قيادة القوات الأســترالية خلال الحرب العالمية الثانيــة، وقيادة قــوات الأمم المتحــدة في كوريا الجنوبية خلال الفترة ١٩٥٠ - ١٩٥١ يشــار إلى أن ماك آرثر من الضباط الذين حذروا القيــادة الأمريكية من مخاطر غزو فيتنام. توفي عام ١٩٦٤ وشيد له نصب تذكاري.

للخلاف القائم بينهما في إستراتيجية إدارة الحرب الكورية؛ ليعود «ماك أرثر» إلى الولايات المتحدة لأول مرة بعد ١٥ سنة؛ حيث استقبل استقبال الأبطال في عدد من المدن.

وفي يوم ١٩ إبريل من العام نفسه، ملك «ماك أرثر» الشعب الأمريكي في قبضة يده عندما وقف يلقي خطابه الوداعي أمام الكونجرس الأمريكي بواشنطن؛ ليعلن صدمته من هذه النهاية بعد ٥٢ عامًا من الخدمة العسكرية. كان هذا الخطاب بمثابة فرصة عظيمة للجنرال «ماك أرثر» يحكي فيها القصة من وجهة نظره.

ويوجد متحف يعرض مسيرته العسكرية الطويلة اشتهر بمقولته (في الحرب لا بديل عن النصر). تم تسريح الجنرال ماك أرثر من الخدمة نهائيًا من قبل الرئيس الأمريكي هاري ترومان؛ بسبب معارضته لسياسة ترومان في الحرب الكورية.

قاتل ماك أرثر في الحرب العالمية الأولى، والحرب العالمية الثانية، والحرب الكورية، وكان واحدًا من بين خمسة أشخاص فقط في التاريخ الأمريكي؛ الذين ترقوا إلى مرتبة جنرال الجيش.

نص الخطاب:

«سيدي رئيس الولايات المتحدة الأمريكية، سيدي رئيس المجلس، السادة أعضاء الكونجرس الموقرون:

إنني أقف ها هنا على هذه المنصة، وكلي تواضع وإحساس بالفخر في الوقت نفسه - تواضع لثقل هؤلاء العظماء من رموز التاريخ الذين وقفوا هنا قبلي، وفخر يأتي من أن بيت الجدال التشريعي هذا - يقصد الكونجرس - يمثل حرية الإنسان بكل ما تحمله الكلمة من معنى، فهنا تقبع آمال وطموحات وثقة بني البشر كلهم.

إنني لا أقف هنا مدافعًا عن أي قضية أناصرها؛ فالمشكلات التي نحن بصددها مشكلات جوهرية وبعيدة عن أي اعتبارات تحيزية. ولذلك، يجب حلها على أعلى مستوى يمكن أن يحقق المصلحة القومية إذا كنا نسعى لحماية مستقبلنا، وإثبات أننا دولة قوية.

وبناءً على ذلك، إنني أثق تمامًا في أنكم ستنظرون لي بعين العدل، وأنتم تستمعون مني لما يجب أن قوله الآن على أنه مجرد تعبير عن وجهة نظر زميل أمريكي لكم، فإنني ألقي عليكم خطابي هذا ولا أحمل أي مرارة أو ضغينة، وأنا في هذه المرحلة من حياتي، فليس لي إلا هدف واحد وهو أن أخدم هذا البلد.

إن هذه المشكلات التي نحن بصددها مشكلات عامة ومتشابكة جدًّا مع بعضها؛ فأن تعتقد بأن مشكلات قطاع ما لا صلة لها بمشكلات قطاع آخر، فهذا معناه أنك ستجلب المصائب على الكل، وفي حين أن آسيا ينظر إليها على أنها البوابة إلى أوربا، فالحقيقة أن أوربا أيضًا هي البوابة إلى آسيا، وأن التأثير الواسع النطاق لإحداها سيصل حتمًا للأخرى. أعرف أن هناك من يدعي أن مستوى قوتنا لا يسمح لنا بحماية كلا الجبهتين بحجة ألا تتشتت جهودنا. إنني في الحقيقة لا أجد تعبيرًا يصف هذا الاتجاه، سوى أنها «روح انهزامية».

فإذا كان بإمكان أي عدو محتمل أن يوزع قوته على جبهتين، فهذا يعني أنه من جهتنا يجب أن نواجه جهوده هذه باستعداد منا. إن الخطر الشيوعي خطر عالمي، فتقدمه بنجاح في أحد القطاعات يهدد بتدمير كل القطاعات الأخرى. ومن جهة أخرى، لا يمكن استرضاء الشيوعية في آسيا أو الاستسلام لها دون أن يصاحب ذلك تقليل من شأن جهودنا لوقف تقدمها في أوربا.

بعد عرض هذه الحقائق البديهية، سوف أقصر مناقشتي معكم على بعض الموضوعات العامة التي تخص آسيا. فقبل أن يتطرق أي أحد لتقييم الوضع القائم هناك الآن تقييمًا موضوعيًّا، يجب أن يعرف أولاً لمحة عن تاريخ آسيا والتغييرات الجذرية التي مرت بها، حتى وصلت لما هي عليه في الوقت الحاضر، بعد استعمار دام طويلاً تحت ما يسمى بالقوى الاستعمارية، والذي لم تحظَ آسيا خلاله بفرصة حقيقية للعيش بكرامة، أو التمتع بعدالة اجتماعية ومستوى معيشي مرتفع، كالحياة التي وفرتها حكومتنا الكريمة في الفلبين. وجد شعب آسيا في الحرب المنصرمة فرصتهم للتحرر من قيود الاستعمار، والآن يبزغ عندهم فجر فرصة جديدة، وأصبح لديهم شعور بالكرامة لم يجربوه بها من قبل...

يعيش بآسـيا نصف سكان العالم، وبها ٦٠٪ من موارده الطبيعية. إن هذا الشعب في طريقه لبناء قوة جديدة سريعًا، قوة معنوية ومادية، يسـتطيع من خلالها رفع مستوى المعيشة وتكييف أشكال التقدم الحديث، بما يتلاءم مع بيئته الثقافية المتميزة.

وسواء التزمنا بمفهوم الاستعمار أو لا، هذا هو اتجاه التقدم الآسيوي، والذي قد لا يتوقف بعد الآن، وهو نتيجة طبيعية لتغير الحدود الاقتصادية في العالم؛ بعد أن لفتت هذه البؤرة أنظار العالم من جديد.

ومن هذا المنطلق، أصبح من الضروري أن توجه دولتنا سياستها بما يتوافق مع هذا الوضع الجديد، بدلاً من أن تسـلك طريقًا غافلة عن حقيقة فحواها أن العصر الاسـتعماري قد انتهى الآن، وأن الشعب الآسـيوي يتوق إلى ممارسة حقه، في اختيار مصيره بنفسه بكل حرية. إن ما يريدونه الآن هو الدعم والتفاهم والتوجيه المكلل بالود، والبعيد عن أي معاداة تجاههم. إنهم لا يريدون الشـعور بخزي القهر أو أخذ توجيهات متسلطة من أحد، إنهم يأملون في الكرامة التي يكفلها لهم العدل.

إن مسـتوى معيشـتهم قبل الحرب، والذي كان منخفضًا بشكل مثير للشفقة، أصبح أكثر انخفاضًا الآن وبشكل كبير، بعد الخراب والتدمير الذي خلفته الحرب، كما أن الأيديولوجيات العالمية ليس لها مكان في الفكر الآسـيوي إلا بقدر يسير، حتى إنهم لا يستوعبونها هناك بشكل كبير.

إن كل ما يكافح الشـعب هناك من أجله هو أن تحوي معدتهم لقيمات تسـد رمقهم، وأن تكسو أجسامهم ملابس أفضل قليلاً، وأن يكون فوق رؤوسهم أسقف صلبة تؤويهم، وأخيرًا تحقيق رغبة أي مواطن عادي في الحرية السياسية.

إن هذه الأوضاع السياسـية الاجتماعية لها تأثير غير مباشر عـلى أمننا القومي، ولكنها في الوقت نفسـه تشكل خلفية معرفية يلزم أخذها في الاعتبار بشكل جدي، عند وضع التخطيط المعاصر إذا أردنا أن نتجنب الوقوع في براثن مساوئ البعد عن الواقعية.

ومـــن بين التأثيرات المبــاشرة والآنية التي خلفتها هذه الأوضاع، عــلى أمننا القومي تلك التغييرات التي طرأت على الإمكانات الإستراتيجية للمحيط الهادي، خلال الحرب الماضية.

قبل ذلـــك، كان الحد الإســـتراتيجي الغربي للولايـــات المتحدة يقع على الخط الســـاحلي للأمريكتين، مع جزيرة مكشـــوفة وواضحة تمتد عبر «هـــاواي» و«ميدواي» و«جوم» وحتى الفلبين. في الحقيقة، لقد أثبتت هذه الجزيرة أنها ليســـت موقع قـــوة، وإنما نقطة ضعف يمكن للعـــدو من خلالها أن يتعرض لنا بهجماته، وهذا ما حدث بالفعـــل، فالمحيط الهادي كان ثغرة محتملاً أن تخترقها أي قوة غاشمة، تنوي توجيه ضربة عسكرية على المناطق الحدودية.

كل هـــذه الحقائق قد تغيرت بعد النصر الذي حققناه في المحيط الهادي، فقد تغيرت حدودنا الإستراتيجية، لتشـــمل المحيط الهادي كله الذي أصبح بمثابة خندق مائي شاسع، يحمينا طالما ظل تحت قبضتنا. إنه حقًا درع الحماية للأمريكتين وكل الأراضي الحرة التي تقع في منطقة المحيط الهادي، إننا نسيطر عليه حتى شواطئ آسيا من خلال سلسلة جزر ممتدة في شكل قوس تبدأ من جزر «أليوتان» وحتى جزر «ماريانا»، والتي تقع جميعًا تحت سيطرتنا نحن وحلفائنا الأحرار.

ومن سلســـلة الجزر تلك، يمكننا الهيمنة على كل ميناء آســـيوي بقوات بحرية وجوية، من «فلاديفســـتوك» إلى «ســـنغافورة». أكررها ثانيةً بقوات بحرية وجوية نهيمن على كل ميناء من «فلاديفستوك» إلى «سنغافورة»، ونمنع أي تحرك معادٍ في المحيط الهادي.

إن أي هجوم غاشم من آسيا لا بد أن يتم تنفيذه بعمليات برمائية. وبالطبع، لا تستطيع أي قوة برمائية أن تنجح في مهامها إلا بالســـيطرة على المســـالك البحرية والمجال الجوي فوق هذه المســـالك، وهي في طريق تقدمها نحو الهدف. ولكن، بالتفوق البحري والجوي وبعناصر برية بســـيطة للدفاع عن القواعد؛ فإن أي هجوم كبير موجه إلينا أو إلى أصدقائنا من جهة قارة آسيا سوف يكون مصيره الفشل لا محالة.

وفي ظل توفر هذه الأوضاع، لن يشكل المحيط الهادي أداة تحمل بين طياتها تهديدًا باقتراب أي غازٍ من جانبه، وإنما يتحول إلى بحيرة هادئة يسودها جو من السلام والحب.

إننــا لدينا خط دفاع طبيعي يمكننا الحفاظ عليه، بأقل النفقات والجهود العســكرية. إنه لا يشكل تهديدًا بشــن هجوم من جهته، كما أنه من جهة أخرى لا يمثل الحصن اللازم للتصدي لأي عمليات عدوانية عليه، ولكن مع الحفاظ عليه بالشكل الملائم، سيكون خط الدفاع الذي لا يقهر في مواجهة أي عدوان غاشم.

علاوةً على ذلك، إن السيطرة على خط الدفاع هذا في المحيط الهادي الغربي تعتمد كليةً على الســيطرة على كل القطاعات التابعة له، فأي اختراق كبير لهذا الخط من قبل قوة معادية، سوف يجعل القطاعات الكبيرة عرضة لهجوم حتمي بالتناوب. وهذا تقييم عسكري لم أجد حتى الآن قائدًا عسكريًّا يختلف معه.

ولهذا السبب، أوصيت بشدة في الماضي كضرورة عسكرية بألا يسمح بفرض سيطرة الشيوعيين، بــأي حال من الأحوال على «فورموزا»، فهذه الاحتمالية إذا وقعت كانت ســتهدد حرية الفلبين في الحال وخسارة اليابان، وربما كانت ستعود بالحد الغربي إلى ساحل كاليفورنيا وأوريجون وواشنطن.

إننا حتى نستطيع أن نســتوعب التغييرات التي حدثت الآن على أرض الصين، يجب أولاً أن نســتوعب التغييرات التي طرأت على الثقافة والشخصية الصينية، على مدار الخمسين عامًا الماضية. فالمجتمع الصيني منذ خمســين عامًا كان غير متجانس بالمرة؛ نظرًا لأنه كان مقسمًا إلى مجموعات متناحرة فيما بينها. هــذا علاوةً على أن فكرة خوض الحرب كانت عندهم حينئذٍ لا وجود لها، نظرًا لأنهم كانوا لا يزالون يعتنقون الفكر الكونفوشيوسي الذي يدعو للسلام.

وفي نهاية القرن تحت حكم «شــانج تســو لين»، أثمرت جهود خلــق مجتمع متجانس عن بداية ظهور النزعة الوطنية. ولقد تطورت هــذه النزعة أكثر وأكثر، ولاقت نجاحًا أكبر تحت حكم «شيانج كاي شيك»، ولكنها وصلت لأوجها في ظل النظام الحاكم الحاضر، لدرجة أنها أخذت شكل قومية موحدة لها أهدافها العدوانية.

على مدار الخمسين عامًا الماضية، أدخل الصينيون على مفاهيمهم ومثلهم الصفة العسكرية. لقد أصبحوا الآن جنودًا ممتازين، معهم فرق عمل وقادة عســكريون أكفاء، وهذا بدوره أتاح

الفرصة لنشـــأة قوة جديدة لها الغلبة في آسيا، والتي - بهدف تحقيق أهدافها الخاصة - تحالفت مع روســيا الســوفيتية، التي أصبح الطابع الإمبريالي يغلب على مفاهيمها وأســاليبها بدرجة كبيرة، ذلك الطابع الذي يجلب معه بطبيعة الحال شهوة تدشين التوسعات وزيادة النفوذ.

إن مصطلــح الإمبريالية بمفهومه الأيدلوجي غير متأصل بشــكل كبير في تركيبة المجتمع الصيني. بيد أن انخفاض مســتوى معيشــتهم إلى حد كبير وتبديد التراكم الرأســمالي بسبب الحرب، بدرجة جعلت اليأس يســيطر على أغلبية الشــعب، وجعلهم تواقين لاتباع أي قيادة تبشر بانتشالهم من حياة التقشف.

إنني كنت أؤمن من البداية أن دعم الصينيين الشــيوعيين لكوريا الشمالية ستكون له الغلبة والهيمنــة، ولما كانت مصالحهم تتفق في الوقت الحاضر مع مصالح الســوفيت، فإني أؤمن بأن العــدوان الذي ظهر حديثًا في كوريا وفي الصين والتبت، وربما اتجه للجنوب يعكس بما لا يدع مجالاً للشك الرغبة نفسها في زيادة النفوذ والتوسعات - تلك الرغبة التي كانت الدافع المحرك وراء كل جيش مقدر له الانتصار منذ بداية الزمان.

إن الشعب الياباني استطاع منذ الحرب أن يحقق أكبر حركة إصلاح سجلها التاريخ الحديث، فبإرادة قوية ورغبة في التعلم وقدرة فائقة على الفهم، اســتطاعوا أن يبنوا على رفات الحرب في اليابان صرحًا ضخمًا، يتعهد بســيادة الحرية الفردية والكرامة الإنسانية وفي إطار ذلك، شكلوا حكومة تمثلهم بشكل حقيقي، وتلتزم بتحقيق العدالة الاجتماعية، وتحرير المؤسسة الاقتصادية ودعم الأخلاق السياسية.

إن اليابــان أصبحت الآن تقف على قدم المســاواة مع العديد من الأمم الحرة؛ ســواء على المســتوى الســياسي أو الاقتصادي أو الاجتماعي، ولن يخيب ظن العالم فيها ثانيةً. ذلك حيث إنها تســتطيع اســتغلال نفوذها في التأثير بشــكل كبير على مجريات الأحداث في آسيا بما يحقق مصلحتهــا، وهذا ما يتضح من الطريقة الرائعة التي واجه بها اليابانيون التحديات الحديثة من حرب وقلاقل، واضطرابات تحيط بهم من الخارج والشــيوعية المنتشرة داخل حدود بلادهم. كل هذه التحديات قد واجهوها دون أن يعوقهم ذلك عن تقدمهم للأمام، ولا قيد أنملة.

لقد أرسلت الفرق العسكرية المهنية الأربعة كلها إلى الجبهة الكورية، دون أدنى خوف من تأثير فراغ السلطة الناتج عن ذلك على اليابان، وجاءت النتائج مصدقة تمامًا لما كنت أعتقده.

إنني لا أعرف أمة مثل اليابان في إخلاصها ونظامها ومثابرتها في العمل، وفي آمالها العالية التي تدخرها لخدمة مستقبل البشرية ورفعتها.

بخصوص دولة الفلبين التي كنا تحت حمايتها، فيمكننا أن نتطلع بكل ثقة لأن تصحح أوضاع القلاقل والاضطرابات القائمة هناك، وسوف تنشأ أمة قوية ومتينة بعد الخراب الفظيع؛ الذي خلفته الحرب الطويلة. في الواقع، يجب أن نتحلى بالصبر، وأن نتفهم لوضعها وألا نخذلها كما لم تخذلنا وقت حاجتنا.

بصفتها أمة مسيحية، وقفت الفلبين إلى جوارنا كحصن مقدس للمسيحية في الشرق الأقصى، كما كانت قدرتها على القيادة، بأخلاقيات عالية في آسيا بلا حدود.

علاوةً على ذلك، بالنسبة لـ «فورموزا»، فقد حظيت حكومة جمهورية الصين بفرصة دحض الكثير من الإشاعات المغرضة التي استهانت كثيرًا بقوة القيادة الصينية على أرض الصين، من خلال التدخل العسكري. إذ إن الشعب الفورموزي تحت قيادة حكومة عادلة ومستنيرة بها تمثيل للأغلبية في الأجهزة الحكومية، ومن الناحية السياسية والاقتصادية والاجتماعية، فهم يحرزون تقدمًا ملحوظًا.

بعد هذه اللمحة المختصرة حول المنطقة المحيطة، يمكنني الآن أن أتطرق إلى النزاع الكوري، على الرغم من أنه لم يستشرني أحد، قبل أن يتخذ الرئيس قراره بالتدخل في دعم كوريا، فإن هذا القرار أثبت صحته من وجهة النظر العسكرية.

كما قلت، لقد ثبتت صحة هذا القرار، فقد تمكنا من إيقاف الغزاة وتمزيق قواتهم. وكان نصرنا نصرًا مؤزرًا، وأصبحت أهدافنا في متناولنا إلى أن تدخلت الصين الشعبية، بقوات برية هائلة فائقة العدد. فقد أخذت الحرب عندئذ منعطفًا جديدًا وخلقت وضعًا جديدًا بالكامل، وضعًا لم يفكر فيه أحد عندما وقفت قواتنا في وجه الغزاة من كوريا الشمالية، وضعًا استدعى اتخاذ

قرارات جديدة على الصعيد الدبلوماسي تسمح بإدخال تعديلات واقعية على الإستراتيجيات الحربية. مثل هذه القرارات لم تكن جاهزة حينها.

وعلى الرغم مــن أنه ليس هناك رجل في كامل قواه العقلية، يؤيد إرســال قواتنا البرية إلى الصين، وأن هذه الفكرة لم تخطر ببال أحد من الأســاس، فإن الوضع الجديد اســتلزم وبشكل عاجل إعادة النظر بنظرة متعمقة في التخطيط الإستراتيجي، إذا كان هدفنا السياسي هزيمة هذا العدو الجديد تمامًا كما هزمنا عدونا القديم.

وبخلاف الضرورة العسكرية، كما تراءت لي، لتحييد الحماية السلمية بعد سيطرة العدو على شمال نهر «إليالو»، فقد شعرت أن الضرورة العسكرية في إدارة الحرب استلزمت الآتي:

١- تكثيف الحصار الاقتصادي على الصين.

٢- فرض الحصار البحري على الساحل الصيني.

٣- إزالة القيود المفروضة على الاستطلاعات الجوية على الساحل الصيني ومنشوريا.

٤- إزالة القيود المفروضة على قوات جمهورية الصين في «فورموزا»، مع إمدادهم بالدعم اللوجيستي للمساهمة في العمليات الفعالة على أرض الصين.

ومن أجل اعتبار هذه الآراء، والمصممة كلها باحترافية لدعم قواتنا الموالية لكوريا، ولوقف العــدوان في أقرب وقت ممكن، وبأقل خســائر في الأرواح من الأمريكان وقوات التحالف - تعرضت للانتقاد بشدة وبالأخص في الخارج رغم أنني أعي تمامًا أنه من وجهة النظر العسكرية تلك الآراء الســابقة اتفق عليها بالماضي كل قائد عســكري مهتم بالحملة الكورية، بمن فيهم أعضاء هيئة الأركان المشتركة.

لقد طالبت بتعزيزات، ولكن قيل لي إن التعزيزات غير متوفرة.

وقد أوضحت أنه إذا لم يســمح لنا بتدمير قواعد العدو شمال نهر «إليالو»، وإذا لم يسمح لنا باســتخدام القوات الصينية الصديقة، والتي يصل عددها إلى ٦٠٠ ألف في «فورموزا»، وإذا لم يسمح لنا بحصار الســاحل الصيني لمنع الصين الشعبية من الحصول على مساندة من الخارج،

وإذا لم يكن هناك أمل بوصول تعزيزات ضخمة - فإن الوضع هكذا من الناحية العسكرية سيحول دون تحقيق النصر.

لقد تمكننا من الصمود في كوريا، من خلال المناورات الدائمة وفي منطقة قريبة؛ حيث كانت مميزات خط الإمداد لدينا متوازنة مع عيوب خط الإمداد للعدو، ولكن كانت أقصى آمالنا - في أفضل الأحوال - أن نشن هجمة غير أكيدة النتائج بكل ما يحمل ذلك من استنزاف شديد، لقواتنا في حالة استخدام عدونا لكامل إمكاناته العسكرية.

لقد كنت دومًا أطالب باتخاذ قرارات سياسية جديدة تصل بنا إلى حل جذري، ولقد كانت هناك جهود لتشويه وضعي، وقيل عني فعليًّا إني من دعاة الحرب، ولكن ليس في ذلك شيء من الصحة.

إنني أعرف الحرب كما يعرفها رجال آخرون، على قيد الحياة الآن، ولا شيء يثير اشمئزازي أكثر منها. إنني لطالما أيدت إنهاء الحرب تمامًا، فحالة الدمار الشديد الذي يلحق بالصديق والعدو - على حد سواء - جعل منها أداة عديمة الجدوى في حل النزاعات الدولية.

في اليوم الثاني من سبتمبر عام ١٩٤٥، بعد استسلام اليابان مباشرة في معركة ميسوري، وصلني تحذير رسمي بما يلي:

«إن الإنسان منذ بداية الخليقة يسعى للسلام. ولذلك، تمت تجربة أساليب عديدة على مدار العصور في محاولة الوصول لإجراء دولي لتسوية النزاعات بين الأمم، أو منعها من الأساس. وبالفعل، تم العثور على طرق فعالة لحل النزاع منذ البداية، ولكن على مستوى المواطنين كأفراد. أما آليات تفعيل ذلك على نطاق أوسع دوليًّا فلم تلق نجاحًا قط. إن التحالفات العسكرية وتوازن القوى والاتحادات بين الأمم كلها، باءت بالفشل تاركة الحرب السبيل الوحيد لهذه المشكلة. من ناحية أخرى، أصبح التدمير الشامل الذي تحدثه الحروب الآن يحول دون الأخذ بهذا الحل البديل. لقد حصلنا على فرصتنا الأخيرة، فإذا لم نجد نظامًا أعظم وأكثر إنصافًا من الحرب، فإن معركة «أرمجدون» ستكون هنا على أبوابنا. في واقع الأمر، إن هذه المشكلة

في الأساس لها أصول دينية، وتتضمن تجدد مشاعر روحانية ورقيًا لشخصية الإنسان بشكل متزامن مع التقدم الذي لا مثيل له في العلوم والفن والأدب، وكل التطورات المادية والثقافية التي وقعت خلال الألفي عام المنقضية؛ يجب أن ينبع الحل لها من داخلنا إذا أردنا أن ننقذ الأرواح».

ولكن متى نجبر على خوض الحرب، لا يكون أمامنا بديل سوى أن نبذل كل ما في وسعنا للخروج منها سريعًا. فالهدف الأساسي من الحرب تحقيق النصر، وليس التردد والحيرة لمدة طويلة، في الحرب لا بديل عن النصر.

قد يميل البعض إلى استرضاء الصين الشعبية، لأسباب عدة. ولكن أمثال هؤلاء أغفلوا الدرس الذي لقنه لنا التاريخ، فقد علمنا التاريخ بكل وضوح أن الاسترضاء لا يجلب لنا سوى حرب جديدة أكثر ضراوة وإراقة للدماء، فليس بالتاريخ مثال واحد تبرر فيه هذه الغاية تلك الوسيلة؛ حيث إن الاعتماد على طريقة الاسترضاء لا تصل لشيء أكثر من تحقيق سلام كاذب. إن الاسترضاء شأنه شأن الابتزاز، فهو يفتح المجال أمام فرض المزيد من المطالب الجديدة والمتوالية، إلى أن، مثلما يحدث في الابتزاز، يصبح العنف الحل الوحيد. إن جنودي كانوا يسألونني لماذا يكون الاستسلام في المعركة في صالح العدو في الميدان، ولم أستطع إجابتهم.

ربما يقول البعض؛ لكي نتجنب تحول النزاع القائم إلى حرب واسعة النطاق مع الصين، في حين يرى آخرون أنه لكي نتجنب التدخل السوفيتي. ولكن فيما يبدو لي إن كلا السببين غير صحيح؛ حيث إن الصين قد اشتركت في الحرب فعلاً بكل ما أوتيت من قوة، ويمكنها أن تلتزم بها. ومن ناحية أخرى، ليس بالضروري أن يتماشى العمل العسكري للاتحاد السوفيتي مع تحركاتنا، فأي عدو سوف يوجه ضربته في أغلب الظن عندما يبدو وضعه العسكري وكل إمكاناته الأخرى في صالحه على المستوى العالمي، تمامًا كما يفعل ثعبان الكوبرا.

إن مأساة كوريا تتجسد أكثر لدى معرفتنا بأن العمل العسكري هناك كان محصورًا داخل حدودها الإقليمية. لقد حُكم على هذه الأمة، التي من الواجب علينا حمايتها، بأن تعاني ويلات القذف بالقنابل بحرًا وجوًا في حين أن كل ملاجئ العدو محمية بالكامل من هذا الهجوم.

مـــن بين دول العالم، تعتبر كوريا وحدها - حتى الآن - الدولة الوحيدة التي خاطرت بكل ما تملك لمجابهة الشـــيوعية. إن شجاعة وثبات هذا الشـــعب الكوري تفوق أي وصف، فقد فضل الموت على أن يحيا في عبودية. إن آخر كلماتهم لي كانت: «لا تترك المحيط الهادي يضيع».

لقد تركت لتوي أبناءكم المقاتلين في كوريا. لقد بذلوا كل ما في وسعهم هناك، وأستطيع أن أقول لكم بدون أي تحفظ إنهم كانوا رائعين بكل ما تحمله الكلمة من معنى.

إنني كنت أكرس كل جهدي دومًا للحفاظ على حياتهم، وإنهاء هذا النزاع الوحشي بشكل مشرف في أسرع وقت، وبأقل خســـائر في الأرواح. فإراقة الدماء المســـتمرة كانت تســـبب لي إحساسًـــا عميقًا بالحسرة والحزن. إنني ســـوف أظل أذكر هؤلاء الرجال الشجعان، وسوف أدعو لهم دومًا في صلواتي.

إنني الآن على وشـــك إنهاء ٥٢ عامًا من الخدمة العســـكرية. أذكـــر أنني عندما انضممت للجيش، حتى قبل نهاية هذا القرن، شـــعرت وكأن كل أحلامي وآمالي في الطفولة قد تحققت. لقد تبدلت أحوال العالم مرات عديدة، منذ أن أديت القسم عند «النقطة الغربية»، وقد اختفت كل آمالي وأحلامي من زمن بعيد، ولكني ما زلت أتذكر ترديدنا لإحدى الأغنيات المشـــهورة آنذاك، والتي كانت تعلن بكل فخر أن الجنود القدامى لا يموتون أبدًا، وإنما يخبو نجمهم قليلاً، ومثل الجندي القديم في هذه الأغنية، أنهي الآن خدمتي العسكرية؛ لأخبو قليلاً، كجندي قديم حاول أن يقوم بأداء واجبه، بقدر ما آتاه الله من نور يرى به هذا الواجب.

وإلى لقاء».

مكتبة
t.me/soramnqraa

خطبة
وينستون تشرشل

مناسبة الخطاب:

في ١٠ مايو من عام ١٩٤٠، أصبح «وينستون تشرشل» رئيس الوزراء الجديد لبريطانيا، وفي ١٣ مايو من العام نفسه، عقد اجتماعًا مع مجلس العموم، وعند دخوله إلى المجلس لأول مرة، باعتباره رئيسًا للوزراء، استقبله نواب المجلس استقبالاً فاترًا، بينما استقبلوا رئيس الوزراء السابق «نيفيل تشامبرلين» الذي كان بجانبه بكل حفاوة وترحاب، وبعدها، ألقى «تشرشل» خطبته القصيرة التالية التي أصبحت من أروع الخطب التي قيلت في الدعوة إلى محاربة العدو، وقد جاءت هذه الخطبة في بداية الحرب العالمية الثانية، عندما كانت جيوش «أدولف هتلر» تتوغل في قارة أوربا بقوة وبلا توقف غازية الدولة تلو الأخرى لصالح ألمانيا النازية، وعندما كان يبدو أن بقاء بريطانيا العظمى نفسه غير مؤكد.

نص الخطاب:

«سيادة رئيس المجلس، في مساء الجمعة الماضية تلقيت تفويضًا من صاحب الجلالة بتشكيل حكومة جديدة، وقد كانت الرغبة

نبذة عن حياة وينستون تشرشل:

هو السير وينستون ليونارد سبنسر تشرشل ولد في ٣٠ نوفمبر ١٨٧٤ وكان ميلاده في قصر بلنهايم في محافظة أوكسفوردشاير في إنجلترا. كان رجل دولة إنجليزيًا وجنديًا ومؤلفًا وخطيبًا مفوهًا. يعتبر أحد أهم الزعماء في التاريخ البريطاني والعالمي الحديث.

شغل وينستون تشرشل منصب رئيس وزراء بريطانيا عام ١٩٤٠، واستمر فيه خلال الحرب العالمية الثانية، وذلك بعد استقالة تشامبرلين. استطاع رفع معنويات شعبه أثناء الحرب؛ حيث كانت خطاباته إلهامًا عظيمًا إلى قوات الحلفاء. كان أول من أشار بعلامة النصر بواسطة الإصبعين السبابة والوسطى. بعد الحرب خسر الانتخابات سنة ١٩٤٥، وأصبح زعيم المعارضة ثم عاد إلى منصب رئيس الوزراء ثانيةً في ١٩٥١ وأخيرًا تقاعد في ١٩٥٥.

حصل علي جائزة نوبل في الأدب لسنة ١٩٥٣ للعديد من مؤلفاته في التاريخ الإنجليزي والعالمي، وفي استطلاع لهيئة الإذاعة البريطانية (BBC) سنة ٢٠٠٢ اختير كواحد من أعظم مائة شخصية بريطانية. شارك في احتلال السودان ضمن الجيش الإنجليزي المصري، في فرقة ألانسرز ٢١ (الرماحة)، وألف كتابه حرب النهر عن هذه الحرب. انتخب ممثلاً لحزب المحافظين عن دائرة أولدهام، ولكن سرعان ما انضم لحزب الأحرار، وأصبح رئيسًا لإدارة التجارة. كان وزير الداخلية ثم اللورد الأول لسلاح البحرية. استقال بعد أحداث الدردنيل. استمر في نشاطه البرلماني، وأصبح وزيرًا لشؤون الذخيرة، أصبح سكرتيرًا للحربية والطيران، ثم سكرتيرًا للمستعمرات. ثم عاد وانضم لحزب المحافظين، وأصبح وزيرًا للخزانة. عند قيام الحرب العالمية الثانية رجع للبحرية كلورد أول، وقد توفي في ٢٤ يناير عام ١٩٦٥ عن عمر ٩١ عامًا، ودفن في مقبرة العائلة، قرب مكان ولادته في مدينة وودستوك.

والإرادة الجلية لكل من البرلمان والشعب تتمثل في ضرورة التفكير في هذه الحكومة على أوسع نطاق ممكن، وكذلـك حتمية ضمها لجميع الأحزاب، ومن بينهـا تلك الأحزاب التي كانت تسـاند الحكومة السـابقة، وكذلك أحزاب المعارضة، ولقد انتهيت من تنفيذ الجزء الأهم من هذه المهمة، فقمت بتشـكيل لجنة شؤون الحرب؛ لتضم خمسـة أعضاء يمثلون، مع المعارضة الليبرالية وحدة الأمة. وقد وافق قادة الأحزاب الثلاثة على الخدمة؛ إما في لجنة شـؤون الحرب أو في أحد المناصب التنفيذية العليا، ومن هنا تم شـغل المناصب الخدمية الثلاثة المعنية بشؤون الحرب، وكان من الضروري القيام بهذا الإجراء في غضون يوم واحد فقط؛ بسـبب الضرورة الملحة وقسـوة ما يجري من أحداث، وكذلك تم شـغل عدد من المناصب الرئيسـية الأخرى بالأمس، وسوف أقوم بعرض قائمة أخرى على جلالته في وقت لاحق من هذا اليوم، ويحدوني الأمل في الانتهاء من تعيين الوزراء الرئيسـين غدًا. أما فيما يختـص بتعيين الوزراء الآخرين، فإن الأمر يسـتغرق مدة أطـول قليلاً، ولكنني على يقين من أنه عندمـا يجتمع البرلمان في المرة القادمة سيكون هذا الجانب من مهمتي قد تم الانتهاء منه، وستكون الحكومة مكتملة من جميع جوانبها.

أيها السـادة، لقد اعتبرت أنه من المصلحة العامة اقـتراح ضرورة دعوة المجلس للاجتماع اليوم، وقد وافق السـيد رئيس المجلس، واتخذ الخطـوات الضرورية، وفقًا للصلاحيات التي منحت له، بناءً على قرار من المجلس، وفي نهاية وقائع جلسـة اليوم، سيتم اقتراح تأجيل انعقاد المجلس حتى يـوم الخميس الموافق ٢١ مايو، مع إجراء الاسـتعدادات المطلوبة لعقد اجتماع مبكر، في حالة وجود ضرورة، وسوف يتم إشعار الأعضاء بالمسائل التي ستتم دراستها خلال ذلك الأسـبوع، في أقرب فرصـة ممكنة، والآن أدعو المجلس بموجـب البيان الذي أقدمه له بشخصي إلى تسجيل موافقته على الخطوات المتخذة، وإعلان ثقته في الحكومة الجديدة.

أيها السـادة، إن تشـكيل حكومة بهذا الحجم والقدر من التعقيد يعـد التزامًا خطيرًا، في حد ذاته، ولكن يجب علينا تذكر أننا في مرحلة الاسـتعداد لأعظـم المعارك في التاريخ، وأننا نشـيطون في الكثير من المواقع في كل من النرويج وهولندا، وأننا يجب أن نكون على اسـتعداد

في منطقة البحر المتوسط، وأن المعركة الجوية مستمرة، وأن هناك الكثير من الاستعدادات التي يجب اتخاذها هنا على أرض الوطن. في ظل هذه الأزمة، آمل أن تتقبلوا اعتذاري إذا لم أقم بمخاطبة المجلس بإسهاب اليوم، وآمل من أصدقائي وزملائي الجدد أو زملائي القدامى الذين تأثروا بإعادة الهيكلة السياسية أن يتقبلوا ما ارتبط بذلك من نقص في المراسم التي كان من الضروري العمل وفقًا لها، كما أود أن أقول للمجلس كما قلت لهؤلاء الذين انضموا إلى الحكومة: «**إنني لا أملك شيئًا لأقدمه سوى الدم والجهد والدموع والعرق**».

نحن على مشارف مواجهة محنة من أكثر أنواع المحن عنفًا وخطورةً. إن أمامنا الكثير والكثير من الشهور الطويلة من الكفاح والمعاناة، وقد تسألون، ما سياستنا لمواجهة هذه المحنة؟ وسأرد عليكم قائلاً: هي شن الحرب بحرًا وبرًّا وجوًّا بكل قوتنا، وبكل القدرة التي يمنحنا إياها الرب، شن الحرب ضد الحكم الاستبدادي البشع، وألا يكون لنا الأسبقية في الانضمام للقائمة الموحشة والمؤسفة، لمرتكبي الجرائم ضد الإنسانية. هذه هي سياستنا، وقد تسألون، ما هدفنا من وراء ذلك؟ يمكنني أن أجيب عن هذا السؤال بكلمة واحدة: **النصر، النصر مهما حدث، النصر على الرغم من كل المخاوف، النصر بالرغم من الطريق الطويل والشاق للوصول إليه، فدون النصر، لن يكون هناك بقاء.** لا بد من استيعاب الحقيقة التالية: لا بقاء للإمبراطورية البريطانية، ولا بقاء لكل القيم التي كانت الإمبراطورية البريطانية تدعمها، ولا بقاء للقوة الدافعة والحماسة على مر العصور؛ من أجل أن تتقدم البشرية إلى الأمام نحو تحقيق هدفها. ولكنني عزمت على أداء مهمتي متمتعًا بالبهجة والأمل. إنني أشعر باليقين من أن قضيتنا لن تلاقي الفشل على أيدي رجالنا، وفي هذا الوقت، أشعر أنه يحق لي طلب مساعدة الجميع، وأقول: هيا بنا نتقدم معًا معتمدين على وحدة قوتنا».

«وينستون تشرشل» في ١٣ مايو ١٩٤٠

الخطبة الثانية لوينستون تشرشل ١٨ يونية ١٩٤٠

مناسبة الخطاب:

كان «تشرشـــل» من بين الأوائل الذين أدركوا تنامي خطر «هتلر»، قبل فترة طويلة من بدء الحرب العالمية الثانية، ولكن تحذيراته لم تؤخذ بعين الاعتبار بشكل كبير، وعلى الرغم من ذلك، كانت هناك عناصر من عامة الشـــعب البريطاني لها حس سياسي يفضل السلام المتفاوض عليه مع ألمانيا الصاعدة، بشـــكل واضح ومن بينهم وزير الخارجية اللـــورد «هاليفاكس»، ورفض «تشرشـــل» أن يأخذ في الحســـبان عقد هدنة مع ألمانيا، وكان لاستخدامه للخطب القوية تأثير على الرأي العام والذي واجه بدوره أي قرار ســـلمي، واستعد للدخول في حرب طويلة الأمد مـــع ألمانيا، ومن بين هذه الخطب الخطبة التالية؛ التي ألقاها على مجلس العموم في ١٨ يونية من عام ١٩٤٠، والتي صرح فيها باسم المعركة القادمة «هذه ساعتنا».

نص الخطاب:

«منذ أيام قليلة مضت، تحدثت عن الكارثة العسكرية الضخمة؛ التي حدثت عندما فشلت القيادة العليا الفرنسية، في ســـحب الجيوش الشمالية من بلجيكا في اللحظة التي عرفت فيها أن الجبهة الفرنسية، قد سحقت دون أدنى شك في كل من «سيدان» و»ميوس»، وأدى هذا التأخر إلى خســـارة حوالي خمس عشرة أو ست عشرة فرقة عسكرية فرنســـية، وإلى تعطل استعدادات قوات الحملة البريطانية لهذه المرحلة الحرجة. هذا واســـتطاعت البحرية البريطانية بشكل فعلي إنقاذ جيشـــنا، وكذلك ١٢٠ ألف كتيبة عسكرية فرنسية من مدينة «دنكيرك»، ولكن كان ذلك فقط مع تكبدها لخســـائر في المدافع والمركبـــات والمعدات الحديثة. وحتماً، اســـتغرقت عملية تعويض هذه الخســـائر بعض الأسابيع، وخلال الأســـبوعين الأولين من هذه الفترة، خسرت فرنســـا المعركة. بالنظر إلى المقاومة البطولية التي أبداهـــا الجيش الفرنسي، في مقابل الصعوبات الشديدة التي واجهها في هذه المعركة، وكذلك الخسائر الضخمة التي كبدها للعدو والاستنزاف الواضح لقواه - فإنه من الجيد الاعتقاد أن هـــذه الفرق الخمس والعشرين التي ضمت أفضل

الكتائب العسكرية المدربة والمجهزة، على أعلى مستوى كان من الممكن أن ترجح كفة المعركة لصالح الجيش الفرنسي. غير أن الجنرال «فيجان» تحتم عليه القتال بدونها، ولم تتمكن سوى ثلاث فرق عسكرية بريطانية فقط، أو ما يوازيها من الوقوف جنبًا إلى جنب مع رفاقهم من الفرنسيين. حقًا، لقد عانوا بشدة، ولكن حاربوا بقوة، وقد قمنا بإرسال ما استطعنا حشده من الرجال إلى فرنسا بأقصى سرعة ممكنة بعد قيامنا بإعادة تجهيز تشكيلاتهم ونقلها.

إنني لا أسرد هذه الحقائق بغرض الاتهام المضاد، وذلك حتى لا يتم الحكم علي بأنني منشغل بتوافه الأمور، أو حتى متسبب في جلب الأضرار، فنحن لا نقوى على تحمل المشكلات التي يمكن أن تنجم عن ذلك. أما الهدف من سردي لها شرح الأسباب وراء عدم مشاركتنا بالقتال في هذه المعركة العظيمة، بحوالي ١٢ أو ١٤ فرقة عسكرية بريطانية، طالما أننا نمتلك هذا العدد، وذلك بدلاً من المشاركة بثلاث فرق فحسب، والآن أضع كل هذه الأمور جانبًا. سأتركها على الرف الذي سينتقي منه المؤرخون وثائقهم لسرد القصص عندما يتاح أمامهم الوقت. يجب علينا أن نفكر في المستقبل، وليس في الماضي، وهذا ينطبق أيضًا إلى حد ما على شؤون وطننا، وهناك الكثيرون الذين سيتقدمون باستجواب في مجلس العموم، فيما يتعلق بأسلوب الإدارة الذي انتهجته الحكومات وكذلك البرلمانات؛ بسبب انتمائها لهذه الحكومات، خلال السنوات التي سبقت حدوث هذه الكارثة. إن هؤلاء الأشخاص يسعون إلى توجيه التهمة إلى من كانوا مسؤولين عن إدارة شؤوننا، وهذه العملية ستتسم هي الأخرى بالحماقة والخبث، فهناك الكثير من المتورطين في هذا الأمر، فاتركوا كل إنسان يراجع ضميره ويراجع أقواله بنفسه، وهذا ما أقوم به باستمرار.

إنني على يقين تام من أنه إذا فتحنا باب الصراع بين الماضي والحاضر، فسنجد أنفسنا وقد خسرنا المستقبل. لذا، لا أستطيع قبول إجراء عمليات تفرقة بين أعضاء الحكومة الحالية، فهذه الحكومة تشكلت أثناء الأزمة بهدف توحيد جميع الأحزاب ووجهات النظر كافة، كما حظيت بالدعم من كلا المجلسين البرلمانيين بإجماع كل الآراء تقريبًا. إن جميع أعضائها سوف يؤازر بعضهم بعضًا، وسيقومون بإدارة البلاد والقتال في الحرب، بالخضوع لسلطة مجلس العموم، ويعد من المهم تمامًا في مثل هذه الفترة الحرجة التي نعيشها احترام كل

وزير من هؤلاء الوزراء؛ الذين يسعون بصفة يومية إلى أداء الواجب المفروض عليهم، ويجب أن يعرف أتباعهم أن رؤساءهم ليسوا مهددين، وليسوا ممن يأتون اليوم ويرحلون غدًا، بل يجب احترام تعليماتهم بكل دقة وإخلاص، ودون توحيد قوتنا لن نستطيع التغلب على الأزمة التي تواجهنا، ولا أعتقد أنه من المفيد إلى حد كبير أن يقوم المجلس بمد هذه المناقشة هذا المساء في ظل ظروف الضغط العام، فهناك الكثير من الحقائق غير الواضحة؛ التي ستتضح في غضون وقت قصير، وسوف نقوم بعقد جلسة سرية يوم الخميس، وأعتقد أن هذه ستكون فرصة أفضل للتعبير عن الكثير من الآراء الجادة؛ التي يرغب الأعضاء في الإدلاء بها، وستكون هذه فرصة؛ ليناقش المجلس القضايا الحيوية، دون أن نجدها وقد نشرت في الصباح التالي، ليقرأها خصومنا الخطيرون.

إن الأحداث العسكرية الخطيرة التي وقعت خلال الأربعة عشر يومًا الماضية، لم تصبني بالدهشة، فقد قمت بالفعل منذ أربعة عشر يومًا بالإشارة بشكل واضح، إلى المجلس بأن الاحتمالات الأسوأ ممكنة الحدوث، وأوضحت تمامًا أنه مهما حدث في فرنسا، فإن ذلك لن يغير في القرار الذي اتخذته بريطانيا والإمبراطورية البريطانية الخاص بالاستمرار في القتال؛ حتى وإذا اقتضت الضرورة أن يكون ذلك لسنوات طويلة، وإذا اقتضى الأمر أن تحارب بمفردها.

خلال الأيام القليلة الماضية، استطعنا بنجاح سحب الأغلبية العظمى من كتائبنا الموجودة في فرنسا، والتي كنا على اتصال بها، كما أن سبعة أثمان الكتائب التي أرسلناها إلى فرنسا؛ منذ بداية الحرب - أي ما يقرب من ٣٥٠ ألف رجل من إجمالي ٤٠٠ ألف رجل - عادوا بسلام إلى أرض الوطن، وما زالت هناك كتائب أخرى تحارب جنبًا إلى جنب مع الفرنسيين، وأخرى تحارب محققة نجاحًا كبيرًا في مناوشتها مع العدو، على الصعيد المحلي، واستطعنا - أيضًا - إعادة الأعتدة الحربية والبنادق والذخائر، على اختلاف أنواعها، والتي كانت متكدسة في فرنسا خلال الشهور التسعة الماضية.

لذا، أصبحنا نمتلك على أرض هذه الجزيرة في الوقت الحاضر قوة حربية ضخمة وجبارة. تتشكل هذه القوة من أفضل الكتائب المدربة والمتميزة، متضمنة الآلاف من الأفراد الذين تم

قياس جودة أدائهم في مقابل جودة أداء الألمان، ووجدوا أنفسهم دون نقاط ضعف. إننا نمتلك في الوقت الحاضر من الرجال المسلحين والمستعدين للقتال، في هذه الجزيرة ما يفوق المليون والربع، وذلك بالإضافة إلى متطوعي الدفاع المحلي، والذين يصل عددهم إلى نصف مليون، إلا أن جزءًا منهم فقط لم يتم تسليحه حتى الآن بالبنادق أو الأسلحة النارية الأخرى. لقد ألحقنا إلى قوات الدفاع الخاصة بنا كل شخص نستطيع تزويده بالسلاح، ونتوقع في المستقبل القريب عمليات تزويد لأسلحتنا بكميات ضخمة، واستعدادًا منا لذلك نتوي على الفور في حال حدوث ذلك - استدعاء أعداد ضخمة أخرى من الرجال وتعليمهم وتدريبهم، وهؤلاء الذين لم يتم استدعاؤهم أو تم توظيفهم خلال النشاط الواسع، لإنتاج الأعتدة الحربية بجميع الفروع - وكانت نتائجهم غير المتوقعة لا تعد ولا تحصى - فإنهم سيظلون في خدمة بلدهم على النحو الأمثل، عن طريق بقائهم في عملهم العادي، حتى يتلقون استدعاءاتهم. وهناك أيضًا جيوش من دول الدومينيين قدموا إلى بلدنا، وقد هبط الكنديون بالفعل على أرض فرنسا، ولكن تم الآن سحبهم بأمان بكامل مدافعهم ومعداتهم يحدوهم شعور بخيبة الأمل الشديدة، ولكنهم منظمون بشكل متميز، وسوف تشارك هذه القوات عالية المستوى القادمة من دول الدومينيين الآن في الدفاع عن الوطن الأم.

خشية أن يثير الوصف الذي عرضته عن هذه القوات الضخمة السؤال التالي: لماذا لم تشارك هذه القوات في المعركة الكبرى بفرنسا؟ يجب أن أوضح أنه باستثناء عمليات تدريب وتنظيم الفرق العسكرية في الوطن، فإن اثنتي عشرة فرقة فقط هي التي تم تجهيزها للقتال على نطاق واسع؛ مما برر إرسالها إلى الخارج. وهذا يفوق تمامًا العدد الذي توقع الفرنسيون أنه سيكون متاحًا في فرنسا، في الشهور التسعة للحرب. أما بقية قواتنا في الوطن، فإن لهم قيمة قتالية أكبر متمثلة في الدفاع عن الوطن، وبالطبع تتزايد هذه القيمة بشكل مستمر مع مرور كل أسبوع. لذا، إن غزو بريطانيا العظمى في هذا الوقت سيتطلب نقل أعداد كبيرة من الجيوش المعادية عبر البحر، وبعد نقلهم ينبغي تزويدهم باستمرار بأعداد ضخمة من جميع الأعتدة الحربية والمؤن المطلوبة للمعركة المستمرة؛ حيث ستكون هناك معركة مستمرة بالتأكيد.

هنا نأتي إلى القوات البحرية، فبغض النظر عن كل شيء إن لدينا قوات بحرية، فقد بدا أن البعض ينسى وجود القوات البحرية، ويجب علينا أن نذكرهم بذلك. في الثلاثين عامًا الماضية، كنت منشغلاً بإجراء مناقشات حول احتمالات الغزو عبر البحار، كما تحملت المسؤولية، نيابةً عن الأميرالية في بداية نشوب الحرب الماضية، وذلك في السماح بإرسال جميع الكتائب العسكرية النظامية إلى خارج الوطن، وكانت هذه خطوة خطيرة للغاية من الصعب اتخاذها، ويرجع ذلك إلى أن القوات الإقليمية كان قد تم استدعاؤها للمشاركة منذ فترة قصيرة جدًّا، وكانت غير مدربة إلى حد ما. ولذلك، كانت هذه الجزيرة مستبعدة من الكتائب المحاربة لشهور عديدة، وكان لدى الأميرالية في ذلك الوقت ثقة في قدرتها على منع الغزو الشامل، حتى على الرغم من أن الألمان في ذلك الحين كانوا يمتلكون أسطولاً بحريًّا عظيمًا، للمشاركة في المعركة بنسبة ١٠ إلى ١٦، وكانت الأميرالية كذلك قادرة على القتال في اشتباك عام كل يوم وفي أي يوم، بينما في الوقت الحاضر لا تمتلك سوى طرادين ثقيلين يستحقان الحديث عنهما، ألا وهما «شارنهورست» و«جنايسناو»، وقد قيل لنا - أيضًا - إن البحرية الإيطالية سوف تظهر براعتها، وتحقق السيادة البحرية في هذه المياه، وإذا كانوا يعنون ذلك بشكل جدي، فإن ما سأقوله لهم هو فقط أننا سنكون سعداء بأن نعرض على «السنيور موسوليني» عبورًا مجانيًّا وآمنًا، من خلال مضيق جبل طارق، حتى يمكنه أداء الدور الذي يطمح إليه. هذا ويوجد فضول عام بين العاملين في الأسطول البريطاني، لمعرفة ما إذا كان الإيطاليون في الوقت الحاضر في مستواهم نفسه؛ الذي كانوا عليه في الحرب السابقة أم أن مستواهم قد انخفض تمامًا.

لذا، بدا لي أن بالنسبة للغزو البحري على نطاق واسع، فإننا قادرون على مواجهته في الوقت الحاضر، بصورة أكبر بكثير من العديد من الفترات السابقة في الحرب الماضية، وخلال الشهور الأولى من الحرب الحالية، وذلك قبل إقدامنا على تدريب كتائبنا الأخرى، وبينما استكملت القوة الاستطلاعية البريطانية مسيرتها في الخارج. في الوقت الحاضر، لم تتظاهر القوات البحرية على الإطلاق، بقدرتها على منع الغارات بالاعتماد على مجموعات من الرجال تتراوح بين ٥٠٠٠ أو ١٠٠٠٠ رجل، يتم دفعهم بشكل مفاجئ وإلقاؤهم على الشاطئ عند العديد من النقاط على

الساحل، في ليلة ظلماء أو صباح ضبابي، تعتمد كفاءة القوة البحرية، ولا سيما في ظل الظروف الحديثة، على كبر حجم القوة الغازية اللازم؛ كي تثمر عن فوائدها، وذلك من وجهة نظر قوتنا العسكرية، فإذا كانت القوة الغازية ضخمة الحجم، فإن القوة البحرية ستتمكن من اكتشاف العدو، ومواجهته والإطباق عليه، كما كانت تفعل. أما في الوقت الحاضر، فيجب علينا تذكر أنه حتى الفرق العسكرية الخمس على الرغم من تسليحها الخفيف، فستحتاج ما يتراوح بين ٢٠٠ إلى ٢٥٠ سفينة، ومع الإمكانيات الحديثة للتصوير والاستطلاع الجوي، سوف لا يكون من السهل تجميع أسطول بحري وحشده وتوجيهه للعبور بحرًا، دون وجود قوات بحرية قوية تقوم بمصاحبته وحراسته، علاوة على وجود احتمالات كبيرة جدًّا، أو ما هو أقوى من ذلك؛ لأن يتم اعتراض طريق هذا الأسطول قبل وصوله إلى الساحل بفترة طويلة، وأن يغرق جميع من عليه من رجال في البحر، أو في أسوأ الظروف يتم تدميرهم وتمزيقهم إلى أشلاء هم ومعداتهم، أثناء محاولتهم للوصول إلى البر. إن لدينا أيضًا نظامًا عظيمًا لكشف حقول الألغام، والذي تم تعزيزه بقوة مؤخرًا، والذي من خلاله نستطيع نحن فقط معرفة القنوات، فإذا ما حاول العدو شق بعض الممرات خلال هذه الحقول، فإن مهمة القوة البحرية في هذا الوقت ستتمثل في تدمير كاسحات الألغام، وأية قوات أخرى تم توظيفها لحماية هذه الكاسحات. ولا بد ألا تكون هناك أية صعوبة في أداء هذه المهمة؛ نظرًا لتفوقنا البحري العظيم.

كانت هذه هي الحجج الدائمة والمجربة والمثبتة بشكل جيد، التي اعتمدنا عليها خلال سنوات طويلة، في أوقات السلام والحرب، ولكن السؤال الذي يطرح نفسه هو هل هناك أية طرق جديدة يمكن من خلالها الهروب من تلك العهود القوية، ويعد شيئًا غريبًا كما يبدو أن قامت الأميرالية بتوجيه بعض الاهتمام إلى هذا الأمر، وذلك على الرغم من أن مهمتها ومسؤوليتها الأساسية تدمير أية حملة بحرية ضخمة، قبل وصولها أو لحظة وصولها إلى شواطئنا، ولكن لن يكون شيء جيد أن أخوض في تفاصيل هذه المسألة، فقد نقوم باقتراح بعض الأفكار على أشخاص آخرين لم يكونوا قد فكروا فيها من قبل، ولكنهم لا يقدمون لنا في المقابل أيًّا من أفكارهم. كل ما سوف أقوله هو أن الجمع بين الحذر والبحث العقلي؛

يجب تخصيصه لخدمة القضية الأساسية، وذلك لأن العدو يتسم بالمكر والخديعة، والقدرة على ابتكار أشكال جديدة، من الخيانة والحيل الحربية، وقد يتم التأكيد للمجلس على إظهار أعداد كبيرة من المسؤولين الأكفاء - المدربين جيدًا على الوسائل التكتيكية والمطلعين بشكل جيد على أحدث التطورات - لأكبر قدر من القدرة على الابتكار والتخيل، في قياس الاحتمالات الجديدة، والعمل بشكل مضاد للرد عليها، والجمع بين الحذر والبحث العقلي بلا كلل يجب تخصيصه لخدمة القضية الأساسية، وتذكر أن العدو يتسم بالمكر، ولن يترك أية حيلة دنيئة إلا وقام بها.

قد يتساءل بعض الناس من ثم عن الأسباب، وراء عدم قدرة القوات البحرية البريطانية على منع تقدم الجيش الضخم القادم من ألمانيا إلى النرويج، عبر خليج «سكاجيراك»؟ لكن الظروف في القناة وفي بحر الشمال ليست مماثلة بأي حال من الأحوال، لتلك الظروف السائدة في خليج «سكاجيراك». ونظرًا لبعد المسافة، لم نستطع تقديم أي دعم جوي لسفن السطح الخاصة بنا في «سكاجيراك»، وبالتبعية رسونا بالقرب من السلاح الجوي الرئيسي للعدو؛ مما اضطرنا إلى استخدام الغواصات فقط، ولم نستطع فرض الحصار التام أو إحداث الإعاقة الشاملة التي يمكن أن تقوم بها سفن السطح. لقد أحدثت غواصتنا أضرارًا كبيرة، ولكنها لم تستطع بمفردها منع غزو النرويج. ومن ناحية أخرى، سوف تعمل قواتنا البحرية رفيعة المستوى المعنية بسفن السطح في منطقتي القناة وبحر الشمال والمدعومة من قبل غواصاتنا، في حالة وجود مساعدة جوية قريبة وفعالة.

هذا يقودني بطبيعة الحال إلى تناول القضية الكبرى الخاصة بالغزو الجوي، وكذلك الصراع الوشيك الحدوث بين القوات الجوية البريطانية والألمانية. لقد بدا واضحًا عدم وجود غزو جوي يفوق قدرة قواتنا البرية على دحضه سريعًا، حتى يتم التعزيز الفعلي لقواتنا الجوية، وفي خلال هذه الفترة، قد تكون هناك غارات تقوم بشنها كتائب المظلات، ومحاولات لشن هجمات مباغتة من قبل الجنود المنقولين جوًّا، ويجب أن نكون قادرين على منح هذه المجموعة الراقية استقبالاً حارًّا جوًّا وبرًّا، إذا قدموا تحت أي ظرف من الظروف لمواصلة النزاع، ولكن السؤال

العظيم الذي يطرح نفســه هنا هو هل يمكننا التغلب على الســلاح الجوي لهتلر؟ بالطبع، يعد شيئًا يدعو للأسف الشديد عدم امتلاكنا في الوقت الحاضر لقوة جوية مساوية، على الأقل لقوة ذلك العدو القوي بالحد الكبير الموجود داخل هذه المساحة المدهشة من هذه الشواطئ. لكن، إن لدينا سلاحًا جويًا قويًا للغاية، والذي أثبت تفوقه من حيث الجودة في مستوى الرجال، وفي كفــاءة الأنواع العديدة من الآلات بصورة أكبر من الألمــان، وذلك في المعارك الجوية العديدة والعنيفــة التي حاربنا فيها معهم. في فرنســا، عندما كنا نعاني من بعــض العيوب؛ مما أدى إلى خســارتنا للكثير من المعدات البرية؛ التي كانت في ذلك الوقت تحيط بالمطارات دون أن تفعل شيئًا، وقد اعتدنا على تكبيد خسائر جوية بنســبة اثنين أو اثنين ونصف إلى واحد. أثناء القتال فوق «دونكيرك»، والتي كانت عبارة عن أرض محايدة، فقمنا بلا شــك بهزيمة القوات الجوية الألمانية، وحققنا السيطرة الكاملة على النطاق الجوي المحلي مكبدين العدو خسائر بنسبة ثلاثة أو أربعة إلى واحد يومًا بعد يوم. إن أي شــخص ينظر إلى الصور التي نشرت منذ ما يقرب من أســبوع مضى، فيما يختص بموضوع إعادة إنزال الســفن، والتي عرضت الأعداد الغفيرة من الكتائب المحتشــدة على الشاطئ، والتي شكلت هدفًا مثاليًا لساعات في ذلك الحين، فإنه يجب أن يدرك أن عملية إعادة الإنزال هذه لم تكن ممكنة، إلا إذا كان العدو قد تخلى عن كل آماله، في استعادة التفوق الجوي في ذلك الوقت، وفي ذلك المكان.

في الدفاع عن هذه الجزيرة، ســتكون مزايا المدافعين أعظم بكثــير مما كانت عليه في قتالهم حول منطقــة «دونكيرك»، ونحن نأمل في أن نتحســن بمعدل ثلاثة أو أربعــة إلى واحد؛ مما حققناه في «دونكيرك»، يضــاف إلى ذلك أنه في حالة حدوث هجوم على هذه الجزر، فإن جميع معداتنا التي أصابها الضرر وأطقم تشــغيلها ســتهبط بأمان - ومما يثير الدهشة أن الكثير من الماكينــات والرجال الذين لحق بهم الضرر، يهبطــون بالفعل بأمان في ظروف القتال الجوي في العــصر الحديث - على أرض صديقــة ويقيمون هناك حتى يحاربوا في يوم آخر، بينما ســوف تحدث خسائر شــاملة في المعدات المتضررة الخاصة بالعدو وملحقاتها، وذلك فيما يتعلق بتلك التي تم استخدامها في الحرب.

خلال المعركة الكبرى التي دارت في فرنسا، قدمنا مساعدة شديدة القوة ومستمرة إلى الجيش الفرنسي، وذلك من خلال إمدادهم بمجموعات من الطائرات المقاتلة وقاذفات القنابل، وعلى الرغم من كل أشـكال الضغوط التي فرضت علينا، لم نسـمح على الإطلاق باستهلاك القوة الشـاملة للطائرات المقاتلة الموجودة بالعاصمة التابعة للسلاح الجوي. كان هذا القرار مسببًا للألم، ولكنه كان صائبًا في الوقت نفسـه، ويرجع ذلك إلى أن مصير المعركة في فرنسـا لم يكن ليتأثر بشـكل حاسـم حتى إذا ما أشركنا قوات الطائرات المقاتلة الخاصة التابعة لنا بالكامل، فهذه المعركة تمت خسـارتها؛ بسبب تلك الثغرة الإسـتراتيجية المؤسفة، وبسبب القوة الرائعة وغير المتوقعة لصفوف القوات المصفحة، وبسبب التفوق العددي الكبير للجيش الألماني.

لقد كان من الممكن اسـتنزاف طائراتنا المقاتلة التابعة للسـلاح الجوي بسهولة، في حدث بسـيط من أحداث هذا الصراع الكبير، ومن ثم نجد أنفسنا في الوقت الحاضر في مأزق خطير للغايـة، ولكن كما هو الوضع في الوقت الراهن، إنني أشـعر بالسـعادة بأن أخبر المجلس أن قـوة طائراتنا المقاتلة أكـبر في الوقت الحاضر نسـبيًّا، بالمقارنة بالقوة الخاصـة بالألمان الذين تكبدوا خسـائر فادحـة، أكثر من أي وقت مضى، من ثم نحن نؤمـن بأننا نمتلك القدرة على اسـتكمال الحرب جوًّا في ظروف أفضل مما تعرضنا لها في أي وقت سابق. إنني أتطلع بكل ثقة إلى الأعمال البطولية؛ التي سـيقوم بها طيارونا المحاربون - هـؤلاء الرجال الرائعون، هؤلاء الشباب اللامعون - الذين سيحققون المجد لحمايتهم لأرض الوطن الأكبر، ولجزيرتهم ولكل من يحبونهم - من تلك الهجمات المميتة التي يشنها العدو.

يظل هناك بالطبع خطر هجمات القصف بالقنابل التي سيتم شنها علينا، بالتأكيد في أقرب فرصة، عن طريق قوات القصف الخاصة بالعدو. صحيـح أن قوات القصف الألمانية تتفوق عدديًّا على قواتنا إلا أننا لدينا قوات قصف ضخمة بشكل كبير أيضًا، والتي سوف نستعين بها في ضرب أهداف عسـكرية في ألمانيا دون توقف. إنني لا أقوم على الإطلاق بالتقليل من حدة المحنة التي تواجهنا، ولكنني أؤمن أن أبناءنا سوف يثبتون قدرتهم على التصدي لها مثل هؤلاء الرجال الشجعان في «برشلونة»، وسـوف يكونون قادرين على الصمود أمامها، والاستمرار

على الرغم منها، ولو على الأقل مثل أي شعب آخر في العالم. هناك الكثير من الأمور التي سيعتمد عليها هذا الأمر؛ مثل إتاحة الفرصة لكل رجل وامرأة، لإظهار أفضل الخصال في هذا السباق وتقديم الخدمة الأفضل لقضيتهم.

لقد اعتقدت أنه من الصواب في هذه المناسبة أن أعرض أمام المجلس والوطن الأسس الحقيقية والعملية التي يعتمد عليها قرارنا الذي لا يمكن أن نتنازل عنه، الخاص باستكمال الحرب. هناك الكثير من الأشخاص المخلصين الذين يقولون «لا تبالي. الفوز أو الخسارة، الغرق أو السباحة، فالموت أفضل من الاستسلام للحكم الاستبدادي، وهذا المستبد الطاغية». وأنا أتفق معهم في الرأي، ولكنني أستطيع أن أؤكد لهم أن مستشارينا المحترفين المعينين بالمناصب الخدمية الثلاثة الخاصة بالحرب - نصحونا بالإجماع بضرورة أن نستمر في الحرب، وأنه هناك آمال طيبة ومعقولة في إحراز النصر في النهاية، وقمنا بإعلام جميع دول الدومينيين ذات الحكم الذاتي بشكل كامل، والتشاور معهم في الأمر، تلك المجتمعات العظيمة التي تقع وراء المحيطات، والتي بنيت بالاعتماد على قوانيننا وحضارتنا، والتي تتمتع بالحرية المطلقة في اختيار مسارها، ولكنها في الوقت نفسه مخلصة للوطن الأم القديم، والتي تشعر بأنه يحدوها المشاعر نفسها التي دفعتني إلى المراهنة بأرواحنا في سبيل الواجب والشرف. لقد قمنا بمشاورتهم بشكل كامل، ومن ثم تلقيت رسائل من رؤساء وزراء هذه الدول، السيد «ماكنزي كينج» من كندا، والسيد «مينزيس» من أستراليا، والسيد «فريزر» من نيوزيلندا والجنرال «سموتس» من جنوب إفريقيا - هذا الرجل الرائع صاحب العقل المتفتح والمتميز، والعين الثاقبة التي تراقب عن بعد البانوراما الكاملة للشؤون الأوربية. لقد تلقيت من كل هؤلاء الرجال البارزين الذين تقع وراءهم حكومات منتخبة، بالاعتماد على مجموعة واسعة من الحقوق الدستورية، والذين احتلوا مواقعهم؛ لأنهم يمثلون إرادة شعوبهم - رسائل أعربت من خلال المصطلحات المثيرة للمشاعر، عن تصديقهم على قرارنا بالاستمرار في القتال، كما أعلنوا عن استعدادهم؛ لأن يشاركونا في مصيرنا، وأن يثابروا إلى النهاية، وهذا ما ننتوي القيام به.

قد نطرح على أنفسنا الآن هذا السؤال: كيف ساء موقفنا منذ بداية الحرب؟ لقد ساء موقفنا بالنظر إلى حقيقة أن الألمان قاموا بغزو قطاع كبير، من خط الساحل بأوربا الغربية، وأن هناك

الكثير من الدول الصغيرة اجتاحوها وانتشروا فيها بأعداد غفيرة. أدى هذا إلى تعاظم احتمالات حدوث هجوم جوي، وزيـــادة مخاوفنا من احتمالية حدوث هجمات بحرية، ولا يضعف ذلك من إمكانية تعرضنا للحصار عبر مســافات طويلة، بل سـيزيد منها بلا شــك. وبالمثل، أدت مشــاركة إيطاليا في الحرب إلى زيادة إمكانية تعرضنا لمثل هذا الحصار. لقد استطعنا سد أسوأ الثغرات. نحن لا نعرف ما إذا كانت المقاومة العسـكرية في فرنســا سوف تنتهي أم لا، ولكن في حالة حدوث ذلك، فإنه بالطبع ســوف يتمكن الألمان من تركيز قواتهم علينا على المستويين العســكري والصناعي، ولكن نتيجة للأســباب التي عرضتها على المجلس من قبل، إن هذه الأمور لن تكون ســهلة الحدوث، فإذا أصبح الغزو وشــيك الحدوث بصورة أكبر، وهو بلا شك ما سوف يحدث، فإن لدينا قوات أكبر وأكثر كفاءة لمواجهته، وذلك بعد انتهاء المهمة التي كانت واقعة على عاتقنا، فيما يتعلق بتأمين وجود جيش ضخم في فرنسا.

إذا كان «هتلــر» يســتطيع أن يخضع لحكمه الاســتبدادي الصناعات في الــدول التي قام بغزوها، فإن هذا ســيضيف كثيرًا إلى النتائج الواسعة التي حققتها قواته الحربية بالفعل، ومن ناحية أخرى، إن هذا الأمر لن يحدث بشــكل فوري، كما أننا عــلى يقين من وجود دعم هائل ومستمر ومتزايد، من المؤن والأعتدة الحربية من جميع الأنواع، قادم إلينا من الولايات المتحدة، ولا ســيما من الطائرات والطيارين القادمين من دول الدومينيين، وعبر المحيطات، وذلك من مناطق لا تستطيع قاذفات القنابل الخاصة بالعدو الوصول إليها.

في ضوء الحقائق الســابقة لا أســتطيع أن أتصور الكيفية التي يمكن بها أن يتسبب أي من هذه العوامل في إلحاق الضرر بنا، وذلك قبل قدوم فصل الشتاء، ففصل الشتاء سوف يزيد من شدة الحكم النازي؛ حيث ســتعاني معظم أرجاء أوربا التي تخضع لسطوته من الألم والتضور جوعًا، ونظرًا لاتصاف هذا الحكم بأشــكال انعدام الرحمة كافة، فإنه سيصبح أكثر قسوة على هذه الدول، ويجب علينا ألا ننســى أنه منذ اللحظة التي أعلنا فيها الحرب في الثالث من شــهر سبتمبر، كان هناك احتمال دائم أن تقوم ألمانيا بتوجيه جميع قواتها الجوية إلى دولتنا بالإضافة إلى أية آلية أخرى للغزو يمكن أن نتصورها، وكذلك أن فرنســا يمكنها أن تقوم بالقليل لمنعها من

القيام بذلك، أو لا تقوم بشيء على الإطلاق. لذلك، عشنا في ظل هذا الخطر المحتمل الحدوث بشكل قوي أو ضعيف خلال كل تلك الأشهر. ولكن، قمنا أثناء ذلك أيضًا بإجراء تحسينات ضخمة على وسائل دفاعنا، كما أدركنا ما لنا من قوة وهو ما لم يكن من حقنا افتراضه في البداية، ويشار بذلك بالتحديد إلى أن الطائرة والطيار البريطاني يتمتعان بالتفوق المؤكد والواضح. لذا، عن طريق عرض هذه الميزانية المرعبة والتفكير مليًا في الأخطار التي تواجهنا بعين متحررة من الوهم، رأيت وجود سبب عظيم لضرورة مراعاة اليقظة وبذل الجهد الشديد، ولكن لا يوجد أي سبب يدعو إلى الذعر أو اليأس.

خلال السنوات الأربع الأولى من الحرب الماضية، لم تتعرض الدول الحليفة لشيء سوى للكوارث والإحباطات، وكان هذا هو سبب خوفنا المستمر من الهجمات التي تشن الواحدة تلو الأخرى والخسائر المروعة والأخطار المرعبة، فقد تم الإخفاق في كل شيء. وعلى الرغم من ذلك، في نهاية هذه السنوات الأربع كانت الروح المعنوية للدول الحليفة أعلى منها عند الألمان الذين انتقلوا من انتصار لآخر تشوبه العدوانية، ووقفوا كغزاة منتصرين ولكن في بلاد سحقوها. وخلال تلك الحرب، كنا نطرح على أنفسنا بشكل متكرر هذا السؤال: «كيف سنحقق النصر؟»، ولم يستطع أحد على الإطلاق الإجابة عنه بدقة كبيرة، حتى جاءت النهاية وعلى نحو مفاجئ وغير متوقع إلى حد ما، انهار عدونا البغيض أمامنا، وكنا نشعر بالرغبة الشديدة في تحقيق النصر الذي بحماقتنا ضيعناه من بين أيدينا.

نحن لا نعرف بعد ما سوف يحدث في فرنسا، أو إذا ما كانت المقاومة الفرنسية سوف تمتد في كل من فرنسا والإمبراطورية الفرنسية، فيما عبر البحار أم لا. إن الحكومة الفرنسية سوف تضيع فرصًا عظيمة، وتغامر بمستقبلها إذا لم تستكمل الحرب تمشيًا مع التزاماتها في المعاهدة، والتي نشعر بعدم قدرتنا على إعفائها منها. وسوف يتحتم على المجلس أن يقوم بقراءة الإعلان التاريخي الذي فيه، بناءً على رغبة الكثير من الفرنسيين، وكذلك رغبتنا العميقة، قمنا بإعلان استعدادنا في أحلك ساعة في التاريخ الفرنسي؛ بأن نقوم بتشكيل اتحاد للمواطنة المشتركة في هذا الصراع. أيًا كانت الكيفية التي ستسير بها الأمور في فرنسا، أو مع الحكومة الفرنسية الحالية

أو الحكومات الفرنسية الأخرى التالية، فإننا في هذه الجزيرة أو الإمبراطورية البريطانية لن نفقد على الإطلاق شعورنا بالإخاء مع الشعب الفرنسي، فإذا ما دعينا الآن إلى تحمل ما كانوا يعانون منه، فإننا قد نحاكي شجاعتهم، وإذا كان الانتصار النهائي تكليلاً لجهودنا، فإنهم سوف يشاركونا فيما نحققه من مكاسب بالفعل، كما أن الحرية سوف تتم استعادتها للجميع. نحن لن نتنازل عن شيء من مطالبنا العادلة، ولن نتراجع عن مثقال ذرة مما نصبو إليه. هذا وقد ربط التشيكيون والبولنديون والنرويجيون والهولنديون والبلجيكيون قضاياهم بقضايانا. كل هذه القضايا ستخرج إلى حيز النور من جديد.

قال «الجنرال ويغان» أن معركة فرنسا قد انتهت، وأنا أتوقع أن معركة بريطانيا قد أوشكت أن تبدأ، فبقاء الحضارة المسيحية يعتمد على نتائج هذه المعركة، وكذلك الحياة البريطانية واستمرار مؤسساتنا وإمبراطوريتنا على المدى الطويل، فلا بد وأن عنف العدو وقوته سوف يتحولان علينا قريبًا.

يعرف «هتلر» أنه ينبغي عليه أن يسحقنا هنا على أرض هذه الجزيرة، وإلا خسر الحرب. فإذا استطعنا الصمود أمامه، فإن أوربا بأكملها ستتحرر، وتتقدم الحياة على مستوى العالم، ويتحول إلى أراضٍ فسيحة ويزيد نوره بالنور المنبعث من الشمس. ولكن، إذا أخفقنا، فإن العالم بأسره بما فيه الولايات المتحدة، وكل ما عرفناه واهتممنا به من قيم سوف يسقط إلى هوة عصر الظلمات الجديد؛ الذي قد يزيد الفساد والتأخر فيه مع أضواء العلم الفاسد.

لذا، دعونا نلتزم بواجباتنا، ونحمل أنفسنا على الصبر بقولنا أنه حتى، وإن بقيت الإمبراطورية البريطانية ودول الكومنولث التابعة لها ألف عام، سيظل الرجال يقولون: هذه ساعتنا».

«وينستون تشرشل» في ١٨ يونية ١٩٤٠

الخطبة الثالثة لوينستون تشرشل ٢٠ يونية ١٩٤٠

مناسبة الخطبة:

«تعد الخطبة التالية من إحدى الخطب التي ألقاها رئيس وزراء بريطانيا «وينستون تشيرشيل» في زمن الحرب وذلك في ٢٠ يونيو من عام ١٩٤٠. وتشير هذه الخطبة إلى الجهود المتواصلة للطيارين بسلاح الجو الملكي والذين كانوا في ذلك الحين يحاربون فيما يعرف باسم «معركة بريطانيا» والتي كانت المعركة الجوية المحورية مع سلاح الجو الألماني وذلك مع توقع بريطانيا أن تقوم ألمانيا بغزوها. وتشير الخطبة أيضًا إلى حملة القصف الجوي بالقنابل التي قامت بها فرقة قاذفات القنابل التابعة لسلاح الجو الملكي وذلك على الرغم من اقتصارها عادةً على الإشارة فقط إلى فرقة الطائرات المقاتلة».

نص الخطبة:

يشهد كل منزل في جزيرتنا وفي إمبراطوريتنا وفي الواقع في جميع أنحاء العالم - فيما عدا منازل الآثمين - بالعرفان والجميل إلى الملاحيين الجويين البريطانيين الذين يقومون بتحويل مسار الحرب العالمية ببسالة لا نظير لها وبلا تعب أو ملل من مواجهة التحدي المستمر والخطر القاتل معتمدين في ذلك على شجاعتهم وبراعتهم الفائقة وإخلاصهم الشديد.

على نطاق الصراع البشري، لم يدن هذا العدد الكبير من الشعب بالفضل إلى هذا العدد القليل من الأفراد. إن كل القلوب معلقة بهذه المجموعة من الطيارين المقاتلين الذين نرى أعمالهم البارعة بأعيننا يومًا بعد يوم. ولكن يجب ألا ننسى على الإطلاق، ليلة بعد ليلة وشهر بعد شهر، أن أسراب طائرات القصف تقطع رحلة طويلة إلى ألمانيا لتستكشف أهدافها في الظلام معتمدة على مهارتها العالية في الملاحة الاستكشافية، وتقوم بتحديد مواقع هجماتها في الغالب في ظل قصف غزير للنيران متحملة لخسائر فادحة ومعتمدة على التمييز الدقيق والمدروس، ثم تقوم بشن هجمات مروعة على الهيكل التقني الخاص بصناعة الحرب التابع للقوة النازية.

إن وطأة الحرب على أية فرقة من فرق ســلاح الجو الملكي لن تكون أكثر ثقلاً منها على فرقة قاذفات القنابل النهارية والتي سوف تلعب دورًا بالغ الأهمية في حالة حدوث الغزو والتي كان من الضروري تقييد حماستها التي لا تضعف في الوقت الراهن في العديد من المناسبات.

خطبة مالكوم إكس

مناسبة الخطاب:

إن «مالكوم إكس» أحد أشهر المناضلين السود في أمريكا ضد العنصرية، وهو من الشخصيات الأمريكية المسلمة البارزة في منتصف القرن الماضي، والذي أثارت حياته القصيرة (٣٩ عامًا) جدلاً لم ينتهِ حول الدين والعنصرية، حتى أطلق عليه «أشد السود غضبًا في أمريكا»، وهو مؤسس كل من منظمة المسجد الإسلامي ومنظمة الوحدة الإفريقية الأمريكية، وقد عانى كثيرًا في صغره من العنصرية، وكانت حياته مليئة بالاضطرابات، وقد اغتيل «مالكوم إكس» بعد أيام من إلقائه لخطبة عام ١٩٦٥ في نيويورك، أمام منظمة الوحدة الإفريقية الأمريكية.

نبذة عن حياة مالكوم إكس:

هو مالكوم إكس أو الحاج مالك شباز كان ميلاده في ١٩ مايو ١٩٢٥، ويعد من أشهر المناضلين السود في الولايات المتحدة، وهو يعتبر من الشخصيات الأمريكية المسلمة البارزة في منتصف القرن الماضي، والتي أثارت حياته القصيرة جدلاً لم ينتهِ حول الدين والعنصرية، حتى وصل أن صار يطلق عليه «أشد السود غضبًا في أمريكا»، وهو مؤسس كل من المسجد الإسلامي ومنظمة الوحدة الإفريقية الأمريكية، كما أن حياته كانت سلسلة من التحولات؛ حيث انتقل من قاع الجريمة والانحدار إلى تطرف الأفكار العنصرية، ثم إلى الاعتدال والإسلام، وبات من أهم شخصيات حركة أمة الإسلام قبل أن يتركها ويتحول إلى الإسلام السني، وعندها كتبت نهايته بست عشرة رصاصة في حادثة اغتياله في ٢١ فبراير ١٩٦٥.

نص الخطاب:

«يجب أن تدركوا أنه حتى عام ١٩٥٩، كانت القوى الاستعمارية تسيطر على إفريقيا، وقد أدت السيطرة الكاملة للقوى الاستعمارية الأوربية لإفريقيا إلى تكوين صورة سلبية عن إفريقيا، فقد رسموا صورة لإفريقيا من منظور سلبي - غابات وهمجيين وآكلي لحوم البشر وعدم تحضر أبدًا - وبذلك تكونت لدينا جميعًا فكرة سلبية عن إفريقيا، وقد بدأنا أنا وأنتم نكرهها، وقد كنا لا نريد من أي شخص أن يقول أي شيء عن إفريقيا، أو أن يطلق على أي منا أنه إفريقي، وبسبب كراهيتنا تجاه إفريقيا والإفريقيين؛ أصبحنا نكره أنفسنا دون حتى أن ندرك ذلك.

ولأنكم لا تستطيعون كراهية جذور الشجرة فقط ولا تكرهون الشجرة نفسها، فإنكم لا تستطيعون كراهية إفريقيا ولا تكرهون أنفسكم. لقد عرضتم على أحد الأشخاص هنا الذي تم تغيير أفكاره تمامًا، وأصبح تفكيره سلبيًّا تجاه إفريقيا، وسوف أعرض عليكم أحد الأشخاص ذا تفكير سلبي تجاه نفسه، فليس من الممكن أن يكون تفكيرك إيجابيًّا تجاه نفسك وسلبيًّا تجاه إفريقيا في الوقت ذاته. إذا أصبح مفهومك وموقفك تجاه إفريقيا إيجابيًّا، فسوف يصبح مفهومك وموقفك تجاه نفسك بالقدر نفسه من الإيجابية».

خطبة

مارتن لوثر كينج

مناسبة الخطاب:

لقد ألقى «مارتن لوثر كينج الابن» هذه الخطبة الشهيرة عند نصب «النكولن» التذكاري في ٢٨ أغسطس ١٩٦٣، أثناء مسيرة واشنطن للحرية، عندما عبر عن رغبته في رؤية مستقبل يتعايش فيه السود والبيض بحرية ومساواة وتجانس. اعتبر اليوم الذي ألقيت فيه هذه الخطبة من اللحظات الفاصلة في تاريخ حركة الحريات المدنية؛ حيث خطب «كينج» في أكثر ٢٠٠٠٠٠ من مناصري الحقوق المدنية، كما تعتبر هذه الخطبة واحدة من أكثر الخطب بلاغة في التاريخ، وقد تم اختيارها كأهم خطبة أمريكية في القرن العشرين، بحسب تصويت كتاب الخطب الأمريكيين في عام ١٩٩٩، ومن أهم مائة خطبة، بحسب تقرير من جامعة «ويسكونسين - ماديسن» الأمريكية.

نبذة عن حياة مارتن لوثر كينج:

اسمه مارتن لوثر كينج جونيور، وقد كان ميلاده في ١٥ يناير عام ١٩٢٩، وهو زعيم أمريكي من أصول إفريقية، كان قسًّا وناشطًا سياسيًّا إنسانيًّا، وهو بخلاف المصلح الديني البروتستانتي مارتن لوثر مؤسس المذهب البروتستانتي، وكان قد كرس حياته للقضاء على التمييز العنصري ضد بني جلدته من السود، وفي عام ١٩٦٤م حصل على جائزة نوبل للسلام، وهو بهذا كان أصغر من يحوز عليها، وكان اغتياله في الرابع من إبريل عام ١٩٦٨ على يد أحد المتعصبين البيض، وقد اعتبر مارتن لوثر كينج من أهم الشخصيات التي دعت إلى الحرية وحقوق الإنسان.

نص الخطاب:

«أنا سعيد لانضمامي إليكم اليوم، فيما سيذكره التاريخ كأكبر مسيرة للحرية في تاريخ أمتنا، فقبل مائة عام، أعلن أحد الأمريكيين العظام، والذي نقف الآن في أثر من آثاره، بيان التحرير. كان هذا القرار الخطير بمثابة شعلة تهتدي بها آمال الملايين من العبيد السود، الذين أذبلت سنيهم في لهيب الظلم المهلك، فجاء القرار كفجر ضاحك؛ لينهي ليل العبودية الطويل.

ولكن، وبعد مائة عام، لا يزال الرجل الأسود غير حر، بعد مائة عام لا يزال الرجل الأسود مكبلاً بقيود العزل العرقي وأغلال العنصرية. بعد مائة عام، لا يزال الرجل الأسود يعيش في جزيرة فقر منعزلة، في وسط محيط فسيح من الرخاء الاقتصادي، بعد مائة عام، لا يزال الرجل

الأسود يذبل في أطراف المجتمع الأمريكي، ويجد نفسه منفيًا في أرضه. لهذا، جئنا إلى هنا اليوم كي نصور لكم وضعًا مروعًا.

لقد أتينا إلى عاصمة دولتنا لنصرف شيكًا، فعندما كتب الذين أنشؤوا جمهوريتنا الكلمات العظيمة للدستور وإعلان الاستقلال، كانوا يوقعون على صك، أصبح كل أمريكي ينتظر أن يرثه. كان ذلك الصك وعدًا بأن يضمن للجميع - سواء البيض أو السود - حقوقهم التي لا يمكن التخلي عنها في الحياة والحرية والسعي الحثيث نحو السعادة.

إنه لمن الواضح للعيان أن أمريكا اليوم خالفت بنود ذلك الصك كلما تعلق الأمر بمواطنيها السود، فبدلاً من الوفاء بأحكام ذلك الالتزام المقدس، أعطت أمريكا الزنوج شيكًا مردودًا؛ شيكًا كتب عليه بعد محاولة صرفه: «لا يوجد رصيد كافٍ». ولكننا نرفض أن نصدق بأن مصرف العدل قد أفلس. نرفض أن نصدق بأنه لا توجد فرص كافية في الخزائن الضخمة للفرص في هذه البلاد. لذا، فقد قدمنا لنصرف هذا الشيك الذي سيمنحنا نزولاً على طلبنا - ثروات الحرية وأمن العدالة، كما أننا قدمنا إلى هذه البقعة المباركة لنذكر أمريكا بالتحديات التي يفرضها علينا الوقت الحاضر. إن هذا الوقت ليس وقت محاولة التهدئة، أو وقت تعاطي مسكنات تدريجية. الآن هو الوقت الذي فيه نبرم وعودًا حقيقية للديمقراطية. لقد حان الآن الوقت الذي فيه ننهض من الظلام ونهجر وادي التمييز العنصري؛ لنصل إلى الطريق المشمس للعدالة العرقية. لقد حان الآن الوقت الذي فيه نرفع أمتنا من الرمال المتحركة للظلم العنصري، إلى صخرة الأخوة الصلبة. **لقد حان الآن الوقت الذي نجعل فيه العدالة واقعًا معاشًا للجميع.**

من الخطير أن تتغافل الدولة عن مدى إلحاح هذه اللحظة. لن يمر صيف السخط المشروع القائظ هذا للرجل الأسود، حتى يأتي خريف ينعش في هذه البلاد الحرية والمساواة. إن عام ١٩٦٣ ليس النهاية، بل البداية. إن أولئك الذين يتمنون أن يكبح الرجل الأسود غضبه ويرضى بواقعه؛ سيواجهون ردًا عنيفًا إذا ما عادت الدولة إلى سابق عهدها. لن يكون هناك سكون ولا هدوء في أمريكا حتى يمنح الرجل الأسود حقوق المواطنة، وسوف تستمر عجلة الثورة في هز قواعد الدولة إلى أن يأتي يوم مشرق يبزغ فيه العدل.

ولكن هناك شيء يجب عليّ قوله لأبناء شعبي الذين يقفون على عتبة ساخنة توصلهم إلى قصر العدالة. يجب علينا في سعينا للحصول على حقوقنا المشروعة ألا نرتكب أفعالاً غير شرعية. دعونا لا نبحث عما يطفئ ظمأنا للحرية بالشرب من كأس المرارة والكراهية.

يجب علينا دومًا أن نقود كفاحنا إلى مستوى عالٍ من الكرامة وضبط النفس، يجب علينا ألا نسمح لاحتجاجنا الملهم أن ينحط؛ ليتحول إلى عنف جسدي. مرة أخرى، يجب علينا أن نبلغ القمم المهيبة لاجتماع قوة الجسد مع قوة الروح. إن روح النضال الجديدة والرائعة، والتي تشبع بها مجتمع السود، لا يجب أن تقودنا إلى وجود حالة من عدم الثقة في البيض جميعهم؛ لأن العديد من إخواننا البيض، كما يتضح من وجودهم اليوم بيننا، أدركوا أن قدرهم مقيد بقدرنا. لقد أدركوا أن حريتهم مرتبطة برابط لا يقبل الانفصام عن حريتنا. فنحن لا يمكننا أن نمضي وحدنا.

وبينما نحن نمضي قدمًا، يجب علينا أن نأخذ على أنفسنا عهدًا بأن نواصل المسيرة، فلا يمكننا أن نتراجع. هنالك أناس يسألون أنصار الحقوق المدنية: «متى ترضون؟» لن نرضى ما بقي الرجل الأسود ضحيةً لرعب لا يوصف من وحشية رجال الشرطة. لن نرضى أبدًا ما دامت أجسادنا المثقلة بجهد الترحال لا تستطيع الحصول على مثوى لها في الفنادق الرخيصة المنتشرة على الطرق السريعة، أو في الفنادق الكبيرة في المدن. لن نرضى ما دامت حدود انتقال الرجل الأسود هي من حي صغير إلى حي أكبر. لن نرضى أبدًا ما دامت كرامة أبنائنا قد سلبت منهم، وتقديرهم لذواتهم قد أخذ منهم؛ بسبب لافتات مكتوب عليها «للبيض فقط». لن نرضى أبدًا ما دام الرجل الأسود في «مسيسيبي» لا يملك حق التصويت والرجل الأسود في «نيويورك» يؤمن أنه لا يوجد شيء يصوت من أجله. لا، لا، لسنا راضين، ولن نرضى حتى يتدفق العدل كالماء والاستقامة كالنهر العظيم.

أنا لا أنسى أن بعضكم قد جاء إلى هنا بعد ويلات ومحن عصيبة، فبعضكم قد خرج لتوه من زنزانات السجن الضيقة، وبعضكم قدم من مناطق جعلهم طلب الحرية فيها تحت وطأة الاعتداء المستمر لعواصف الاضطهاد ووحشية رجال الشرطة، فأصبحتم جميعًا متمرسين في المعاناة، واصلوا عملكم بإيمان قوي بأن المعاناة المفروضة علينا هذه سبيلنا نحو الخلاص.

عودوا إلى «مسيسيبي»، عودوا إلى «ألاباما»، عودوا إلى «ساوث كارولينا»، عودوا إلى «جورجيا»، عودوا إلى «لويزيانا». عودوا إلى الأحياء الفقيرة الضيقة في مدننا الشمالية، واعلموا أنه بطريقة ما يمكن أن يتغير هذا الوضع، وسوف يتغير. دعونا لا نتوه في وادي اليأس.

رفاقي، أقول لكم اليوم بأنه رغم الصعوبات التي نواجهها اليوم، والتي سنواجهها في الأيام المقبلة، فما زال لدي حلم. إنه حلم متأصل بعمق في الحلم الأمريكي.

لدي حلم بأنه في يوم من الأيام سوف تنهض دولتنا، وتحيي المعنى الحقيقي لعقيدتها بأن الناس خلقوا سواسية.

لدي حلم بأنه في يوم من الأيام وعلى تلال «جورجيا» الحمراء، سوف يجلس أبناء العبيد السابقين، وأسياد أصحاب العبيد السابقين معًا على مائدة الأخوّة.

لدي حلم بأنه في يوم من الأيام، حتى ولاية «مسيسيبي»، والتي تعد صحراء قائظة بفعل حرارة الظلم والاضطهاد، سوف تتحول إلى واحة للحرية والعدالة.

لدي حلم بأن أطفالي الأربعة سوف يعيشون يومًا ما في دولة لا يحكم عليهم فيها على أساس لون بشرتهم، وإنما شخصهم وأفعالهم.

لدي اليوم حلم.

لدي حلم بأنه في يوم من الأيام في «ألاباما»، بمتعصبيها العميان، وحاكمها الذي تتقاطر من شفتيه كلمات الأمر والنهي، في يوم ما هناك في «ألاباما» ستتشابك أيدي الصبيان والبنات السود والصبيان والبنات البيض كإخوة وأخوات.

لدي حلم اليوم.

لدي حلم بأنه في يوم من الأيام سوف يرفع كل وادٍ، وتخفض كل الجبال والتلال، وتسوى الأراضي غير المستوية، وتقوم الطرق المعوجة، ويظهر أثر نعم الرب؛ حيث يراه كل البشر معًا.

هذا هو أملنا. هذا هو الإيمان الذي به أعود إلى الجنوب. بهذا الإيمان، سـوف نسـتطيع أن نشق جبل اليأس بحجر من الأمل. بهذا الإيمان، سوف نستطيع أن نحول نشاز الخلاف المزعج في دولتنا إلى سـيمفونية أخوة جميلة. بهذا الإيمان سنستطيع أن نعمل معًا، ونصلي معًا، ونكافح معًا، ونسجن معًا، ونقف للحرية معًا، مؤمنين بأننا يومًا سنكون أحرارًا.

سيكون هذا هو اليوم الذي فيه يغني كل أبناء الوطن بمعنى جديد:

وطني، إنها أرضك..

أرض الحرية الحبيبة..

لأجلك أغني

الأرض التي مات فيها آبائي..

أرض فخر المهاجرين..

من كل منحدرات الجبال..

فليقرع جرس الحرية..

وإن أرادت أمريـكا أن تصبح دولةً عظيمة، فيجـب أن يأتي هذا اليوم. لذا، فليقرع جرس الحرية من قمم تلال «نيو هامبشـاير» الضخمة. فليقرع جرس الحريـة من جبال «نيويورك» الجبارة. فليقرع جرس الحرية من جبال «أليجايني» الشاهقة في «بنسلفانيا».

فليقرع جرس الحرية من جبال «روكي» التي تغطي الثلوج قممها في «كولارادو»!

فليقرع جرس الحرية من المنحدرات المنحنية في «كاليفورنيا»!

لكن ليس هذا فقط؛ فليقرع جرس الحرية من جبل «ستون» في «جورجيا»!

فليقرع جرس الحرية من جبل «لوكاوت» في «تينيسي»!

فليقرع جرس الحرية من كل تل وتل خلدي في «مسيســيبي». من كل منحدر، دعوا جرس الحرية يقرع.

وعندما يحدث هذا، عندما نسمح بأن يقرع جرس الحرية، وعندما نقرعه من كل قرية صغيرة وكبيرة، ومن كل ولاية ومدينة، سنستطيع أن نعجل قدوم ذلك اليوم المنتظر، الذي سيستطيع فيه أبناء الوطن جميعهم، الســود والبيض، اليهود وغير اليهود، البروتستانت والكاثوليك، أن يشبكوا أياديهم ويتغنوا بكلمات الأنشودة الدينية الزنجية القديمة:

أحرار أخيرًا!

أحرار أخيرًا!

لك الشكر يا ربنا...

إننا أحرار أخيرًا!».

مكتبة
t.me/soramnqraa

خطبة
شارل ديجول

مناسبة الخطاب:

بعد الهزيمة الساحقة التي ألحقها الألمان بفرنسا خلال الحرب العالمية الثانية، لم يقبل «شارل ديجول» بهذه الهزيمة، وأبت وطنيته أن يرضى بالاستسلام للألمان، وعزم على إدارة المعركة من مسرح آخر، فسافر إلى لندن في إحدى طائرات سلاح الجو الملكي؛ حيث شكل حكومة هناك. حطت الطائرة في مطار «هيتسون» ظهيرة يوم السابع عشر من شهر يونية ١٩٤٠. وكان هناك اتفاق على أنه بمجرد أن يتأكد طلب حكومة «بيتان» للهدنة فعليًّا، سيلقي «ديجول» خطبة عبر الأثير يناشد فيها الشعب الفرنسي بأن يواصل مقاومته للعدو، إلى أن تعود لفرنسا حريتها من جديد.

نبذة عن حياة شارل ديجول:

كان ميلاده عام ١٨٩٠، وهو جنرال ورجل سياسة فرنسي مسقط رأسه مدينة ليل الفرنسية، وقد درس وتخرج من المدرسة العسكرية سان سير، وذلك عام ١٩١٢ من سلاح المشاة. إلى جانب هذا فإنه قد ألف عدة كتب حول موضوع الإستراتيجية والتصور السياسي والعسكري. عين برتبة جنرال فرقة، ونائبًا لكاتب الدولة للدفاع الوطني في يناير ١٩٤٠، وأثناء اندلاع الحرب العالمية الثانية قاد مقاومة بلاده وترأس حكومة فرنسا الحرة في لندن. وفي سنة ١٩٤٣ صار رئيسًا للجنة الفرنسية للتحرير الوطني، والتي أصبحت في ١٩٤٤ تسمى بالحكومة المؤقتة للجمهورية الفرنسية، ويعتبر شارل ديجول أول رئيس للجمهورية الفرنسية الخامسة، وكان معروفًا بمناوراته الاستعمارية تجاه الجزائر، منها على سبيل المثال مشروع قسنطينة، القوة الثالثة، الجزائر جزائرية، مشروع فصل الصحراء الجزائرية سلم الشجعان. كانت وفاته في كولمبي لدو أغليز عام ١٩٧٠.

وبالفعل، جاءت أخبار عن الهدنة مساء اليوم نفسه، وبدأ «ديجول» في الحال يستعد بخطبته. وبعد موافقة «تشرشل»، قبيل الساعة السادسة من صباح اليوم التالي، اعتلى «ديجول» درجات سلم مبنى الإذاعة البريطانية، وهو في كامل زيه العسكري الرسمي.

وفي الإستديو، حينما أشارت عقارب الساعة إلى الميعاد المنتظر، وأضاء النور الأحمر، توجه المذيع إلى الميكروفون، يعلن عن كلمة «ديجول» لجمهور الإذاعة متحدثًا باللغة الفرنسية: «تستمعون الآن لكلمة رجل كلكم تعرفونه وتحملون له كل تقدير ... إنه الجنرال شارل ديجول». وهنا اعتلى «ديجول» منصة المذيع.

كان ديجول يشـــعر حينها بأن مهمته الأساســية تتجلى في رفع حس المقاومة عند الشـــعب الفرنسي. ولذا، جاء نص خطابه منصبًا على هذا الهدف وحده.

نص الخطاب:

«إن القادة، الذين ظلوا في مناصب قيادية للقوات المسلحة الفرنسية لسنوات عديدة مضت قد شكلوا حكومة.

وقــد دخلت هذه الحكومة في مفاوضات مع العدو، بدافع وقف العدوان بين الطرفين بعد ادعائهم هزيمة جيوشنا.

نعم، إننا كنا ومازلنا مقهورين بســبب تفوق قوات العدو بالأســلحة والعتاد؛ ســواء في الــبر أو الجو، فالطائرات والخزانات والتكتيكات الحربيــة، علاوةً على التفوق العددي لجيش العدو كلها عوامل أجبرت جيوشنا على الانسحاب. فهذه العوامل هي التي وفرت لهم عنصر المفاجأة، ذلك العنصر الذي وضع قادتنا في الورطة التي نحن فيها الآن.

ولكــن، هل قلنا كلمتنا الأخيرة؟ أينبغــي علينا أن نتخلى عن أي بارقة أمل لدينا؟ هل الهزيمة هي قدرنا الذي لا يمكننا تغييره؟ إن إجابتي عن كل هذه الأسئلة هي: «لا».

إنني أتحدث من منطلق إلمامي الكامل بكل الوقائع، وأناشــدكم أن تصدقوني عندما أقول لكم إن قضية فرنسا ليست قضية خاسرة، فالعوامل التي جلبت لنا الهزيمة قد تقودنا إلى النصر في يوم من الأيام.

وتذكروا أن فرنســا لا تقف وحدها، وأنها ليســت معزولة؛ إذ تقــف وراءها إمبراطورية شاســعة، فهي تســتطيع أن توحد قضيتها مع الإمبراطورية البريطانيــة التي تقع البحار تحت إمرتها، ولا تزال تســير في طريق كفاحها. وكما فعلت بريطانيا، يمكن لفرنســا أيضًا أن تعتمد على الموارد الصناعية الهائلة للولايات المتحدة الأمريكية بكل حرية.

واعلموا أن هذه الحرب ليست قاصرة على دولتنا التي لم يحالفها الحظ هذه المرة، وأن معركة فرنسا لم تحسم بعد نتيجة هذا الكفاح والنضال. إنها حرب عالمية. نعم، كانت هناك أخطاء، كان هناك تـوانٍ ومعاناة بلا حدود، ولكن تبقى حقيقة أننا ما زلنا نملك كل شيء نحتاجه من أجل أن نسحق أعداءنا ذات يوم.

لقد هزمونا اليوم لمجرد توجيه أسلحتهم الحديثة نحونا، ولكن ما زال بإمكاننا أن نتطلع لمستقبل نحقق فيه النصر، بعتاد وقوة يفوقان ما لديهم. إن مصير العالم أصبح على المحك.

إنني أنا شارل ديجول الكائن الآن بلندن أدعو كل الضباط الفرنسيين والرجال الموجودين الآن أو في المستقبل على أرض بريطانيا؛ سواء معهم أسلحتهم أو بدونها، أدعو كل المهندسين والعمال المهرة من مصانع الأسلحة، الموجودين الآن أو في المستقبل على أرض بريطانيا، أن يتصلوا بي.

إن جذوة المقاومة الفرنسية يجب ألا تنطفئ أبدًا، بل ولن تنطفئ، مهما حدث. غدًا، لي خطاب آخر من لندن».

خطبة
جمال عبد الناصر

مناسبة الخطاب:

كان هذا الخطاب بمناسبة عيد الجلاء؛ حيث أُلقي في ميدان المنشية بالإسكندرية، وخلاله وقع ما يعرف بحادث المنشية (٢٦/ ١٠/ ١٩٥٤م)، ومن المعلوم أنه قبل هذا الحادث بعدة أشهر حاول عبد الناصر ورفاقه من قادة ثورة يولية إقالة الرئيس محمد نجيب، ولكنهم لم يفلحوا؛ حيث أرغم الشعب هؤلاء القادة على إعادة محمد نجيب إلى الرئاسة مرة أخرى، وكان ذلك سببًا في وجود حصن منيع بين قلوب الشعب وعبد الناصر ورفاقه.. فأرادوا أن يزيلوا ذلك الحصن، فأقيم حفل في حي المنشية بالإسكندرية لتكريم عبد الناصر وتكريم زملائه من قادة الثورة، ولم يكن الرئيس محمد نجيب ضمن المكرمين، مع أنه قائد الثورة ومعلنها، وأقرب الشخصيات إلى قلوب الشعب. وفي هذا الحفل خطب عبد الناصر في الجموع التي تكونت من هيئاتٍ ثلاث: هيئة التحرير، وعمال مديرية التحرير، والحرس الوطني. إلى جانب بعض الجماهير التي لم يترك لها إلا المقاعد الخلفية النائية.

نبذة عن حياة جمال عبد الناصر:

جمال عبد الناصر حسين، ثاني رؤساء جمهورية مصر العربية، ولد في ١٥ يناير ١٩١٨م في منزل والده بحي باكوس بالإسكندرية، وهو من أصول صعيدية، حيث ولد والده في قرية بني مر في محافظة أسيوط، ونشأ في الإسكندرية.

وكان جمال عبد الناصر زعيم قادة ثورة ٢٣ يولية ١٩٥٢م، التي أطاحت بالملك فاروق، وشغل منصب نائب رئيس الوزراء في الحكومة الجديدة، ووصل إلى الحكم عن طريق وضع محمد نجيب (الرئيس حينها) تحت الإقامة الجبرية، وتولى رئاسة الوزراء ثم رئاسة الجمهورية يوم ٢٤ يونية ١٩٥٦م، وفقًا لدستور ١٦ يناير ١٩٥٦م.

أدت سياسات عبد الناصر المحايدة خلال الحرب الباردة إلى توتر العلاقات مع القوى الغربية، الذين سحبوا تمويلهم للسد العالي الذي كان عبد الناصر يخطط لبنائه. ورد عبد الناصر على ذلك بتأميم شركة قناة السويس عام ١٩٥٦م، ولاقى ذلك استحسانًا داخل مصر والوطن العربي، وبالتالي قامت بريطانيا وفرنسا وإسرائيل باحتلال سيناء، لكنهم انسحبوا وسط ضغوط دولية، وقد عزز ذلك مكانة عبد الناصر السياسية. ومنذ ذلك الحين نمت شعبية عبد الناصر في المنطقة بشكل كبير، وتزايدت الدعوات إلى الوحدة العربية تحت قيادته، وتحقق ذلك بتشكيل الجمهورية العربية المتحدة مع سوريا (١٩٥٨- ١٩٦١م).

وأثناء الخطاب، وفي وقت محدد، أُطلقت عــدة رصاصات في اتجاه جمال عبد الناصر.. ولم يصب عبد الناصر بخدش، وإنما أصيب بعض من حوله بإصابات طفيفة، واستكمل عبد الناصر خطابه بعد أن هدأت الأوضاع.

شـارك عبد الناصر في الحرب الأهلية اليمنية، وخسر الكثير من جنده وأمواله في هـذه الحرب التي لم يكـن لمصر فيها ناقة ولا جمل غير طموح عبد الناصر نحو الزعامة، ثم صاغ ناصر دسـتورًا جديـدًا عام ١٩٦٤م، وهـو العام نفسـه الذي أصبـح فيه رئيسًـا لحركة عدم الانحياز الدولية.

وبدأ ناصر ولايته الرئاسية الثانية في مارس ١٩٦٥م بعد انتخابه بدون معارضة، وتبـع ذلك هزيمة مصر من إسرائيل في حرب الأيام السـتة عام ١٩٦٧م، والتي تعتبر النهاية الحقيقية لزعامة عبد الناصر، حيث كان هو ووزير دفاعه المسـؤولين عن تلك النكسـة الكبيرة التي لحقت بالجيش المصري. وبعد اختتـام قمة جامعة الدول العربية عام ١٩٧٠م، تعرض عبد الناصر لنوبة قلبية، (وقيل: إن أحدًا دس له السم)، ومات في ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠م.

نص الخطاب:

«أيها المواطنون:

يا أهل الإسـكندرية الأمجاد.. أحب أن أقول لكم ونحن نحتفل اليوم بعيد الجلاء.. بعيد الحريـة.. بعيد الاسـتقلال، أحب أن أقول لكم - أيها الإخوان - أحب أن أتكلم معكم عن الماضي وعن كفاح الماضي.. أحب أن أعود إلى الماضي البعيد.

أيها المواطنون:

أحب أن أتكلم معكم كلامًا هادئًا، (ثم يوجه كلامه بحدة إلى الذين يهتفون قائلاً باستنكار) كفانا هتافًا - أيها الإخوان - فقد هتفنا في الماضي، فماذا كانت النتيجة؟ هل سنعود إلى التراقص مرة أخرى وإلى التهليل؟! هل سنعود إلى التهريج؟! إني لا أريد منكم أن تقرنوا اسم جمال بهذه الطريقة، إننا إذا كنا نتكلم معكم اليوم، فإنما نتكلم لنسير إلى الأمام بجد وبعزم، لا بتهريج ولا بهتاف، ولا يريد جمال مطلقًا أن تهتفوا باســمه، **إننا نريد أن نعمل لنبني هذا الوطن بناءً حرًا سليمًا أبيًا**، ولم يُبنَ هذا الـــوطن فـي الماضي بالهتاف، وإن الهتاف لجمال لن يبنى هذا الوطن، ولكنا - يا إخواني- سـنتقدم وسنعمل.. سنعمل للمبادئ.. وسـنعمل للمبادئ، وسنعمل للمثل العليا؛ بهذا سنبني هذا الوطن، وأرجوكم أن تصغوا إليّ.

وأنا إذا كنت أتكلم معكم اليوم في الاحتفال بهذه الاتفاقية، وفى الاحتفال بهذا الجلاء، وفي الاحتفال بهذه الحرية؛ فإنما أريد أن أذكركم بالماضي وبكفاح الماضي.. بكفاحكم أنتم وبكفاح آبائكم وبكفاح أجدادكم، أريد أن أقول لكم لقد بدأت كفاحي وأنا شاب صغير، من هذا الميدان، ففي سنة ٣٠.. في سنة ١٩٣٠م خرجت وأنا شاب صغير بين أبناء الإسكندرية أنادي بالحرية، وأنادى بالكرامة لأول مرة في حياتي، وكان هذا - يا إخواني - أول ما بدأت الكفاح من هذا الميدان.

وأنا إذ أتواجد بينكم اليوم لا أستطيع أن أعبر عن سعادتي، ولا أستطيع أن أعبر عن شكري لله حينما أتواجد في هذا الميدان، وأحتفل معكم أنتم يا أبناء الإسكندرية، يا من كافحتم في الماضي، ويا من كافح آباؤكم، ويا من كافح أجدادكم، ويا من استشهد إخوان لكم في الماضي، ويا من استشهد آباؤكم. **أحتفل معكم اليوم بعيد الجلاء وبعيد الحرية، بعيد العزة وبعيد الكرامة.**

(سُمع صوت تصفيق من الجماهير، ثم دوت ثماني رصاصات متتالية تجاه جمال عبد الناصر، وبعد فترة من الفوضى يجيء صوت عبد الناصر يوجه خطابه للجماهير) قائلاً:

فليبقَ كل في مكانه..

أيها الرجال:

فليبقَ كل في مكانه..

أيها الرجال:

فليبقَ كل في مكانه..

أيها الرجال:

فليبقَ كل في مكانه..

أيها الرَجال:

فليبقَ كل في مكانه..

أيها الرجال:

فليبقَ كل في مكانه..

أيها الرجال:

فليبقَ كل في مكانه..

أيها الرجال:

فليبقَ كل في مكانه..

أيها الأحرار:

فليبقَ كل في مكانه..

دمي فداء لكم.. حياتي فداء لكم..

دمي فداء مصر.. حياتي فداء مصر..

أيها الرجال.. أيها الأحرار.. أيها الرجال.. أيها الأحرار:

دمي فداء لكم.. حياتي فداء مصر..

هذا جمال عبد الناصر يتكلم إليكم - بعون الله - بعد أن حاول المغرضون أن يعتدوا عليه وعلى حياته.. حياتي فداء لكم، ودمي فداء لكم.

أيها الرجال.. أيها الأحرار:

إن جمال عبد الناصر ملك لكم، وإن حياة جمال عبد الناصر ملك لكم.

أيها الناس.. أيها الرجال:

ها هو جمال عبد الناصر.. ها هو جمال عبد الناصر بينكم، أنا لست جبانًا.. أنا قمت من أجلكم، ومن أجل حريتكم، ومن أجل عزتكم، ومن أجل كرامتكم.

أيها الناس.. أيها الرجال.. أيها الأحرار.. أيها الأحرار:

أنا جمال عبد الناصر.. منكم ولكم.. دمي منكم ودمي لكم، وسأعيش حتى أموت مكافحًا في سبيلكم وعاملاً من أجلكم.. من أجل حريتكم.. ومن أجل كرامتكم.. ومن أجل عزتكم.

أيها الأحرار.. أيها الرجال.. أيها الأحرار:

(يوجه كلمة «اوعى» لأحد زملائه الذين يحاولون منعه من الاستمرار في الحديث حرصًا عليه، ثم يواصل):

أيها الرجال .. أيها الأحرار:

ثم يقول لزملائه «سيبوني».

أيها الرجال:

فليقتلوني.. فليقتلوني.. فقد وضعت فيكم العزة.. فليقتلوني.. فقد وضعت فيكم الكرامة.. فليقتلـــوني.. فقد أنبت في هذا الوطن الحرية والعـــزة والكرامة من أجل مصر ومن أجل حرية مصر؛ من أجلكم ومن أجل أبنائكم ومن أجل أحفادكم.

والسلام عليكم ورحمة الله.

(ثم يستكمل جمال عبد الناصر كلامه في قمة الانفعال).

الســـلام عليكم.. كافحوا.. واحملوا الرســـالة.. واحملوا الأمانة.. من أجل عزتكم.. ومن أجل كرامتكم.. ومن أجل حريتكم.

يا أهل مصر.. يا أبناء مصر.. قمت من أجلكم ، وسأموت في سبيلكم، في سبيل حريتكم، وفي سبيل عزتكم، وفي سبيل كرامتكم.

يا أهل مصر.. أيها الأعزاء.. أيها الكرماء:

أنا فداء لكم، وسأموت من أجلكم.. سأموت من أجلكم.. سأموت من أجلكم.

والسلام عليكم.

(يُســـمع صخب هـــادر.. الجماهير تريد أن تطمئـــن على جمال عبد النـــاصر، فيخرج إليها ويستكمل حديثه إليهم) قائلاً:

أيها المواطنون:

إذا مات جمال عبـــد الناصر فأنا الآن أموت وأنا مطمئن؛ فكلكم جمال عبد الناصر.. كلكم جمـــال عبد الناصر.. كلكـــم جمال عبد النـــاصر؛ تدافعون عن العزة، وتدافعـــون عن الحرية، وتدافعون عن الكرامة.

أيها الرجال: **ســيروا على بركة الله.. والله يحمي مصر وأبناء مصر ورجال مصر. ســيروا.. تمسكوا بالمبادئ، وتمسكوا بالمثل العليا ، لا تخافوا الموت ، فالدنيا فانية.**

وإننـــا نعمل لنمـــوت.. نعمل لنموت من أجلكـــم.. ومن أجل مصائركـــم.. ومن أجل حريتكم.. ومن أجل عزتكم.

أيها المصريون.. أيها الرجال.. أيها الرجال الأعزاء.. الكرماء:

سيروا على بركة الله.. والله معكم.. لن يخذلكم.. لن يخذلكم.

فلن تكون حياة مصر معلقة بحياة جمال عبد الناصر، ولكنها معلقة بكم أنتم وبشجاعتكم وبكفاحكم، فكافحوا، وإذا مات جمال عبد الناصر فليكن كل منكم جمال عبد الناصر.. فليكن كل منكم جمال عبد الناصر، متمسكًا بالمبادئ، ومتمسكًا بالمثل العليا.

أيها الرجال:

ســيروا فإن مصر اليوم قد حصلت عــلى عزتها، وحصلت عــلى كرامتها، وحصلت على حريتها، فإذا مات جمال عبد الناصر أو قتل جمال عبد الناصر؛ فسيروا على بركة الله نحو المجد.. نحو العزة.. نحو الحرية.. نحو الكرامة.

والسلام عليكم ورحمة الله

(ثم يأتي وصف المذيع وتطالب الجماهير بخروج الرئيس إليها، ثم يســمع صوت الرئيس يقول: سيبوني، ســيبوني؛ ســيبوني. فيلبي الرئيس نداء الأمة التي تهتف: الله معك يا جمال..) فيظهر ويقول:

أيها المواطنون:

كنت أتكلم معكم عن كفاحي سنة ٣٠، وفى سنة ٣٠ - يا إخواني - في هذا الميدان.. في هذا الميــدان، وكنت أبلغ من العمر اثني عشر عامًا.. جئت إلى هذا الميدان وكنت طالبًا في مدرســة رأس التين، جئت إلى هذا الميدان أهتف بالحرية وأهتف بالكرامة، وحاول الاســتعمار وأعوان الاســتعمار أن يعتدوا علينا وأن يقتلونا، فقتل من قتل واستشهد من استشهد ومات من مات، ونجا جمال عبد الناصر؛ ليحقق لكم العزة وليحقق لكم الكرامة وليحقق لكم الحرية.

أيها المواطنون.. أيها المواطنون:

إذا كان جمال عبد الناصر لم يمت في سنة ٣٠، وكتب له أن يموت اليوم، فإنه يموت مطمئن البال.. مطمئن الضمير؛ لأنه خلق فيكم العزة، وخلق فيكم الكرامة، وخلق فيكم الحرية.

أيها المواطنون:

إنني اليوم.. اليوم بعد ٢٤ عامًا.. لقد اعتدوا عليَّ مع إخوان لي ولكم في هذا الميدان، في سنة ٣٠ اعتدى الاستعمار واعتدى أعوان الاستعمار، ونجوت بعون الله؛ لأحقق لكم العزة وأحقق لكم الكرامة.

واعتدوا عليَّ اليوم، اعتدت الخيانة؛ الخيانة التي ترجو وتطلب أن تكبلكم وتستبد بكم وتستبد بمصائركم.

فإذا كنت قد نجوت اليوم فبعون الله لأزيدكم حرية، ولأزيدكم عزة، ولأزيدكم كرامة.. فليعلم الخونة وليعلم المضللون أن جمال عبد الناصر ليس فردًا في هذا الوطن؛ فكلكم جمال عبد الناصر بعد أن شعرتم بالعزة، وبعد أن شعرتم بالحرية، وبعد أن شعرتم بالكرامة.

إذا مات جمال عبد الناصر اليوم، أو إذا مات جمال عبد الناصر باكرًا، فأنا أموت مطمئنًا.. لقد كنت منكم وأنا منكم، لقد كنت أتظاهر معكم في هذا الميدان، وأنا اليوم أتكلم إليكم كرئيس لكم، ولكن - يا إخواني - دمي من دمكم، وروحي من روحكم، وقلبي من قلبكم، ومشاعري من مشاعركم.

أيها المواطنون.. أيها المواطنون:

إذا قتلوا جمال عبد الناصر، وإذا قضوا على روح جمال عبد الناصر، وإذا أنهكوا دماء جمال عبد الناصر فإنهم لن يقدروا على أرواحكم أنتم، ولا على قلوبكم أنتم، ولا على نفوسكم الأبية أنتم، ولا على دمائكم الطاهرة أنتم أيها الأحرار.

أيها الرجال.. أيها الرجال:

لقد استشهد الخلفاء الراشدون.. لقد استشهدوا جميعًا في سبيل الله، وإذا كان جمال عبد الناصر يقتل أو يستشهد أنا مستعد لذلك، والله في سبيلكم، وفي سبيل الله، وفي سبيل مصر.

والسلام عليكم ورحمة الله».

الخطبة الثانية لجمال عبد الناصر

مناسبة الخطاب:

لحقت بالجيش المصري نكسة ١٩٦٧م على يد الجيش الإسرائيلي، والتي خسر فيها المصريون جزءًا عزيزًا من أرضهم، حيث احتلت إسرائيل كامل أراضي سيناء، حتى الضفة الشرقية لقناة السويس، كما خسر العرب الجولان السورية، والضفة الغربية وغزة والقدس الشرقية.. وتم تدمير ٢٠٩ طائرات مصرية من أصل ٣٤٠ طائرة مصرية، وخسرت مصر ٨٥٪ من سلاح القوات البرية، وكانت خسائر القوات الجوية من القاذفات الثقيلة أو الخفيفة ١٠٠٪، و٨٧٪ من المقاتلات القاذفة والمقاتلات، كما اتضح بعد المعركة أن عدد الدبابات التي خسرتها مصر مائتا دبابة تقريبًا، دُمر منها ١٢ دبابة، واستولت إسرائيل على ١٨٨ دبابة صالحة للاستعمال، وقُتِلَ وأسر من الجيش المصري ما يزيد على ١٥ ألف جندي وضابط مصري.

أحس عبد الناصر - وكان إحساسه صادقًا - أنه المسؤول الأول عن هذه النكسة النكراء، وأن وزير دفاعه الذي عينه - عبد الحكيم عامر - المسؤول الثاني عن هذه الهزيمة الثقيلة، فقرر ناصر أن يستقيل من منصبه كرئيس للجمهورية، فخطب ذلك الخطاب الذي عُرِف بخطاب التنحي، ولكنه رجع عن قراره بعد هذا الخطاب.

نص الخطاب:

«أيها الإخوة: لقد تعودنا معًا في أوقات النصر وفي أوقات المحنة.. في الساعات الحلوة وفي الساعات المرة؛ أن نجلس معًا، وأن نتحدث بقلوب مفتوحة، وأن نتصارح بالحقائق، مؤمنين أنه من هذا الطريق وحده نستطيع دائمًا أن نجد اتجاهنا السليم، مهما كانت الظروف عصيبة، ومهما كان الضوء خافتًا.

ولا نستطيع أن نخفي على أنفسنا أننا واجهنا نكسة خطيرة خلال الأيام الأخيرة، لكني واثق أننا جميعًا نستطيع وفي مدة قصيرة أن نجتاز موقفنا الصعب، وإن كنا نحتاج في ذلك إلى كثير من الصبر والحكمة والشجاعة الأدبية، ومقدرة العمل المتفانية.

لكننا - أيها الإخوة - نحتاج قبل ذلك إلى نظرة على ما وقع؛ لكي نتتبع التطورات وخط سيرها في وصولها إلى ما وصلت إليه.

إننا نعرف جميعًا كيف بدأت الأزمة في الشرق الأوسط في النصف الأول من مايو الماضي؛ كانت هناك خطة من العدو لغزو سوريا، وكانت تصريحات ساسته وقادته العسكريين كلها تقول بذلك صراحة، وكانت الأدلة متوافرة على وجود التدبير.

كانت مصادر إخواننا السوريين قاطعة في ذلك، وكانت معلوماتنا الوثيقة تؤكده، بل وقام أصدقاؤنا في الاتحاد السوفيتي بإخطار الوفد البرلماني الذي كان يزور موسكو في مطلع الشهر الماضي؛ بأن هناك قصدًا مبيتًا ضد سوريا. ولقد وجدنا واجبًا علينا ألا نقبل ذلك ساكتين، وفضلاً عن أن ذلك واجب الأخوة العربية، فهو أيضًا واجب الأمن الوطني؛ فإن البادئ بسوريا سوف يثني بمصر.

ولقد تحركت قواتنا المسلحة إلى حدودنا بكفاءة شهد بها العدو قبل الصديق، وتداعت من أثر ذلك خطوات عديدة؛ منها انسحاب قوات الطوارئ الدولية، ثم عودة قواتنا إلى مواقع شرم الشيخ المتحكمة في مضايق تيران، والتي كان العدو الإسرائيلي يستعملها كأثر من آثار العدوان الثلاثي الذي وقع علينا سنة ١٩٥٦م. ولقد كان مرور علم العدو أمام قواتنا أمرًا لا يحتمل، فضلاً عن دواعي أخرى تتصل بأعز أماني الأمة العربية.

ولقد كانت الحسابات الدقيقة لقوة العدو تظهر أمامنا أن قواتنا المسلحة، بما بلغته من مستوى في المعدات وفي التدريب؛ قادرة على رده وعلى ردعه، وكنا ندرك أن احتمال الصراع بالقوة المسلحة قائم، وقبلنا بالمخاطرة.

وكانت أمامنا عوامل عديدة؛ وطنية وعربية ودولية، بينها رسالة من الرئيس الأمريكي «ليندون جونسون» سلمت إلى سفيرنا في واشنطن يوم ٢٦ مايو تطلب إلينا ضبط النفس، وألا نكون البادئين بإطلاق النار، وإلا فإننا سوف نواجه نتائج خطيرة.

وفى الليلة نفسها، فإن السفير السوفيتي طلب مقابلتي بصفة عاجلة في الساعة الثالثة والنصف من بعد منتصف الليل، وأبلغني بطلب ملح من الحكومة السوفيتية ألا نكون البادئين بإطلاق النار.

وفى صباح يوم الاثنين الماضي الخامس من يونيــة جاءت ضربة العدو. وإذا كنا نقول الآن بأنهــا جاءت بأكثر مما توقعناه؛ فلابد أن نقول في الوقت نفســه وبثقــة أكيدة إنها جاءت بأكبر ممــا يملكه، مما أوضح منــذ اللحظة الأولى أن هناك قوى أخــرى وراء العدو، جاءت لتصفي حساباتها مع حركة القومية العربية، ولقد كانت هناك مفاجآت تلفت النظر:

أولها: أن العدو الذي كنا نتوقعه من الشرق ومن الشمال جاء من الغرب؛ الأمر الذي يقطع بأن هناك تسهيلات تفوق مقدرته، وتتعدى المدى المحسوب لقوته - قد أعطيت له.

وثانياً: فإن العدو غطــى في وقت واحد جميع المطارات العســكرية والمدنية في الجمهورية العربيــة المتحدة، ومعنى ذلك أنه كان يعتمد على قوة أخرى غــير قوته العادية، لحماية أجوائه من أي رد فعل من جانبنا؛ كما أنه كان يترك بقية الجبهات العربية لمعاونات أخرى اســتطاع أن يحصل عليها.

وثالثًا: فإن الدلائل واضحة على وجود تواطؤ اســتعماري معه؛ يحاول أن يستفيد من عبرة التواطؤ المكشوف السابق سنة ١٩٥٦م، فيغطي نفسه هذه المرة بلؤم وخبث، ومع ذلك فالثابت الآن أن حاملات طائرات أمريكية وبريطانية كانت بقرب شواطئ العدو تساعد مجهوده الحربي. كما أن طائرات بريطانية أغارت في وضح النهار على بعض المواقع في الجبهة السورية وفى الجبهة المصرية، إلى جانب قيام عدد من الطائرات الأمريكية بعمليات الاستطلاع فوق بعض مواقعنا.

ولقــد كانت النتيجة المحققــة لذلك أن قواتنا البرية التي كانت تحــارب أكثر المعارك عنفًا وبســالة في الصحراء المكشوفة؛ وجدت نفسها في الموقف الصعب؛ لأن الغطاء الجوى فوقها لم يكن كافيًا إزاء تفوق حاســم في القوى الجوية المعادية، بحيث إنه يمكن القول - بغير أن يكون في ذلــك أي أثر للانفعال أو المبالغة - إن العدو كان يعمــل بقوة جوية تزيد ثلاث مرات عن قوته العادية.

ولقــد كان هذا ما واجهته أيضًا قــوات الجيش العربي الأردني التي قاتلت معركة باســلة بقيادة الملك حســين، الذي أقول - للحق وللأمانة - إنه اتخذ موقفًا ممتازًا، وأعترف بأن قلبي كان ينزف دمًا وأنا أتابع معارك جيشــه العربي الباســل في القدس، وغيرها من مواقع الضفة

الغربية، في ليلة حشد فيها العدو وقواه المتآمرة ما لا يقل عن ٤٠٠ طائرة للعمل فوق الجبهة الأردنية، ولقد كانت هناك جهود رائعة وشريفة؛ لقد أعطى الشعب الجزائري وقائده الكبير هواري بومدين بغير تحفظات وبغير حساب للمعركة، وأعطى شعب العراق وقائده المخلص عبد الرحمن عارف بغير تحفظات وبغير حساب للمعركة، وقاتل الجيش السوري قتالاً بطوليًا معززًا بقوى الشعب السوري العظيم وبقيادة حكومته الوطنية، واتخذت شعوب وحكومات السودان والكويت واليمن ولبنان وتونس والمغرب مواقف مشرفة، ووقفت شعوب الأمة العربية جميعًا بغير استثناء على طول امتداد الوطن العربي موقف الرجولة والعزة، موقف التصميم، موقف الإصرار على أن الحق الغربي لن يضيع ولن يهون، وأن الحرب دفاعًا عنه ممتدة مهما كانت التضحيات والنكسات على طريق النصر الحتمي الأكيد.

وكانت هناك أمم عظيمة خارج العالم العربي قدمت لنا ما لا يمكن تقديره من تأييدها المعنوي. لكن المؤامرة - ولا بد أن نقول ذلك بشجاعة الرجال - كانت أكبر وأعتى، ولقد كان تركيز العدو الأساسي على الجبهة المصرية؛ التي دفع عليها بكل قوته الرئيسة من المدرعات والمشاة؛ معززة بتفوق جوي رسمت لكم من قبل صورة لأبعاده، ولم تكن طبيعة الصحراء تسمح بدفاع كامل؛ خصوصًا مع التفوق المعادي في الجو. ولقد أدركت أن تطور المعركة المسلحة قد لا يكون مواتيًا لنا، وحاولت مع غيري أن نستخدم كل مصادر القوة العربية، ولقد دخل البترول العربي ليؤدي دوره، ودخلت قناة السويس لتؤدي دورها، وما زال هناك دور كبير مطلوب من العمل العربي العام، وكلي ثقة في أنه سوف يستطيع أداءه. ولقد اضطرت قواتنا المسلحة في سيناء إلى إخلاء خط الدفاع الأول، وحاربت معارك رهيبة بالدبابات والطائرات على خط الدفاع الثاني.

ثم استجبنا لقرار وقف إطلاق النار، أمام تأكيدات وردت في مشروع القرار السوفيتي الأخير المقدم إلى مجلس الأمن، وأمام تصريحات فرنسية، بأن أحدًا لا يستطيع تحقيق أي توسع إقليمي على أساس العدوان الأخير، وأمام رأي عام دولي - خصوصًا في آسيا وإفريقيا - يرى موقفنا، ويشعر ببشاعة قوى السيطرة العالمية التي انقضت علينا.

وأمامنا الآن عدة مهام عاجلة:

المهمـــة الأولى: أن نزيل آثار هذا العدوان علينا، وأن نقف مع الأمة العربية موقف الصلابة والصمود. وبرغم النكســة فإن الأمة العربية بكل طاقاتهــا وإمكاناتها قادرة على أن تصر على إزالة آثار العدوان.

والمهمة الثانية: أن ندرك درس النكسة، وهناك في هذا الصدد ثلاث حقائق حيوية:

١- إن القضاء على الاســتعمار في العالم العربي يترك إسرائيــل بقواها الذاتية، ومهما كانت الظروف ومهما طال المدى، فإن القوى الذاتية العربية أكبر وأقدر على الفعل.

٢- إن إعــادة توجيه المصالح العربيـــة في خدمة الحق العربي ضمان أولي، فإن الأســطول الأمريكي الســادس كان يتحرك ببترول عربي، وهنــاك قواعد عربية وضعت قسرًا - وبرغم إرادة الشعوب - في خدمة العدوان.

٣- إن الأمر الآن يقتضي كلمة موحدة تسمع من الأمة العربية كلها، وذلك ضمان لا بديل له في هذه الظروف.

نصل الآن إلى نقطة هامة في هذه المكاشــفة بسؤال أنفســنا: هل معنى ذلك أننا لا نتحمل مسؤولية في تبعات هذه النكسة؟ وأقول لكم بصدق - وبرغم أية عوامل قد أكون بنيت عليها موقفي في الأزمة - فإنني على اســتعداد لتحمل المســؤولية كلها، ولقد اتخذت قرارًا أريدكم جميعًا أن تساعدوني عليه: **لقد قررت أن أتنحى تمامًا ونهائيًا عن أي منصب رسمي وأي دور سياسي، وأن أعود إلى صفوف الجماهير، أؤدي واجبي معها كأي مواطن آخر.**

إن قوى الاستعمار تتصور أن جمال عبد الناصر عدوها، وأريد أن يكون واضحًا أمامهم أنها الأمة العربية كلها وليس جمال عبد الناصر.

والقوى المعادية لحركة القومية العربية تحاول تصويرها دائمًا بأنها إمبراطورية لعبد الناصر، وليــس ذلك صحيحًا؛ لأن أمل الوحدة العربية بدأ قبل جمال عبد الناصر، وســوف يبقى بعد جمال عبد الناصر.

ولقد كنت أقول لكم دائمًا: إن الأمة هي الباقية، وأن أي فرد مهما كان دوره، ومهما بلغ إسهامه في قضايا وطنه أداة لإرادة شعبية، وليس صانع هذه الإرادة الشعبية، **وتطبيقًا لنص المادة ١١٠ من الدستور المؤقت الصادر في شهر مارس سنة ١٩٦٤، فلقد كلفت زميلي وصديقي وأخي زكريا محيى الدين بأن يتولى منصب رئيس الجمهورية، وأن يعمل بالنصوص الدستورية المقررة لذلك، وبعد هذا القرار فإنني أضع كل ما عندي تحت طلبه، وفى خدمة الظروف الخطيرة التي يجتازها شعبنا.**

إنني بذلك لا أصفي الثورة، ولكن الثورة ليست حكرًا على جيل واحد من الثوار، وإني لأعتز بإسهام هذا الجيل من الثوار. لقد حقق جلاء الاستعمار البريطاني، وحقق استقلال مصر، وحدد شخصيتها العربية، وحارب سياسة مناطق النفوذ في العالم العربي، وقاد الثورة الاجتماعية، وأحدث تحولاً عميقًا في الواقع المصري أكد تحقيق سيطرة الشعب على موارد ثروته وعلى ناتج العمل الوطني، واسترد قناة السويس، ووضع أسس الانطلاق الصناعي في مصر، وبنى السد العالي ليفرش الخضرة الخصبة على الصحراء المجدبة، ومد شبكات الكهرباء المحركة فوق وادي النيل الشمالي كله، وفجر موارد البترول بعد انتظار طويل. وأهم من ذلك وضع على قيادة العمل السياسي تحالف قوى الشعب العاملة؛ الذي هو المصدر الدائم لقيادات متجددة تحمل أعلام النضال الوطني والقومي مرحلة بعد مرحلة، وتبني الاشتراكية، وتحقق وتنتصر.

إن ثقتي غير محدودة بهذا التحالف القائد للعمل الوطني؛ الفلاحين والعمال والجنود والمثقفين والرأسمالية الوطنية. إن وحدته وتماسكه، والتفاعل الخلاق داخل إطار هذه الوحدة قادر على أن يصنع بالعمل؛ وبالعمل الجاد، وبالعمل الشاق - كما قلت أكثر من مرة - معجزات ضخمة في هذا البلد؛ ليكون قوة لنفسه، ولأمته العربية، ولحركة الثورة الوطنية، وللسلام العالمي القائم على العدل.

إن التضحيات التي بذلها شـعبنا، وروحه المتوقدة خلال فترة الأزمة، والبطولات المجيدة التي كتبها الضباط والجنود من قواتنا المسـلحة بدمائهم؛ سوف تبقى شعلة ضوء لا تنطفئ في تاريخنا، وإلهامًا عظيمًا للمستقبل وآماله الكبار. لقد كان الشعب رائعًا كعادته، أصيلاً كطبيعته، مؤمنًا صادقًا مخلصًا.

وكان أفراد قواتنا المسـلحة نموذجًا مشرفًا للإنسان العربي في كل زمان ومكان؛ لقد دافعوا عـن حبات الرمال في الصحـراء لآخر قطرة من دمهم، وكانوا في الجـو رغم التفوق المعادي أساطير للبذل وللفداء وللإقدام، والاندفاع الشريف إلى أداء الواجب أنبل ما يكون أداؤه.

إن هذه ساعة للعمل وليست ساعة للحزن، إنه موقف للمثل العليا وليس لأية أنانيات أو مشـاعر فردية. إن قلبي كله معكم، وأريد أن تكون قلوبكم كلها معي، وليكن الله معنا جميعًا؛ أملاً في قلوبنا وضياءً وهدى، والسلام عليكم ورحمة الله».

خطبة
جولدا مائير

مناسبة الخطاب:

بعد عدوان يونية ١٩٦٧، تولت جولدا مائير منصب السكرتير العام لحزب العمل الموحد. وفي ١٩٦٩، تولت رئاسة الوزراء في إسرائيل بعد موت ليفي أشكول. أولت مائير لتطوير العلاقات مع إفريقيا وتوثيق التحالف مع أمريكا - اهتمامًا خاصًا، وفي عهدها اندلعت حرب أكتوبر ١٩٧٣، وعبر الجيش المصري قناة السويس وخط بارليف، مما جعلها عرضة لانتقادات شديدة داخل الكيان الصهيوني؛ أدت إلى استقالتها في يونية ١٩٧٤.

اشتهرت جولدا مائير بتشددها مع العرب، والتمسك بالأراضي العربية المحتلة عام ١٩٦٧، وبإنكار وجود الشعب الفلسطيني، وقلقها الشديد إزاء تزايد الشعب الفلسطيني، وقد جاءت الخطبة التالية في فترة مهمة من تاريخ صراع العرب مع إسرائيل كحلقة من سلسلة لا تنتهي من الافتراءات الصهيونية،أمام الكنيست الإسرائيلي في تل أبيب/ إسرائيل في السادس والعشرين من مايو من عام ١٩٧٠.

نبذة عن حياة جولدا مائير:

كان ميلاد جولدا مابوفيتز في مدينة كييف بأوكرانيا في ٣ مايو ١٨٩٨، وقد هاجرت مع عائلتها إلى مدينة ميلواكي في ولاية ويسكونسن الأمريكية عام ١٩٠٦م. وتخرجت في كلية المعلمين، وقامت بالعمل في سلك التدريس، وانضمت إلى منظمة العمل الصهيونية في عام ١٩١٥م، وقامت بالهجرة مرة أخرى، ولكن هذه المرة إلى فلسطين وكان معها زوجها موريس مايرسون في عام ١٩٢١م. وعندما مات زوجها في عام ١٩٥١م، قررت جولدا تبني اسم عبري فترجمت اسم زوجها إلى العبرية (بالفعل يعني اسم مايرسون «ابن مائير» باللغة اليديشية)، وقررت جولدا مائير اختصاره.

انتقلت جولدا إلى مدينة تل أبيب في عام ١٩٢٤م، وعملت في مختلف المهن بين اتحاد التجارة ومكتب الخدمة المدنية، قبل أن يتم انتخابها في الكنيست الإسرائيلي في عام ١٩٤٩م. عملت جولدا كوزيرة للعمل في الفترة ١٩٤٩ إلى ١٩٥٦م وكوزيرة للخارجية في الفترة ١٩٥٦ إلى ١٩٦٦م في أكثر من تشكيل حكومي.

وبعد وفاة رئيس الوزراء الإسرائيلي ليفي أشكول في فبراير ١٩٦٩، حدث أن تقلدت جولدا منصب رئيس الوزراء، ومن الملاحظ أنه قد تعرضت حكومة التآلف التي ترأستها للنزاعات الداخلية، وأثارت الجدل والتساؤلات في قدرة حكومتها على القيادة خاصة بعد الهجوم العربي المفاجئ، وغير المتوقع في حرب أكتوبر، والذي أخذ الإسرائيليين على حين غرة في ٦ أكتوبر ١٩٧٣م، وقد تعرضت جولدا مائير لضغوط داخلية نتيجة الأحداث التي سلفت، فقامت بتقديم استقالتها وتولى رئاسة الوزراء إسحاق رابين، وقد كانت وفاة جولدا مائير في ٨ ديسمبر ١٩٧٨م وتم دفنها في مدينة القدس.

نص الخطاب:

«في بداية دورتنا البرلمانية، اسمحوا لي أن أستعرض الوضع الأمني والسياسي للبلاد. في الشهور الأخيرة، وبخاصة في الأسابيع الماضية، تدهور الموقف الأمني بشكل خطير على الجبهة الجنوبية بصفة خاصة، وانعكس التأثير السلبي لذلك على الجبهات الأخرى أيضًا.

إن أهم ما يميز حالة التصعيد والتوتر التي نعيشها أنها مرحلة متقدمة وخطيرة، من التدخل السوفيتي في مصر، ذلك التدخل الذي وضع نفسه رهن إشارة العدوان والانتهاك المصري لقرار وقف إطلاق النار، ولا توجد سابقة مماثلة لهذا التدخل في تاريخ الاختراق السوفيتي لمنطقة الشرق الأوسط، وهو أمر يشجع مصر على تحقيق خطتها لتجديد حرب الاستنزاف، والمضي قدمًا في سبيل تحقيق أكبر طموحاتها؛ ألا وهو القضاء على إسرائيل.

لفهم خلفية الأحداث الحالية، لا بد أن نسترجع القرار الذي أعلنه ناصر في ربيع عام ١٩٦٩ بإلغاء وقف إطلاق النار، وتجاهل خطوط وقف إطلاق النار، وهو أمر مألوف بالنسبة للسياسة المصرية على طول دربها الذي سلكته في إشعال الحروب.

وهو تصرف يعكس عقيدة أساسية لدى المصريين؛ وهي أن إسرائيل حالة استثنائية في العائلة التي تضم سائر أمم العالم، ومن ثم لا تنطبق القواعد التي تقبلها الدول المتحضرة على إسرائيل، ولا يمكن تنفيذ أي إلزام دولي تجاه إسرائيل إلا في حالة عدم وجود خيار آخر، إلا الانصياع له أو عدم وجود بديل آخر يمكن اللجوء إليه، بل إنه يمكن التخلي عن هذا الإلزام في أول فرصة تسنح لذلك. عندما يجد المصريون أنفسهم في طريقهم إلى ساحة القتال، فإنهم يذعنون للاقتراحات والترتيبات الدولية التي تجعلهم يتمكنون من إنقاذ نظام الحكم لديهم. ولكن، بمجرد أن تلوح أمامهم بادرة لاستعادة قوة عسكرية كافية تمكنهم من الهجوم، فإنهم يتعاملون مع تعهداتهم أو توقيعاتهم على الاتفاقيات، وكأنها لم تكن من الأساس. كانت هذه نهاية تعهد وقف إطلاق النار الذي تم إبرامه في التاسع من يونية في عام ١٩٦٧، والذي تعهدت به مصر بناءً على رغبة من مجلس الأمن. كذلك، كانت تلك نهاية التعهدات التي دخلت فيها

مصر في وقت سابق على المستويين الإقليمي والدولي بالنسبة لأمور تتعلق بمصر وإسرائيل، وهو تصرف يلقي الضوء على نوايا القاهرة ومصداقيتها بالنسبة للأمور التي تحكم موقفها تجاه السلام مع إسرائيل كلها.

الهدنة التي ذهبت أدراج الرياح

لم يكن موقف مصر من توقيعها على اتفاقية الهدنة في عام ١٩٤٩ مختلفًا عن ذلك، فبالنسبة لحكام مصر، لم تتعدَّ هذه الاتفاقية مجرد كونها إجراءً مؤقتًا لإنقاذ مصر من الانهيار الكامل، بعد عدوانها المخفق، وفرصة تتيح لها التقاط الأنفاس للتحضير لجولة جديدة في الحرب.

في غضون سنوات قليلة، تنصلت مصر من تعهداتها الدولية بشكل ملحوظ، واستهزأت بمجلس الأمن، وتخلت عن مبدأ حرية الملاحة، ومع وصول ناصر إلى الحكم، فرغ المصريون اتفاقية الهدنة من مضمونها تمامًا بإرسالهم مجموعات من القتلة، عبر قطاع غزة إلى داخل إسرائيل.

بعد ذلك، بدأ ناصر في إفساد أنظمة الحكم في الدول العربية التي لا يوافق عليها، والتي لا تخضع لسلطته. وفتح باب المنطقة على مصراعيه أمام الاختراق السوفيتي، ووضع مخططًا لتكوين قيادة عسكرية موحدة للدول العربية المجاورة لإسرائيل، ودفع الوضع إلى التفاقم باختراقاته المحمومة التي قام بها لتجديد الهجوم علينا.

في عام ١٩٦٥، اندفع تارةً أخرى بقوة في تهديده المسلح لوجودنا. ومرةً أخرى، أظهر اهتمامه بالوساطة والتسوية الدولية؛ لأنه كان يحتاج إلى ذلك للتخطيط لانسحاب القوات الإسرائيلية من سيناء، وبعد ذلك انسحابها من شرم الشيخ ومن قطاع غزة. وبعلمه وموافقته، تم نشر قوات الطوارئ التابعة للأمم المتحدة، للتأكد من حرية الملاحة في خليج العقبة، ولضمان ألا يكون قطاع غزة قاعدة لغارات الموت التي تنطلق منه إلى داخل إسرائيل.

لمدة عشرة أعوام، لم تصدر عن القاهرة أية شكوى من قوات الطوارئ والمهام التي تقوم بها في المنطقة، وعلى الرغم من ذلك، كان ناصر طوال هذه الفترة يعمل بجد، بمساعدة السوفيت،

لإعادة بناء جيشه والقيام بأعمال تخريبية ومحفوفة بالمخاطر في المنطقة بأسرها؛ لتبلغ أعماله التخريبية في نهاية الأمر ذروتها في الحرب الدموية التي شنها، ولم يفلح فيها، ضد الشعب اليمني لمدة خمسة أعوام.

في عام ١٩٦٧، وبناءً على اعتقاد منه - على ما يبدو - أن لديه من القوة ما يمكنه من التغلب على إسرائيل، قام ناصر بانتهاك التزاماته الدولية إجمالاً، وطرد قوات الطوارئ، وركز معظم قواته في سيناء الشرقية، وأعاد قواته إلى مواقعها السابقة لإغلاق مضيق تيران، وخطط لحرب إبادة ضد إسرائيل، وهي حرب قال عنها - بحسب تعبيره - أنها ستعيد عقارب الساعة إلى ما قبل عام ١٩٤٨.

حتى الخامس من يونية من عام ١٩٦٧، صم ناصر أذنيه تمامًا عن النداءات الدولية له بالإحجام عن إقحام الشرق الأوسط، في نوبة ثالثة من الاضطراب الهائل المشحون بالدماء والمعاناة، وبعد مرور أربعة أيام أخرى، ومع حالة الدمار التي كان جيشه عليها، لم يتباطأ في قبول نداء مجلس الأمن لوقف إطلاق النار، وبالتالي دفع مرةً أخرى كارثة محققة عن مصر. لم يكن قرار وقف إطلاق النار الذي أصدره مجلس الأمن محدودًا بوقت أو ظروف، ولم يقرن ناصر موافقته على هذا القرار بأية مهلة زمنية أو أي شرط آخر.

تتوافر الدلائل على مخططاته الحقيقية في بياناته وأفعاله التي تلت ذلك، فلم يطرأ في قرارات قمة الخرطوم أي تغيير فيما يتعلق برفض السلام مع إسرائيل، أو الاعتراف بوجودها أو التفاوض معها. كذلك، ينبغي على إسرائيل أن تنسحب لما وراء حدودها قبل الرابع من يونية من عام ١٩٦٧ لتسلم بعد ذلك السيادة على الأراضي التي انسحبت منها إلى «الشعب الفلسطيني»، ولن يقوم المصريون بالنظر إلى وقف إطلاق النار إلا في ضوء هذا الشرط المزدوج، وقدم ناصر ذريعة قوية لموقفه؛ بحيث إذا تم الحفاظ على شروط المعاهدة يكون هدفه قد تحقق، ولا يكون لديه أي سبب آخر لمتابعة عدوانه على إسرائيل.

لن يعترف ناصر أبدًا بمفهوم السلام اليهودي بمعناه الحرفي والإنساني، فوفقًا لتعريفنا للسلام، وفي ضوء نوازع الضمير والأخلاق الدوليين، فإن السلام يعني حسن الجوار والتعاون

بين الأمم. أما بالنسبة لرأي ناصر، فإن دعوة مصر لعقد سلام مع إسرائيل يعني دعوتها لعقد اتفاقية استسلام ومهانة.

إن ذلك الينبوع الذي يتدفق منه حمام الدم والدمار والعذاب؛ الذي تغرق فيه شعوب الشرق الأوسط عقدًا تلو الآخر.

في السابع عشر من مارس من عام ١٩٦٩، عندما بدأت المدفعية المصرية تمطر جنودنا بوابل من الطلقات في منطقة القناة، أعلنت في هذا المكان أنه:

(يجب على الدول العربية أن تدرك أنه يمكن أن يكون هناك هدوء في خط وقف إطلاق النار فقط، في حالة التزام الجانبين بالهدوء، ولا يمكن أن يتم ذلك في حالة التزام جانب واحد فقط. فنحن نريد الهدوء، ونريد تأييد قرار وقف إطلاق النار، ولكن ذلك يتوقف على الدول العربية؛ حيث يجب أن يكون الحفاظ على الهدوء في المنطقة رغبة متبادلة من الطرفين).

لم تولِ مصر أذنًا مصغية لكلماتي، وضاعفت من عدوانها. وفي بداية مايو، أخبر ناصر شعبه أن قواته نجحت في تدمير ستين بالمائة من خط التعزيزات الذي أقامته إسرائيل على طول القناة، وأنهم ماضون على الدرب حتى يتم تدمير ما تبقى منه. وفي السنوات اللاحقة، لم نقم فقط بتعزيز تحصيناتنا، ولكننا نجحنا في أن نوجه ضربات عنيفة لمواقع القذف المصرية، وأحبطنا أكثر من محاولة لشن الغارات علينا على طول القناة.

بدأ ما وصفه ناصر باسم «حرب الاستنزاف» في مارس من عام ١٩٦٩، ففي الثلاثين من مارس، قال ناصر:

(لقد مضى العهد الذي يجب أن تتم فيه مساءلة الجندي على الجبهة، في حالة فتحه للنيران على العدو؛ لأننا في ذلك الوقت كنا نريد أن نتجنب إضافة المزيد من التعقيدات إلى الموقف. أما الآن، فالصورة مختلفة، فإذا شاهد أحد الجنود على الجبهة عدوه، ولم يفتح نيرانه عليه، فلا بد أن يساءل عن موقفه).

في ديسمبر من عام ١٩٦٩، أكد ناصر على استعداده للحرب بقوله، وعلى حد تعبيره: (زحف الجيش المصري عبر بحور من الدم والنار).

عاقبت قــوات الدفاع الإسرائيلية هذا العدوان المفعم بالغرور، ولن أكرر على أســاعكم قصة الشــجاعة والدهاء، اللذيــن أبدتهما قوات الدفــاع الإسرائيلية عنـد الاختراق القوي لصفــوف العدو، والعمليات الجســورة التي قامت بهــا القوات الجوية، والقــوة التي أبدتها المدرعــات الإسرائيلية. تم دحر العــدوان، وأحدثنا اضطرابًا في خطــة العدو، وخففنا وطأة الضغط على خط دفاعنا الأمامي، بقيامنا بضرب أهداف عسكرية حيوية على طول القناة، وما خلفها بمسافة كبيرة، ودحضنا خططه بشن حرب شاملة علينا. من الثابت، وللأسف العميق، أننا قد تكبدنا خسائر من القتلى والجرحى، ولكن دفاعنا القوي نجح في إحباط المكيدة المصرية، وإحباط محاولاتها لإضعافنا وزعزعة جبهتنا الجنوبية.

بعد أن أعيته الســبل، لم يكن أمام النظام الحاكم في القاهرة؛ سوى أن يختار بين قبول النداء الدائــم لإسرائيل للعودة إلى الالتزام المتبادل من الطرفين، بوقف إطلاق النار كمعبر نمر عبره إلى طريق الســلام، وبين الاعتماد لدرجة أكبر على الاتحاد الســوفيتي إلى درجة الطلب منه أن يتدخــل في العمليات المتعلقة بهذا الأمر؛ حتى يتســنى لمصر أن تتابع حرب الاســتنزاف على الرغم من كل التداعيات البغيضة لهذا التدخل.

في العديد من خطبه، دافع ناصر عن موقف مصر من إنهاء النفوذ البريطاني فيها، والخضوع المصري لها. ولكن، الزعيم الذي وعد شعبه بالاستقلال الكامل عن أي نفوذ أجنبي قد فضل أن يجدد اعتماده وانقياده عن أن يعقد ســلامًا مع إسرائيــل، أو يلتزم بوقف إطلاق النار، وفي المأزق الذي وضع ناصر نفســه فيه. اختار أن يخفي عن شــعبه حقيقة أن الغزو السوفيتي يحل محل الغزو البريطاني في المنطقة. هذا هو السبيل الذي به قاد الضلال والكراهية - الثورة المصرية إلى الوصول إليه.

لم يبدأ الاختراق السوفيتي للمنطقة بالأمس القريب، بل إن إرهاصاته كانت قد بدأت تظهر في منتصف الخمســينيات، في تعزيز هذا التأثير عن طريق تقديم المعونة الاقتصادية والأسلحة بأيسر الشروط.

في مايو من عام ١٩٦٧، نشر الاتحاد السوفيتي بهدف التحريض والإثارة شائعات لا أساس لها من الصحة، عن تركز الإسرائيليين على الحدود السورية، ولقد كان لهذا الأمر صلة أساسية بسلسلة التطورات التي أدت إلى نشوب حرب الأيام الستة، وعندما وضعت الحرب أوزارها، لم تبدِ موسكو أي استعداد لإسداء النصح للعرب؛ لإغلاق هذا الفصل من العنف وفتح فصل آخر بدلاً منه للتعاون الإقليمي، وعلى الرغم من ذلك قام السوفيت بالتصويت لصالح قرار وقف إطلاق النار غير المشروط؛ لإخراج ناصر من المأزق الذي وضع نفسه فيه.

في خطبته التي ألقاها في الأول من مايو في عام ١٩٧٠، اعترف ناصر أنه بعد مرور ثلاثة أيام فقط على انصياع مصر لهذا القرار، وافق السوفيت على إعادة تسليح قواته؛ حيث قال ناصر:

(في الثاني عشر من شهر يونية، وهو ما أستطيع أن أعلنه الآن، تلقيت مذكرة من بريجينيف وكوسيجين وبودجورني وعدوني فيها بدعم الأمة العربية، وإعادة بناء القوات المسلحة المصرية، دون أي مقابل، حتى تعود إلى حالتها التي كانت عليها قبل دخولها الحرب مع إسرائيل.

هكذا، أصبحنا قادرين على الصمود وتجاوز المأزق الذي وقعنا فيه، وإعادة تأهيل قواتنا المسلحة من جديد).

في غضون الأعوام الثلاثة السابقة، قام الاتحاد السوفيتي بإمداد مصر وسوريا والعراق بألفي دبابة وثمانمائة طائرة مقاتلة، بالإضافة إلى غير ذلك من المعدات العسكرية؛ لتصل القيمة الإجمالية للمساعدات التي قدمها الاتحاد السوفيتي إلى ثلاثة ونصف بليون دولار؛ حيث كان نصيب مصر وحدها من هذه المساعدات الثلثين، ولم يتم القيام بهذه العملية للتسليح عن طريق أي شكل من أشكال المبادلات المادية، فقد قام الآلاف من الخبراء السوفيت بتدريب القوات المصرية، كما قام المستشارون السوفيت بتوجيه القوات المصرية وإرشادها في الوحدات والقواعد المصرية، حتى إن ذلك تم أثناء المعارك.

من الصعب أن نصدق أن ناصر كان سيملك الجرأة الكافية، ليستأنف عدوانه علينا على نطاق واسع في مارس من عام ١٩٦٩، ما لم يكن قد حصل على تفويض من السوفيت للقيام

بذلــك، ومن الأصعب أن نصدق أنه في الفترة ما بــين مايو ويونية من عام ١٩٦٩، كان ناصر ســيخرق اتفاقية وقف إطلاق النار، دون وجود هذا التفويض. إن الاتحاد السوفيتي لم يحجم فقط عن استخدام قدرته لحمل ناصر على الانصياع مجددًا لاتفاقية وقف إطلاق النار، بل إنه قد شجعه على تصعيد حالة الحرب التي أشعل نيرانها. هناك مثال بارز آخر على عدم اهتمام الاتحاد السوفيتي بالإســهام في إعادة الهدوء إلى المنطقة، يتمثل في رفض موسكو للاقتراح الأمريكي، الــذي تم تقديمه في منتصف فبراير من عام ١٩٧٠، بتقديم طلب مشــترك من القوى الأربع الرئيسة لأطراف النزاع في المنطقة لاحترام وقف إطلاق النار.

يُزعم على نطاق واسع أن الاتحاد الســوفيتي لا يتلهف إلى وجود حالة من الحرب الشاملة في المنطقة، وهي حالة ســيتم بموجبها جر الدولة موضع حمايته - أي مصر - إلى ساحة الحرب مجددًا، ولكنه في الوقت نفســه يتجنب حالة وقف إطلاق النــار باعتبارها مرحلة ضرورية في التقدم باتجاه إحراز السلام. لذا، يفضل الاتحاد السوفيتي الإسهام في إجراء وسطي بين هذين الأمرين: المناوشات الحدودية، والالتزامات غير المحددة والتوترات المستمرة؛ الأمر الذي يتيح له الاستغلال الكامل لاعتماد المصريين عليه، وتعميق اختراقه الإقليمي إلى حد بعيد، ومن ثم الوصول لأهدافه. وعن طريق ممارســة الضغوط العســكرية والسياسية على إسرائيل، يهدف الاتحاد السوفيتي إلى إرضاء احتياجات مصر بطريقة لا تستتبعها الأخطار المصاحبة لانتكاسة أخرى لمصر أو اضطرارها لإبرام سلام «لا حاجة له».

في إطار عدم اكتفاء الاتحاد السوفيتي بمساندة سياسة ناصر للعدوان والحرب، قام الاتحاد الســوفيتي بالبدء في حملة دعائية معادية للســامية على أراضيه وتشويه سمعة إسرائيل بصورة بغيضة، عن طريق وســائل التواصل والإعــلام التي يملكها وفي المحافــل الدولية. وتمادى السوفيت إلى أبعد الحدود في تشويه سمعة إسرائيل؛ حتى إنهم قد نعتونا بالنازيين، فدونما أدنى خجل أو وخز من الضمير، اتهموا اليهود بالاشتراك في برامج نظمها النظام القيصري بالتعاون مع النازيين، وقدموا تروتســكي في صورة نازي. كذلك، قاموا بإجراء بحث علمي اكتشــفوا فيه - على حد زعمهم - عدم وجود ما يسمى بالشعب اليهودي.

كان لهـــم هدف مزدوج من وراء ما قاموا به: أولهما إرهاب الشـــعب اليهودي الســـوفيتي، وإعداد خلفية نفسية مناسبة، لتقبل أي عمل مؤذٍ يتم ضد إسرائيل.

أقنع فشل ناصر في حرب الاستنزاف التي شنها على إسرائيل، بالإضافة إلى التماسه اللحوح للسوفيت بتوســيع نطاق تدخلهم في المنطقة - السوفيت بالاستجابة لطلبه. وفي الوقت الذي كان فيه ممثلو الاتحاد السوفيتي يجتمعون بممثلي القوى الغربية، في نيويورك وواشنطن، لمناقشة تجديد مهمة بعثة يارنج، والتوصل لتســوية ســلمية للنزاع العربي الإسرائيلي، كانت الســفن الســوفيتية تبحر في طريقها إلى مصر محملة بصواريــخ أرض - جو من الطراز SA-٣، وكان الآلاف من الخبراء السوفيت يتوافدون على مصر؛ لتركيب بطاريات الصواريخ وتكوين أطقم العمل على متنها وتشــغيلها، وفي ديسمبر من عام ١٩٦٩، كان يمكن تمييز الدلائل على وجود خنادق قواعد الصواريخ أرض - جو في منطقة القناة، وفي مناطق أخرى. وفي تقديرنا، يوجد بالفعل ما يقرب من عشرين قاعدة صواريخ من هذا النوع في قلب مصر.

أما في منتصف إبريل، خطا التدخل الســوفيتي خطوة أخرى للأمام، وهي الخطوة الأكثر خطــورة حتى الآن، حيث قام الطيارون الســوفيت من قواعد تــم تجهيزها لهم على الأراضي المصرية بعمليات حربية على مســاحات واسعة، وبالحماية التي وفرتها لهم الطائرات السوفيتية لتغطية مؤخرة الجيش، اســتطاع المصريون أن يغطوا بقصفهم المدفعي منطقة واســعة المساحة ذات حجم غير مسبوق منذ بداية القصف في مارس من عام ١٩٦٩.

تحدث ناصر في الأول من مايو عن تكثيف جهود الحرب ضد إسرائيل، إلى مستمعيه قائلاً:

(في الأيام الخمسة عشر الأخيرة، حدث تغير في مسار الحرب، فكما نلاحظ، أصبحت قواتنا هي من تأخذ بزمام المبادأة في العمليات الحربية).

وفي الخطبة نفسها، تحدث قائلاً:

(كل هذا يرجع إلى المساعدة التي قدمها لنا الاتحاد السوفيتي، ومن الواضح أنكم قد سمعتم العديد من الشائعات، ومن المقرر أن تستمعوا إلى المزيد منها في الفترة المقبلة).

في العشريـــن من مايو، اعترف ناصر للمرة الأولى في مقابلـــة أجرتها معه الصحيفة الألمانية «دي ڤيلت» أن طياري الاتحاد السوفيتي يقودون طائرات نفاثة، ضمن القوات الجوية المصرية، ويمكن أن تدور بينهم وبين طائراتنا معارك.

هكذا، يكون الشرق الأوســط قد غــرق في أعماق بحر جديد من عدم الاســتقرار، صاغ الاتحاد الســوفيتي حلقة متفجرة في سلســلة من التصرفات التي من شــأنها أن تجر المنطقة إلى تصعيد حالة الحرب المميتة، وتحكم بالإعدام على أي أمل في تحقيق السلام.

لقد أطلعنا الحكومات على الدلالة المشؤومة لهذه المرحلة الجديدة من التدخل السوفيتي في المنطقة. شرحنا لهم الموقــف الذي تطور في المنطقة، والذي لن يكون مقلقًا لإسرائيل فقط، بل ســيكون مصدرًا للقلق لكل دولة في العالم الحر، فلا يجب أن ننســى الدرس الذي تعلمناه من تشيكوســلوفاكيا. فإذا كان العالم الحر، وخاصةً الولايات المتحدة الأمريكية ورئيسها، يمكنه الانتقال إلى المقصــد التالي في أجندته دون بذل أي جهد لردع الاتحاد الســوفيتي عن التدخل الأناني الموســع في نزاع ليس له به أي شأن، فإن إسرائيل وحدها لن تكون هي المعرضة للخطر ولكنه لن تنعم حتى الأمم الصغيرة أو غير عظيمة الشأن بالأمان داخل حدودها.

لقد أوضحت الحكومة الإسرائيلية، كجزء من سياستها الأساسية للدفاع عن كيان الدولة وســيادتها مهما يكن من أمر - أن قوات الدفاع الإسرائيلية ستستمر في الحفاظ على خط وقف إطلاق النار في الجبهة الجنوبية، وكذلك في الجبهات الأخرى، وأنها لن تســمح بالاقتراب منه أو انتهاكه.

لهذا السبب، من الضروري أن يتم وقف نشر منصات إطلاق الصواريخ أرض - جو التي يحاول المصريون إقامتها في المناطق المتاخمة لخط وقف إطلاق النار، وهو الأمر الذي يتوقف عليه تأمين الحماية لقواتنا المتحصنة هناك؛ لمنع اختراق الجبهة. لن تســاور الشكوك أي شخص جاد في أن إسرائيل ترغب في اســتفزاز، أو حتى تهتم باستفزاز الطيارين السوفيت؛ الذين أصبحوا جزءًا من آلة الحرب المصرية، وعلى الرغم من ذلك، لا يمكن أن يتوقع منا أي شــخص يتمتع بكامل قواه العقلية أن نســمح للجيش المصري أن ينجح في مخططاته العدوانية ضدنا، دون أن

تســتخدم قوات الدفاع الإسرائيلية كل قوتها ومهارتها، لدحر العدوان عليها، حتى وإن كانت بعض العوامل الخارجية تساعد المصريين أن ينجحوا في تنفيذ مخططهم.

يعني هذا كله أن سعينا للبحث عن الأسلحة التي لا غنى عنها للدفاع عن أنفسنا قد أصبح أمرًا أكثر إلحاحًا وأكثر حيوية. عندما طلبنا أن يتم السماح لنا بشراء عدد أكبر من الطائرات من الولايات المتحدة الأمريكية، نبع هذا الطلب من إدراكنا لحقيقة تزعزع توازن القوى في المنطقة؛ بسبب مستودعات الأسـلحة الهائلة التي تتدفق من الاتحاد السوفيتي على مصر دون أن يدفع المصريون مقابلاً لها، منذ أن أعلـن رئيس الولايات المتحدة الأمريكية إرجاءه للقرار الواجب اتخاذه بشـأن هذه المسـألة الحيوية، بات معروفًا - كما أسـلفت - أنه قد تم تركيب بطاريات الصواريخ SA-٣ بمسـاعدة أطقم عمل سـوفيتية في مصر، كما نشـط الطيارون السوفيت في عملياتهم العسـكرية باستخدام سلاح الطيران. إن ذلك من شـأنه أن يضيف بعدًا جديدًا ومشـؤومًا لخلل التوازن في التسـلح في المنطقة. لذا، أصبحت الحاجة إلى تقويم الخلل الذي حدث في توازن التسلح أكثر إلحاحًا وضرورية.

لقد أكدنا للحكومات المحبة للسلام على ضرورة استخدام نفوذهم لتفعيل السلام وللتعبير عن احتجاجهم بصوت مسموع على التدخل السـوفيتي؛ الذي يعمل بشكل خطير على تفاقم التوتر في الشرق الأوسـط. لقد استمعت إلى تصريحات الرئيس الأمريكي في المؤتمر الصحفي؛ الذي عقده في الثامن من مايو عن الوضع المخيف، وذلك في ضوء التقارير التي وردت إليه عن دمج الطيارين السـوفيت، في القوات الجوية المصرية، وتابع الرئيس الأمريكي حديثه ليعبر عن أن الولايات المتحدة الأمريكية كانت تراقب الموقف، وأنه إذا اتضح لها أن التقارير التي وردت إليها صحيحة واستمرت حالة التصعيد في المنطقة، فإن هذا من شأنه أن يؤثر بشكل مخيف على تغيـير توازن القوى في المنطقة، ويجعل من الضروري للولايـات المتحدة أن تعيد تقييم قرارها الخـاص بإمداد إسرائيل بالطائـرات النفاثة؛ علاوةً على ذلك، عـبر الرئيس الأمريكي عن أن الولايات المتحدة قد أوضحت بشكل جلي أنه لمصلحة السلام في الشرق الأوسط ألا يتم السماح بأي تغيير في توازن القوى، وأن الولايات المتحدة الأمريكية؛ سوف تتمسك بهذا الإلزام.

في الرابـع والعشرين من مارس من هذا العام، أعلن وزيـر الخارجية الأمريكي - مفوضًا من الرئيس الأمريكي - أن الولايات المتحدة الأمريكية لن تسمح بتعريض الأمن في إسرائيل للخطر، وأنه في حالة القيام بأية خطوات من شأنها زعزعة التوازن الحالي للقوى في المنطقة، أو في حالة تقديم تبريرات للقيام بذلك في إطار مستجدات الأحداث على الساحة - كما عبر وزير الخارجية عن رأيه - فإن الرئيس الأمريكي لن يتردد في إعادة النظر في هذا الموضوع.

لا داعٍ لأن أعـبر لكم عن الأهمية القصوى التي أنظر بهـا لهذه العبارات، ولكنني يجب أن أقول - وأشـدد إلى أقصى درجة - على أن الإبطاء في تحقيق أمنيتنا؛ سوف يجنح بهذا التغيير في توازن القوى إلى الاتجاه الأسـوأ في هذه المرحلة الجديدة من التدخل السوفيتي في المنطقة، بكل ما يستتبعها من مخاطر.

يوجد اتصال قريب ومستمر بيننا وبين السلطات الأمريكية بهذا الشأن. في الأسبوع الماضي، أجرى وزير الخارجية الإسرائيلي محادثـات مع الرئيس الأمريكي ووزير الخارجية الأمريكي، وفيها تم إعلامه بأن الدراسـة العاجلة والمفصلة التي أتى الرئيس الأمريكي على ذكرها، منذ أربعة أسابيع لم تكتمل بعد، ولكنه حصل على تأكيدات على أن البيانات الصادرة عن الولايات المتحـدة الأمريكية في الرابـع والعشرين من مارس وفي الثامن من مايـو عن توازن القوى في المنطقة لا تزال سارية بالكامل.

في كل الاتصالات التي تمت بيننا، شـددنا على الأهمية الكبيرة لعنصر الوقت؛ حيث يمكن أن يؤدي أي إبطاء في الوفاء بمتطلباتنا إلى الإضرار بمصالحنا، ومن المحتمل أن يتم تفسيره من جانب أعدائنا، على أنه تشجيع للاستمرار في عدوانهم علينا، ومن جانب الاتحاد السوفيتي على أنه تجاوز عن تدخلهم المكثف في المنطقـة، وأرى أنه من غير الوارد ألا تنفذ الولايات المتحدة الأمريكية التعهد الذي أعلنت عنه.

مؤخرًا، طرأت طفرة كبيرة على النشـاط العدواني الذي تتم ممارسته على الجبهات الأخرى أيضًا. يحاول ناصر أن يضاعف من فعالية ما يقوم به من أنشـطة على الجبهة الشرقية، وبالقطع

نجحت السياســة العســكرية المصرية في التأثــير على الوضع القائم عــلى الجبهات الأخرى، ولا يتضح الأثر المدمر لذلك في العمليات الإرهابية التي تتم ضد إسرائيل من الأردن وسوريا ولبنان وحســب، ولكنه يتضح أيضًا في الإســتراتيجية التي تتبعها الحكومات المجاورة، وفي الاضطرابات الداخلية الموجودة في كل من الأردن ولبنان.

تعتبر المنظمة الإرهابية في ســوريا قطاعًا في الجيش الســوري، وتعمــل وفقًا لتوجيهات الحكومة السورية. أما في الأردن ولبنان، فقد استشرت الهيمنة الإرهابية لدرجة جعلتها تشكل تهديدًا على وجود حكومتي هاتين الدولتين وعلى ســلطتهما. وفي الدولتين، سعت الحكومتان بلا جدوى إلى مصالحة طرفي النزاع؛ أي المصالحة بين السلطة الحكومية من جانب، وبين وجود هذه المنظمات الإرهابية بما تقوم به من أنشــطة على الجانب الآخر. لم تثمر هذه المحاولات عن أية نتيجة ســوى نجاح ظاهري. فلأكثر من مرة، بدا الأمــر وكأن هاتين الحكومتين تواجهان المنظمات الإرهابية، ولكنهما في كل مرة كانتا تحجمان عن الصدام معها.

في الأردن كما هو الحال في لبنان، استأســد الإرهابيون فيما يقومون به نتيجة للتشجيع الذي حصلوا عليه من ناصر، وأدى دعمه - المباشر وغير المباشر - لهم إلى تعزيز موقفهم. وتوصلت السلطات في هاتين الدولتين إلى حل وسط مع الإرهابيين على حساب إسرائيل؛ حيث أفسحت لهم مجالاً ليس بالقليل لممارسة نشاطهم ضد إسرائيل، وأتيحت لهم مكانة معترف بها تضمن لهم حرية التصرف. والعالم بــأسره يعلم عن «اتفاق القاهرة» الذي تم توقيعه بين الإرهابيين وبين الحكومة اللبنانية، والذي تم عن طريق الوساطة المصرية وتحت رعاية مصر، فقد سمحت لهم الحكومة اللبنانية بمواصلة النشاط الذي يقومون به بصورة معلنة في مناطق تم تخصيصها لهم، بالتنســيق مع الســلطات والجيش اللبنانيين وكذلك في كل مكان آخر على طول الحدود، وفي الفترة ما بين بداية شهر يناير والعشرين من مايو، قام العدو بألف ومائة عملية على طول الجبهة الأردنية، فقد توغلت فتح وغيرها من المنظمات على طول بمسافة الحدود الفاصلة بين إسرائيل ولبنان، وأصبحت بؤرة للقتل والتخريب؛ حيث كان الإرهابيون مســؤولين عن مائة وأربعين غارة تمت على طول هذه الحدود.

بعد سلسلة من هذه التصرفات، والتي كان من بينها النيران التي أضرمتها صواريخ الكاتيوشا في قرية كريات شمونة ليحترق بها مدنيون مسالمون، وكذلك في أماكن أخرى، وبلغ الإرهاب ذروته في الثاني والعشرين من مايو، في عملية القتل المدبرة التي تمت من أحد الكمائن، واستهدفت أطفالاً في عمر الدراسة ومعلمين، بالإضافة إلى مارة آخرين، وذلك في حافلة مدرسية.

لا يوجد نموذج أكثر خسة يمكن الاستدلال به على العقلية الشريرة والسياسة الفتاكة للمنظمات الإرهابية، ومن يقفون وراءها في العواصم العربية أكثر من المستجدات التي طرأت على طول الجبهة اللبنانية، فحتى حرب الأيام الستة، كانت الجبهة اللبنانية هي أهدأ الجبهات على الإطلاق، وحتى بعد ذلك التاريخ، لم يكن في هذه المنطقة وجود لمثل هذا التوتر الذي يسيطر على خطوط وقف إطلاق النار، وكذلك على الحدود مع مصر والأردن، وذلك حتى قامت فتح ومساندوها بتحصين أنفسهم في هذه المنطقة، وقرروا أن يضرموا النار في الحدود اللبنانية أيضًا. يوجد أيضًا هدف آخر مشترك بالنسبة لكل من القاهرة ودمشق لسنوات عديدة، وهو هدف متحقق تمامًا في السياسة الإرهابية؛ ألا وهو النيل من استقلال لبنان والإخلال بالتوازن الدقيق الموجود بين قسمي المجتمع اللبناني. بقبول اتفاق القاهرة في نوفمبر من عام ١٩٦٩، والسماح بإنشاء قواعد إرهابية على أراضيها، أصبح الاستقلال اللبناني معرضًا بشكل مطرد للخطر، تمامًا كما حدث مع الأردن من قبل.

كرد فعل للاستفزاز الذي لا ينتهي من الإرهاب الوافد إلينا من لبنان، أخذنا بثأرنا عددًا من المرات من قواعد فتح. إن التعاون المستمر وشديد التقارب بين بيروت والمنظمات الإرهابية يقدم المزيد والمزيد من الأدلة على مسؤولية الحكومة اللبنانية عما يحدث، فلا يمكن إغفال الدور الخطير الذي يلعبه هذا التعاون، ولن نتوقف أبدًا عن مطالبة بيروت أن تستخدم سلطتها لوقف العدوان الذي يتم علينا من أراضيها، وللقيام بواجبها الملزم في إعادة الهدوء إلى المنطقة.

إن إسرائيل تهتم باستقرار الديمقراطية في لبنان، وبتقدمها ووحدتها وسلامها، ففي الثاني والعشرين من مايو، أذاع راديو بيروت أن (لبنان قد صرحت مرارًا أنها غير مستعدة تحت

أي ظرف أن تقوم بدور رجل الشرطة الذي يحمي إسرائيل)، فطالما استمرت لبنان في تجاهل القيام بمسؤولياتها، وسمحت للإرهابيين بالقيام بأعمال العدوان والقتل، فإن حكومة إسرائيل ستقوم بواجبها الملزم، وتقوم باتخاذ التدابير الضرورية كلها، للدفاع عن رفاهية المواطنين الإسرائيليين، وعن طرقها ومدنها وقراها.

لا بد أن ننظر إلى الأحداث الأخيرة في ضوء الخلفية الكاملة لنضالنا، وذلك منذ حرب الأيام الستة، حتى ندرك جيدًا الطموح الأسمى لإسرائيل؛ ألا وهو التطلع نحو السلام.

إنه لأمر يبعث على عميق الإحباط وخيبة الأمل أننا قد أدركنا في أعقاب حرب الأيام الستة أن قادة الدول العربية والاتحاد السوفيتي لم يكونوا مستعدين لوضع نهاية للنزاع الدائر بيننا. يشهد على ذلك القرارات الرسمية المنذرة بانفجارات خطيرة الصادرة عن الحكومات العربية، والقرارات التي صدرت عن قمة الخرطوم، وتطابق آراء الاتحاد السوفيتي مع السياسة العربية، بالإضافة إلى جهوده الدؤوبة لإعادة تأهيل الجيوش العربية، عن طريق تقديم مساعدات مغدقة وسخية إليها. أدركنا أن نضالنا لتحقيق السلام سيكون طويلاً، ومفعمًا بالألم والتضحيات، وقررنا وأيدتنا الأمة في قرارنا على بكرة أبيها بكل عزم - أن ندافع عن خطوط وقف إطلاق النار، ضد أي عدوان عليها، في الوقت نفسه الذي نستمر فيه بكل تصميم وعزم في سعينا لتحقيق السلام.

إن الأسلوب الذي ارتضيناه ألا ننسب المجد لأنفسنا، ولكن أن نقدم وصفًا واقعيًا ومضبوطًا لسياستنا، مع الحرص على ألا نخفي الحقيقة المرة عن شعبنا، حتى وإن كانت موجعة حقًا، وإن الشعب والعالم بأسره يعلمون أن ما تختلقه مصر من مزاعم عن تحقيقها لانتصارات مؤزرة عارٍ تمامًا من الصحة. لقد قام جيش الدفاع الإسرائيلي بصد الجهود الكبرى التي بذلها الجيش المصري. إن كل المزاعم التي تدعي نجاحهم في اختراق صفوفنا كاذبة. إن معظم المحاولات التي تقوم بها الطائرات المصرية لشن الغارات على مجالنا الجوي لم يكتب لها النجاح، ويدفع المصريون ثمنًا فادحًا لكل مغامرة يحاولون القيام بها للاحتكاك بقواتنا الجوية، فنحن نسيطر على المنطقة الواقعة على طول خط وقف إطلاق النار في القناة، بصورة أكثر إحكامًا وقوة من أي وقت مضى.

لم يردع التدخل السوفيتي ولن يردع إسرائيل عن ممارسة حقها الثابت في الدفاع عن خطوط وقف إطلاق النار، حتى تتم الموافقة على رسم حدود آمنة في إطار السلام الذي نتوق إلى تحقيقه.

إذا كان العدوان المصري قد نجح في إحراز أهدافه السياسية المقررة، لكانت مصر ستحتفل الآن بالنصر، ولكن ناصر والسوفيت لم ينجحوا في تحقيق هذه الأهداف.

بعد مرور ثلاثة أعوام على انقضاء حرب الأيام الستة، يمكننا أن نؤكد على أن اثنين من المبادئ الأساسية قد أصبحا جزءًا لا يتجزأ من الوعي العالمي؛ أولهما حق إسرائيل في التمسك في ثبات بخطوط وقف إطلاق النار، وعن ألا تتزحزح عنها حتى إحراز السلام الذي من شأنه أن يحقق الأمن ويضمن حدودًا معترفًا بها لإسرائيل. أما المبدأ الثاني فهو حق إسرائيل في الدفاع عن نفسها، وفي الحصول على المعدات الضرورية للدفاع عن نفسها وردع المعتدين.

لقد شرحت، في مناسبات عديدة، الاختلافات الخاصة بتقدير الموقف ومنهج التعامل معه بيننا وبين الدول والقوى الصديقة، وليس لدي أية نية أن أدعي أن هذه الاختلافات قد زالت تمامًا، وعلى أي حال، نحن نصر على ألا نسمح لهذه الاختلافات أن تلقي بظلالها على إدراك هذين المبدأين المتلازمين، بدرجة لا تقل أبدًا عن إصرارنا على عدم تجاهل التخطيط المدبر؛ الذي يقوم به أعداؤنا لإضعاف الوعي العالمي بهذين المبدأين ولعزل إسرائيل عن العالم.

تعتبر الجبهة الاقتصادية من الجبهات الأخرى التي تضع قوتنا موضع الاختبار والصمود. **إن قدرتنا على الصمود عسكريًا وسياسيًا مشروطة بدرجة نجاحنا في التغلب على مشكلاتنا الاقتصادية.**

لم يكن ممكنًا أن نحقق انتصاراتنا في ثلاثة حروب، بالإضافة إلى وضعنا العسكري القوي في الفترات الانتقالية التي يمكن أن نصفها بأنها فترات من الهدوء، إذا ما قارناها بغيرها من الفترات العصيبة التي مررنا بها، كل ذلك بالإضافة إلى ما نمر به خلال هذه الأيام العصيبة، دون وجود اقتصاد قائم على أسس صلبة، ومستوى تعليمي عالٍ للجنود والمدنيين، ومستوى تكنولوجي عالٍ للعاملين في كل المجالات. **نحن ندين بالفضل للتطور والتوسع**

الاقتصاديين غير المسبوقين والسريعين؛ اللذين جعلا من الدخل القومي لدولة صغيرة مثل إسرائيل يعادل تقريبًا الدخل القومي لمصر، التي يزيد عدد سكانها عن عدد سكان إسرائيل بحوالي عشرة أضعاف وأكثر. ينبغي علينا، وباستخدام كل التدابير الضرورية للقيام بذلك، أن نحافظ على هذه الميزة.

إن المشكلة المركزية التي نواجهها في الوقت الحالي نشأت عن الوضع غير المناسب لميزان المدفوعات وما يستتبعه من نقص في العملة الصعبة. ويمكن أن نعزو العجز في ميزان المدفوعات، بشكل أساسي، إلى الحجم الكبير لواردات الدفاع؛ فإذا كان حجم هذه الواردات، قد احتفظ بالمستوى الذي كان عليه قبل حرب الأيام الستة، كنا سنقترب في الوقت الحالي من الاستقلال الاقتصادي.

حتى عام ١٩٦٨، لم تكن الواردات الرأسمالية - المسؤولة عن أية زيادة للواردات عن الصادرات - كافية فقط لتغطية العجز، ولكنها كانت أيضًا تكفي لجمع حجم كبير من احتياطي العملة الصعبة، ومنذ ذلك الوقت، لم تعد كافية. فنحن نواجه خطر حدوث هبوط في حجم احتياطي العملة الأجنبية، الأمر الذي يمكن أن يعيقنا عن الحفاظ على مستوى الواردات في حالة إيجابية تمكن عجلة اقتصادنا من الدوران بيسر في ظل ظروف العمالة الكاملة، في الوقت نفسه الذي نكون فيه قادرين على الوفاء بمتطلباتنا الدفاعية.

لذلك - وللصالح القومي - علينا أن نقوم بكل محاولة ممكنة، ونكون مستعدين لبذل كل تضحية مطلوبة لحل هذه المشكلة. وهو ما يعني أن علينا أن نحد من نمو الواردات؛ خاصةً الواردات المخصصة للاستهلاك الخاص والعام، وغير الموجهة لتحقيق الأمن. إن مستوى المعيشة قد ارتفع في الأعوام الثلاثة الأخيرة بنسبة تزيد عن خمسة وعشرين بالمائة، ففي هذه الفترة التي نمر فيها بحالة طارئة يجب أن نجد انعكاسًا لمحاولاتنا لضغط النفقات في تثبيت مستوى المعيشة الذي قد يكون ارتفع بشكل حاد للغاية.

إن أحد الأمور - التي لا مناص من القيام بها - تخفيض ميزانية الدولة، وتحميل الموازنة العامة عبء الضرائب والنفقات والقروض الإجبارية على نطاق غير محدود، وقد تم بالفعل

القيام بهذا الإجراء في الأسابيع القليلة الماضية فقط، ونأمل أن يكون لهذا الإجراء أثره المرغوب والكافي. فإذا لم يحدث ذلك؛ أي لم يتم تقييد حجم الواردات بالشـكل الكافي، أو زيادة حجم الصادرات بالشكل الكافي، واستمر الاستهلاك في التمدد والعجز في التضخم؛ فإننا لن نتردد أبدًا في القيام بأي إجراء آخر لمواجهة المشكلة.

اسـمحوا لي أن أضيف أن هذا لن ينطوي على أي تغيير في عزمنا، حتى في ظل الظروف الطارئة التي تستدعي شد الأحزمة كلها، على عدم تجاهل ترقية أوضاع الطبقات الأقل دخلاً، فقد قمنا أيضًا في هذا العام بعدد من التدابير للارتقاء بحصتهم في الدخل وسنستمر في ذلك.

إن تنفيذ هذه السياسة ليس بالأمر السهل بالنسبة للمسؤولين عنها، كما أن تنفيذها لن يلقي عبئًا بسيطًا على كاهل الجمهور. إن التفهم والنضج الذي تقبل بهما رجل الشارع هذه الترتيبات الصارمـة جدير إلى أقصى الدرجات بالثناء؛ فلم تحاول إلا أقلية غير جديرة بالاهتمام أن تراوغ في تنفيذ هذه الترتيبات.

إن أهدافنا الاقتصادية أكبر من أن يتم تحقيقها بسهولة، ويضعنا النمو الاقتصادي المستمر، والحاجة لاسـتيعاب الوافدين الجدد إلى الوطن، والنفقات الهائلـة التي نحتاجها للدفاع عن أنفسـنا - في مواجهة تحدٍّ أصعب من قدرتنا على مواجهته بمفردنا. لذا، نعبر عن بالغ امتناننا للتعاون الوفي الذي أبداه الشعب اليهودي والمعاونة التي قدمتها لنا الأمم الصديقة. أنا مؤمنة بأننا نستطيع الاعتماد على هذه المساعدة، ولكننا - ولأسباب أخلاقية وعملية على حد سواء - لا نسـتطيع أن نبادر بالطلب من الآخرين أن يساعدونا إذا لم نقم أولاً بالدور الواجب علينا. لذلك، علينا أن نعدل من أسـلوب حياتنا في كل ما يتعلق بالأجور والدخول والاسـتهلاك والمدخرات والإنتاجية والجهود والنفقات الخاصة بالأفراد، وأن يؤدي كل منا دوره على أكمل وجه؛ لتحقيق ما تمليه المصلحة القومية العليا للبلاد.

لا يعتبر التطلع نحو تحقيق السلام البند المركزي في برنامجنا السياسي فحسب، بل هو يمثل حجر الزاوية الذي ترتكـز عليه الريادة التي نطمح إلى تحقيقها على مسـتوى الحياة والعمل.

فمنذ تجديد استقلالنا، بنينا كل الإجراءات التي قمنا بها بهدف الاستيطان والتطوير على عقيدة أساسية؛ ألا وهي عدم الإقدام على طرد العرب من أرضهم، ولكن أن نسعى للعمل معهم في أمان ورخاء لتحقيق المصلحة للجميع.

وحري بنا أن نتذكر - في إسرائيل وفي كل مكان آخر - أنه في الإعلان الرسمي لقيام دولة إسرائيل، عندما كان الهجوم الوحشي علينا لا يزال قائماً، دعونا العرب المقيمين في إسرائيل إلى أن يحافظوا على السلام معنا، وأن يلعبوا دورهم في بناء الدولة على أساس من مواطنة كاملة ومتساوية، وتمثيل مناسب لهم في كل مؤسسات الدولة المؤقتة والدائمة.

مددنا يد السلام وحسن الجوار إلى كل الدول من حولنا، وإلى شعوب هذه الدول، والتمسنا منهم التعاون مع الأمة اليهودية المستقلة على أرضها؛ لتحقيق المنفعة المتبادلة للأطراف جميعها، وتركيز الجهود لتحقيق التقدم للشرق الأوسط بكامله.

في الثالث والعشرين من شهر يولية من عام ١٩٥٢، عندما تم إقصاء الملك فاروق عن الحكم، واستولى الضباط الشباب - بقيادة اللواء نجيب - على السلطة في مصر، انبعث الأمل مجدداً لدى إسرائيل في بدء صفحة جديدة من علاقات الجوار بين مصر وبيننا، وأننا في سبيلنا لدخول عهد من السلام والتعاون، ووجه رئيس الوزراء بن جوريون خطبته إلى الكنيست الإسرائيلي في الثامن عشر من أغسطس سنة ١٩٥٢ قائلاً:

(ترغب دولة إسرائيل في أن ترى مصر كدولة حرة ومستقلة ومتقدمة. نحن لا نحمل أية ضغينة في صدورنا لمصر لما فعلته بأجدادنا في عهد فرعون، أو حتى لما فعلته بنا في الأعوام الأربعة الماضية. لقد ظهرت نيتنا الطيبة تجاه مصر - على الرغم من حماقة تصرفات حكومة فاروق تجاهنا - على مدار الشهور التي تورطت فيها مصر في نزاع صعب مع إحدى القوى العالمية. لم يخطر ببالنا قط أن نستغل هذه العثرات ونهاجم مصر أو نأخذ بثأرنا منها، وهو الأمر الذي فعلته بنا مصر عند قيام دولتنا. وبقدر ما يرغب حكام مصر الحاليون في استئصال الفساد الداخلي في بلادهم، وفي توجيه بلادهم للأمام نحو التقدم الثقافي والاجتماعي، نقدم لهم أخلص تمنياتنا أن ينجحوا في محاولتهم).

وجاءنا الرد بسرعة، فعندما تم توجيه سؤال لرئيس الوزراء المصري عن دعوة بن جوريون للسـلام، تهرب رئيس الوزراء المصري من الإجابة على السـؤال زاعمًا أنه لا يملك معلومات عـن هذا الموضوع، أكثر مما طالعه في الصحف. أما عـزام الأمين العام لجامعة الدول العربية، فقد صرح قائلاً: (لقد أطلق بن جوريون العنان لخياله؛ ليجنح به نحو رؤية الأمور غير المرئية) [حسبما نشر في جريدة المصري في عددها الصادر في العشرين من أغسطس، من عام ١٩٥٢]. وفي الثالـث والعشرين من أغسـطس من عام ١٩٥٢، أوضحت جريـدة الأهرام أن اقتصاد إسرائيل المترنح هو ما أجبرها على السعي وراء تحقيق السلام، وتابعت الجريدة كلامها فقالت:

(في الماضي، وفي عدد من المناسـبات، حاولت إسرائيل في جلسات لجنة المصالحة أن تجلس مع العرب، حول مائدة التفاوض لتسـوية المشكلات القائمة ورفض العرب؛ لأنهم لم يعترفوا بوجود الكيان اليهودي القائم على الابتزاز).

لم يصبنا التعب قط من أن نعرض على جيراننا وضع نهاية للنزاع الدموي الدائر بيننا، ولفتح فصل جديد للسـلام والتعاون بيننا، وذهبت كل نداءاتنا أدراج الرياح، وتم رفض اقتراحاتنا وقوبلت بالسخرية والكراهية، واسـتمرت سياسة الحرب ضدنا، مع توقفها لفترات قصيرة، وهي سياسة جعلتنا نتعرض للأعمال العدائية ثلاث مرات في جيل واحد.

في الأول من مارس من عام ١٩٥٧، وباسـم حكومة إسرائيـل، أعلنت في الأمم المتحدة انسحاب قواتنا من الأراضي المحتلة في حملة سيناء، واختتمت حديثي بهذه الكلمات:

(هل يمكننا من الآن فصاعدًا - على أن نلتزم جميعنا بذلك - أن نطوي صفحة الماضي؟ هل يمكننا بدلاً من أن نتقاتل مع بعضنا البعض أن نوحد صفوفنا لمحاربة الفقر والمرض والجهل؟ هل يمكننا أن نشـحذ كل جهودنا وطاقاتنا وراء تحقيق هدف واحد؛ ألا وهو تحسين وتطوير وتنمية كل أراضينا وكل شعوبنا؟

أستطيع من مكاني هذا أن أتعهد بقيام الحكومة والشعب الإسرائيليين بالأدوار المنوطة بهم في هـذه الجهود التي يجب أن يتوحد لها الجميع. إن لدينا اسـتعدادًا لا حد له للإسـهام بكل

مـا يلزم القيام به؛ حتى نستطيع جميعنا أن نعيش، حتى نرى اليوم الذي تتحقق فيه السعادة لشعوبنا، ونرى مجددًا إسهامًا عظيمًا من منطقتنا؛ لتحقيق السلام والسعادة للبشرية بأسرها).

ومـرت عشرة أعوام، من النشاطات الفدائية، وتارةً أخرى وجدنا أنفسنا في مواجهة الأخطار المحدقة بنا، من الهجوم المصري المباغت الذي حشد ضدنا الكثير من القوات في سيناء الشرقية، وخضنا غمار حرب الأيام الستة، ولكن عندما وضعت الحرب أوزارها لم نتصرف كرجال أسكرتهم نشوة النصر، ولم ندع للأخذ بالثأر، ولم نطلب إذلال الطرف المهزوم. أدركنا أن احتفالنا الحقيقي سيكون في اليوم الذي يأتي فيه السلام. وفي الحال، تحولنا إلى جيراننا قائلين:

تقف منطقتنا الآن في مفترق الطرق؛ فلنجلس معًا - على ألا نجلس كطرف منتصر وآخر مهزوم - ولكن كأنداد على قدم المساواة. دعونا نتفاوض ونرسم حدودًا آمنة ومتفقًا عليها. دعونا نسطر صفحة جديدة للسلام وحسن الجوار، والتعاون لمصلحة الأمم جميعها في الشرق الأوسط.

تردد نداؤنا مرارًا في البيانات الحكومية، وفي التصريحات التي أدلى بها رئيس الوزراء ونائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية ووزير الدفاع والوزراء الآخرون - وذلك داخل الكنيست وفي الأمم المتحدة وعبر كل وسائل الإعلام - وحمل النداء المبعوثون ورجال الدولة والمؤلفون والصحفيون والمرشدون، وحملته معهم كل وسيلة قادرة على ذلك - تلميحًا أو تصريحًا - الأمر الذي جعل وصول هذا النداء إلى أسماع جيراننا أمرًا محتملاً.

إن الكنيست لا يتوقع مني أن أراجع الجهود والمحاولات المتشعبة التي تم القيام بها لإنشاء أية قناة للاتصال، مع رجال الدولة والسلطات المختصة في الدول العربية. فالأشخاص الذين حاولنا، وسنحاول مجددًا أن نبدأ معهم حوارًا لا يريدون الإعلان عن ذلك، وفي هذا المجال الحساس، يمكن أن يكون الإلماح لذلك كافيًا لإعطاء بارقة أمل في هذا الشأن. إن الخيال والنظرة متسعة الأفق أمران مطلوبان في هذا الشأن، ولكننا لا يجب أن نسمح للخيال أن يغشى أعيننا عن إدراك الحقيقة، فنحن نحتاج إلى الصبر والاهتمام الشديد، إذا أردنا البذور التي

لا تــزال في طور الإنبات أن تثمر ما نصبو إليه بمرور الوقت، وألا يصيبها العجز عن النمو إذا احترقت بوهج شمس الإعلان عنها.

في ظل ســائر الظروف، لــن تتجاهل حكومة إسرائيــل أية فرصة ممكنــة لتطوير ورعاية المناقشــات والاتصالات التي يمكن أن تكون ذات قيمة في إشــعال شرارة الأمل، على طول الدرب نحو السلام، على أن يتم ذلك باهتمام يراعي نوازع الضمير لتوفير السرية للجهات التي نتصل بها إن كان هذا ما تفضله الجهات التي نخاطبها.

ولكن ما ردود الأفعال التي أبداها القادة العرب حتى الآن تجاه اقتراحاتنا العلنية للســعي وراء تحقيق السلام؟ فيما يلي بعض من الأمثلة البارزة على ردود أفعالهم:

- في الســادس والعشرين من شهر يونية من عام ١٩٦٧، أعلن حسين: «إن المعركة التي بدأت في الخامس من يونية ما هي إلا جولة واحدة في حرب سيمتد بها الأمد».
- في الأول من نوفمبر من عام ١٩٦٧، تحدث رئيس الوزراء الإسرائيلي ليفي أشــكول عن خمسة مبادئ للسلام، فجاء رد ناصر عليها في الثالث والعشرين من نوفمبر، قائلاً: «إن العرب متمسكون بقرار قمة الخرطوم: لا سلام مع إسرائيل، لا اعتراف بإسرائيل، ولا تفاوض مع إسرائيل».
- منذ نوفمبر من عام ١٩٦٧ وحتى يولية من عام ١٩٦٨، كررت إسرائيل مرارًا وتكرارًا نداءاتها للسلام، وفي السادس عشر من يولية رد عليها وزير الخارجية المصري قائلاً:

(بالنسبة للسياســة العربية، لقد كررت مرارًا ما تم الاتفاق عليه في الخرطوم؛ ألا وهو أننا غير مستعدين للاعتراف بإسرائيل أو التفاوض معها، أو الدخول في اتفاقية سلام معها).

- في الثامن من نوفمبر من عام ١٩٦٨، قدم وزير الخارجية الإسرائيلي أبا إيبان للجمعية العامة للأمم المتحدة برنامجًا تفصيليًا للسلام في تسعة بنود:
  - إقامة سلام عادل ودائم.
  - رسم حدود آمنة ومعترف بها.

- توقيع اتفاقيات للأمان، على أن تتضمن معاهدات لعدم الاعتداء.
- فتح الحدود للسفر وللتجارة.
- حرية الملاحة في الطرق المائية العالمية.
- التوصل لحل لمشكلة اللاجئين؛ عن طريق عقد مؤتمر لممثلي دول الشرق الأوسط والدول المساهمة، في الحفاظ على اللاجئين ووكالات الأمم المتحدة المتخصصة، لرسم خطة مدتها خمسة أعوام، ويمكن أن يتم انعقاد المؤتمر قبل بداية مفاوضات السلام العامة.
- وضع الأماكن المقدسة للديانتين المسيحية والإسلامية في القدس، تحت مسؤولية القائمين على أمر هاتين الديانتين، بهدف صياغة اتفاقيات تمنح نفاذًا عالميًّا لهذه الاتفاقيات.
- الاعتراف المتبادل بالسيادة.
- التعاون الإقليمي في مشروعات التنمية لمصلحة المنطقة بالكامل.

لم يكترث القادة العرب بالبرنامج المقدم، أو حتى يلقون بالاً بالرد أو التعليق عليه.

• في السابع عشر من مارس في عام ١٩٦٩، وهو اليوم الذي استلمت فيه منصبي الحالي، أكدت مجددًا على مبادئ السلام عندما، قلت:

(نحن مستعدون لمناقشة موضوع السلام مع جيراننا في أي يوم، ومن الجوانب المتعلقة بهذا الموضوع كافة).

وجاءت إجابة ناصر بعد ذلك بثلاثة أيام كالتالي:

(لا صوت يعلو فوق صوت المعركة، ولا يجب أن يعلو صوت فوق صوت المعركة، ولا يوجد نداء أكثر قدسية من الدعوة إلى الجهاد).

• وفي الكنيست في الخامس من مايو من عام ١٩٦٩، وفي الثامن من مايو، وفي الثلاثين من يونية، كررت الإعلان عن استعدادنا لمناقشة موضوع السلام، والدخول الفوري في مفاوضات دون وضع شروط مسبقة مع كل من جيراننا؛ للتوصل لتسوية سلمية للوضع.

وجاء رد الدول العربية سريعًا؛ حيث وسم المعلقون على هذه الدعوة للسلام في دمشق وعمان والقاهرة بعار «الاستسلام»، وانهالوا بعبارات الاحتقار على النداءات الإسرائيلية للسلام، وأقدم لكم - على سبيل المثال - هذا التعليق من جريدة الدستور، وهي جريدة أردنية شهيرة، في الخامس عشر من يونية من عام ١٩٦٩:

أبدت السيدة/ مائير استعدادها لزيارة القاهرة؛ للتباحث مع الرئيس عبد الناصر، ولكن - لعميق أسفها - لم يتم توجيه الدعوة إليها لإتمام هذه الخطوة. تعتقد السيدة/ مائير أنه في أحد الأيام السعيدة ستشرق الشمس على الشرق الأوسط؛ ليصبح عالمًا لا سلاح فيه. إن جولدا مائير تتصرف وكأنها إحدى الجدات التي تروي حكايات قبل النوم لأحفادها.

كانت هذه هي اللحظة التي أعلن فيها ناصر إلغاء اتفاقيات وقف إطلاق النار، وعدم الاعتراف بخطوط وقف إطلاق النار.

- في التاسع عشر من سبتمبر من عام ١٩٦٩، وجه وزير الخارجية الإسرائيلي التماسًا للدول العربية عبر الأمم المتحدة؛ للإعلان عن نيتهم لإقامة سلام دائم، ووضع حد للصراع الذي دام واحدًا وعشرين عامًا بين الطرفين، والدخول في مفاوضات مع إسرائيل، للاتفاق التفصيلي حول كل المشكلات التي تواجهنا.

وأشار وزير الخارجية إلى تأكيدات إسرائيل للسفير يارنج في الثاني من إبريل على أن:

إسرائيل تقبل قرار مجلس الأمن رقم (٢٤٢) الذي يدعو إلى التشجيع على إبرام اتفاق لإقامة سلام دائم وعادل؛ حيث يتم التوصل إلى هذا الاتفاق عن طريق المفاوضات والتوافق بين الحكومات المعنية، وسيبدأ تنفيذ الاتفاق عند الحصول على موافقة الأطراف على شروطه كلها.

- في الرابع والعشرين من سبتمبر من عام ١٩٦٩، وأثناء زيارتي للولايات المتحدة الأمريكية، سعدت لسماعي أن بيانًا قد تم إلقاؤه نيابةً عن وزير الخارجية المصري، ثَمَّ في نيويورك، مفاده أن مصر على استعداد للدخول في مباحثات للسلام مع إسرائيل على غرار مباحثات رودس، واستجبت فورًا لما جاء في البيان وعبرت عن أن إسرائيل

راغبة - وكما سبق وأوضحت - ومستعدة لمناقشة إقامة سلام حقيقي مع مصر في أي وقت ودونما شروط مسبقة.

وفي غضون ساعات قليلة، صدر عن القاهرة تكذيب رسمي لهذا البيان، وتم رسميًّا إنكار وجود استعداد من الجانب المصري للدخول في مباحثات، على غرار مباحثات رودس. ونعت المتحدث الرسمي باسم الحكومة المصرية التصريح بأنه «أكذوبة استعمارية».

- في الثامن عشر من ديسمبر من عام ١٩٦٩، وافق الكنيست على المبادئ الأساسية للحكومة الحالية، واسمحوا لي أن أقتبس الجمل التالية:

(ستناضل الحكومة بكل ثبات لتحقيق سلام متين مع جيران إسرائيل، على أساس معاهدات للسلام يتم التوصل إليها عن طريق المفاوضات المباشرة بين الأطراف، ويتم في هذه المعاهدات رسم حدود متفق عليها وآمنة ومعترف بها. ستؤكد هذه المعاهدات على التعاون والمساعدة المتبادلة، وعلى حل أية مشكلة يمكن أن تقف عائقًا في الطريق نحو تحقيق السلام، وعلى تجنب كل الاعتداءات المباشرة وغير المباشرة، وستستمر رغبة إسرائيل في التفاوض - دون فرض شروط مسبقة من أي جانب - مع أي دولة من الدول المجاورة لها للوصول إلى مثل هذه المعاهدة .. وستكون الحكومة منتبهة لأي شكل من أشكال التعبير عن الرغبة في تحقيق السلام مع إسرائيل من جانب أية دولة عربية، وسوف ترحب بأي استعداد لإقامة السلام معها من جانب الدول العربية، وتستجيب له. ستثابر إسرائيل لإظهار نواياها السلمية، ولشرح المزايا الواضحة التي ستعود على شعوب المنطقة كافة، من وضع التعايش السلمي بعيدًا عن الاعتداء، أو التخريب أو التوسع الإقليمي أو التدخل في الحريات أو الأنظمة الداخلية لدول المنطقة).

وفي خطبتي أمام الكنيست في السادس والعشرين من ديسمبر من عام ١٩٦٩، وفي خطبة وزير الخارجية أمام الكنيست في السابع من إبريل عام ١٩٧٠، بالإضافة إلى سلسلة من اللقاءات الصحفية التي قمت بإجرائها، عشية عيد الفصح وعشية يوم الاستقلال، أعدت التأكيد على هذا القرار:

(في أي وقت من النهار أو الليل، إذا لاحت أية بادرة للسعي وراء تحقيق السلام، سنستجيب لها على الفور).

- حضر السفير يارنج، وسأل عن رد فعل إسرائيل في حالة دعوته لوزراء الخارجية للالتقاء في قبرص أو جينيف، فلم نبدِ أي تردد في قبول ذلك، وعندما سألنا عن رأينا في الالتقاء في رودس، أجبنا (فلتكن رودس).
- في إحــدى اللقاءات الصحفية التي تم نشرها في جريدة معاريف، في العشرين من شــهر إبريل، قلت:

(ليس لدينا اتصال مباشر مع مصر، ولكن هناك أصدقاء يجوبون العالم ويســافرون إلى هذا المكان أو ذاك .. سياســيون ممن لا يكنون أية كراهية لإسرائيل أو لمصر، وقد حاولوا أن يجدوا جسرًا للتواصل بين الجانبين ولكنهم لم يستطيعوا).

وعلى النقيض، تــرددت أصداء لخطبة ناصر في الأول من مايو في عام ١٩٧٠، تعبر عن أن استئناف وقف إطلاق النار مرهون بانسحابنا الكامل وبعودة الفلسطينيين إلى إسرائيل.

لا يعتبر كل ما ســبق سوى قليل من النماذج لمناشداتنا المتكررة بإقامة السلام. لم نسحب أيًا منها قط: لم نتعب من ترديد هذه النداءات مرارًا وتكرارًا، ومن التعبير عن اســتعدادنا لإقامة السلام؛ فلم نتخلَّ عن آمالنا في أن نجد طريقنا إلى قلوب جيراننا، على الرغم من أنهم يغضون الطرف عن التماساتنا في عداء سافر.

واليوم مجددًا، عندما عاد دوي المدافع من جديد، أتوجه بخطابي إلى جيراننا: أوقفوا القتل .. أوقفوا إطلاق النار وإراقة الدماء؛ الذي لا يجلب سوى المصائب والعذاب على شعوب المنطقة كلهــا! ضعوا حدًّا لرفضكم لوقــف إطلاق النار .. ضعوا حدًّا للقصــف المدفعي وللغارات الجوية .. ضعوا حدًّا للذعر والتخريب!

فحتى الطيارين الســوفيت لن ينجحوا في تدمير خطوط وقف إطلاق النار، مهما خططوا لذلك، وبالقطع لن يكونوا هم من ينشر الســلام في ربوع المنطقة. إن الســبيل الوحيد لإقامة

سلام دائم والحفاظ على حدود آمنة ومعترف بها - التفاوض بين الدول العربية وبيننا، مثلما تعامل الدول ذات السيادة بعضها بعضًا، مثلما يحدث بين الدول التي تعترف بحقوق بعضها بعضًا في الوجود والمساواة، مثلما تعامل الشعوب الحرة بعضها بعضًا؛ وهي شعوب لا تخضع لوصاية الاستعباد المفروض عليها من قوى أجنبية، أو تترك العنان للنوازع الشريرة والمظلمة للحرب والتدمير والتخريب.

لتحقيق السلام، أنا على استعداد أن أذهب في أية ساعة إلى أي مكان، وأن ألتقي بأي قائد مفوض رسميًّا في أي دولة عربية؛ لإجراء مفاوضات تتسم بالاحترام المتبادل والتكافؤ بين الجانبين، وتخلو من أي شروط مسبقة، ومع وجود إدراك واضح لأن المشكلات محل الخلاف يمكن التوصل لحلول لها، وفي وجود مجال متاح لتحقيق التطلعات القومية، وإحراز التقدم لكل الدول العربية وكذلك لإسرائيل في الشرق الأوسط، يمكن أن يتم التعجيل بتحقيق التطوير والتعاون بين كل الأمم في المنطقة؛ بدلاً من إراقة الدماء والحرب التي لا نهاية لها.

إذا كان السلام لم تكتب له السيادة في المنطقة حتى الآن، فإن ذلك ليس ناتجًا عن نقص في إرادتنا لتحقيقه؛ فما هذا إلا الثمرة الحتمية لرفض القيادة العربية إقامة السلام معنا، ولا يزال في هذا الرفض تعبير عن عدم قبول التصالح مع الوجود الحي لدولة إسرائيل، داخل حدود آمنة ومعترف بها، ولا يزال هو ثمرة للأمل الذي يومض داخل قلوبهم بأنهم سينجحون في القضاء علينا، ولقد كانت هذه طبيعة الأمور منذ عام ١٩٤٨، قبلما يطفو موضوع الأراضي المتنازع عليها على السطح في أعقاب حرب الأيام الستة.

علاوةً على ذلك، إذا كان السلام لم تكتب له السيادة في المنطقة حتى الآن، فإن الأمر غير ناتج عن نقص في «المرونة» التي يبديها جانبنا، أو بسبب ما يتم وصفه بأنه «صرامة» في موقفنا.

إن موقفنا يتلخص في وقف إطلاق النار لنصل إلى الاتفاق والسلام، ولكن الحكومات العربية تعلن عن رفض وقف إطلاق النار، وتمارس ذلك بشكل عملي، ولا تقبل بالتفاوض

أو الاتفاق أو السلام معنا، فأي من هذين الموقفين هو ما يمكن وصفه بالصرامة والعناد؟ أهو موقف الحكومات العربية أم موقفنا نحن في إسرائيل؟

هنـاك البعض، ومنهم العرب، يدعـون أننا لم نقبل بقرار الأمم المتحـدة الصادر في الثاني والعشريـن من نوفمبر عام ١٩٦٧، وأن العرب قد قبلوا به، وحقيقة الأمر أن العرب قد قبلوه في ضوء تفسيرهم المشـوه والمبتور له، على أنه يعني الانسحاب الفوري والكامل لقواتنا دونها التزام بالسـلام. كان العرب مستعدين للموافقة على انسـحاب إسرائيلي كامل، ولكن القرار لم ينـص على أي شيء من هذا القبيل؛ فوفقًا لنص القـرار وما قدمه مفسروه من شرح له، فإن القرار لا يعتبر واجب النفـاذ تلقائيًا، يدعو منطوق البند الخاص بهذا الأمر إلى تعيين مبعوث، يتصرف نيابةً عن السـكرتير العام للأمم المتحدة، وتكون مهمتـه هي إقامة اتصال مع الدول المعنيـة والحفاظ على هذا الاتصال، بغـرض الوصول إلى اتفاق، وتقديم المسـاعدة للجهود المبذولة؛ لتحقيق تسوية سلمية ومقبولة تتماشى مع الشروط والمبادئ الواردة في هذا القرار.

في الأول من مايو من عام ١٩٦٨، أعلن السفير الإسرائيلي لدى الأمم المتحدة ما يلي:

(في التصريحات والبيانات التي تم الإعلان عنها وتم التصريح بها للسفير يارنج، أوضحت حكومـة إسرائيل قبولها لقرار مجلس الأمن الذي يهدف إلى التوصل إلى اتفاق، لإقامة سـلام عادل وثابت في المنطقة، وأنا مفوض رسميًا لإعادة التأكيد على رغبتنا في السعي وراء التوصل لاتفاق مع كل دولة عربية، بالنسـبة لكل الأمور المتعلقة بهذا القرار، وفي الفترة الأخيرة، قبلنا الاقتراح المقدم من السفير يارنج، لترتيب لقاءات بين إسرائيل وبين كل دولة من جيرانها تحت رعايته، وسعيًا وراء تحقيق المهمة التي تم تكليفه بالقيام بها، في ضوء الخطوط الإرشادية للقرار؛ للوصول إلى اتفاقية سلام، ولم تقبل أية دولة عربية حتى الآن هذا الاقتراح).

قدم سفيرنا هذا الإعلان إلى مقر الأمم المتحدة في التاسع والعشرين من مايو في عام ١٩٦٨، كما تم تقديمه للجمعية العامة للأمم المتحدة، في سـبتمبر من عام ١٩٦٩، وفتح هذا الإعلان الطريق للسـفير يارنج، لدعوة الأطراف لمناقشـة أي موضوع يرى أي منهم أنه من المناسب

أن يتم طرحه، بما في ذلك الموضوعات المذكورة في القرار. إن العرب وغيرهم ممن يؤكدون على أننا نعرقل التقدم نحو السلام، فيما يتعلق ببنود القرار ليس لديهم سند واقعي يرتكزون إليه. إن ما يحاولون القيام به هو ذر التراب في أعين العالم للتغطية على إثمهم، وخداع العالم، ليعتقد أننا من يعرقل مسيرة السلام.

قيل عنا أن سياستنا لفرض الأمر الواقع تخلق ظروفًا غير قابلة للتغيير أو الرجوع عنها، الأمر الذي يجعل المفاوضات عديمة القيمة، أو يجعل من الصعب الدخول فيها من الأساس. إن هذا الزعم أيضًا عارٍ تمامًا من الصحة ولا أساس له، فرفض الدول العربية الدخول في مفاوضات معنا هو ببساطة امتداد لعنادهم طويل الأمد، وهو يعود إلى ما قبل حرب الأيام الستة، قبل إنشاء أية مستوطنات في الأراضي التي نقوم بإدارتها.

بعد هذه المعركة، قلنا - بما لا يدع مجالاً للشك - إننا راغبون في الدخول في مفاوضات مع جيراننا، دون وضع شروط مسبقة من أي من الجانبين، ولا تعني هذه الرغبة أننا لا نملك أي آراء أو أفكار أو مطالب، أو أننا لن نمارس حقنا في التعبير عنهم في مناقشاتنا، وهو الحق نفسه الذي يملكه جيراننا.

على سبيل المثال، قال كل من ناصر وحسين في ردهما الرسمي على اقتراح د/ يارنج أنهما يريان الحدود الفاصلة التي كانت موجودة في عام ١٩٤٧، بمثابة حدود قاطعة لا يمكن المساس بها، وليس هناك ما يضطرني لشرح موقفي من هذه الإجابة، ولكننا لا نصر على أن تقوم الدول العربية في مفاوضاتها معنا بالتنازل عن حقهم المتساوي معنا، في تقديم أي اقتراح يرونه مناسبًا، كما أنه ليس من حقهم أن يصادروا من البداية على حقنا في التعبير، أثناء المناقشات عن أية أفكار أو اقتراحات تتكون لدينا، وبكل تأكيد لا يوجد سند أخلاقي أو سياسي ترتكز عليه مطالبتنا بالإحجام عن القيام بأي عمل إنشائي في المستوطنات، حتى وإن كانت الحكومات العربية ترفض نداءنا للسلام وتستعد للحرب.

هناك حجة أخرى ضدنا تتصل بإصرارنا على القيام بمفاوضات مباشرة، وهي حجة تخلو تمامًا مثل الحجج الأخرى التي تحدثت عنها من أي سند لها. تتعلق هذه الحجة بتاريخ علاقاتنا

الدوليـة أو بالعلاقات الموجودة بين جيراننا وبيننا، فلقد جلسـنا وجهًا لوجه مع ممثلي الدول العربيـة في الوقت الذي تمت فيه المفاوضات بيننا في رودس، ولم يجرؤ أحدهم عندئذ أن يجاهر بأن الشرف العربي قد تعرض للإهانة من هذا الإجراء.

لا توجد سـابقة لصراع بين الأمم تم إنهاؤه دون القيـام بمفاوضات مباشرة، وفي الصراع الدائر بين العرب وإسرائيل، يمس موضوع المفاوضات المباشرة بين الجانبين صلب الموضوع، ولأن الهدف الذي نسعى وراءه هو تحقيق السلام والتعايش السلمي، فكيف يتأتى أن يستطيع جيراننا أن يعيشوا معنا في سلام إذا ما كانوا يرفضون التحدث إلينا من الأساس؟

منذ بداية المناقشـات مع السـفير يارنج، وافقنا على أن تتم المناقشات المباشرة تحت رعاية مبعوث السكرتير العام للأمم المتحدة، وخلال عام ١٩٦٨، سعى د/ يارنج إلى جمع الأطراف معًا، تحت رئاسـته في مكان محايد، وفي مارس من عام ١٩٦٨، اقترح يارنج أن نتقابل مع مصر والأردن في نيقوسـيا، ووافقنا عـلى الاقتراح، ولكن العرب رفضوه. وفي العام نفسـه، ومرةً أخرى في سـبتمبر من عام ١٩٦٩، عبرنا عن موافقتنا عـلى اقتراحه على أن يتم عقد اللقاءات بـين الجانبين على غرار مباحثات رودس، التي اشـتملت على مباحثات مباشرة وغير مباشرة، ولعدد من المرات، بدا الأمر وكأن هذا الاقتراح سيصادف قبولاً في نفوس العرب والسوفيت، ولكن ما حدث في النهاية هـو أنه لم يتم الوفاء بها التزموا به، وإن من ينكرون على دولة أخرى حقهـا في الوجود أو يحاولون التنصل من الاعتراف بحقيقة سـيادة هذه الدولة هم - فقط - من يسـتطيعون أن يصوروا رفضهم للتباحث، مع هذه الدولة على أنه فلسفة حياة مغروسة في الأذهان، يقسـم الصغار منذ حداثة أعمارهم على التمسك بها باعتبارها مبدأ سياسي ووطني، وإن رفض التباحث معنا بشـكل مباشر هو الدليل القطيع على أن عدم رغبة القادة العرب في التصالح مع حقيقـة الوجود الثابت لدولة إسرائيل - هو السـبب الرئيسي الذي لا نزال من أجله، نسعى للوصول إلى السلام حتى الآن.

أنا مقتنعة أن الاعتقاد بأن استخدام كلمة «انسحاب» سيمهد الطريق أمام تحقيق السلام - أمر غير واقعي وخيالي، ومن الثابت أن من يؤمنون منا بالأثر السحري لاستخدام هذه الكلمة

قد يدنو بنا من الوصول إلى السـلام، ويقصدون فقط أن يتم الانسـحاب بعد تحقيق السلام، وعندئذ يتم هذا الانسـحاب إلى حدود آمنة ومحددة في اتفاقية للسـلام. وعلى الجانب الآخر، عندما يتحدث القادة العرب والسـوفيت عن «الانسحاب»، فإنهم يقصدون التراجع الكامل والتام عن كل الأراضي التي تقع تحت إدارتنا، وعن القدس دون تحقيق سـلام حقيقي، ودون أي اتفـاق على حدود دائمة وجديدة، ولكن في وجود إضافة ملحقة تدعو إلى موافقة إسرائيل على عودة كل اللاجئين إلى أراضيهم.

إن سياسـة إسرائيل واضحة، وسنستمر في توضيحها في كل فرصة تسنح لنا للقيام بذلك، تمامًا كما فعلنا في الأمم المتحدة وفي أماكن أخرى. لا يمكن لأي شخص كرس حياته للحقيقة أن يسيء تفسير سياستنا، فعندما نتحدث عن الأمان والحدود المعترف بها لا نعني أنه بعد تحقيق السـلام، يجب أن يتم نشر قوات الدفاع الإسرائيلية، إلى ما هو أبعـد من الحدود المتفق عليها في المفاوضـات مع جيراننا. لا يمكن أن يتم تضليل أي شـخص ليصدق ذلك؛ لأن ما تريده إسرائيل هو حدود آمنة ومعترف بها مع جيرانها.

إن قوات الدفاع الإسرائيلية لم تقم قط بعبور حدودها سعيًا وراء غزو أرض أخرى، ولكننا لم نقم بذلـك إلا عندما دعت إلى ذلك ضرورة حماية وجود دولتنا، وتأمين حدودها. إن ادعاء ناصر أن إسرائيل تتمنى الحفاظ على وقف إطلاق النار فقط لتجميد خطوط وقف إطلاق النار لهو أمر منـافٍ للعقل. إن وقف إطلاق النار أمر ضروري، ليـس لجعل هذه الخطوط حدودًا دائمة، ولكن للحيلولة دون المزيد من الموت والدمار، ولتسـهيل التقدم نحو إحراز السـلام المبني على وجود حدود آمنة ومعترف بها. إن وقف إطلاق النار بمثابة درجة من الضروري أن نصعدها لأعلى على سـلم نصل في قمته إلى تحقيق السلام. أما استمرار إطلاق النار فهو بمثابة درجة نهبطها لأسفل على سلم نتردى في نهايته إلى دمار الحرب.

بات السـؤال واضحًا بما لا يدع مجالاً للشـك، ولا مجال للتعتيم عليـه بالتلاعب بمعاني الكلـمات، أو لمحاولة الهروب من الاعتراف بالحقيقة. لا يوجد بند واحد في سياسـة إسرائيل يمنع إقامة السـلام. لا يوجد ما يعرقل إقامة السلام سـوى الإصرار العربي على إنكار الحق

الثابت لإسرائيل في الوجود. **إن رفض العرب الانصياع لحقيقة وجود دولتنا في الشرق الأوسط جنبًا إلى جنب مع الدول العربية أمر ثابت لا يتغير، والسبيل الوحيد نحو الوصول إلى السلام تغيير هذا العناد والإصرار.**

عندما يتغير هذا الموقف، لن يكون هناك المزيد من العقبات أمام مفاوضات السلام، فإذا لم يتم ذلك، فلن تجدي نفعًا أية صياغات أو مغالطات أو تعريفات. إن من يسعون إلى تحقيق السلام في العالم؛ سيبذلون كل جهد ممكن للانتباه إلى هذه الحقيقة الرئيسة والمساعدة في إحداث تغيير في موقف العرب المتصلب، وهو العائق الحقيقي الذي يعيق مسيرة السلام. إن أي مظهر من مظاهر التفهم والصفح، حتى وإن حدث بشكل غير متعمد، لن يزيد تعنت العرب إلا صلابة، ويشد من عزمهم في موقفهم من إنكار حق إسرائيل في الوجود. بالإضافة إلى ذلك، سيتم استغلاله من جانب القادة العرب لإيجاد تبرير أيديولوجي لاستمرار حربهم ضد إسرائيل.

لا شيء يمكن أن يوحد شعوبنا أكثر من الرغبة في تحقيق السلام، ولا يوجد لدى إسرائيل دافع أكثر إلحاحًا يتم التعبير عنه في ساعات البهجة، وفي ساعات الحزن على حد سواء - أكثر من السلام. لا شيء يمكن أن ينزع من قلوبنا أو من سياستنا هذه الأمنية الغالية لتحقيق السلام.هذا هو الأمل لإقامة السلام، ولا حتى استيائنا من فقدان أحبائنا الذين قتلوا، ولا حتى عدائنا لقادة العالم العربي يمكن أن ينزعه، وإن الانتصارات التي حققناها لم تسكرنا بنشوتها قط، أو تشعرنا بالرضا الذي يغنينا عن التخلي عن أمنيتنا لتحقيق السلام ونداءنا للوصول إليه؛ السلام الذي يعني علاقات حسن الجوار والتعاون ووضع حد للمذابح. لطالما كان السلام والتعايش السلمي مع الشعوب العربية - ولا يزال - مكونًا أساسيًّا للنهضة اليهودية. إن أجيالاً من الحركة الصهيونية قد تربت على هذين المبدأين. إن الرغبة في تحقيق السلام هي التي وضعت المخطط الذي سارت على دربه الحكومات الإسرائيلية كلها، مهما كان أعضاؤها. فلم تقدم أية حكومة إسرائيلية تسلمت مقاليد السلطة، مهما كان تكوينها، على وضع العراقيل في الطريق نحو تحقيق السلام.

من أعماق قلبي، أنا مقتنعة أنه في إسرائيل، في المستقبل تمامًا كما كان في الماضي، لم ولن يمكن أن توجد حكومة لا تخاطب الطموح الرئيسي والثابت للشعب لتحقيق سلام حقيقي وقوي».

خطبة السادات

مناسبة الخطاب:

بدأت الحرب بين مصر وإسرائيل، يوم السبت ٦ أكتوبر ١٩٧٣م الموافق ١٠ رمضان ١٣٩٣هـ بهجوم مفاجئ من قبل الجيش المصري والجيش السوري، على القوات الإسرائيلية التي كانت مرابطة في سيناء وهضبة الجولان، وساهمت في الحرب بعض الدول العربية سواء عسكريًا أو اقتصاديًا.

وقد حقق الجيشان المصري والسوري الأهداف الإستراتيجية المرجوة من وراء المباغتة العسكرية لإسرائيل، وكانت هناك إنجازات ملموسة في الأيام الأولى بعد شن الحرب، حيث توغلت القوات المصرية ٢٠ كم شرق قناة السويس، وتمكنت القوات السورية من الدخول في عمق هضبة الجولان.

وكان من أهم نتائج الحرب استرداد السيادة الكاملة على قناة السويس، واسترداد جميع الأراضي في شبه جزيرة سيناء، واسترداد جزء من مرتفعات الجولان السورية بما فيها مدينة القنيطرة وعودتها للسيادة السورية، ومن النتائج الأخرى تحطم أسطورة أن

نبذة عن حياة محمد أنور السادات:

محمد أنور السادات ثالث رئيس لجمهورية مصر العربية في الفترة من ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠م وحتى ٦ أكتوبر ١٩٨١م. ولد في ٢٥ ديسمبر عام ١٩١٨م بقرية «ميت أبو الكوم» بمحافظة المنوفية، وتخرج في الكلية الحربية عام ١٩٣٨م ضابطًا برتبة ملازم. وتزوج مرتين؛ الأولى من السيدة إقبال عفيفي وأنجب منها ثلاث بنات، والثانية من السيدة جيهان رؤوف صفوت وأنجب منها ثلاث بنات وولدًا.

وقد تعرض السادات لعدة محن في بداية حياته، واتهم بمساعدة الألمان ضد الإنجليز، كما اتهم بالمشاركة في اغتيال أمين عثمان، ودخل السجن مرتين، وعُزل من الجيش، ولكن الملك فاروق عفا عنه وأعاده للجيش. وكان السادات من الضباط الأحرار الذين قاموا بالانقلاب على الملك سنة ١٩٥٢م، وتولى عدة مناصب في الحكومة الجديدة، منها: وزير دولة من سنة ١٩٥٥ إلى سنة ١٩٥٦م، ورئيس تحرير جريدة الجمهورية والتحرير من سنة ١٩٥٥ إلى سنة ١٩٥٦م، ونائب رئيس مجلس الأمة من سنة ١٩٥٧ إلى سنة ١٩٦٠م، وسكرتير عام الاتحاد الوطني المصري من سنة ١٩٥٧ إلى سنة ١٩٦١م، ورئيس مجلس الأمة من سنة ١٩٦٠ إلى سنة ١٩٦٨م، ورئيس مجلس التضامن الأفروأسيوي سنة ١٩٦١ م، وعضو مجلس رئاسي من سنة ١٩٦٢ إلى سنة ١٩٦٤م، ورئيس الاتحاد الاشتراكي العربي عام ١٩٧٠م، ووصل إلى منصب نائب رئيس الجمهورية عام ١٩٦٩، ثم أصبح رئيسًا للجمهورية في عام ١٩٧٠ بعد وفاة جمال عبد الناصر، وبدء العمل الفعلي كرئيس للجمهورية في ١٧ أكتوبر سنة ١٩٧٠م.

جيش إسرائيل لا يقهر، والتي كان يقول بها القادة العسكريون في إسرائيل، وأدت الحرب أيضًا إلى عودة الملاحة في قناة السويس في يونية ١٩٧٥م، وبمناسبة هذا الانتصار العظيم خطب الرئيس السادات في مجلس الشعب خطابًا تاريخيًا يوم السادس عشر من شهر أكتوبر عام ١٩٧٣.

وقد انتصر السادات في حرب أكتوبر على إسرائيل سنة ١٩٧٣م، ثم أقام مع إسرائيل معاهدة سلام عرفت بمعاهدة (كامب ديفيد)، وحصل على جائزة نوبل للسلام سنة ١٩٧٩م مناصفة مع رئيس الوزراء الإسرائيلي مناحيم بيجن. وقُتِل السادات عام ١٩٨١م.

مكتبة
t.me/soramnqraa

نص الخطاب:

«بسم الله، أيها الإخوة والأخوات، كان بودي أن أجيء إليكم قبل الآن، ألتقي بكم وبجماهير شعبنا وأمتنا، لكن مشاغلي كانت كما تعلمون وكما تدرون، وأثق أنكم تقدرون، ومهما يكن فلقد كنت أحس بكم وبشعبنا وأمتنا، معي في الرأي وفي كل قرار، كنتم جميعًا معي فيما أخذته على مسؤوليتي تعبيرًا عن إرادة أمة وتعبيرًا عن مصير شعب.

مناسبًا أن أجيء إليكم اليوم، أتحدث معكم ومع جماهير شعبنا ومع شعوب أمتنا العربية، وأمام عالم يهمه ما يجري على أرضنا؛ لأنه وثيق الصلة بأخطر القضايا الإنسانية، وهي قضية الحرب والسلام. ذلك لأننا لا نعتبر نضالنا الوطني والقومي ظاهرة محلية أو إقليمية؛ لأن المنطقة التي نعيش فيها بدورها الإستراتيجي والحضاري في القلب من العالم وفي الصميم من حركته، ولأن الحوادث كبيرة، ولأن التطورات متلاحقة، ولأن القرارات مصيرية، فإنني أريد أن أدخل مباشرة فيما أريد أن أتحدث معكم، وسوف أركز على نقطتين : الحرب والسلام.

أولاً الحرب، لست أظنكم تتوقعون مني أن أقف أمامكم لكي نتفاخر معًا ونتباهى بما حققناه في أحد عشر يومًا من أهم وأخطر بل وأعظم وأمجد أيام تاريخنا، وربما جاء يوم نجلس فيه معًا لا لكي نتفاخر ونتباهى، ولكن لكي نتذكر وندرس، ونعلم أولادنا وأحفادنا جيلاً بعد جيل قصة الكفاح ومشاقه ومرارة الهزيمة وآلامها وحلاوة النصر وآماله.

نعم، سوف يجيء يوم نجلس فيه لنقص ونروي ماذا فعل كل منا في موقعه، وكيف حمل كل منا الأمانة، وكيف خرج الأبطال من هذا الشعب وهذه الأمة في فترة حالكة؛ ليحملوا مشاعل النور وليضيئوا الطريق حتى نستطيع أن نعبر الجسر ما بين اليأس والرجاء، ذلك كله سوف يجيء وقته، وأظنكم توافقونني على أن لدينا من المشاغل والمهام ما يستحق أن نكرس له وقتنا وجهدنا، وإذا جاز لي أن أتوقف قليلاً وأنا أعلم أنني أتوق شوقًا إلى سماع الكثير، فإنني أقول ما يلي:

أولاً: فيما يتعلق بنفسي، فقد حاولت أن أفي بها عاهدت الله وما عاهدتكم عليه، حاولت أن أفي بها عاهدت الله وما عاهدتكم عليه قبل ثلاث سنوات بالضبط من هذا اليوم ، عاهدت الله وعاهدتكم أن قضية تحرير التراب الوطني والقومي هي التكليف الأول الذي حملته ولاء لشعبنا وللأمة ، عاهدت الله وعاهدتكم على أني لن أدخر جهدًا، ولن أتردد دون تضحية مهما كلفني في سبيل أن تصل الأمة إلى وضع تكون فيه قادرة على رفع إرادتها إلى مستوى أمانيها، ذلك أن اعتقادنا دائمًا كان ولا يزال أن التمني بلا إرادة نوع من أحلام اليقظة، يرفض حبي وولائي لهذا الوطن أن يقع في سرابه أو في ضبابه.

عاهدت الله وعاهدتكم على أن نثبت للعالم أن نكسة ١٩٦٧م كانت استثناء في تاريخنا وليست قاعدة، وقد كنت في هذا أَصُدر عن إيمان بأن التاريخ يستوعب ٧٠٠٠ سنة من الحضارة، ويستشرف آفاقًا أعلم علم اليقين بأن نضال شعبنا وأمتنا لا يعلو عنها وللوصول إليها وتأكيد قيمها وأحلامها العظمى.

عاهدت الله وعاهدتكم على أن جيلنا لن يسلم أعلامه إلى جيل سوف يجيء بعده منكسة أو ذليلة، وإنما سوف نسلم أعلامنا مرتفعة هاماتها، عزيزة صواريها قد تكون مخضبة بالدماء ولكننا ظللنا نحتفظ برؤوسنا عالية في السماء وقت أن كانت جباهنا تنزف الدم والألم والمرارة.

عاهدت الله وعاهدتكم على ألا أتأخر عن لحظة أجدها ملائمة ولا أتقدم عنها، ولا أغامر ولا أتلكأ، وكانت الحسابات مضنية والمسؤولية فادحة، لكنني أدركت كما قلت لكم وللأمة

مرارًا وتكرارًا، إن ذلك قدري وإنني حملته على كتفي. عاهدت الله وعاهدتكم وحاولت مخلصًا أن أفي بالوعد ملتمسًا عون الله وطالبًا ثقتكم وثقة الأمة، وإني لأحمد الله.

ثانيًا: لقد كان كل شيء منوطًا بإرادة هذه الأمة، حجم هذه الإرادة وعمق هذه الإرادة، وما كنا لنستطيع شيئًا وما كان أحد ليستطيع شيئًا لو لم يكن هذا الشعب، ولو لم تكن هذه الأمة. لقد كان الليل طويلاً وثقيلاً، ولكن الأمة لم تفقد إيمانها أبدًا بطلوع الفجر، وإني لأقول بغير ادعاء أن التاريخ سوف يسجل لهذه الأمة أن نكستها لم تكن سقوطًا، وإنما كانت كبوة عارضة وأن حركتها لم تكن فورانًا وإنما كانت ارتفاعًا شاهقًا. **لقد أعطى شعبنا جهدًا غير محدود، وقدم شعبنا تضحيات غير محددة، وأظهر شعبنا وعيًا غير محدود، وأهم من ذلك كله، أهم من الجهد والتضحيات والوعي، فإن الشعب احتفظ بإيمان غير محدود**، وكان ذلك هو الخط الفاصل بين النكسة والهزيمة، ولقد كنت أحس بذلك من أول يوم تحملت فيه مسؤوليتي، وقبلت راضيًا بما شاء الله أن يضعه على كاهلي، كنت أعرف أن إيمان الشعب هو القاعدة، وإذا كانت القاعدة سليمة، فإن كل ما ضاع يمكن تعويضه، وكل ما تراجعنا عنه نستطيع الانطلاق إليه مرة أخرى، وبرغم ظواهر عديدة بعضها طبيعي وبعضها مصطنع من تأثير حرب نفسية وجهت إلينا، فقد كان سؤالي لنفسي ولغيري في كل يوم يمر هل القاعدة سليمة؟

وكنت واثقًا أنه ليس في قدرة أية حرب نفسية مهما كانت ضراوتها أن تمس صلابة هذه القاعدة. وما دامت القاعدة بخير فإن كل شيء بخير، وغير ذلك لن يكون إلا زوبعة في فنجان كما يقولون.

لست أنكر أننا واجهنا بمصاعب جمة، مصاعب حقيقية، مصاعب في الخدمات، مصاعب في التموين، مصاعب في الإنتاج، مصاعب في العمل السياسي أيضًا. وكنت أعرف الحقيقة، ولكنني لم أكن في موقف يسمح لي بشرحها، كنت أعرف أننا نحاول أن نجعل الحياة مقبولة للناس، وفي نفس الوقت فإن علينا أن نحتاط لما هو منتظر، وكنت واثقًا إنه سوف يجيء يوم

تظهر فيه الحقيقة لغيري كما كانت ظاهرة لي، وحين تظهر الحقيقة؛ فإن الناس سوف يعرفون وسوف يقدرون، وأحمد الله.

ثالثًا: لقد كانت هناك إشارة واضحة إلى وجود تمزق في ضمير الأمة العربية كلها، وكنت أرى ذلك طبيعيًا لأسباب اجتماعية وفكرية، وزادت عليها مرارة النكسة، كان هناك من يسألونني ويسألون أنفسهم: هل تستطيع الأمة أن تواجه امتحانها الرهيب وهي على هذه الحالة من التمزق في ضميرها؟

كنت أقول إن هذا التمزق فضلاً عن أسبابه الطبيعية يعكس تناقضًا بين الواقع والأمل، وليس في ذلك ما يخيف، بل كنت أعتقد أنه ليس هناك شفاء لضمير الأمة، ولا راحة له إلا عندما تواجه الأمة لحظة التحدي، ولم أكن في بعض الأوقات على استعداد للدخول في مناقشات عقيمة، هل نعالج التمزق قبل مواجهة التحدي؟ أم نقبل التحدي رغم وجود إشارات إلى التمزق؟ وكان رأيي أن الأمم لا تستطيع أن تكشف نفسها أو جوهرها إلا من خلال ممارسة الصراع، وبمقدار ما يكون التحدي كبيرًا بمقدار ما تكون يقظة الأمة واكتشافها لقدراتها كبيرة، لست أنكر وجود خلافات اجتماعية وفكرية، فذلك مسار حركة التاريخ، ولكنني في نفس الوقت كنت أعرف أن الأمم العظيمة عندما تواجه تحدياتها الكبرى فإنها قادرة على أن تحدد لنفسها أولوياتها بوضوح لا يقبل الشك، كنت مؤمنًا بسلامة وصلابة دعوة القومية العربية، وكنت مدركًا للتفاعلات المختلفة التي تحرك مسيرة أمة واحدة.

ولكنني كنت واثقًا أن وحدة العمل سوف تفرض نفسها على كل القوى، وعلى كل الأطراف وعلى كل التيارات؛ لأننا جميعًا سوف نعي أن هذا الظرف ليس مباراة بين الاجتهادات، وإنما هو الصراع بين الفناء والبقاء لأمة بأسرها، وأحمد الله.

رابعًا: ولقد كنت أعرف جوهر قواتنا المسلحة، ولم يكن حديثي عنها رجمًا بالغيب ولا تكهنًا، لقد خرجت من صفوف هذه القوات المسلحة، وعشت بنفسي تقاليدها وتشرفت بالخدمة في صفوفها وتحت ألويتها.

إن سجل هذه القوات كان باهرًا، ولكن أعداءنا - الاستعمار القديم والجديد والصهيونية العالمية - ركزت ضد هذا السجل تركيزًا مخيفًا؛ لأنها أرادت أن تشكك الأمة في درعها وفي سيفها، ولم يكن يخامرنا الشك في أن هذه القوات المسلحة كانت من ضحايا نكسة سنة ١٩٦٧م، ولم تكن أبدًا من أسبابها.

كان في استطاعة هذه القوات سنة ١٩٦٧م أن تحارب بنفس البسالة والصلابة التي تحارب بها اليوم، لو أن قيادتها العسكرية في ذلك الوقت لم تفقد أعصابها بعد ضربة الطيران التي حذر منها عبد الناصر، أو لو أن تلك القيادة لم تصدر قرارًا بالانسحاب العام من سيناء، بدون علم عبد الناصر.

إن قواتنا لم تعطَ الفرصة لتقاتل عام ١٩٦٧م، إن هذه القوات لم تعطَ الفرصة لتحارب دفاعًا عن الوطن، وعن شرفه وعن ترابه، لم يهزمها عدوها، ولكن أرهقتها الظروف التي لم تعطها الفرصة لتقاتل.

إن القوات المسلحة المصرية قامت بمعجزة على أي مقياس عسكري ، ولقد شاركتُ مع جمال عبد الناصر في عملية إعادة بناء القوات المسلحة، ثم شاءت الأقدار أن أتحمل مسؤولية استكمال البناء ومسؤولية القيادة العليا لها. إن القوات المسلحة قامت بمعجزة على أعلى مقياس عسكري، استوعبت العصر كله تدريبًا وسلاحًا، بل وعلمًا واقتدارًا حين أصدرتُ لها الأمر أن ترد على استفزاز العدو، وأن تكبح جماح غروره، فإنها أثبتت نفسها. إن هذه القوات أخذت في يدها بعد صدور الأمر لها زمام المبادأة، وحققت مفاجأة العدو، وأفقدته توازنه بحركاتها السريعة.

إن التاريخ العسكري سوف يتوقف طويلاً أمام عملية يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣م، ولست أتجاوز إذا قلت إن التاريخ العسكري سوف يتوقف طويلاً بالفحص والدرس أمام عملية يوم ٦ أكتوبر ٧٣؛ حين تمكنت القوات المسلحة المصرية من اقتحام مانع قناة السويس الصعب، واجتياز خط بارليف المنيع، وعبور الضفة الشرقية من القناة بعد أن أفقدت العدو توازنه. لقد كانت المخاطرة كبيرة والتضحيات عظيمة لمعركة ٦ أكتوبر خلال الساعات الست الأولى من حربنا، كانت هائلة فقد العدو توازنه إلى هذه اللحظة.

وإذا كنا نقول ذلك اعتزازًا، وبعض الاعتزاز إيمان، فإن الواجب يقتضينا أن نسجل من هنا، وباسم هذا الشعب، وباسم هذه الأمة، ثقتنا المطلقة في قواتنا المسلحة، ثقتنا في قياداتها التي خططت، وثقتنا في شبابها وجنودها الذين نفذوا بالنار والدم، ثقتنا في إيمان هذه القوات المسلحة في قدرتها على استيعاب هذا السلاح.

أقول باختصار، إن هذا الوطن يستطيع أن يطمئن ويأمن بعد خوف، إنه قد أصبح له درع وسيف. أريد من هنا أن أشد انتباه حضراتكم معي إلى الجبهة الشمالية؛ حيث يحارب الجيش السوري العظيم معركة من أمجد معارك الأمة العربية تحت القيادة المخلصة والحازمة للأخ الرئيس حافظ الأسد. وأريد أن أقول لإخوتنا في الجبهة الشمالية إنكم عاهدتكم وكنتم الأوفياء للعهد، وصادقتكم وكنتم أشرف الأصدقاء، وقاتلتم وكنتم أشجع المقاتلين، إنكم حاربتم حرب رجال وصمدتم صمود الأبطال.

ولم يكن في مقدورنا أن نجد رفقة سلاح أكثر مدعاة للطمأنينة والفخر من هذه الرفقة التي تشرفنا بالقتال فيها معكم ضد عدو واحد لنا هو عدو أمتنا العربية كلها، لقد كنا من طلائع المعركة، تحملنا ضراوتها، ودفعنا معًا أفدح تكاليفها من دمائنا ومن مواردنا، ولسوف نواصل القتال، ولسوف نتحدى الخطر، ولسوف نواصل مع إخوة لنا، تنادوا إلى الساحة صادقين مخلصين، سوف نواصل جميعًا دفع ضريبة العرق والدم حتى نصل إلى هدف نرضاه لأنفسنا، وترضاه أمتنا لنضالها في هذه المرحلة الخطيرة من مراحله المتصلة المستمرة.

أيها الإخوة والأخوات، كل ذلك عن الحرب، والآن ماذا عن السلام؟ عندما نتحدث عن السلام فلابد لنا أن نتذكر ولا ننسى، كما لابد لغيرنا ألا يتناسى حقيقية الأسباب التي من أجلها كانت حربنا، وقد تأذنون لي أن أضع بعض هذه الأسباب محددة قاطعة أمام حضراتكم:

أولاً: إننا حاربنا من أجل السلام، حاربنا من أجل السلام الوحيد الذي يستحق وصف السلام، وهو السلام القائم على العدل، إن عدونا يتحدث أحيانًا عن السلام، ولكن شتان ما

بين سلام العدوان وسلام العدل، إن دافيد بن جوريون هو الذي صاغ لإسرائيل نظرية فرض السلام، والسلام لا يفرض، والحديث عن فرض السلام معناه التهديد بشن الحرب، أو شنها فعلاً.

والخطأ الكبير الذي وقع فيه عدونا أنه تصور أن قوة الإرهاب تستطيع ضمان الأمن، ولقد أثبت عمليًا اليوم وفي ميدان القتال عقم هذه النظرية.

السلام لا يفرض، وسلام الأمر الواقع لا يقوم ولا يدوم، السلام بالعدل وحده، والسلام ليس بالإرهاب مهما أمعن في الطغيان ومهما زين له غرور القوة أو حماقة القوة.

ذلك الغرور وتلك الحماقة اللتان تمادى فيهما عدونا، ليس فقط خلال السنوات الست الأخيرة، بل خلال السنوات الخمس والعشرين؛ أي منذ قامت الدولة الصهيونية باغتصاب فلسطين. ولقد نسأل قادة إسرائيل اليوم: أين ذهبت نظرية الأمن الإسرائيلي التي حاولوا إقامتها بالعنف تارة وبالجبروت تارة أخرى طوال خمس وعشرين سنة؟ لقد انكسرت وتحطمت. قوتنا العسكرية تتحدى اليوم قوتهم العسكرية، وها هم في حرب طويلة ممتدة وهم أمام استنزاف نستطيع نحن أن نتحمله بأكثر وأوفر مما يستطيعون، وها هم عمقهم معرض إذا تصوروا أن في استطاعتهم تخويفنا بتهديد العمق العربي.

وربما أضيف كي يسمعوا في إسرائيل أننا لسنا دعاة إبادة كما يزعمون. إن صواريخنا المصرية العربية عابرة سيناء من طراز ظافر موجودة الآن على قواعدها، مستعدة للانطلاق بإشارة واحدة إلى الأعماق في إسرائيل، ولقد كان في وسعنا منذ الدقيقة الأولى للمعركة أن نعطي الإشارة ونصدر الأمر؛ خصوصًا وأن الخيلاء والكبرياء الفارغة أوهمتهم بأكثر مما يقدرون على تحمل تبعاته، لكننا ندرك مسؤولية استعمال أنواع معينة من السلاح، ونرد أنفسنا بأنفسنا عنها، وإن كان عليهم أن يتذكروا ما قلته يومًا، ومازلت أقوله: العين بالعين، والسن بالسن، والعمق بالعمق.

ثانيًا: إننا لم نحارب لكي نعتدي على أرض غيرنا، وإنما حاربنا ونحارب وسوف نواصل الحرب لهدفين اثنين:

الأول: استعادة أراضينا المحتلة بعد سنة ١٩٦٧ م.

الثاني: إيجاد السبل لاستعادة واحترام الحقوق المشروعة لشعب فلسطين، هذه هي أهدافنا من قبول مخاطر القتال، ولقد قبلناها ردًّا على استفزازات لا تحتمل ولا تطاق، ولم نكن البادئين إنما كنا فيها ندافع عن أنفسنا وعن حرياتنا وعن حقنا في الحرية والحياة.

إن حربنا لم تكن من أجل العدوان ولكن ضد العدوان، ولم نكن في حربنا خارجين على القيم ولا القوانين التي ارتضاها مجتمع الدول لنفسه، وسجلها في ميثاق الأمم المتحدة الذي كتبته الشعوب الحرة بدمائها بعد انتصارها على الفاشية والنازية، بل لعلنا نقول إن حربنا هي استمرار للحزب الإنسانية ضد الفاشية والنازية، ذلك لأن الصهيونية بدعواها العنصرية وبمنطق التوسع بالبطش ليست إلا تكرارًا هزيلاً للفاشية والنازية، يثير الازدراء ولا يثير الخوف، ويبعث على الاحتقار أكثر مما يبعث على الكراهية.

إننا في حربنا كنا نتصرف وفق نص روح وميثاق الأمم المتحدة وليس مجافاة للروح ولا للنص، وإلى جانب الميثاق نفسه، فقد كنا نتصرف تقديرًا واحترامًا لقرارات المنظمة الدولية سواء على مستوى الجمعية العامة للأمم المتحدة، أو على مستوى مجلس الأمن.

أيها الإخوة والأخوات، لقد شهد العالم كله لنا بالحق، وأشاد بشجاعتنا دفاعًا عن هذا الحق، أدرك العالم أننا لسنا البادئين بالعدوان ولكننا المبادرون بواجب الدفاع عن النفس، لسنا ضد قيم وقوانين مجتمع الدول، ولكننا مع قيم وقوانين مجتمع الدول، لسنا مغامري حرب، وإنما نحن طلاب سلام.

أدرك العالم ذلك كله، وكان يتعاطف من قبل ذلك مع قضيتنا، واليوم زاد على تعاطفه معنا احترامه لتصميمنا على الدفاع عن هذه القضية، ولقد كنا نطمئن بعطف العالم، ونحن الآن نعتز باحترامه، وأقول لكم بصدق وأمانة إنني أفضل احترام العالم ولو بغير عطف، على عطف العالم إذا كان بغير احترام، وأحمد الله.

أيها الإخوة والأخوات، إن دولة واحدة اختلفت مع العالم كله ولم تختلف معنا فقط، إنها مع العالم كله كما قلت، وهذه الدولة هي الولايات المتحدة، لقد فوجئت كما تدعي بأننا حاولنا رد

العدوان، ولسنا نفهم كيف ولماذا فوجئت هذه الدولة، لم تكتفِ كما تقول بأنها فوجئت، وإنما أفاقت من المفاجأة دون أن تعود إلى الصواب، ومن المؤسف والمحزن أن يكون هذا موقف واحدة من القوى الأعظم في هذا العصر، لقد كنا نتوقع - أو ربما نتمنى - ضد الشواهد والتجارب كلها أن تفيق الولايات المتحدة الأمريكية من المفاجأة إلى الصواب، لكن ذلك لم يحدث، ورأينا الولايات المتحدة تخرج من المفاجأة إلى المناورة والعودة إلى خطوط ما قبل ٦ أكتوبر، وكان يمكن أن نغضب من هذا المنطق المعكوس، ولكننا لم نغضب؛ لأننا نثق في أنفسنا من ناحية ومن ناحية أخرى، لأننا بالفعل نريد أن نساهم في سلام العالم.

إن العالم يدخل في عصر من الوفاق بين القوتين الأعظم، ونحن لا نعارض سياسة الوفاق، كان لنا تحفظ واحد عليها وما زال تحفظنا قائمًا، إذا كنا نريد أن يدخل العالم بعد استحالة الحرب العالمية إلى عصر من السلام، فإن السلام ليس معنى مجردًا أو مطلقًا، السلام له معنى واحد؛ هو أن تشعر كل شعوب الأرض أنه سلام لها، وليس سلامًا مفروضًا عليها.

وإني لأقول أمام حضراتكم وعلى مسمع من العالم: نحن نريد أن تنجح وأن تتدعم سياسة الوفاق، ونحن على استعداد للمساهمة في إنجاحها وتدعيمها.

إن أي نسيان لهذه الحقيقة البديهية ليس تجاهلاً فحسب، وإنما هو إهانة لا نرتضيها لأنفسنا، ولا للعالم الذي يعرف أهمية وقيمة المنطقة التي نعيش فيها، وعليه أن يعرف الآن أن هذه المنطقة قادرة على أن تمنح وأن تمنع.

أيها الإخوة والأخوات، إن الولايات المتحدة بعد المناورة التي رفضنا مجرد مناقشتها خصوصًا بعد أن فتحنا طريق الحق بقوة السلاح، اندفعت إلى سياسة لا نستطيع أن نسكت عليها.. لا نستطيع أن نسكت عليها، أو تسكت عليها أمتنا العربية.. ذلك أنها أقامت جسرًا سريعًا تنقل به المعونات والمساعدات العسكرية لإسرائيل.

لم يكفِ الولايات المتحدة أن سلاحها هو الذي مكن إسرائيل من تعطيل كل محاولات الحل السلمي لأزمة الشرق الأوسط، فإذا هي الآن تتورط فيما هو أفدح، فيما

هو أخطر في عواقبه، بينما نحن نقاتل العدوان، وبينما نحاول إزاحة كابوسه عن أراضينا المحتلة، إذ هي تسارع إلى العدوان تعوضه عما خسره وتزوده بما لم يكن لديه.

إن الولايـات المتحدة تقيم جسرًا بحريًّـا وجويًّا تتدفق منه عـلى إسرائيل دبابات جديدة وطائرات جديدة ومدافع جديـدة وصواريخ جديدة والكترونيات جديدة، ونحن نقول لهم: إن هذا لن يخيفنا، ولكن عليكم وعلينا قبل أن تصل الأمور إلى نقطة اللاعودة أن نفهم إلى أين؟ وإلى متى؟ وإلى أين ونحن خريطة الشرق الأوسط وليست إسرائيل؟ إلى أين ومصالحكم كلها عندنا وليست في إسرائيل؟ إلى أين وإلى متى؟

أيها الإخوة والأخوات، لقد فكرت في أن أبعث إلى الرئيس ريتشـارد نيكسـون بخطاب أحدد فيه موقفنا بوضوح، ولكنني ترددت خشـية إساءة التفسير، ولذلك قررت أن استعيض عن ذلك بتوحيد رسـالة مفتوحة إليه من هنا، رسالة لا يمليها القول ولكن تمليها الثقة، رسالة لا تصدر عن ضعف، ولكـن تصدر عن رغبة حقيقية في صون السـلام ودعم الوفاق، أريد أن أقـول إنه وبوضوح: إن مطلبنا في الحرب معـروف، لا حاجة بنا لإعادة شرحه، وإذا كنتم تريدون معارضة مطلبنا في السلام فإليكم مشروعنا للسلام:

أولاً: إننا قاتلنا وسـوف نقاتل لتحرير أرضنا التي أمسـك بها الاحتلال الإسرائيلي سـنة ٦٧، ولإيجاد السبيل لاستعادة واحترام الحقوق المشروعة لشعب فلسطين، ونحن في هذا نقبل التزامنا بقرارات الأمم المتحدة في الجمعية العامة ومجلس الأمن.

ثانيًا: إننا على اسـتعداد لقبول وقف إطلاق النار على أساس انسحاب القوات الإسرائيلية عن كل الأراضي المحتلة فورًا وتحت إشراف دولي إلى خطوط ما قبل ٥ يونية ١٩٦٧م.

ثالثًا: إننا على اسـتعداد فور إتمام الانسـحاب من كل هذه الأراضي أن نحضر مؤتمر سلام دولي في الأمم المتحدة، سـوف أحاول جهدي أن أقنع به رفاقي من القادة العرب المسـؤولين مباشرة عن إدارة الصراع مع العدو، كما إنني سـوف أحاول جهدي أن أقنع به ممثلي الشـعب

الفلســطيني، وذلك لكي يشارك معنا، ومع مجتمع الدول في وضع قواعد وضوابط السلام في المنطقة يقوم على احترام الحقوق المشروعة لكل شعوب المنطقة.

رابعًا: إننا على اســتعداد في هذه الســاعة من هذه الدقيقة أن نبدأ في تطهير قناة السويس، وفتحها أمام الملاحة الدولية؛ لكي تعود لأداء دورها في رخاء العالم وازدهاره، ولقد أصدرت الأمر بالفعل إلى رئيس هيئة قناة السويس بالبدء في هذه العملية، غداة إتمام تحرير الضفة الشرقية للقناة، وقد بدأت بالفعل مقدمات للاستعداد لهذه المهمة.

خامسًا: إننا لسنا على استعداد في هذا كله لقبول وعود بمهمة أو بمبادرات مضللة تقبل كل تفسير وكل تأويل، وتستنزف الوقت مما لا جدوى منه، وتعيد قضيتنا إلى جمودها. لم نعد نقبل به مهما كانت الأسباب لدى الغير أو تضحيات بالنسبة لنا، ما نريده الآن هو الوضوح، الوضوح في الغايات والوضوح في الوسائل.

أيها الإخــوة والأخوات، لقد قلنا كلمتنا، وأدعو الله مخلصًــا أن يفهمها الجميع في إطارها الصحيح، وأن يضعوها على الخط المســتقيم، وأن يحسنوا تقدير الأمور. إن هذه المسألة تتطلب شــجاعة الرجال وعقل الرجال، ومن جانبنا فإننا نواجه هذه الساعات بخضوع الصادقين مع الله ومع أنفســهم ومع أمتهم ومع إنسانيتهم، هذه ســاعات تدور فيها معارك أكبر مما دار من أسلحة تقليدية حتى في حروب العمالقة، هذه ساحات تتقرر فيها مصائر وتتحدد فيها علاقات سوف تفرض نفسها على المستقبل، وهي تؤكد نفسها في الحاضر.

هذه ســاعات يتقدم فيها أبطال، وهذه ساعات يسقط بل يرتفع فيها شهداء، هذه ساعات حافلة بمشــاعر متباينة، تمتزج فيها صيحة الفرح بمشاعر عميقة أخرى، ذلك إننا كنا ولازلنا نريد الحق ولا نريد الحرب، لكننا كنا ولا نزال نريد الحق حتى إذا فرضت علينا الحرب، وحين كانت نشــوة الانتصار تملأ كل القلوب، فإننــي كنت فيما بيني وبين ربي أعــرف مدى العناء الإنســاني الذي ندفعه في سبيل النصر، ولقد كنت أتتبع أنباء انتصارنا في خشوع؛ لأنني أعرف الحرب، ولقد كان أعز القائلين هو الذي علمنا: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ﴾.

أيها الإخوة والأخوات، هذه ساعات نعرف فيها أنفسنا، ونعرف فيها الأصدقاء، ونعرف فيها الأعداء، ولقد عرفنا أنفسنا ولقد عرفنا أصدقاءنا وكانوا بأصدق وأخلص ما نطلب من الأصدقاء، ولقد كنا نعرف عدونا دائمًا، ولسنا نريد أن نزيد من أعدائنا بل إننا لنوجه الكلمة بعد الكلمة، والتنبيه بعد التنبيه، والتحذير بعد التحذير، لكي نعطي للجميع فرصة يراجعون، ولعلهم يتراجعون، لكننا بعون الله قادرون بعد الكلمة وبعد التنبيه وبعد التحذير أن نوجه الضربة بعد الضربة، ولسوف نعرف متى وأين وكيف إذا أرادوا التصاعد فيما يفعلون. الأمة العربية كلها - وأسمح لنفسي أن أعبر عنها - لن تنسى مواقف هذه الساعات، إن الأمة العربية لم تنسَ أصدقاءها هذه الساعات الذين يقفون معها، ولن ننسى أعداء هذه الساعات الذين يقفون مع عدونا. «ربنا كن لنا عونًا وهدًى .. ربنا وبارك لنا في شعبنا وأمتنا.. ربنا إنك وعدت ووعدك الحق ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته».

خطاب الرئيس السادات أمام الكنيست

مناسبة الخطاب:

مهدت حرب أكتوبر - التي انتصر فيها الجيش المصري على إسرائيل - الطريق لاتفاق «كامب ديفيد» بين مصر وإسرائيل؛ والذي عُقد في سبتمبر ١٩٧٨م على إثر مبادرة أنور السادات التاريخية في نوفمبر ١٩٧٧م وزيارته للقدس.

ففي عام ١٩٧٧م اتخذ الرئيس محمد أنور السادات قراره الذي اهتزت له أركان الدنيا بزيارة القدس؛ ليمنح بذلك السلام لشعبه وعدوه في آن واحد، ويدفع بيده عجلة السلام بين مصر وإسرائيل.

وقد كانت كلمة الرئيس السادات أمام الكنيست يوم الأحد ١٠ من ذي الحجة ١٣٩٧ الموافق ٢٠ من نوفمبر ١٩٧٧م.

نص الخطاب:

«السيد الرئيس..

أيها السيدات والسادة..

السلام عليكم ورحمة الله

والسلام لنا جميعًا.. بإذن الله

السلام لنا جميعًا.. على الأرض العربية وفي إسرائيل.. وفي كل مكان من أرض هذا العالم الكبير المعقد بصراعاته الدامية، المضطرب بتناقضاته الحادة، المهدد بين الحين والحين بالحروب المدمرة، تلك التي يصنعها الإنسان ليقضي بها على أخيه الإنسان. وفي النهاية، وبين أنقاض ما بنى الإنسان، وبين أشلاء الضحايا من بني الإنسان، فلا غالب ولا مغلوب، بل إن المغلوب الحقيقي دائمًا هو الإنسان.. أرقى ما خلقه الله.. الإنسان الذي خلقه الله - كما يقول غاندي قديس السلام: «لكي يسعى على قدميه، يبني الحياة.. ويعبد الله».

وقد جئت إليكم اليوم على قدمين ثابتتين؛ لكي نبني حياة جديدة، لكي نقيم السلام وكلنا على هذه الأرض، أرض الله، كلنا - مسلمون ومسيحيون ويهود - نعبد الله ولا نشرك به أحدًا، وتعاليم الله.. ووصاياه.. هي حب وصدق وطهارة وسلام.

وإنني ألتمس العذر لكل من استقبل قراري - عندما أعلنته للعالم كله أمام مجلس الشعب المصري - بالدهشة، بل الذهول، بل إن البعض قد صورت له المفاجأة العنيفة أن قراري ليس أكثر من مناورة كلامية للاستهلاك أمام الرأي العام العالمي، بل وصفه بعض آخر بأنه تكتيك سياسي؛ لكي أخفي به نواياي في شن حرب جديدة.

ولا أخفي عليكم أن أحد مساعدي في مكتب رئيس الجمهورية اتصل بي في ساعة متأخرة من الليل بعد عودتي إلى بيتي من مجلس الشعب، ليسألني في قلق: وماذا تفعل يا سيادة الرئيس لو وجهت إليك إسرائيل الدعوة فعلاً؟ فأجبته بكل هدوء: سأقبلها على الفور.

لقد أعلنت أنني سأذهب إلى آخر العالم.. سأذهب إلى إسرائيل؛ لأنني أريد أن أطرح الحقائق كاملة أمام شعب إسرائيل.

إنني ألتمس العذر لكل من أذهله القرار، أو تشكك في سلامة النوايا وراء إعلان القرار. فلم يكن أحد يتصور أن رئيس أكبر دولة عربية، تتحمل العبء الأكبر والمسؤولية الأولى في قضية الحرب والسلام في منطقة الشرق الأوسط، يمكن أن يعرض قراره بالاستعداد إلى الذهاب إلى أرض الخصم، ونحن لا نزال في حالة حرب، بل نحن جميعًا لا نزال نعاني من آثار أربع حروب قاسية خلال ثلاثين عامًا، بل إن أسر ضحايا حرب أكتوبر ١٩٧٣ لا تزال تعيش في مآسي الترمل، وفقد الأبناء واستشهاد الآباء والإخوان.

كما أنني - كما سبق أن أعلنت من قبل - لم أتداول في هذا القرار مع أحد من زملائي وإخوتي رؤساء الدول العربية، أو دول المواجهة.. ولقد اعترض من اتصل بي منهم بعد إعلان القرار. لأن حالة الشك الكاملة وفقدان الثقة الكاملة - بين الدول العربية والشعب الفلسطيني من جهة وبين إسرائيل من جهة أخرى - لا تزال قائمة في كل النفوس، ويكفي أن أشهرًا طويلة -

كان يمكن أن يحل فيها السلام - قد ضاعت سدى في خلافات ومناقشات لا طائل منها حول إجراءات عقد مؤتمر جنيف، وكلها تعبر عن الشك الكامل، وفقدان الثقة الكاملة.

ولكنني - أصارحكم القول بكل الصدق - اتخذت هذا القرار بعد تفكير طويل، وأنا أعلم أنه مخاطرة كبيرة، لأنه إذا كان الله قد كتب لي قدري أن أتولى المسؤولية عن شعب مصر، وأن أشارك في مسؤولية المصير بالنسبة للشعب العربي وشعب فلسطين، فإن أول واجبات هذه المسؤولية أن أستنفد كل السبل لكي أجنب شعبي المصري، وكل الشعب العربي، ويلات حروب أخرى محطمة مدمرة، لا يعلم مداها إلا الله.

وقد اقتنعت بعد تفكير طويل أن أمانة المسؤولية - أمام الله وأمام الشعب - تفرض عليّ أن أذهب إلى آخر مكان في العالم.. بل أن أحضر إلى بيت المقدس، لأخاطب أعضاء الكنيست ممثلي شعب إسرائيل بكل الحقائق التي تعتمل في نفسي، وأترككم بعد ذلك لكي تقرروا لأنفسكم، وليفعل الله بنا بعد ذلك ما يشاء.

أيها السيدات والسادة:

إن في حياة الأمم والشعوب لحظات يتعين فيها على هؤلاء الذين يتصفون بالحكمة والرؤية الثاقبة أن ينظروا إلى ما وراء الماضي بتعقيداته ورواسبه من أجل انطلاقة جسورة نحو آفاق جديدة.

وهؤلاء - الذين يتحملون مثلنا تلك المسؤولية الملقاة على عاتقنا - هم أول من يجب أن تتوافر لديهم الشجاعة لاتخاذ القرارات المصيرية التي تتناسب مع جلال الموقف، ويجب أن نرتفع جميعًا فوق جميع صور التعصب، وفوق خداع النفس، وفوق نظريات التفوق البالية، فمن المهم ألا ننسى أبدًا أن العصمة لله وحده.

وإذا قلت: إنني أريد أن أجنب كل الشعب العربي ويلات حروب جديدة مفجعة، فإنني أعلن أمامكم، بكل الصدق، أنني أحمل نفس المشاعر، وأحمل نفس المسؤولية، لكل إنسان في العالم، وبالتأكيد نحو الشعب الإسرائيلي.

إن الروح التي تزهق في الحرب هي روح إنسان، سواء كان عربيًا أو إسرائيليًا.

إن الزوجة التي تترمل.. هي إنسانة من حقها أن تعيش في أسرة سعيدة، سواء كانت عربية أو إسرائيلية.

إن الأطفال الأبرياء الذيــن يفقدون رعاية الآباء وعطفهم هــم أطفالنا جميعًا، على أرض العرب أو في إسرائيل، لهم علينا المسؤولية الكبرى في أن نوفر لهم الحاضر الهانئ والغد الجميل.

مــن أجل كل هــذا، ومن أجل أن نحمي حيــاة أبنائنا وإخواننا جميعًا. مــن أجل أن تنتج مجتمعاتنا وهي آمنة مطمئنة، من أجل تطور الإنسان وإسعاده وإعطائه حقه في الحياة الكريمة.. من أجل مسؤوليتنا أمام الأجيال المقبلة.. من أجل بسمة كل طفل يولد على أرضنا.. من أجل كل هذا - اتخذت قراري أن أحضر إليكم - رغم كل المحاذير - لكي أقول كلمتي.

ولقد تحملت وأتحمل متطلبات المسؤولية التاريخية.

ومن أجل ذلك أعلنت من قبل، ومنذ أعوام، وبالتحديد في ٤ فبراير ١٩٧١، أنني مستعد لتوقيع اتفاق سلام مع إسرائيل، وكان هذا هو أول إعلان يصدر من مسؤول عربي منذ أن بدأ الصراع العربي الإسرائيلي.

وبكل هذه الدوافع، التي تفرضها مســؤولية القيادة، أعلنت في الســادس عشر من أكتوبر ١٩٧٣، وأمام مجلس الشعب المصري، الدعوة إلى مؤتمر دولي يتقرر فيه السلام العادل الدائم. ولم أكن في ذلك الوقت في وضع من يستجدي السلام، أو يطلب وقف النار.

وبهذه الدوافع كلها، التي يلزم بها الواجب التاريخي والقيادي، وقعنا اتفاق فك الاشــتباك الأول، ثم اتفاق فك الاشــتباك الثاني في ســيناء، ثم ســعينا نطرق الأبواب المفتوحة والمغلقة لإيجاد طريق معين نحو سلام دائم عادل، وفتحنا قلوبنا لشعوب العالم كله لكي تتفهم دوافعنا وأهدافنا، ولكي تقتنع فعلاً إننا دعاة عدل وصناع سلام.

وبهذه الدوافع كلها، قررت أن أحـضر إليكم بعقل مفتوح، وقلب مفتوح، وإرادة واعية؛ لكي نقيم السلام الدائم القائم على العدل.

وشاءت المقادير أن تجيء رحلتي إليكم؛ رحلة السلام، في يوم العيد الإسلامي الكبير؛ عيد الأضحى المبارك، عيد التضحية والفداء، حين أسلم إبراهيم عليه السلام، جد العرب واليهود، أقول حين أمره الله، وتوجه إليه بكل جوارحه، لا عن ضعف بل عن قوة روحية هائلة، وعن اختيار حر للتضحية بفلذة كبده، بدافع من إيمانه الراسخ الذي لا يتزعزع، وبمثل عليا تعطي الحياة مغزى عميقًا.

ولعل هذه المصادفة تحمل معنى جديدًا في نفوسنا جميعًا، لعله يصبح أملاً حقيقيًّا في تباشير الأمن والأمان والسلام.

أيها السيدات والسادة..

دعونا نتصارح بالكلمة المستقيمة، والفكرة الواضحة التي لا تحمل أي التواء، ودعونا نتصارح اليوم، والعالم كله بغربه وشرقه يتابع هذه اللحظات الفريدة، التي يمكن أن تكون نقطة تحول جذري في مسار التاريخ في هذه المنطقة من العالم، إن لم يكن في العالم كله.

دعونا نتصارح ونحن نجيب على السؤال الكبير: كيف يمكن أن نحقق السلام الدائم العادل؟

لقد جئت إليكم أحمل جوابي الواضح الصريح على هذا السؤال الكبير، لكي يسمعه الشعب في إسرائيل، ولكي يسمعه العالم أجمع، ولكي يسمعه أيضًا كل أولئك الذين تصل أصوات دعوات أصواتهم المخلصة إلى أذني، أملاً في أن تتحقق في النهاية النتائج التي ترجوها الملايين من هذا الاجتماع التاريخي.

وقبل أن أعلن لكم جوابي، أرجو أن أؤكد لكم، أنني أعتمد في هذا الجواب الواضح الصريح، على عدة حقائق لا مهرب لأحد من الاعتراف بها:

- الحقيقة الأولى: أنه لا سعادة لأحد على حساب شقاء الآخرين.
- الحقيقة الثانية: أنني لم أتحدث ولن أتحدث بلغتين، ولم أتعامل ولن أتعامل بسياستين، ولست ألتقي بأحد إلا بلغة واحدة، وسياسة واحدة، ووجه واحد.
- الحقيقة الثالثة: أن المواجهة المباشرة، وأن الخط المستقيم، هما أقرب الطرق وأنجحها للوصول إلى الهدف الواضح.
- الحقيقة الرابعة: أن دعوة السلام الدائم العادل، المبني على احترام قرارات الأمم المتحدة، أصبحت اليوم دعوة العالم كله، وأصبحت تعبيرًا واضحًا عن إرادة المجتمع الدولي، سواء في العواصم الرسمية التي تصنع السياسة والقرار، أو على مستوى الرأي العام العالمي الشعبي، ذلك الرأي العام الذي يؤثر في صنع السياسة واتخاذ القرار.
- الحقيقة الخامسة: ولعلها أبرز الحقائق وأوضحها، أن الأمة العربية لا تتحرك في سعيها من أجل السلام الدائم العادل من موقع ضعف أو اهتزاز، بل إنها على العكس تمامًا، تملك من مقومات القوة والاستقرار ما يجعل كلمتها نابعة من إرادة صادقة نحو السلام، صادرة عن إدراك حضاري بأنه لكي نتجنب كارثة محققة، علينا وعليكم وعلى العالم كله، فإنه لا بديل عن قرار سلام دائم وعادل، لا تزعزعه الأنواء ولا تعبث به الشكوك، ولا يهزه سوء المقاصد أو التواء النوايا.

من واقع هذه الحقائق، التي أردت أن أضعكم في صورتها كما أراها، أرجو أيضًا أن أحذركم بكل الصدق، أحذركم من بعض الخواطر التي يمكن أن تطرأ على أذهانكم.

إن واجب المصارحة يقتضي أن أقول لكم ما يلي:

أولاً: أنني لم أجئ إليكم لكي أعقد اتفاقًا منفردًا بين مصر وإسرائيل، ليس هذا واردًا في سياسة مصر، فليست المشكلة هي مصر وإسرائيل، وأي سلام منفرد بين مصر وإسرائيل أو بين أية دولة من دول المواجهة وإسرائيل، فإنه لن يقيم السلام الدائم العادل في المنطقة كلها. بل أكثر من ذلك، فإنه حتى لو تحقق السلام بين دول المواجهة كلها وإسرائيل، بغير حل عادل للمشكلة الفلسطينية، فإن ذلك لن يحقق أبدًا السلام الدائم الذي يلح العالم كله اليوم عليه.

ثانيًا: أنني لم أجئ إليكم لكي أسعى إلى سلام جزئي، بمعنى أن ننهي حالة الحرب في هذه المرحلة، ثم نرجئ المشكلة برمتها إلى مرحلة تالية، فليس هذا هو الحل الجذري الذي يصل بنا إلى السلام الدائم.

ويرتبط بهذا أنني لم أجئ إليكم لكل نتفق على فض اشتباك ثالث في سيناء، أو في سيناء والجولان والضفة الغربية، فإن هذا يعني أننا نؤجل فقط اشتعال الفتيل إلى أي وقت مقبل.

بل هو يعني، أننا نفتقد شجاعة مواجهة السلام، وأننا أضعف من أن نتحمل أعباء ومسؤوليات السلام الدائم العادل.

لقد جئت إليكم لكي نبني معًا السلام الدائم العادل، حتى لا تراق نقطة دم واحدة من جسد عربي أو إسرائيلي.

ومن أجل هذا، أعلنت أنني مستعد أن أذهب إلى آخر العالم، وهنا أعود إلى الإجابة على السؤال الكبير: كيف نحقق السلام الدائم العادل؟

في رأيي.. وأعلنها من هذا المنبر للعالم كله، أن الإجابة ليست مستحيلة ولا هي بالعسيرة، على الرغم من مرور أعوام طويلة من ثأر الدم، والأحقاد والكراهية، وتنشئة أجيال على القطيعة الكاملة والعداء المستحكم.

الإجابة ليست عسيرة ولا هي مستحيلة إذا طرقنا سبيل الخط المستقيم بكل الصدق والإيمان.

أنتم تريدون العيش معنا في هذه المنطقة من العالم.

وأنا أقول لكم بكل الإخلاص: إننا نرحب بكم بيننا.. بكل الأمن والأمان.

إن هذا في حد ذاته يشكل نقطة تحول هائلة، من علامات تحول تاريخي حاسم.

لقد كنا نرفضكم، وكانت لنا أسبابنا ودعوانا..

نعم..

لقد كنا نرفض الاجتماع بكم.. في أي مكان..

نعم..

لقد كنا نصفكم بإسرائيل المزعومة..

نعم..

لقد كانت تجمعنا المؤتمرات أو المنظمات الدولية، وكان ممثلونا، ولا يزالون، لا يتبادلون التحية والسلام.

نعم..

حدث هذا.. ولا يزال يحدث.

لقد كنا نشترط لأي مباحثات وسيطًا يلتقي بكل طرف على انفراد.

نعم..

هكذا تمت مباحثات فض الاشتباك الأول، وهكذا أيضًا تمت مباحثات فض الاشتباك الثاني.

كما أن ممثلينا التقوا في مؤتمر جنيف الأول دون تبادل كلمة مباشرة.

نعم..

هذا حدث.

ولكنني أقول لكم اليوم.. وأعلن للعالم كله.. أننا نقبل بالعيش معكم في سلام دائم وعادل، ولا نريد أن تحيطونا بالصواريخ المستعدة للتدمير، أو بقذائف الأحقاد والكراهية.

ولقد أعلنت أكثر من مرة، أن إسرائيل أصبحت حقيقة واقعة، اعترف بها العالم، وحملت القوتان الأعظم مسؤولية أمنها وحماية وجودها.

ولما كنا نريد السلام فعلاً وحقًا، فإننا نرحب بأن تعيشوا بيننا في أمن وسلام، فعلاً وحقًا.

لقد كان بيننا وبينكم جدار ضخم مرتفع، حاولتم أن تبنوه على مدى ربع قرن من الزمان، ولكنه تحطم في عام ١٩٧٣.

كان جدارًا من الحرب النفسية المستمرة في التهابها وتصاعدها.

كان جدارًا من التخويف بالقوة القادرة على اكتساح الأمة العربية من أقصاها إلى أقصاها.

كان جدارًا من الترويج بأننا أمة تحولت إلى جثة بلا حراك، بل إن منكم من قال: إنه حتى بعد مضي خمسين عامًا مقبلة، فلن تقوم للعرب قائمة من جديد.

كان جدارًا يهدد دائمًا بالذراع الطويل القادر على الوصول إلى أي موقع وإلى أي بعد.

كان جدارًا يحذرنا من الإبادة والفناء إذا نحن حاولنا أن نستخدم حقنا المشروع في تحرير أرضنا المحتلة.

علينا أن نعترف معًا، بأن هذا الجدار قد وقع وتحطم في عام ١٩٧٣، ولكن بقي جدار آخر.

هذا الجدار الآخر، يشكل حاجزًا نفسيًا معقدًا بيننا وبينكم، حاجزًا من الشكوك، حاجزًا من النفور، حاجزًا من خشية الخداع، حاجزًا من الأوهام حول أي تصرف أو فعل أو قرار، حاجزًا من التفسير الحذر الخاطئ لكل حدث أو حديث.

وهذا الحاجز النفسي هو الذي عبرت عنه، في تصريحات رسمية، بأنه يشكل سبعين في المائة من المشكلة.

وإنني أسألكم اليوم بزيارتي لكم: لماذا لا نمد أيادينا، بصدق وإيمان وإخلاص، لكي نحطم هذا الحاجز معًا؟

لماذا لا تتفق إرادتنا، بصدق وإيمان وإخلاص، لكي نزيل معًا كل شكوك الخوف والغدر والتواء المقاصد وإخفاء حقائق النوايا؟

لماذا لا نتصدى معًا بشجاعة الرجال، وبجسارة الأبطال الذين يهبون حياتهم لهدف أسمى؟

لماذا لا نتصدى معًا بهذه الشجاعة والجسارة لكي نقيم صرحًا شامخًا للسلام، يحمي ولا يهدد.. يشع لأجيالنا القادمة أضواء الرسالة الإنسانية نحو البناء والتطور ورفعة الإنسان؟

لماذا نورث هذه الأجيال نتائج سفك الدماء، وإزهاق الأرواح، وتيتيم الأطفال، وترمل الزوجات، وهدم الأسر وأنين الضحايا؟

لماذا لا نؤمن بحكمة الخالق التي أوردها في أمثال سليمان الحكيم: «الغش في قلب الذين يفكرون في الشر، أما المبشرون بالسلام فلهم فرح»، «لقمة يابسة ومعها سلامة، خير من بيت مليء بالذبائح مع الخصام»؟!

لماذا لا نردد معًا من مزامير داود النبي:

«إليك يا رب أصرخ.. اسمع صوت تضرعي إذا استغثت بك، وأرفع يدي إلى محراب قدسك، لا تجذبني مع الأشرار ومع فعلة الإثم، المخاطبين أصحابهم بالسلام والشر في قلوبهم، أعطهم حسب فعلهم، وحسب شر أعمالهم، أطلب السلامة وأسعى وراءها»؟!

أيها السادة..

الحق أقول لكم: إن السلام لن يكون اسمًا على مسمى ما لم يكن قائمًا على العدالة وليس على احتلال أرض الغير.

ولا يسوغ أن تطلبوا لأنفسكم ما تنكرونه على غيركم، وبكل صراحة، وبالروح التي حدت بي إلى القدوم إليكم اليوم، فإني أقول لكم: إن عليكم أن تتخلوا نهائيًا عن أحلام الغزو، وأن تتخلوا أيضًا عن الاعتقاد بأن القوة هي خير وسيلة للتعامل مع العرب.

إن عليكم أن تستوعبوا جيدًا دروس المواجهة بيننا وبينكم، فلن يجديكم التوسع شيئًا، ولكي نتكلم بوضوح فإن أرضنا لا تقبل المساومة، وليست عرضة للجدل.

إن التراب الوطني والقومي يعتبر لدينا في منزلة الوادي المقدس طوى الذي كلّم فيه الله موسى عليه السلام.. ولا يملك أي منا، ولا يقبل، أن يتنازل عن شبر واحد منه، أو أن يقبل مبدأ الجدل والمساومة عليه.

والحق أقول لكم أيضًا: إن أمامنا اليوم الفرصة السانحة للسلام، وهي فرصة لا يمكن أن يجود بمثلها الزمان إذا كنا جادين حقًّا في النضال من أجل السلام.

وهي فرصة، لو أضعناها أو بددناها فلسوف تحل بالمتآمر عليها لعنة الإنسانية، ولعنة التاريخ.

ما هو السلام بالنسبة لإسرائيل؟

أن تعيش في المنطقة مع جيرانها العرب.. في أمن واطمئنان.

هذا منطق أقول له: نعم.

أن تعيش إسرائيل في حدودها، آمنة من أي عدوان.

هذا منطق أقول له: نعم.

أن تحصل إسرائيل على كل أنواع الضمانات التي تؤمن لها هاتين الحقيقتين.

هذا مطلب أقول له: نعم.

بل إننا نعلن أننا نقبل كل الضمانات الدولية التي تتصورونها وممن ترضونه أنتم.

نعلن أننا نقبل كل الضمانات التي تريدونها من القوتين الأعظم، أو من إحداهما، أو من الخمسة الكبار، أو من بعضهم.

وأعود فأعلن بكل الوضوح أننا قابلون بأي ضمانات ترضونها لأننا في المقابل سنأخذ نفس الضمانات.

خلاصة القول إذن عندما نسأل: ما هو السلام بالنسبة لإسرائيل؟

يكون الرد هو أن تعيش إسرائيل في حدودها مع جيرانها العرب في أمن وأمان، وفي إطار كل ما ترضيه من ضمانات يحصل عليها الطرف الآخر.

ولكن كيف يتحقق هذا؟

كيف يمكن أن نصل إلى هذه النتيجة لكي نصل بها إلى السلام الدائم العادل؟

هناك حقائق لا بد من مواجهتها بكل شجاعة ووضوح.

هناك أرض عربية احتلتها – ولا تزال تحتلها – إسرائيل بالقوة المسلحة، ونحن نصر على تحقيق الانسحاب الكامل منها بما فيها القدس العربية.. القدس التي حضرت إليها باعتبارها مدينة السلام، والتي كانت – وسوف تظل على الدوام – التجسيد الحي للتعايش بين المؤمنين بالديانات الثلاث.

وليس من المقبول أن يفكر أحد في الوضع الخاص لمدينة القدس في إطار الضم أو التوسع، وإنما يجب أن تكون مدينة حرة مفتوحة لجميع المؤمنين.

وأهم من كل هذا، فإن تلك المدينة يجب ألا تفصل عن هؤلاء الذين اختاروها مقرًّا ومقامًا لعدة قرون.

وبدلاً من أحقاد الحروب الصليبية، فإننا يجب أن نحيي روح عمر بن الخطاب وصلاح الدين.. أي روح التسامح واحترام الحقوق.

إن دور العبادة الإسلامية والمسيحية ليست مجرد أماكن لأداء الفرائض والشعائر، بل إنها تقوم شاهد صدق على وجودنا الذي لم ينقطع في هذا المكان سياسيًّا وروحيًّا وفكريًّا.

وهنا، فإنه يجب ألا يخطئ أحد تقرير الأهمية والإجلال اللذين نكنهما للقدس، نحن معشر المسيحيين والمسلمين.

ودعونا أقول لكم بلا أدنى تردد: إنني لم أجئ إليكم تحت هذه القبة لكي أتقدم برجاء أن تجلوا قواتكم من الأرض المحتلة.

إن الانسحاب الكامل من الأرض العربية المحتلة بعد ١٩٦٧ أمر بديهي لا نقبل فيه الجدل، ولا رجاء فيه لأحد أو من أحد.

ولا معنى لأي حديث عن السـلام الدائم العادل، ولا معنى لأي خطوة لضمان حياتنا معًا في هذه المنطقة من العالم في أمن وأمان، وأنتم تحتلون أرضًا عربية بالقوة المسـلحة، فليس هناك سلام يستقيم أو يبنى مع احتلال أرض الغير.

نعم..

هذه بديهية لا تقبـل الجدل والنقاش إذا خلصت النوايا، وصدق النضال لإقرار السـلام الدائم العادل لجيلنا، ولكل الأجيال من بعدنا.

أما بالنسبة للقضية الفلسطينية، فليس هناك من ينكر أنها جوهر المشكلة كلها، وليس هناك من يقبل اليوم في العالم كله شعارات رفعت هنا في إسرائيل تتجاهل وجود شعب فلسطين، بل وتتساءل: أين هو هذا الشعب؟

إن قضية شعب فلسطين وحقوق شعب فلسطين المشروعة لم تعد اليوم موضع تجاهل أو إنكار من أحد.

بل لا يحتمل عقل يفكر أن تكون موضع تجاهل أو إنكار.

إنها واقع استـقبله المجتمع الدولي، غربًا وشرقًا، بالتأييد والمسـاندة والاعتراف في مواثيق دولية وبيانات رسـمية، لن يجدي أحد أن يصم آذانه عن دويها المسموع ليل نهار أو أن يغمض عينه عن حقيقتها التاريخية، وحتى الولايات المتحدة الأمريكية، حليفكم الأول التي تحمل قمة الالتزام لحماية وجود إسرائيل وأمنها، والتـي قدمت - وتقدم إلى إسرائيل - كل عون معنوي ومادي وعسـكري.. أقول: حتى الولايات المتحدة اختـارت أن تواجه الحقيقة والواقع، وأن تعترف بأن للشـعب الفلسطيني حقوقًا مشروعة، وأن المشـكلة الفلسطينية هي قلب الصراع وجوهره، وطالما بقيت معلقة دون حل فإن النزاع سوف يتزايد ويتصاعد ليبلغ أبعادًا جديدة، وبكل الصدق أقول لكم: إن السلام لا يمكن أن يتحقق بغير الفلسطينيين، وإنه لخطأ جسيم - لا يعلم مداه أحد - أن نغض الطرف عن تلك القضية، أو أن ننحيها جانبًا.

ولن أستطرد في سرد أحداث الماضي منذ صدر وعد بلفور لستين عامًا خلت، فأنتم على بينة من الحقائق جيدًا.

وإذا كنتم قد وجدتم المبرر القانوني والأخلاقي لإقامة وطن قومي على أرض لم تكن كلها ملكًا لكم، فأولى بكم أن تتفهموا إصرار شعب فلسطين على إقامة دولته من جديد في وطنه.

وحين يطالب بعض الغلاة والمتطرفين أن يتخلى الفلسطينيون عن هذا الهدف الأسمى، فإن معناه في الواقع وحقيقة الأمر مطالبة لهم بالتخلي عن هويتهم، وعن كل أمل لهم في المستقبل.

إنني أحيي أصواتًا إسرائيلية طالبت بالاعتراف بحقوق الشعب الفلسطيني وصولاً إلى السلام، وضمانًا له.

ولذلك، فإنني أقول لكم أيها السيدات والسادة: إنه لا طائل من وراء عدم الاعتراف بالشعب الفلسطيني وحقوقه في إقامة دولته، وفي العودة.

لقد مررنا نحن العرب بهذه التجربة من قبل معكم، ومع حقيقة الوجود الإسرائيلي، وانتقل بنا الصراع من حرب إلى حرب، ومن ضحايا إلى مزيد من الضحايا حتى وصلنا اليوم - نحن وأنتم - إلى حافة هاوية رهيبة، وكارثة مروعة إذا نحن لم نغتنم اليوم معًا فرصة السلام الدائم العادل.

عليكم أن تواجهوا الواقع مواجهة شجاعة كما واجهته أنا.

ولا حل لمشكلة أبدًا بالهروب منها، أو التعالي عليها.

ولا يمكن أن يستقر سلام بمحاولة فرض أوضاع وهمية أدار لها العالم كله ظهره، وأعلن نداءه الإجماعي بوجوب احترام الحق والحقيقة.

ولا داعي للدخول في الحلقة المفرغة مع الحق الفلسطيني.

ولا جدوى من خلق العقبات إلا أن تتأخر مسيرة السلام، أو أن يقتل السلام.

وكما قلت لكم، فلا سعادة لأحد على حساب شقاء الآخرين، كما أن المواجهة المباشرة والخط المستقيم هما أقرب الطرق وأنجحها للوصول إلى الهدف الواضح.

والمواجهة المباشرة للمشكلة الفلسطينية، واللغة الواحدة لعلاجها نحو سلام دائم عادل، هي في أن تقوم دولتهم.

ومع كل الضمانات الدولية التي تطلبونها، فلا يجوز أن يكون هناك خوف من دولة وليدة تحتاج إلى معونة كل دول العالم لقيامها.

وعندما تدق أجراس السلام فلن توجد يد لتدق طبول الحرب، وإذا وجدت فلن يسمع لها صوت.

وتصوروا معي اتفاق سلام في جنيف، نزفه إلى العالم المتعطش إلى السلام.

اتفاق سلام يقوم على:

أولاً: إنهاء الاحتلال الإسرائيلي للأراضي العربية التي احتلت في عام ١٩٦٧.

ثانيًا: تحقيق الحقوق الأساسية للشعب الفلسطيني وحقه في تقرير المصير بما في ذلك حقه في إقامة دولته.

ثالثًا: حق كل دول المنطقة في العيش في سلام داخل حدودها الآمنة والمضمونة عن طريق إجراءات يتفق عليها الأمن المناسب للحدود الدولية، بالإضافة إلى الضمانات الدولية المناسبة.

رابعًا: تلتزم كل دول المنطقة بإدارة العلاقات فيما بينها طبقًا لأهداف مبادئ ميثاق الأمم المتحدة، وبصفة خاصة عدم الالتجاء إلى القوة، وحل الخلافات بينهم بالوسائل السلمية.

خامسًا: إنهاء حالة الحرب القائمة في المنطقة.

أيها السيدات والسادة..

إن السلام ليس توقيعًا على سطور مكتوبة، بل إنه كتابة جديدة للتاريخ.

إن السلام ليس مباراة في المناداة به للدفاع عن أية شهوات أو لستر أية أطماع؛ فالسلام في جوهره نضال جبار ضد كل الأطماع والشهوات.

ولعل تجارب التاريخ القديم والحديث تعلمنا جميعًا أن الصواريخ والبوارج والأسلحة النووية لا يمكن أن تقيم الأمن، ولكنها على العكس، تحطم كل ما يبنيه الأمن.

وعلينا..

من أجل شعوبنا..

من أجل حضارة صنعها الإنسان..

أن نحمي الإنسان في كل مكان من سلطان قوة السلاح.

علينا أن نعلي سلطان الإنسانية بكل قوة القيم والمبادئ التي تعلي مكانة الإنسان.

وإذا سمحتم لي، أن أتوجه بندائي من هذا المنبر إلى شعب إسرائيل.. فإنني أتوجه بالكلمة الصادقة الخالصة إلى كل رجل وامرأة وطفل في إسرائيل.

إنني أحمل إليكم من شعب مصر - الذي يبارك هذه الرسالة المقدسة من أجل السلام - أحمل إليكم رسالة السلام، رسالة شعب مصر الذي لا يعرف التعصب، والذي يعيش أبناؤه من مسلمين ومسيحيين ويهود بروح المودة والحب والتسامح.

هذه هي مصر، التي حملني شعبها أمانة الرسالة المقدسة.. رسالة الأمن والأمان والسلام.

فيا كل رجل وامرأة وطفل في إسرائيل.. شجعوا قيادتكم على نضال السلام..

ولتتجه الجهود إلى بناء صرح شامخ للسلام، بدلاً من بناء القلاع والمخابئ المحصنة بصواريخ الدمار.

قدموا للعالم كله صورة الإنسان الجديد في هذه المنطقة من العالم؛ لكي يكون قدوة لإنسان العصر.. إنسان السلام في كل موقع ومكان.

بشروا أبناءكم.. أن ما مضى هو آخر الحروب ونهاية الآلام، وأن ما هو قادم هو البداية الجديدة للحياة الجديدة.. حياة الحب والخير والحرية والسلام.

ويا أيتها الأم الثكلى..

ويا أيتها الزوجة المترملة..

ويا أيها الابن الذي فقد الأخ والأب..

يا كل ضحايا الحروب..

املئوا الأرض والفضاء، بتراتيل السلام..

املئوا الصدور والقلوب، بآمال السلام..

اجعلوا الأنشودة حقيقة تعيش وتثمر..

اجعلوا الأمل دستور عمل ونضال..

وإرادة الشعوب هي من إرادة الله..

أيها السيدات والسادة..

قبـل أن أصل إلى هذا المكان توجهت بكل نبضة في قلبي، وبكل خلجة في ضميري، إلى الله سبحانه وتعالى، وأنا أؤدي صلاة العيد في المسجد الأقصى، وأنا أزور كنيسة القيامة، توجهت إلى الله سبحانه وتعالى بالدعاء أن يلهمني القوة، وأن يؤكد يقين إيماني، بأن تحقق هذه الزيارة أهدافها التي أرجوها من أجل حاضر سعيد، ومستقبل أكثر سعادة.. لقد اخترت أن أخرج على كل السوابق والتقاليد التي عرفتها الدول المتحاربة، ورغم أن احتلال الأرض العربية ما زال قائماً، بل كان إعلاني عن استعدادي للحضور إلى إسرائيل مفاجأة كبرى، هزت كثيرًا من

المشاعر، وأذهلت كثيرًا من العقول، بل شككت في نواياها بعض الآراء - برغم كل ذلك فإنني استلهمت القرار بكل صفاء الإيمان وطهارته، وبكل التعبير الصادق عن إرادة شعبي ونواياه، واخترت هذا الطريق الصعب، بل إنه في نظر الكثيرين أصعب طريق.

اخترت أن أحضر إليكم.. بالقلب المفتوح والفكر المفتوح.

اخترت أن أعطي هذه الدفعة لكل الجهود العالمية المبذولة من أجل السلام.

اخترت أن أقدم لكم - وفي بيتكم - الحقائق المجردة عن الأغراض والأهواء.

لا لكي أناور..

ولا لكي أكسب جولة..

ولكن لكي نكسب معًا أخطر الجولات والمعارك في التاريخ المعاصر..

معركة السلام العادل والدائم.

إنها ليست معركتي فقط، ولا هي معركة القيادات فقط في إسرائيل، ولكنها معركة كل مواطن على أرضنا جميعًا، من حقه أن يعيش في سلام.

إنها التزام الضمير والمسؤولية في قلوب الملايين.

ولقد تساءل الكثيرون، عندما طرحت هذه المبادرة، عن تصوري لما يمكن إنجازه في هذه الزيارة، وتوقعاتي منها.

وكما أجبت السائلين، فإنني أعلن أمامكم أنني لم أفكر في القيام بهذه المبادرة من منطلق ما يمكن تحقيقه أثناء الزيارة، وإنما جئت هنا لكي أبلغ رسالة.

ألا هل بلغت.. اللهم فأشهد.

اللهم إنني أردد مع زكريا قوله: «أحبوا الحق والسلام».

واستلهم آيات الله العزيز الحكيم حين قال: ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾﴾ صدق الله العظيم.

والسلام عليكم».

خطبة

أنديـــرا غاندي

مناسبة الخطبة:

ألقت الخطبة التالية «أنديرا غاندي» زعيمة الهند سابقًا، وهي الشخصية التي لمعت كسياسية بارعة قادت الهند إلى الازدهار، وتسلمت رئاسة الوزارة في عام ١٩٦٦، وهي ثاني امرأة في العالم تنال منصب رئاسة الوزارة، والدها هو «جواهر لال نهرو» أشهر زعيم حكم الهند خلال تاريخه الحديث، وقد اغتيلت على يد أحد المتطرفين عام ١٩٨٤. تتحدث «أنديرا غاندي» في هذه الخطبة عن دور المرأة المتعلمة في المجتمع، وقد ألقتها في ٢٣ نوفمبر عام ١٩٧٤ في احتفال الكلية النسائية The Indraprastha College For Women باليوبيل الذهبي في نيودلهي.

نبذة عن حياة أنديرا غاندي:

كان ميلادها في ١٩ نوفمبر ١٩١٧، وهي سياسية هندية، شغلت منصب رئيس وزراء الهند لثلاث فترات متتالية، وكانت أول امرأة تصبح رئيسة للوزراء بالهند، وهي ابنة جواهر لال نهرو، الذي كان أيضًا رئيسًا للوزراء، ولا تربطها صلة قرابة بالمهاتما غاندي، الذي ساعد الهند في استقلالها. وهي من أشهر نساء القرن العشرين، ومن أهم الأسباب التي أدت إلى اغتيالها هو خلافها الشديد مع جماعة السيخ المشهورة، والموجودة بكثرة في مدينة أمريتسار المقدسة عند السيخ؛ حيث يوجد بها معبدهم.

وفي أحد أيام شهر أكتوبر، وبينما كانت خارجة من منزلها متجهة إلى مقر عملها سيرًا على الأقدام، تعرض لها ثلاثة من أفراد حرسها الخاص والمنتمين للسيخ، وأفرغوا رشاشاتهم في جسدها النحيل، فماتت في الحال، وقد تم الاغتيال في ٣١ أكتوبر من عام ١٩٨٤.

نص الخطبة:

«هناك مقولة سنسكريتية قديمة تقول بأن المرأة هي عصب المنزل، والمنزل هو أساس المجتمع، فإننا نبني بلدنا عن طريق قيامنا ببناء منازلنا، فإذا كان المنزل غير وافٍ - إما غير وافٍ بالاحتياجات والضروريات المادية، أو غير وافٍ بالمحيط الدافئ الحنون الذي يحتاجه كل طفل حتى ينمو ويتطور - فلن يتوافر التوافق والتناغم في أرجاء الدولة، ولا يمكن لأي دولة أن تنمو وتزدهر في أي مجال دون تحقُّق التوافق والتناغم بها.

لهذا السبب، يعد تعليم المرأة أكثر أهمية إلى حد ما من تعليم الصبية والرجال. وفي الواقع، نحن - ولست أقصد نحن الهنديين فقط ولكن العالم كله - قد أهملنا تعليم المرأة، فإن تعليم المرأة أمر حديث؛ بالطبع ليس بالنسبة لكم، ولكن عندما كنت طفلة كان شائعًا جدًّا التحدث عن الأيام الأولى لتعليم المرأة في إنجلترا، وقد تذكر كل منا ماذا حدث في تلك الأيام الأولى.

وإنني أتذكر ماذا كان يحدث في الهند في هذا الوقت، فإنني ما زلت أتذكر عندما كنت أعيش في مدينة دلهي القديمة، عندما كنت طفلة صغيرة عمري سبع أو ثماني سنوات، فقد كان علي أن أخرج في هودج إذا تركت المنزل، لأننا كنا لا نسير على أقدامنا، فلم يكن مسموحًا للسيدات بالسير في الشوارع، وكنا نرتدي أولاً ثوب الساري نغطي به رؤوسنا، ثم نرتدي شالاً نغطي به أيدينا وكل الجسم، ثم نرتدي شالاً أبيض نغطي به كل شيء مرة أخرى، بينما يصبح الوجه مكشوفًا لحسن الحظ. بعد ذلك، تركب المرأة في الهودج الذي يكون مغطى أيضًا بقماش، وكان هذا يحدث في العائلات أو المجتمعات التي لم تكن تتقيد بتغطية النساء لوجوههن، أو عدم خروجهن إطلاقًا من المنزل. في الحقيقة، كانت المناسبات الاجتماعية دائمًا مختلطة، ولكن كان هذا هو الجو العام في المدينة والريف.

والآن، أصبح لدينا تعليم وهناك جدل ثائر في جميع أرجاء الدولة عما إذا كان هذا التعليم يفي باحتياجات المجتمع، أو احتياجات شبابنا أم لا. إنني من هؤلاء الذين يؤمنون دائمًا أن التعليم يحتاج إلى إصلاح متكامل. ولكن في الوقت نفسه، إنني أعتقد أنه ليست كل جوانب التعليم بها قصور، وأنه حتى نظام التعليم الحالي قدم رجالاً ونساءً بارعين جدًّا، وخاصةً علماء وخبراء في مجالات مختلفة يسعى في طلبهم جميع دول العالم، وحتى الدول الأكثر ثراءً، وللأسف الشديد، يتركنا العديد من شبابنا ويسافرون للخارج لأنهم يحصلون على رواتب أعلى، علاوةً على أن ظروف العمل تكون أفضل.

ولكن هذا لا يحدث دائمًا نتيجة رغبة طرف واحد؛ فهناك العديد من الأشخاص البارعين في مجالهم يتم إقناعهم ومداهنتهم حتى يسافروا للخارج، حتى لو كانوا رافضين لذلك، فإننا نعلم عن الأفراد الحاصلين على أعلى الدرجات العلمية، وخاصة في الطب والطاقة النووية،

أنه يتم التقرب منهم حتى قبل إنهائهم لدراساتهم، ويتم تقديم جميع أنواع الإغراءات لهم حتى يسافروا.. يدل ذلك على أن هؤلاء الناس يعرفون جيدًا أن لدى هؤلاء الأفراد مستوًى جيدًا من المعلومات والقدرات التي ستكون مفيدة في أي مكان في العالم.

لهذا السبب أقول إن التعليم يستحق الاهتمام، وهذا يبين أيضًا أن فلسفتنا القديمة علمتنا أنه لا يوجد شيء في هذه الحياة سيئ تمامًا أو جيد تمامًا، فكل شيء يتكون إلى حد ما من خليط من الجيد والرديء، ويعتمد الأمر على قدرتنا على استخراج الجيد، وعلى استغلال كل ما حولنا بالشكل الأمثل. هناك بعض الأشخاص يستطيعون التعلم من كل شيء حولهم عن طريق الملاحظة، وهناك آخرون قد يحيطهم أشخاص ممتازون وكتب رائعة وأشياء أخرى مفيدة، ولكنهم يظلون منغلقين ويكونون غير قادرين على أن يستفيدوا من الثروة التي حولهم.

إن بلدنا غني جدًّا، فهو غني في الثقافة، وغني في العديد من تقاليده القديمة، وحتى التقاليد الحديثة. وبالطبع، توجد به أيضًا الكثير من السلبيات؛ فمن سلبيات مجتمعنا الخرافات التي نمت مع مرور السنوات، والتي تعمل في بعض الأحيان على حجب نور الفكر القديم والقيم الخالدة، ومن السلبيات الأخرى أيضًا الفقر المادي لأعداد كبيرة من شعبنا، فهذا شيء مزعج ويعوق نمو ملايين البنات والأولاد الصغار. إذن، علينا أن نتغلب على جميع هذه السلبيات، وهذا هو ما نحاول فعله منذ حصولنا على الاستقلال.

لكن، علينا ألا نسمح بالتركيز على هذا الجانب المظلم من الصورة والذي يوجد، بالمناسبة، في كل دولة في العالم، فحتى أكثر الدول الغنية في العالم لديها هذا الجانب المظلم، ولكن عادةً ما يكون هناك بعض الأشخاص في دول أخرى، يخفون هذا الجانب المظلم ويحاولون إظهار الجانب المضيء أو جانب الإنجازات. أما هنا في الهند، فيبدو أننا نريد أن نُظهر أسوأ جانب في المجتمع. قبل أن يفعل أي شخص أي شيء، عليه بالطبع أن يمتلك المعرفة والقدرة، وبجانب ذلك من الضروري أن يمتلك قدرًا معينًا من الفخر بما يفعله، فعليه أن يكون واثقًا بقدراته. فمثلاً، إذا أخبر أحد المعلمين طالبًا بأنه لن يستطيع فعل شيء معين، حتى لو كان هذا

الطالب ذكيًا جدًّا، فإنني أعتقد أنه سيجد في كل محاولة صعوبة أكثر لأداء هذا الشيء، ولكن إذا شجع المعلم الطالب قائلاً: «استمر فقد قمت بعمل رائع.. والآن، حاول باجتهاد أكبر»، فسوف يحاول أكثر وسوف يكون قادرًا على أداء العمل على الوجه الأمثل، وهذا هو الحال في المجتمعات والدول.

إن دولتنا الهند قد حققت الكثير من الإنجازات قديمًا، ولكن حتى في العصر الحديث، أعتقد أن هناك عددًا قليلاً من قصص النجاح الحديثة المدهشة؛ مثل قصة نجاح دولتنا. صحيح أننا لم نتخلص من الفقر، ولم نتخلص من العديد من السلبيات في مجتمعنا، ولكن إذا قارنتن بين وضع الهند الحالي ووضعها منذ ٢٧ عامًا، فإنني أظن أنكن لن تجدن أي دولة أخرى استطاعت تحقيق هذا القدر من الإنجازات في ظل أصعب الظروف.

إننا نمر في هذه الآونة بمرحلة عصيبة، ولكن تلك الأيام الصعبة لا تمر بها الهند فقط، فأي دولة أخرى تعاني من نوعية المشكلات الاقتصادية نفسها التي نعاني منها، فيما عدا تلك الدول التي تطلق على نفسها دولاً اشتراكية، والتي لا نعرف عنها الكثير، وهناك فقط القليل من الدول التي لا تعاني من البطالة، وذلك نظرًا لأن كثافتها السكانية قليلة، وإذا نظرنا إلى الدول الغنية؛ فسوف نجد أنها تعاني الآن أيضًا من البطالة، وهي تعاني من نقص في الاحتياجات الأساسية، وحتى في المواد الغذائية.

أنا لا أعرف كم منكن تعلم أن دول غرب أوربا واليابان تستورد ٤١٪ من احتياجاتها الغذائية، بينما تستورد الهند فقط أقل من ٢٪، لكننا نجعل الهند تظهر بصورة أنها تطلب تبرعات، وطبيعي عندما نقول ذلك بأنفسنا، فسوف يقوله آخرون بصوت أعلى وأقوى. بالفعل، إن نسبة ٢٪ تعتبر نسبة كبيرة بعض الشيء بالنسبة للهند؛ لأننا دولة كبيرة جدًّا، ولدينا كثافة سكانية أكبر من أي دولة أخرى تقريبًا، باستثناء دولة الصين، وبما أنكن نساء متعلمات تتميزن بوصولكن لمستوى عالٍ من التعليم، فعليكن النظر إلى مشاكلنا من منظور مقارنة ما يحدث هنا في الهند وما يحدث في جميع أنحاء العالم.

ينظر الناس بعين الإعجاب إلى أشـياء معينة حدثت في دول أخرى يتشـكل فيها المجتمع بطريقة مختلفة تمامًا، حيث لا يتم السـماح بأي معارضة. الأشـخاص أنفسـهم الذين يبدون إعجابهم بهذا النظام أو إنجازات هذا النظام هم الأشخاص الذين يقولون إنه توجد دكتاتورية في الهند، على الرغم من أنني أعتقد أنه لم يسـتطع أي شخص حتى الآن أن يبين لي: أي الدول لديها حرية في التعبير والتصرف أكثر من هنا؟ إذن، هناك شيء ما يقال ويظل الكثير من الناس دون تفكير يرددونه مع إضافة أشـياء أخرى، حتى يصل الأمر إلى تكوُّن صورة مشـوهة تمامًا عن دولتنا وشعبنا.

كما قلت، إن لدينا الكثير من السـلبيات؛ سـواء كانت فـي الحكومة أو في المجتمع. يرجع بعضها إلى تقاليدنا لأنها، كما ذكرت، ليسـت كلها جيدة. وأحد أكبر مسـؤوليات السـيدات المتعلمات اليـوم هو كيفية التوفيق بين ما هو ذو قيمـة وأزلي في تقاليدنا القديمة وما هو جيد وذو قيمة في الفكر الحديث. فليس كل الحديث جيد، وكذلك ليس كل القديم جيد تمامًا أو سيئ تمامًا. علينا أن نقرر ليس مرة واحدة فقط، ولكن تقريبًا كل أسبوع وكل شـهر ما هو الجديد الذي يفيد بلدنا، وما هو القديـم الذي يمكننا الحفاظ عليه وتعزيزه في مجتمعنا. يعتقد بعض الناس أن الحداثة تعني أسـلوبًا معينًا في ارتداء الملابس، أو أسلوبًا في التحدث، أو عادات وأعرافًـا معينة، ولكن ليس هذا بالفعل هو مفهـوم الحداثة، فهذا جزء سطحي جدًّا منها.

على سبيل المثال، عندما قمت بقص شعري، كان هذا بسبب نمط الحياة التي كنت أعيشها، فقد كنا جميعًا مشـتركين في حركة التغيير، فبكل بسـاطة، لا يمكن أن يكون شعر المرأة طويلاً وتذهب إلى العمل في القرى، فتضطر إلى غسله كل يوم. لذلك، عندما تعيشين حياتك بأسلوب معين، فيجب أن تتناسـب ملابسك وكل شيء خاص بك مع أسلوب حياتك هذا، وذلك إذا أردتِ أن تكوني متقنة. فإذا كان عليك أن تذهبي إلى القرى وتعملي بها ولكنك تشغلين نفسك بأن ملابسك قد تصبح غير نظيفة، فلن تكوني عاملة جيدة، فعليك أن تنسي كل شيء له علاقة بهذا الأمر، ولهذا السبب، تغيرت نوعية الملابس وما إلى ذلك بالتدريج في بعض الدول؛ بسبب

التغيرات في أسلوب الحياة. لذلك، علينا أن نسأل دائمًا: هل يناسب شيء ما أسلوب حياتنا، وما نريد أن نفعله أم لا؟ فإذا كان يناسبه، فقد نحتاج إلى القيام ببعض هذه الأشياء، ليس لمجرد أنه قد تم القيام بها في دولة أخرى ربما لغرض آخر. لكن، في الحقيقة، ليست نوعية الملابس التي نرتديها هي الأمر الضروري، فالمهم هو طريقة تفكيرنا.

في بعض الأحيان، أكون حزينة جدًّا عندما أجد أن هناك بعض العلماء لا يفكرون، ولا يتصرفون بطريقة علمية، ليس في أسلوب عملهم في المعامل، ولكن في أسلوب إدارة حياتهم أو في سلوكياتهم تجاه الأشخاص الآخرين. والآن، لكي تصبح الهند كيفما نريد بحيث يكون المجتمع حديثًا، ويقوم على ما هو جيد في تقاليدنا القديمة وفي أصولنا، علينا أن نكون شعبًا مفكرًا، وتكون الفتيات مفكرات لا يكتفين بقبول ما يأتي إلينا من أي مكان في العالم، ولكنهن عازمات على الاستماع والتحليل، وتقرير ما إذا كان ما يأتي إلينا يمكن قبوله أو رفضه تمامًا، وهذا هو نوع التعليم الذي نريده، والذي يمكِّن شبابنا من التكيف مع هذا العالم المتغير ومن أن يكونوا قادرين على المشاركة فيه.

يعتقد بعض الناس أنه فقط عن طريق العمل في وظائف مرموقة، فإن الشخص يؤدي عملاً ذا أهمية أو يقوم بخدمة وطنية؛ ولكننا جميعًا نعلم أن أكثر الآلات تعقيدًا لن تكون ذات فاعلية إذا كان هناك مسمار صغير غير مثبت كما ينبغي، فهذا المسمار الصغير ضروري جدًّا مثل الأجزاء الكبيرة في الآلة، وهذا هو الحال في الحياة الوطنية، فلا يوجد عمل ذو أهمية ضئيلة؛ ولا يوجد شخص ذو أهمية قليلة، فكلُّ شخص له عمله الذي يجب أن يؤديه، وإذا قام به على الوجه الأكمل، فسوف تسير دولتنا نحو التقدم.

هناك معتقد خاطئ كنا نؤمن به، وهو أن هناك بعض الوظائف القذرة. على سبيل المثال، يعتبر الكنس أحد هذه الوظائف، فهناك أشخاص معينون فقط هم الذين يؤدون هذه الأعمال، وآخرون لا يمكنهم ذلك. إننا الآن نجد أن السماد العضوي هو أكثر الأشياء ذات القيمة التي يمتلكها العالم اليوم، وهناك اضطرابات في العديد من اقتصاديات العالم؛ بسبب عدم وجود

سماد كافٍ، وليس فقط السماد الكيماوي ولكن أيضًا السماد العادي، والسماد البشري وما إلى ذلك من الأشياء التي تعد قذرة.

وهذا يوضح كيف يصبح العالم متوازنًا بشكل جميل، عندما يتناسب كل شيء مع شيء آخر، فكل شيء، سواء كان قذرًا أو ضئيلاً، له فائدة. وباستخدام العلم والتكنولوجيا، قمنا - ليس عن عمد - بإيجاد نوع من عدم التوازن، وهذا هو ما يسبب الخلل على نطاق واسع لاقتصاديات العالم، وكذلك للشعوب والأفراد. إنهم يشعرون أنه يتم إبعادهم من مجتمعاتهم، ليس في الهند فقط، ولكن تقريبًا في كل دولة في العالم، باستثناء الأماكن التي يكون فيها الغرض الوحيد للتعليم، والذي تسعى إليه الحكومة، هو أن تجعل الناس يذعنون لفكرة واحدة فقط. يخبرنا البعض أن الشعوب في هذه الأماكن سعداء جدًّا بما يفعلونه، أيًّا كان. فإذا طلب من شخص ما تنظيف الشوارع، فإذا كان أستاذًا جامعيًّا، فعليه أن ينظف الشوارع، وإذا كان عالمًا، فعليه أن يفعل ذلك، ويتم إخبارنا أنهم سعداء لفعل ذلك. حسنًا، فإذا كانوا سعداء، فهذا جيد.

لكنني لا أعتقد أننا هنا في الهند يمكن أن يصبح لدينا هذا النوع من المجتمعات؛ حيث يجبر الأفراد على القيام بأشياء، لأننا نعتقد أنه قد يتم إجبارهم ربما لمدة ٢٥ سنة، أو ربما ٥٠ سنة، ولكن في وقت ما سيحدث انفجار. في مجتمعنا نسمح بالكثير من الانفجارات البسيطة؛ لأننا نعتقد أن هذا سوف يحافظ على الاستقرار والتقدم الأساسي في المجتمع، ويمنع حدوث هذا النوع من الانفجار الفوضوي، الذي يمكن أن يؤخر تقدمنا وتناغمنا في الدولة.

لذلك، إنني أتمنى من كل فتاة منكن تتمتع بقدر عالٍ من التعليم أن تقوم ليس فقط بأداء العمل الخاص بها من أجل تحقيق المصالح القومية، ولكن أيضًا الإسهام في تحقيق السلام والتوافق في المجتمع، وكذلك تجميل حياة شعبنا ودولتنا. إنني أرى أن تلك هي المسؤولية الخاصة بنساء الهند. إننا نريد أن نفعل الكثير من أجل دولتنا، ولكننا لم نعتبر الهند أبدًا منعزلة عن بقية العالم، فإن ما نريد تحقيقه هو أن نجعل عالمنا أفضل. لذلك، علينا أن ننظر إلى مشكلات الهند من منظور مشكلات العالم الأكبر.

إنــه لمن دواعــي سروري أن أكونْ معكن هنــا، وإنني أقدم تهاني لهــؤلاء اللواتي تفوقن، وخالص أمنياتي للأخريات اللواتي ســوف يحاولن تحقيق الأفضل. إن لهذه الكلية سمعة جيدة ولكن علينا دائمًا أن نحافظ على تحقيق الأفضل أكثر ممن جئن قبلنا. لذلك، حظ سعيد وخالص أمنياتي لكُن بالتفوق».

خطبة مولوتوف

مناسبة الخطبة:

بعد عامين من توقيع اتفاقية عدم الاعتداء بين ألمانيا والاتحاد السوفيتي، قامت الأولى بشن هجوم غادر على الاتحاد السوفيتي، بحجة نقض الاتحاد السوفيتي للاتفاقية، فقام فياتشيسلاف ميخائيلوفيتش مولوتوف، أحد أبرز الساسة السوفيتيين ووزير الخارجية السوفيتي آنذاك، بإلقاء بيان في الإذاعة في ٢ يونية ع ام ١٩٤١ بتفويض من الرفيق ستالين، رئيس الحكومة السوفيتية، مفاده صد الهجوم الألماني.

نبذة عن حياة مولوتوف:

في ٩ مارس ١٨٩٠ كان ميلاد فياتشيسلاف ميخائيلوفيتش مولوتوف، وهو سياسي ودبلوماسي سوفيتي وأحد أبرز قيادي الحكومة السوفيتية، امتد نشاطه السياسي من بداية الثورة البلشفية حتى عام ١٩٥٧. عمل كذلك في السلك الدبلوماسي، كوزير خارجية وكان رئيسًا للحكومة السوفيتية منذ عام ١٩٣٧-١٩٤١؛ حيث استطاع أن تسيطر على الأوضاع الداخلية المتردية بقيامه بتعديل الدستور السوفيتي الذي سمي أخيرًا بتعديل مولوتوف، حيث وبموجب ذا التعديل تمتعت الجمهوريات المكونة للاتحاد السوفيتي بحق التمثيل الخارجي، وعقد المعاهدات الدولية وإرسال البعثات الدبلوماسية إلى الخارج والعضوية في المنظمات الدولية أيضًا، توفى مولوتوف عام ١٩٨٦.

نص الخطبة:

«لقد قامت الحكومة السوفيتية برئاسة الرفيق ستالين، بتفويضي لإلقاء البيان التالي:

إنه في الرابعة من صباح اليوم، هاجمت القوات الألمانية - دون تقديم أي دعاوى إلى الاتحاد السوفيتي أو إعلان حرب - دولتنا وحدودنا عند جهات كثيرة، وقامت طائراتها بقصف مدينة جيتومير وكييف وسيفاستوبول وكاوناس، وبعض المدن الأخرى؛ مما أسفر عن سقوط أكثر من مائتي شخص من القتلى والجرحى، كما بدأت أيضًا غارات العدو الجوية والقصف المدفعي الانطلاق من قواعد في رومانيا وفنلندا.

إن هذا الهجوم المفاجئ على دولتنا يتسم بالغدر وعدم التكافؤ في تاريخ الأمم المتحضرة، وقد تم ارتكاب هذا الهجوم على الرغم من اتفاقية عدم الاعتداء الموقعة بين اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية وألمانيا، والتي التزمت الحكومة السوفيتية بشروطها كافة التزامًا تامًا.

لقد ارتكب هذا الهجوم على الرغم من حقيقة أنه خلال فترة تفعيل الاتفاقية لم تستطع الحكومة الألمانية تبرير ولو اتهام واحد ضد اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية، فيما يتعلق بالالتزام بهذه الاتفاقية.

إن مسؤولية هذا الهجوم الغادر على الاتحاد السوفيتي تقع بشكل كامل وكلي على عاتق الحكام الفاشيين الألمان.

في الخامسة والنصف صباحًا، وبعدما وقع الهجوم بالفعل، قام فون دير سخولينبرج - السفير الألماني في موسكو - نيابة عن حكومته بإلقاء بيان عليَّ، بصفتي مفوض الشعب للشؤون الخارجية، مفاده أن الحكومة الألمانية قد قررت شن الحرب على اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية؛ بسبب حشد وحدات الجيش الأحمر بالقرب من الحدود الألمانية الشرقية.

وجاء ردي نيابة عن الحكومة السوفيتية بأنه حتى آخر لحظة لم تقم الحكومة الألمانية بتقديم أي دعاوى إلى الحكومة السوفيتية، وأن ألمانيا قد هاجمت اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية؛ على الرغم من كون الاتحاد السوفيتي في حالة سلم، وأنه بناء على ذلك، فإن الألمان الفاشيين هم الطرف المعتدي في هذا الشأن بلا أدنى شك.

كما يجب أن أؤكد أيضًا، بصفتي المتحدث الرسمي باسم حكومة الاتحاد السوفيتي، أن جيشنا وطائراتنا الحربية لم يرتكبا أي اعتداء على الحدود، من أية جهة، وأنه بناء على ذلك؛ فإن الإعلان الذي صدر صباح اليوم في محطات الإذاعة الرومانية، والذي يزعم أن الطائرات الحربية السوفيتية قد أطلقت النار على المطارات الرومانية باطل تمامًا، ويعد محاولة استفزازية، في سبيل تلفيق دليل إدانة بأثر رجعي ضد الاتحاد السوفيتي على عدم الالتزام - على حد زعمهم - بشروط الاتفاقية السوفيتية الألمانية.

أما الآن وبعد حدوث الهجوم ضد الاتحاد السوفيتي بالفعل، فقد أصدرت الحكومة السوفيتية أمرًا إلى جيشنا لصد الهجوم، ولطرد الجيش الألماني من وطننا.

لقد فُرضت الحرب علينا، ليس من قِبَل الشعب الألماني ولا العمال أو الفلاحين أو المفكرين الألمان الذين نفهم معاناتهم جيدًا، وإنما من قِبَل عصبة حكام ألمانيا الفاشيين الدمويين الذين

استعبدوا الأمة الفرنسية والتشـيكية والبولندية والصربية والنرويجية والبلجيكية والدانماركية والهولندية واليونانية، وغيرها من الأمم الأخرى.

تعبر حكومة الاتحاد السوفيتي عن إيمانها الراسخ، بأن جيشنا وأسطولنا اللذين يتسمان بقدر هائل من الشجاعة وقواتنا الجوية السوفيتية الجسورة، جميعهم سيؤدون بشرف واجباتهم نحو الوطن والشعب السوفيتي، وسيقومون بتوجيه ضربة قاصمة للعدو.

إن هذه ليسـت أول مرة تضطر فيها أمتنا لمواجهة هجوم عـدو متغطرس، ففي فترة غزو نابليون لروسيا، كان رد شعبنا هو الحرب للدفاع عن الوطن، وبالتالي هُزم نابليون ولقي حتفه.

وسيتكرر هذا السيناريو مع هتلر، الذي دفعته غطرسته إلى إعلان حملة جديدة ضد دولتنا، فسيقوم الجيش الأحمر وأمتنا بأكملها مجددًا بشن حرب ظافرة، من أجل وطننا ودولتنا وشرفنا وحريتنا.

تعبر حكومة الاتحاد السوفيتي عن إيمانها الراسخ بأن جميع سكان دولتنا، العمال والفلاحين والمفكرين وكل رجل وامرأة، سوف يلتفتون إلى أداء واجباتهم وأعمالهم بوعي كامل. يجب أن يصير سـكان الدولة بأكملها الآن متحدين ومترابطين بصورة لم تكن موجودة من قبل. يجب على كل منا – رجلاً كان أو امرأة – أن يطلب من نفسه، وأن نطلب من بعضنا البعض الانضباط والنظام والغيرية كصفات جديرة بالمواطن السـوفيتي الحقيقي، من أجل إمداد الجيش الأحمر والأسطول الأحمر والقوات الجوية بالوسائل اللازمة، لضمان النصر على العدو.

إن الحكومة تناشـدكم - مواطني الاتحاد السوفيتي - الاستمرار في مساندة الحزب البلشفي المجيد والحكومة ورفيقنا وقائدنا العظيم ستالين، عن كثب.

قضيتنا عادلة.. الهزيمة للعدو.. والنصر لنا».

خطبة
الإمبراطور هيروهيتو

مناسبة الخطبة:

أعلن الإمبراطور الياباني هيروهيتو استسلام بلاده في الحرب العالمية الثانية، والقبول بقرارات مؤتمر بوتسدام عبر خطاب مسجل، بُث في الإذاعة في ظهيرة يوم ١٥ أغسطس ١٩٤٥. جاء هذا الخطاب الذي أعلن فيه الإمبراطور الياباني هيروهيتو استسلام القوات المسلحة اليابانية للحلفاء، بعد الحدث الحاسم الذي أرغم اليابان على الاستسلام؛ ألا وهو قصف مدينتي هيروشيما وناجازاكي، في السادس والتاسع من شهر أغسطس لعام ١٩٤٥. لم يكن هذا الخطاب يمثل نهاية الحرب العالمية الثانية فحسب، بل مثل - أيضًا - نهاية النظرة المقدسة للإمبراطور الياباني، فقد كانت هذه هي المرة الأولى التي يسمع فيها اليابانيون صوت إمبراطورهم.

نبذة عن حياة الإمبراطور هيروهيتو:

ولد في ٢٩ إبريل ١٩٠١، وكان إمبراطور اليابان رقم ١٢٤ حسب ترتيب الخلافة اليابانية التقليدية، حكم ما بين ١٩٢٦ وحتى ١٩٨٩، بعد وفاته أصبح يعرف في اليابان باسم شووا، إلا أنه ما زال يشتهر باسمه هيروهيتو أو الإمبراطور هيروهيتو، كانت فترة حكمه (فترة شووا) أطول فترة في تاريخ اليابان، شهد المجتمع الياباني خلالها تغييرات مهمة.

في بداية فترة حكمه كانت اليابان بشكل بدائي، وأدى تحضر اليابان في الثلاثينيات إلى اشتراكها في الحرب العالمية الثانية، التي انتهت باستسلام اليابان وسقوطها تحت الاحتلال، تعاون الإمبراطور هيروهيتو مع قوات الاحتلال أثناء احتلال اليابان، وعاش ليرى اليابان تتحول إلى دولة حديثة، من أعظم القوى الاقتصادية في العالم.

تعرض الإمبراطور هيروهيتو في ٩ يناير ١٩٣٢ لمحاولة اغتيال بقنبلة يدوية في حادثة ساكورادامون على يد قومي كوري نجا منها، وكانت وفاته في٧ يناير ١٩٨٩.

نص الخطبة:

«إلى مواطنينا الصالحين والمخلصين، بعد التفكير العميق في أوضاع العالم من حولنا والظروف التي تتعرض لها إمبراطوريتنا اليوم، قررنا تفعيل تسوية للموقف الحالي من خلال اللجوء لإجراء استثنائي؛ لذلك طلبنا من حكومتنا إعلام حكومات الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا والصين والاتحاد السوفيتي بقبول اليابان لشروط إعلانهم المشترك (إعلان بوتسدام).

إن السعي من أجل تحقيق الرخاء العام والسعادة لجميع الدول - فضلاً عن أمن وسلامة مواطنينا - هو الالتزام الجليل الذي ورثناه عن أسلافنا الأباطرة، وهو الخيار الذي تطمئن إليه قلوبنا. في الحقيقة، لقد كان قيامنا بإعلان الحرب على الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا نابعًا من رغبتنا الصادقة، في ضمان الحفاظ على هوية اليابان، والحفاظ على استقرار دول شرق آسيا. أما التعدي على سيادة الدول الأخرى أو الشروع في التوسع الإقليمي، فقد كان بعيدًا كل البعد عن تفكيرنا. والآن، فقد استمرت الحرب لمدة أربع سنوات تقريبًا؛ وعلى الرغم من قيام الجميع بأفضل ما يمكنه القيام به؛ سواء على مستوى القتال الباسل من قبل قواتنا العسكرية والبحرية، أو كد واجتهاد مسؤولي الدولة أو الخدمات المخلصة المقدمة من قبل مائة مليون ياباني، فإن الحرب لم تعد الآن في مصلحة اليابان بالضرورة، في الوقت الذي صارت فيه الاتجاهات العامة في العالم، ضد مصالح البلاد من هذه الحرب.

علاوة على ذلك، فقد بدأ العدو في استخدام أكثر أسلحته قسوة؛ ألا وهي قنبلة جديدة لديها قدرة على التدمير تفوق الحصر، وتودي بحياة العديد والعديد من المواطنين الأبرياء. إن استمرارنا في القتال لن يؤدي إلى التدمير المطلق وطمس الأمة اليابانية فحسب، بل سيؤدي - أيضًا - إلى تلاشي الحضارة الإنسانية تمامًا. إذا ما كان هذا هو الوضع، فكيف لنا إنقاذ الملايين من مواطنينا والتكفير عمن قتلوا أمام الأرواح المبجلة لأسلافنا الأباطرة؟ هذا هو السبب الذي دفعنا لأن نطلب من الحكومة اليابانية إعلان قبول اليابان لشروط الإعلان المشترك لقوات الحلفاء.

لا يسعنا إلا أن نعرب عن عميق أسفنا لدول شرق آسيا الحليفة لنا، والتي تعاونت مع الإمبراطورية اليابانية بمنتهى الثبات لتحرير شرق آسيا. إن التفكير في هؤلاء الضباط والجنود الذين سقطوا في ميدان المعركة، والمواطنين الذين لقوا حتفهم في مواقعهم أثناء تأدية واجبهم والمواطنين الذين قتلوا، وفي عائلاتهم المكلومة يدمي قلوبنا ليلاً ونهارًا. إن رعاية ضحايا الحرب والجرحى والأشخاص الذين فقدوا منازلهم وأرزاقهم هو أكثر ما يهمنا الآن. **إن المعاناة والمصاعب التي ستواجهها أمتنا فيما بعد ستكون بالتأكيد عظيمة وصعبة.**

نحن ندرك تمامًا أعمق المشــاعر التي تنتاب مواطنينا، ومع ذلــك، فإنه وفقًا لما يمليه علينا الزمــان والقدر، اضطررنا إلى تحمل ما لا يمكن تحملــه وعانينا مما لا يطاق، وبعد أن تمكنا من إنقاذ هيكل الإمبراطورية اليابانية والحفاظ عليه، نؤكد لكم أننا دائمًا بجانبكم - أيها المواطنون الصالحــون والمخلصون - معتمدين عــلى إخلاصكم ونزاهتكم. انتبهــوا وتحكموا جيدًا في مشــاعركم؛ لأنها يمكن أن تحــدث تعقيدات لا داعي لها، أو نزاعــات وصراعات داخلية مما يســبب ارتباكًا، وبذلك تحيد بكم عن طريقكم وتتسبب في فقدانكم الثقة بالعالم من حولكم. دعوا الأمة اليابانية تستمر في التعايش كأسرة واحدة، من جيل إلى جيل ثابتة على إيمانها بخلود أرضها المقدســة، وواعية بعبء مســؤولياتها الثقيل والطريق الطويل الذي ينتظرها. كرسوا جهودكم الموحدة من أجل بناء المستقبل، قوموا بتنمية سبل للاستقامة والارتقاء بسمو الروح والعمل بعزم وتصميم، وذلك من أجل تعزيز المجد المتأصل في الإمبراطورية اليابانية، ومواكبة التقدم في العالم».

خطاب إعلان استسلام اليابان

هيروهيتو- إمبراطور اليابان

أغسطس ١٩٤٥

مكتبة
t.me/soramnqraa

خطبة
ريتشارد نيكسون

مناسبة الخطاب:

هذا هو خطاب الرئيس «ريتشارد نيكسون» الذي أدان فيه أمام الشعب الأمريكي تصرفات المتورطين في فضيحة «ووترجيت»، مطالبًا الشعب بالوثوق في النظام القضائي للبلاد، مع تعهده بإدخال الإصلاحات اللازمة عليه. كما أكد الرئيس الأمريكي في هذا الخطاب على قدسية مكتب الرئاسة، وعلى نواياه في الحفاظ على هذه الصفة له، وفي العمل على تعزيزها، وقد أذيع هذا الخطاب على الهواء مباشرة من المكتب البيضاوي بالبيت الأبيض بالعاصمة الأمريكية «واشنطن»، بتاريخ ٣٠ إبريل سنة ١٩٧٣.

نبذة عن حياة ريتشارد نيكسون:

اسمه ريتشارد ميلهوس نيكسون، كان ميلاده في ٩ يناير ١٩١٣، وهو رئيس الولايات المتحدة الأمريكية السابع والثلاثون في الفترة بين عامي ١٩٦٩ - ١٩٧٤، ونائب الرئيس الأمريكي السادس والثلاثون بين عامي ١٩٥٣ - ١٩٦١، وقد اضطر للتنحي في بداية فترة رئاسته الثانية؛ بسبب فضيحة ووترجيت؛ تحت وطأة تهديد الكونجرس بإدانته، كان زعيمًا للتيار العالمي (المضاد للتيار الانغلاقي)، داخل الحزب الجمهوري، وكانت وفاته في ٢٢ إبريل ١٩٩٤.

نص الخطاب:

«عمتم مساءً..

أود أن أتحدث الليلة إليكم من أعماق قلبي بشأن قضية لها بالغ الأهمية لكل أمريكي. في الأشهر القليلة الماضية، تم اتهام أعضاء من إدارتي وموظفين بلجنة إعادة انتخابي رئيسًا للبلاد، كان من بينهم عدد من الأصدقاء المقربين لي، وأكثر من أثق بهم من مساعديَّ - بالتورط في القضية التي أصبحت تعرف باسم «ووترجيت». لقد تضمنت التهم المنسوبة إليهم ممارستهم لأنشطة غير قانونية، قبل وأثناء حملة الانتخابات الرئاسية لعام ١٩٧٢، وهناك اتهامات تدين موظفين رفيعي المستوى بمشاركتهم في هذه الفضيحة، بالتستر على الأنشطة غير القانونية التي مورست بها.

مما لا شك فيه أن هذه الاتهامات أدت إلى ظهور موجة من الأسئلة الخطيرة، عن مدى نزاهة البيت الأبيض ذاته، وهي ما وددت الليلة تناولها بالعرض والرد عليها.

ففي يوم ١٧ يونية الماضي، وأثناء الأيام القليلة التي قضيتها بولاية «فلوريدا»، لتناول قسط من الراحة بعد عودتي من «موسكو» سمعت لأول مرة من النشرات الإخبارية عن حادثة «ووترجيت»؛ وقد انتابني ساعتها الرعب من التصرف الأحمق وغير القانوني الذي تسبب في ظهور هذه القضية، وصدمت عندما عرفت أنه من بين الجناة بهذه الحادثة موظفون تابعون للجنة إعادة انتخابي كرئيس للبلاد. أصدرت أمرًا فوريًا للسلطات الحكومية المختصة ببدء التحقيق في هذا الأمر، وفي ١٥ سبتمبر - لو تتذكرون - تم توجيه الاتهام لسبعة من المدعى عليهم بهذه القضية.

وعلى مدار مراحل سير التحقيقات بالقضية، كنت أسأل دومًا القائمين على إجراء هذه التحقيقات، عن وجود أي سبب يستدعي الاعتقاد في تورط أعضاء من إدارتي بهذه القضية بأي شكل من الأشكال، وكانت الإجابة التي دومًا أحصل عليها تؤكد عدم وجود أي رابط بين الأمرين؛ وبسبب هذه التأكيدات المتكررة، وبسبب تصديقي للتقارير التي كنت أتلقاها عن هذه القضية، وبسبب ثقتي التي أوليتها للأشخاص الذين كانوا يمدوني بهذه التقارير، تجاهلت القصص التي تناولتها الصحف بالذكر، والتي أظهرت تورط أعضاء من طاقم إدارتي أو غيرهم من الموظفين العاملين بحملة إعادة انتخابي رئيسًا للبلاد بهذه القضية.

لقد كنت حتى شهر مارس من هذا العام مقتنعًا بإنكار المتهمين لما أسند إليهم من تهم، وأن اتهام أعضاء من العاملين بالبيت الأبيض بهذه القضية أمر لا مجال له من الصحة. إن التعليقات الصادرة عني، أو عن سكرتيري الصحفي نيابة عني في هذه الفترة، كانت ترتكز على المعلومات المقدمة لي وقت إصداري لهذه التعليقات، ولكن أتتني معلومات جديدة أقنعتني باحتمالية صحة هذه التهم، بل وأشارت إلى أن هناك جهودًا تبذل من أجل إخفاء الحقائق المرتبطة بهذه القضية عني وعن عامة الشعب.

وعلى إثر معرفتي لهذه المعلومات أعلنت يوم ٢١ مارس عن تعهدي بتنسيق سلسلة مكثفة من التحقيقات الجديدة بهذه القضية، وأصدرت أمرًا للعاملين على إجراء هذه التحقيقات، بجمع كل الحقائق ذات الصلة بها، وتقديمها مباشرة وفورًا لي بهذا المكتب.

كما أمرت مجددًا جميع العاملين بالحكومة أو بلجنة إعادة انتخابي كرئيس للبلاد، بوجوب التعاون مع كل من مكتب التحقيقات الفيدرالية والمدعي العام وهيئة المحلفين الكبرى، كما أصدرت - أيضًا - قرارًا بأن أي شخص يرفض التعاون في الكشف عن الحقيقة قد يكون عرضة لمطالبته بتقديم استقالته من الخدمة الحكومية، ومع اتباع قواعد أساسية من شأنها الحفاظ على عنصر أساسي بالدستور؛ ألا وهو الفصل بين سلطتي الكونجرس والرئيس، أصدرت أوامري بوجوب مثول أعضاء من العاملين بالبيت الأبيض أمام لجنة مجلس الشيوخ التي تتولى أمر التحقيق في قضية «ووترجيت» وإدلائهم بالشهادة بمحض إرادتهم بعد حلفهم اليمين أمام هذه اللجنة.

لقد أصررت على اكتشاف حقيقة الأمر، وعلى الإعلان عنها بالكامل، مهما كانت الأطراف المتورطة في هذه القضية، وفي الوقت نفسه، عزمت على عدم اتخاذ إجراء مندفع وأن أتجنب، إذا مكنتني الظروف، أي إجراء قد ينعكس أثره على أشخاص أبرياء. **إنني أود أن أكون عادلاً في حكمي على الأمور، ولكني أعلم باختصار أن نزاهة هذا المكتب، وإيمان جمهور الشعب الأمريكي بنزاهته لا بد أن يأتيا فوق كل الاعتبارات الشخصية.**

إنني اليوم قد اتخذت واحدًا من أصعب القرارات الرئاسية، لقد قبلت استقالة اثنين من أقرب مساعديَّ بالبيت الأبيض هما «بوب هالدمان» و«جون أرليتشمان»، وهما اثنان من أفضل الموظفين الحكوميين الذين أسعدني الحظ بمعرفتهم. أود أن أؤكد أن قبولي لاستقالتهما، لا ينطوي بأي حال من الأحوال على توجيهي لأي اتهام لشخصهما، كما أن خطابي اليوم لا ينطوي على اتهامي لغيرهما من الأطراف المتهمة بالتورط في هذه القضية، ولكن في المواقف ذات الطبيعة الحساسة التي تتعلق بحماية نزاهة نظامنا الديمقراطي، لا يتعين الانتباه فحسب إلى المعايير الأخلاقية والقانونية الصارمة، ولكن ينبغي أيضًا الحرص على أن يشعر عامة الشعب -

أنتم أيها المواطنون - بالثقة الكاملة في أنهم محل رعاية أصحاب المناصب بالسلطة وعلى الأخص رئيس الولايات المتحدة الأمريكية. إن مساعديَّ يتفقان معي على أن هذا التحرك كان ضروريًا لاستعادة ثقة الشعب.

وعلى الرغم من كون النائب العام «كليندينست» واحدًا من الشخصيات المتميزة من العاملين بالحكومة، وأنه صديقي الشخصي منذ عشرين عامًا، وعلى الرغم من أنه غير متورط بشخصه في هذه القضية، فقد رأى كلانا أنه من اللازم تعيين نائب عام جديد للبلاد لا لسبب سوى أن «كليندينست» تربطه علاقة مهنية وشخصية بأحد المتورطين في هذه القضية. هذا وقد تقدم مستشاري «جون دين» باستقالته هو الآخر من منصبه.

لقد أصدرت أمرًا إلى النائب العام الجديد «إليوت ريتشاردسون»، وهو رجل عرف بنزاهته التي لا مجال للتشكيك فيها، وبما يؤمن به مبادئ سامية العلو، باتخاذ كل ما يلزم لضمان حصول وزارة العدل على ثقة وأمانة كل فرد ملتزم بالقانون في بلادنا.

لقد منحته تفويضًا مطلقًا لاتخاذ كل القرارات ذات الصلة والتأثير على سير التحقيق بقضية «ووترجيت»، وبالموضوعات المرتبطة بها. كما أصدرت له تعليمات بأنه في حال ما إذا ارتأى لزوم تعيين نائب عام مختص بالإشراف على المسائل الناشئة عن هذه القضية؛ فليقم بهذا الأمر.

بغض النظر عن الصورة التي ظهرت بها هذه القضية من قبل، وبغض النظر عن الأنشطة الخاطئة التي لم يتم الكشف عنها إلى الآن ذات الصلة بهذا الأمر الشائك برمته، فإنني أريد من الشعب الأمريكي أن يعرف بما لا يدع مجالاً للشك أنه طالما أنا رئيس للبلاد، فإنه سيتم المحافظة على سير العدالة بشكل تام، وبكل أمانة وحيادية مهما كانت شخصية المتورطين في أحداث هذه القضية، إن هذا المكتب لهو أمانة مقدسة، وأنا عازم على أن أكون أهلاً لحملها للنهاية، وعند استرجاع تاريخ الأحداث بهذه القضية، يظهر لنا سؤالان هما: كيف لهذا الأمر أن يقع ببلادنا؟ ومن الذي سنلقي باللوم عليه لوقوع هذا الأمر؟

لقد نجح المعلقون السياسيون في رؤية أنه على مدار سبع وعشرين سنة هي مشوار عملي بالسياسة، كنت دومًا أصر على إدارة حملات ترشحي للرئاسة بنفسي.

ولكن حملة عام ١٩٧٢ كانت لها ظروف غاية في الصعوبة، فعلى صعيد السياستين الداخلية والخارجية للبلاد، كان عام ١٩٧٢ عام اتخاذ القرارات متناهية الخطورة وإجراء العديد من المفاوضات، واتخاذ توجهات جديدة أساسية من شأنها العمل بشكل خاص على تحقيق الهدف؛ الذي طالما سيطر على جوهر اهتماماتي بمجال العمل السياسي، ذلك المتمثل في أن يعم السلام أمريكا، بل والعالم بأسره.

وبناءً عليه، اتخذت قرارًا عام ١٩٧٢، مع اقتراب حملة الدعاية الانتخابية لمنصب الرئاسة، بأن السعي نحو كسب هذا المنصب لا بد أن يأتي في المقام الأول، تليه المساعي التي أبذلها لتحقيق مكاسب بمجال السياسة. وتطبيقًا لهذا القرار، سعيت بكل ما أملكه من قوة إلى تفويض آخرين بالعمل على تنفيذ مهام حملة دعايتي الانتخابية، وإلى نقل القرارات التي أتخذها يومًا بيوم في هذا الشأن لخارج مكتب الرئاسة، بل لخارج البيت الأبيض كله. كما أنني، لو تتذكرون، وضعت قيودًا مشددة على ظهور الدعاية الانتخابية لي.

والآن، من الذي يمكن إلقاء اللوم عليه بهذه القضية؟ فيما يخص تصرفات جنائية بعينها تم اقترافها من قبل أشخاص معروفين فإنه يلزم، بل يتحتم عليهم أن يتحملوا مسؤولية ما اقترفوه وأن يعاقبوا عليه.

أما بالنسبة لحقيقة ادعاء ارتكاب تصرفات خاطئة داخل البيت الأبيض، أو بالمؤسسة المسؤولة عن إدارة حملتي الانتخابية، فإن أسهل طريق يمكنني أن أسلكه هو إلقاء اللوم على أولئك الذين فوضت إليهم مسؤولية إدارة الحملة، ولكن التصرف على هذه الشاكلة إنما يتصف بالجبن.

إنني لن أضع اللوم على مرؤوسيَّ، على أناس تملك منهم الحماس للدرجة التي أفقدتهم قدرة تقييم الأمور على نحو صائب، على أولئك الذين ارتكبوا الخطأ اعتقادًا منهم بأن ما يفعلوه هو عين الصواب.

في أية مؤسسة، يتعين على الرجل الأول بها أن يتحمل مسؤولية كل ما يجري فيها. وتطبيقًا لهذا المبدأ، فإن هذا المكتب هو مكان تحمل المسؤولية بمؤسسة الرئاسة، وأنا هو الشخص الذي عليه تحملها بالكامل، وإنني أتعهد إليكم هذه الليلة، ومن داخل هذا المكتب أنني سأبذل كل ما بوسعي لضمان تقديم المذنب للعدالة، ولتطهير سياستنا من المفاسد التي أظهرتها هذه القضية في السنوات المستقبلية الآتية، وترسيخ هذا التطهير؛ ليظل بعد سنوات طويلة من رحيلي عن هذا المكتب.

سيقول بعض الذين أفزعتهم المفاسد التي أظهرتها قضية «ووترجيت» إن هذه القضية إنما هي تعبير صريح عن مرحلة الإفلاس؛ التي وصل إليها النظام السياسي الأمريكي، ولكنني مقتنع تمام الاقتناع أن العكس هو الصحيح. لقد تم عرض قضية «ووترجيت» على أنها سلسلة من التصرفات غير القانونية والأحكام السيئة المرتكبة من قبل عدة أفراد. إن هذا النظام السياسي المتهم الآن هو ما قد كشف عن الحقائق المرتبطة بهذه القضية، وهو من سيقدم المذنبين بها إلى العدالة، فهو النظام الذي جعل بهذه القضية هيئة محلفين عازمة على تنفيذ العدالة ومدعين عموميين شرفاء وعين لها «جون سيريكا»؛ ذلك القاضي الشجاع، وأتاح الكتابة عنها في الصحافة الحرة والجريئة.

والآن، من الضروري أن نثق بهذا النظام، وعلى الأخص الشق القضائي به، كما أنه من الضروري أن نتيح للعملية القضائية فرصة التقدم للأمام، وأن نحترم القواعد التي تم إرساؤها لحماية البريء، وفي الوقت نفسه إدانة المذنب. من الضروري ألا نقع نحن أيضًا في خطأ تجاوز الحد المسموح به، فيما نتخذه من قرارات صادرة كردود أفعال، تجاه الأشخاص الذين تعدوا حدودهم.

كما أنه يتوجب علينا ألا نصاب بالتشتت الناتج عن استغراقنا في البحث في أحداث هذه القضية للدرجة التي تجعلنا نتجاهل الهدف الأساسي أمامنا وأمام هذه الأمة، فأمام أمريكا في هذا الوقت هدف غاية في الأهمية بالنسبة لها وللعالم كله.

منذ شهر مارس، ذلك التاريخ الذي عرفت فيه لأول مرة أن قضية «ووترجيت» قد تكون بالفعل أخطر مما قد صور لي البعض، أصبحت هذه القضية تشغل الكثير من وقتي، واسترعت جزءًا كبيرًا من اهتمامي وفكري.

وبغض النظر عما هو ظاهر الآن بهذه القضية، ومهما كانت الإجراءات التي ستتخذها هيئة المحلفين، ومهما كانت النتائج التي ستسفر عنها أي من المحاكمات، لا بد أن أعيد توجيه انتباهي الآن بالكامل، وسأقوم بذلك، إلى المهام الأكبر المرتبطة بهذا المكتب، إنني مدين بتحمل هذه المسؤولية أمام المنصب العظيم الذي أحمله، ومدين بها أمامكم، ومدين بها أمام بلادي.

إنني أعلم أن «إليوت ريتشاردسون» النائب العام سيتحلى بالعدل وبالجرأة أثناء عمله بهذه القضية، مهما كانت القرارات التي سيقوده إليها تحليه بهاتين الصفتين. إنني واثق من إقامة العدل طالما أنه المسؤول عن النظر في هذه القضية وإصدار الحكم بها.

هناك مهام أساسية لا بد من القيام بها من أجل تحقيق هدفنا في أن يعم السلام الدائم كل العالم، وهي مهام غير قابلة للتأجيل، ويتحتم علي القيام بهذا الدور بنفسي.

فعلى سبيل المثال، غدًا سيزور مستشار ألمانيا الغربية «براندت» البيت الأبيض لإجراء محادثات معي، تلك التي تعد من الأحداث الجوهرية في سنة ١٩٧٢، والتي عرفت باسم «السنة الأوربية». إننا بالفعل نجهز لاجتماع القمة الأمريكية السوفيتية الذي من المقرر عقده آخر هذا العام.

كما أننا نسعى هذا العام إلى التفاوض بشأن التخفيض المتبادل والمتوازن لانتشار القوات المسلحة في أوربا، الأمر الذي سيؤدي بدوره إلى تخفيض ميزانية وزارة الدفاع، ويسمح لنا بتخصيص مبالغ مالية لخدمة أهداف أخرى بالوطن، هو بحاجة ماسة إلى تحققها. إن هذا العام يشهد المفاوضات التي سيسعى فيها الطرفان الأمريكي والسوفيتي، لإجراء الجولة الثانية والأكثر أهمية في محادثات الحد من انتشار الأسلحة النووية، والتقليل من خطر الحرب النووية التي قد تدمر الحياة الحضارية بالصورة المتعارف عليها لدينا. إنه عام مواجهتنا للمهام الصعبة من أجل المحافظة على السلام في جنوب شرق آسيا وفي الشرق الأوسط الذي هو على شفا الانفجار.

هناك أيضًا دور أســاسي لا بد من القيام به الآن في أمريكا؛ لضــمان أن يعم الرخاء أرجاء البلاد، وهو توفير فرصة عمل كريمة لكل من يســعى لها من المواطنين الأمريكيين، والتحكم في نسب التضخم؛ ذلك الأمر الذي أعرف أنه يقلق كل ربة منزل، وكل مواطن أمريكي يحاول وضع ميزانية لعائلته، وتنفيذ طرق جديدة لضمان السير قدمًا نحو حياة أفضل لكل الأمريكيين.

عندما أفكر في المنصب الذي أحمله، وفيما تعنيه مسؤوليته، أجدني أفكر في كل الأشياء التي أود تحقيقها لهذه الأمة، في كل الأشياء التي أرغب في تحقيقها لكم أيها المواطنون.

وفي عشية عيد الميلاد، ووســط المحنة الشــخصية الرهيبة التي مررت بها؛ بسبب معاودة قصف شمال فيتنام، تلك التي ساعدت أمريكا بعد اثني عشر عامًا من الحرب على جلب السلام المشرف لها، جلســت قبل حلول منتصف هذه الليلة، وكتبت بعض الأهداف التي أطمح إلى تحقيقها في فترة رئاستي الثانية للبلاد، والتي منها ما سأقرؤه عليكم الآن:

- أن نمكن أبناءنا وأحفادنا من فرصة العيش في سلام.
- أن نجعــل هذه الدولة أكثر من مجرد أرض الفرص، الفرص المتســاوية، الفرص الكاملة لكل أمريكي.
- أن نوفر فرص عمل لكل القادرين عليه، وأن نقدم مساعدات كريمة لمن لا يستطيعون العمل.
- أن نــرسي دعائم مناخ تســوده مظاهر التحضر والأخلاق، مناخ يحترم فيه كل شــخص مشاعر وكرامة أخيه المواطن، وما منحه الرب من حقوق.
- أن نجعل من هذه الدولــة أرضًا يجرؤ كل فرد فيها على الحلم، وعلى تحقيق أحلامه بدافع الأمل وليس الخوف، وأن يشعر بالفخر بمجتمعه وبدولته وبما تعنيه أمريكا له وللعالم.

إنها أهداف عظيمــة، وأؤمن أنه بإمكاننا العمل على تحقيقها، بل يتحتم علينا العمل على ذلك الأمر، ولكن ليس بإمكاننا تحقيق هذه الأهداف إلا إذا وهبنا أنفسنا لتحقيق هدف واحد آخر. يتعين علينا المحافظة على نزاهة ســمعة البيت الأبيض، ولا بد أن تكون هذه النزاهة أمرًا

حقيقيًا وليس خياليًا. لا مجال لإعمال أسلوب التمويه في تعامل البيت الأبيض مع قضايا هذا الوطن والحقائق المرتبطة بها.

يتحتم علينا إصلاح العملية السياسية التي نتبعها، وتخليصها ليس فقط من الانتهاكات القانونية التي تتعرض لها، ولكن أيضًا من أعمال العنف الغوغائي القبيح، وغيرها من الأساليب غير المقبولة بالحملات الانتخابية التي مورست على مدار سنوات عديدة، وكانت مقبولة بشكل كبير في الماضي، بما في ذلك تلك الأساليب التي جاءت نتيجة لتجاوزات أحد الأطراف، أو التجاوزات المتوقعة في رد فعل الطرف المقابل. إن الخطأ الناتج عن التجاوزات الموجودة في طريقة تعامل هذين الطرفين مع بعضهما البعض لا يمكن أن تأتي في النهاية بأمر صحيح.

إنني أعمل بالحياة العامة منذ أكثر من ربع قرن، وأعرف أن السياسة مثلها مثل غيرها من مجالات الحياة المختلفة - بها أناس صالحون وآخرون سيئون، ودعوني أقول لكم إن الغالبية العظمى في المجال السياسي بالكونجرس، أو بالحكومة الفيدرالية، أو بحكومة الدولة هم أناس صالحون. أعلم أنه من السهل جدًا، تحت الضغوط الرهيبة التي تشهدها الحملات الانتخابية أن يقع حتى الأشخاص ذوو النوايا الحسنة، في شرك الأساليب التي تشوبها الشبهات، بل وتجدهم يستندون في تبرير وقوعهم في هذا الخطأ إلى أسباب منها أن أمورًا بمثل هذه الأهمية في حياة الشعوب، يتم تطبيق مبدأ الغاية تبرر الوسيلة عند التعامل معها، ونجد أن أعظم حزبين سياسيين ببلادنا قد وقعا في خطأ ممارسة مثل هذه الأساليب في الماضي.

ومع ذلك، نجد في السنوات الأخيرة أن التجاوزات التي شهدتها الحملات الانتخابية من كل الأطراف المشاركة في سباق الرئاسة قد أظهرت بوضوح إلى أي مدى قد يجرفنا إعمالنا لهذا المبدأ الخاطئ. إن الدرس واضح؛ يتعين على أمريكا ألا تنساق مرة أخرى في حملات الدعاية الانتخابية للرئاسة، إلى الوقوع في شرك الغاية تبرر الوسيلة مهما كان عظم الغاية المراد الوصول إليها.

إنني أطالب قائدي الحزبين السياسيين الأمريكيين، وأحث المواطنين جميعًا وفي كل مكان أن يتحدوا من أجل العمل على إرساء مجموعة من المعايير الجديدة، من القواعد وأساليب العمل

الجديدة التي تضمن أن الانتخابات المقبلة، ستكون خالية قدر المستطاع من هذه المفاسد. هذا هو هدفي، وأنا أناشدكم التعاون معي كي نجعله هدف أمريكا بأسرها.

عندما تم تنصيبي للمرة الثانية رئيسًا لأمريكا، في العشرين من يناير الماضي، أعطيت لكل عضو من أعضاء مجلس وزرائي، وكل عضو رفيع المستوى بطاقم عملي بالبيت الأبيض تقويمًا ذا شكل خاص يضم الأربع سنوات التي هي مدة فترة رئاستي للبلاد، ووضعت علامة على كل يوم من أيام هذا التقويم لأوضح لهؤلاء الأعضاء الأيام المتبقية على انتهاء فترة إدارتي للبلاد، وقد كتبت إهداء على كل منها يحمل الكلمات التالية:

إن فترة رئاستي التي تبدأ من اليوم تشتمل على ١٤٦١ يومًا لا أكثر ولا أقل، وكل يوم منها يمكنه إضافة قوة جديدة إلى أمريكا، والعمل على التجديد منها. إذا جاهدنا معًا وإذا صنعنا التحدي والفرص التي تهبها لنا هذه الأيام، فيمكن أن ينظر إليها على أنها الأفضل في حياة أمريكا، وعلى أنها أعظم اللحظات بتاريخ العالم.

لقد طالعت صباح اليوم نسختي من هذا التقويم أثناء كتابتي لهذه الخطبة، ووجدت أنه يوافق ذكرى معاهدة «كامب ديفيد»، كما عرفت أن عدد الأيام المتبقية بفترة رئاستي هو ١٣٦١ يومًا فحسب، وإني أود أن تكون هذه الأيام هي الأسعد بتاريخ أمريكا؛ لأنني أحب أمريكا. إنني أؤمن من أعماق قلبي أن أمريكا هي الأمل للعالم كله، وإنني أعلم أن في حسن وحكمة القادة الذين تنجبهم أمريكا يكمن الأمل الوحيد الذي يتعلق به ملايين الناس في كل أنحاء العالم، ألا وهو أن يعيشوا في سلام وحرية. لا بد أن نكون جديرين باستحقاق هذا الأمل بكل ما تنطوي عليه هذه الكلمة من معانٍ.

الليلة، أطلب منكم الصلاة من أجل مساعدتي في كل المهام التي أضطلع بمسؤولية تنفيذها على مدار أيام فترة رئاستي، وأن أكون جديرًا بتحقيق آمالكم وآمال العالم كله.

حفظ الرب أمريكا وحفظ كل فرد من أبناء شعبها».

خطبة هرتسوج

مناسبة الخطاب:

هذا هو خطاب السفير الإسرائيلي «هرتسوج»، الذي جاء كرد على القرار الصادر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة، في ١٠ نوفمبر عام ١٩٧٥، والذي بموجبه اعتبرت الحركة الصهيونية شكلاً من أشكال العنصرية.

نبذة عن حياة هرتسوج:

اسمه حاييم هرتسوج عمل كجنرال في جيش الدفاع الإسرائيلي، ومحام، وسياسي وكان الرئيس السادس لدولة إسرائيل. من مواليد أيرلندا عام ١٩١٨. حصل على شهادة الماجستير في الحقوق في بريطانيا، وقد كان من أفراد «الهاغانا»، في أحداث ١٩٣٦-١٩٣٩، وخدم في الجيش البريطاني في الحرب العالمية الثانية.

وقبيل انتهاء الحرب شغل منصب رئيس المخابرات البريطانية في شمالي ألمانيا، وفي عام ١٩٤٨ أدار قسم الأمن في الوكالة اليهودية، وبعد قيام الدولة شغل منصب ضابط العمليات في اللواء رقم ٧ في المعركة على اللطرون، وعمل بالمخابرات وكان ملحق جيش الدفاع الإسرائيلي في واشنطن، وبعد ذلك قائد لواء القدس وقائد لواء الجنوب.

شغل السيد هرتسوج وظيفة منصب المندوب الدائم لإسرائيل لدى الأمم المتحدة في السنوات ١٩٧٥-١٩٧٩، وعندما اتخذت الجمعية العمومية في نوفمبر عام ١٩٧٥ القرار رقم ٣٣٧٩، الذي ساوى بين الصهيونية بالعنصرية، وقف ومزق القرار إربًا إربًا. وقد تقدم باستقالته منها عام ١٩٨٣ عندما صار رئيسًا للدولة.

نص الخطاب:

«سيدي الرئيس، إن طرح هذه المناظرة، التي قد تثبت أنها نقطة تحول في مصير الأمم المتحدة، وعامل حاسم في الحكم على فرصة استمرار بقائها، في مثل هذا اليوم الموافق العاشر من شهر نوفمبر - لهو أمر ينطوي على دلالة رمزية. فمنذ سبع وثلاثين سنة، سجل التاريخ في هذا اليوم وقوع حادثة ليلة الكريستال، أو التي اشتهرت باسم ليلة الزجاج المكسور. يرجع تاريخ هذه الحادثة إلى عام ١٩٣٨، إلى تلك الليلة التي شنت فيها قوات «هتلر» النازي هجومًا عاصفًا ومنسقًا، ضد جماعات اليهود في ألمانيا، وأُحرق الكنيس اليهودي في كل المدن الألمانية، واستخدمت المشاعل لإضرام النار في الكتب المقدسة، وفي لفائف القانون المقدس وفي التوراة. لقد كانت تلك الليلة هي الشاهد على الهجمات التي تعرضت لها بيوت اليهود، وعلى أخذ كبراء عائلاتها منها، حيث لا رجعة لهم. لقد كانت الليلة التي شهدت فيها نوافذ كل الشركات والمحال اليهودية تهشيم زجاجها، للحد الذي اكتست به شوارع ألمانيا

عن آخرها بملايين القطع من الزجاج المكسـور، وهو السـبب الذي يرجع إليه تسميتها بليلة الكريسـتال. لقد كانت هذه الليلة هي التي دعت فعليًا إلى ظهور المحارق لجثث موتى اليهود وأفران الغاز للأحياء منهم، والدفع بغيرهم إلى العديد من معسكرات ومخيمات الاعتقال؛ مثل «أوشـفيتز» و«بيركيناو» و«داخاو» و«بوخنفالد» و«تيرزينشتات» وغيرها الكثير. لقد كانت الليلة التي أدت إلى واقعة «الهلوكوست» الرهيبة، تلك الواقعة الأبشع في تاريخ البشرية.

سـيدي الرئيس، إنها لفرصة مناسـبة حقًا أن يتم طرح هذه المناظرة في الذكرى السـنوية، لواقعة «الهولوكسـت»، هذه المناظرة التي تعبر عن الرغبة في الانحراف بالشرق الأوسط عن مسـاعيه نحو تحقيق السـلام، تلك الرغبة المتولدة عن عمق انتشار مشـاعر العداء للسامية.
سيدي الرئيس، إنه لمن العجيب أن تجد الأمم المتحدة التي بدأت حياتها كحليف معادٍ للنازية، نفسها، بعد ثلاثين سنة تسير على الدرب الذي يجعلها مركزًا لمعاداة السامية في العالم كله، فعلى مدار العام الماضي، شعر «هتلر» بأنه شخص محل ترحيب في كثير من المناسبات، وكذلك أثناء استـماعه إلى المفاوضات التي تجرى بهذا المنتدى الفكري، بل والأكثر من ذلك أثناء تعرفه على الإجراءات التي اتخذت بالمناظرة، التي شهدها هذا المنتدى بشأن الصهيونية.

إنه لمن الحكمة أن نفكر في مسـتوى الانحدار، الذي أصبحـت عليه هذه المنظمة، إذا كان لزامًـا علينا اليوم أن نفكر مليًا في هجمة من الهجمات التي يتم شـنها على الصهيونية. إن هذه الهجمة لا تعد مـن أشرس الهجمات المعادية للإسرائيليين فحسـب، ولكنها اغتيال لليهودية بمعقـل الأمم المتحدة، وهي واحدة مـن الديانات الأقدم بتاريخ العـالم، ديانة منحت العالم القيم الإنسـانية، التي جاء بها الكتاب المقدس، ديانة خرجـت منها ديانتان عظيمتان أخريان هما المسيحية والإسـلام. أليس مفجعًا أن نظل حتى اجتماع الأمم المتحدة لعام ١٩٧٥ نتناول بالفحـص والدرس الهجمة الحاقدة عـلى إحدى أعرق وأعظم الديانـات التي منحت العالم الكتـاب المقدس، وما يحويه مـن الوصايا العشر والنبوءات الجليلة، للنبي «موسـى» والنبي «إشعياء» والنبي «عاموس»، وغيرهم من المفكرين التاريخيين العظماء مثل «موسى بن ميمون» و«سبينوزا» و«ماركس» و«أينشـتاين»، وغيرهم من أصحاب المناصب العلمية، والعديد من

الفائزين بجائزة «نوبل» في العالم بمجالات العلوم والفنون والعلوم الإنسانية، مقارنة بما وصل إليه غيرهم من البشر على وجه الأرض؟

إن القرار الذي اتخذ ضد الصهيونية إنما يرجع أصله إلى القرار، الذي يدين العنصرية والتمييز على حسب اللون، وهو موضوع قد نصل فيه إلى قرار يحظى بالإجماع، ذلك الإجماع صاحب الأهمية القصوى، بالنسبة لنا ولزملائنا الأفارقة على الأخص. ولكن، بدلاً من السعي نحو تحقيق هذا الهدف، فإن مجموعة من الدول التي أسكرتها نشوة الشعور بالقوة، ذلك الشعور المتأصل في تمتعها الدائم بالأغلبية، والتي لا تأبه بسببه لأهمية تحقيق هذا الإجماع - قادت الأمم المتحدة للسير في اتجاه واحد، وللدخول في مناورة ماكرة باستخدام حقها كأغلبية، في حصر الحركة الصهيونية في القرار محل المناقشة الآن.

إنني لم أعتلِ هذه المنصة بهدف الدفاع عن القيم الأخلاقية والتاريخية للشعب اليهودي. إنه شعب لا حاجة له للدفاع عن نفسه، فهو يملك القدرة على التعبير عن نفسه. إنه شعب منح البشرية الكثير من الأمور العظيمة والخالدة. لقد قدم هذا الشعب لروح البشرية ما يحظى بالتقدير، أكثر مما يقدمه لها هذا الاجتماع لمنظمة الأمم المتحدة.

لقد جئت اليوم كي أشجب اثنين من أعظم الشرور؛ التي تهدد المجتمع بصفة عامة ومجتمع الأمم المتحدة على وجه الخصوص، إنهما الكره والجهل. إنهما القوة الدافعة وراء ظهور مقترحات بإصدار مثل هذا القرار، ووراء ظهور المؤيدين له. إن هذين الشرين هما ما يميزان الأطراف التي قد تنحدر بهذه المنظمة الدولية إلى القاع، وبالأفكار التي تم التوصل إليها لأول مرة بالعالم على يد أنبياء بني إسرائيل إلى الهوة التي انجرت إلى السقوط فيها اليوم.

يكمن مفتاح فهم كلمة صهيونية في اسمها. إن المنطقة الواقعة في أقصى الشرق لتلين من تلال القدس القديمة، كانت تسمى في القرن العاشر قبل الميلاد باسم صهيون. في الواقع، تشير كلمة صهيون إلى كلمة القدس، وقد ظهرت هذه الكلمة ١٥٢ مرة في العهد القديم. إن لهذا الاسم وقعًا شعريًّا ونبوئيًّا في الوقت نفسه. إن ما يحمله هذا الاسم من صفات دينية وعاطفية؛ إنما تنشأ عن أهمية مدينة القدس لكونها المدينة الملكية ومدينة المعبد. إن جبل صهيون هو المكان

الذي يسكن به الرب. إن القدس أو صهيون هو مكان الملك الذي هو الرب وهو المكان الذي نصب الرب عليه النبي «داود» ملكًا.

لقد جعل الملك «داود» من مدينة القدس عاصمة لإسرائيل، لما يقرب من ثلاثة آلاف سنة، ومن يومها ظلت القدس عاصمة لإسرائيل، وعلى مر القرون، تطور مفهوم كلمة «صهيون»، واتسـع ليشـمل كل إسرائيل. إن الإسرائيليين الموجودين في المنفى لن ينسـوا ما حيوا مدينة صهيون.

جلس الملك «داود» صاحب المزامير العبرية، بجانب مياه مدينة «بابل»، وأقسم على أنه إذا نسي القدس فلينسِـه الرب المهارة التي اكتسـبتها يده اليمنى بالعمل، وقد ظل اليهود يرددون هذا القسم لآلاف السنين في كل أنحاء العالم.

إنه قسم ظهر منذ ما يقرب من سبعة آلاف سنة قبل ظهور المسيحية، وقبل اثنتي عشرة سنة من ظهور الإسـلام، وأصبحت كلمة صهيون تعني أرض اليهـود، وأصبحت رمزًا لليهودية وللآمال القومية اليهودية.

إن اليهود في كل أنحاء العالم يتخذون من القدس قبلة لهم للصلاة، فعلى مدار أكثر من ألفي سنة من النفي، عبرت هذه الصلوات عن مدى تحرق الشعب اليهودي شوقًا للرجوع إلى وطنه القديم، إلى أرض إسرائيل. وفي الواقع، هناك تواجد مسـتمر، بأعـداد كبيرة أو صغيرة، من اليهود بإسرائيل على مر القرون.

إن الصهيونية هي الاسـم الذي أطلق على الحركة الوطنية للشعب اليهودي، وهي الاسم الحديث للتراث اليهودي القديم. إن نموذج الصهيونية، كما هو منزل في الكتاب المقدس، كان ولا يزال جزءًا مكملاً للدين اليهودي.

إن الحركة الصهيونية تعني في نظر الشـعب اليهودي ما تعنيه الحركات التحررية، لشعوب قارتي إفريقيا وآسيا.

إن الحركة الصهيونية تعد واحدة من أكثر الحركات القومية التي تتصف بالديناميكية والنشاط، على مدار التاريخ البشري. فمن الناحية التاريخية، يرجع أصل هذه الحركة إلى علاقة الاتصال الدائمة والمميزة والمستمرة لأكثر من أربعة آلاف سنة، بين أهل الكتاب وبين أرض الكتاب المقدس.

في العصور الحديثة وأواخر القرن التاسع عشر، وبسبب الاضطهاد الذي تعرضت له السامية والحركة الوطنية الإسرائيلية، عمل اليهود على تنظيم الحركة الصهيونية بهدف تحويل حلمهم إلى حقيقة. إن الصهيونية بكونها حركة سياسية جاءت للتمرد على القمع الذي يتعرض له الشعب اليهودي، للوقوف في وجه أعمال النهب والتمييز العنصري البغيض تجاههم، وفي وجه الاضطهاد الذي يشهده اليهود بالدول التي ترعرعت بها النزعة المعادية للسامية. إنه ليس من قبيل المصادفة أن يكون الرعاة والمؤيدون لقرار الأمم المتحدة، هم من الدول المدانة بممارستها لجرائم بشعة ضد السامية، ولسياسة التمييز العنصري حتى يومنا هذا.

وقد كتب التأييد لهدف الصهيونية في انتداب عصبة الأمم على فلسطين، وأقر مرة أخرى من جانب الأمم المتحدة في عام ١٩٤٧، عندما صوتت الجمعية العامة بأغلبية ساحقة، من أجل استعادة الاستقلال اليهودي في أرضنا القديمة.

إن إعادة التأسيس للوجود اليهودي المستقل في إسرائيل، بعد صراع امتد لعدة قرون، للقضاء على الغزو الأجنبي وعلى النفي من الوطن، يعد إثباتًا للمفاهيم الأساسية للمساواة بين الشعوب ولحق تقرير المصير. إن وضع قضية حق الشعب اليهودي في أن يكون له وجود وطني، وأن ينعم بالحرية محل السؤال - لا يعد فحسب إنكارًا لحق اليهود المكفول لغيرهم من جميع شعوب العالم، ولكنه أيضًا يعد إنكارًا للمبادئ الأساسية للأمم المتحدة.

وكما كتب وزير الخارجية الإسرائيلي السابق «أبا إيبان»:

(الصهيونية لا تعد أكثر، ولا أقل، من كونها تعبيرًا عن شعور الشعب اليهودي بأصله وبمصيره في الأرض التي هي مرتبطة للأبد باسمه، كما أنها الأداة التي يسعى الشعب

اليهودي من خلالها إلى تحقيق ذاته على نحو جدير بتصديقه. إن المشكلة تقع في الاثني عشر بلدًا التي تضم مائة مليون شخص تقريبًا، على مساحة أربعة ملايين ونصف ميل مربع، وتذخر بالعديد من الموارد. ومن ثم، فإنه يتضح أن القضية لا تكمن في موافقة دول العالم على شروط القومية العربية. ولكن السؤال هو ما النقطة التي ستوافق عندها القومية العربية بكل ما تتمتع به من مزايا وثروة وفرص، على القبول بحقوق أمة شرق أوسطية أقل منها، ولكن لها الحقوق نفسها في العيش في أمان وسلام؟).

إن النقد الساخر والضاري على الحركة الصهيونية الموجه من قبل الوفود العربية بهذا الاجتماع قد يعطي لهذه الجمعية العامة انطباعًا خاطئًا عن هذه الحركة، حيث إنه في الوقت الذي تدعم فيه بقية دول العالم بأسره حركة التحرير الوطنية اليهودية، فإن العرب سيتخذون دائمًا موقف العداء تجاه الصهيونية. وهذه ليست القضية. إن القادة العرب العالمين جيدًا بحقوق الشعب اليهودي، يصدقون بالكامل على فضائل الصهيونية. إن الشريف «حسين» قائد العرب أثناء الحرب العالمية الأولى رحب برجوع اليهود إلى فلسطين، كما قال نجله الأمير «فيصل»، ممثل العالم العربي في مؤتمر السلام في باريس عن الصهيونية:

(نحن العرب، خاصة المثقفين منا، نتعاطف من عميق قلوبنا مع الحركة الصهيونية... نحن نرحب بحرارة بعودة اليهود إلى وطنهم... نحن نعمل معًا من أجل إصلاح وتعديل الشرق الأدنى، وكل مهمة من هاتين المهمتين تكمل الأخرى. إنها حركة وطنية وليست إمبريالية، وهناك مساحة في سوريا لنا للعيش معًا. إنني متأكد من أن النجاح لن يكون حليفًا لطرف دون الآخر).

ربما يكون جديرًا بالذكر في هذه النقطة استرجاع الموقف الذي طرحت فيه قضية فلسطين على مائدة المفاوضات بالأمم المتحدة عام ١٩٤٧، عندها وقف الاتحاد السوفيتي بقوة بجانب الصراع اليهودي من أجل نيل الاستقلال. وإنه لمن المهم في هذا السياق تذكر جزء من ملاحظات «أندريه جروميكو» بهذا الشأن:

(كما نعلم جميعًا، إن آمال قدر لا بأس به من الشعب اليهودي معقودة على حل مشكلة فلسطين وإدارتها المستقبلية. إنها حقيقة لا تحتاج إلى برهان... أثناء الحرب الأخيرة، مر الشعب اليهودي بحالة من الحزن والأسف غير مسبوقة في التاريخ. وبدون أدنى مبالغة في الوصف، كانت حالة يستعصي وصفها، فمن الصعب وصفها بمجرد استخدام إحصائيات جامدة تبلغ عن عدد الضحايا بهذا الشعب؛ الذين فارقوا الحياة على أيدي المعتدين الفاشيين. تعرض اليهود في الأراضي الواقعة تحت حكم «هتلر» لشبه إبادة تامة لهم.

بلغ إجمالي عدد اليهود الذين لاقوا حتفهم على يد الجلادين النازيين ما يقرب من ستة ملايين شخص. لا يمكن ولا يتعين على الأمم المتحدة أن تنظر إلى هذا الموقف بعين التجاهل؛ حيث إنه لا يتناسب مع المبادئ العالية المعلن عنها في ميثاقها، الذي يكفل الدفاع عن حقوق الإنسان، بغض النظر عن العرق، أو الدين، أو الجنس.. الحقيقة هي أنه لا توجد دولة واحدة من دول أوربا الغربية تملك القدرة على ضمان الدفاع عن الحقوق الأساسية للشعب اليهودي، وحمايته من موجة العنف التي يواجهها على أيدي الجلادين الفاشيين، وتستطيع شرح آمال اليهود التي يتطلعون من خلالها إلى إقامة دولتهم. لن يكون من العدل ألا نضع هذه الاعتبارات في الحسبان، وأن ننكر على الشعب اليهودي حقه في تحقيق تطلعاته).

إنه لمن المحزن أن نرى هنا مجموعة من الدول التي نجح العديد منها أخيرًا في تحرير نفسه من الحكم الاستعماري، تهزأ بواحدة من أنبل الحركات التحريرية بهذا القرن، حركة لا تعد فحسب مثالاً للشجاعة وللتصميم بالنسبة للشعوب المناضلة، من أجل نيل استقلالها، ولكنها أيضًا لعبت دورًا نشيطًا بالعديد من هذه الدول أثناء فترة إعدادها لخوض حرب النضال من أجل الاستقلال، أو ساعدتها بعد تحقيقها لهذا الهدف مباشرة.

ستجد في الحركة الصهيونية تجسيدًا لروح الريادة الفريدة في نوعها، لكرامة العمل، وللقيم الإنسانية الباقية أبد الدهر. إنها حركة قدمت للعالم نموذجًا للمساواة الاجتماعية، وللديمقراطية الواسعة لمناقشة هذا القرار الذي يحمل مفاهيم سياسية بغيضة.

إننا في إسرائيل قد سعينا إلى تأسيس مجتمع يناضل من أجل إرساء أعلى المثل، سواء السياسية، أو الاجتماعية، أو الثقافية، لكل ساكني إسرائيل بغض النظر عن الجنس أو العرق أو المعتقد الديني.

لا يوجد بالعالم كله مجتمع مثل المجتمع المتعدد الموجود في إسرائيل، والذي على الرغم من كل المشاكل الصعبة التي يواجهها تجد فيه اليهود والعرب، يعيشون جنبًا إلى جنب في جو تسوده درجة عالية من التناغم والانسجام، والذي تصان فيه كرامة وحقوق الإنسان أمام القانون، ولا يتعرض فيه لعقوبة الإعدام، بل تكفل له حرية الرأي والحركة والفكر والتعبير، والذي يعرض برلمانه حتى الحركات المعادية لأهدافنا الوطنية كشعب يهودي.

إن المفوضين العرب يتحدثون عن العنصرية. ماذا حدث للـ ٨٠٠ ألف يهودي الذين عاشوا منذ أكثر من ألفي سنة في بلاد العرب، وكونوا جزءًا من أقدم المجتمعات بها قبل ظهور الإسلام بزمن طويل. أين هم هؤلاء اليهود الآن؟

كان اليهود في يوم ما من أهم المجتمعات في بلاد الشرق الأوسط، كانوا قادة الفكر والتجارة والعلوم الطبية. أين هم في المجتمع العربي اليوم؟ هل يجرؤ هؤلاء المفوضون على التحدث عن العنصرية، في الوقت الذي أشير فيه بكل فخر إلى وزراء عرب يخدمون في حكومة دولتي، إلى نائب المتحدث عن العرب في برلمان الدولة، إلى الضباط العرب والرجال الذين يخدمون بمحض إرادتهم في صفوفنا، وفي قوات الشرطة التابعة لنا، إلى الذين يقودون القوات اليهودية، إلى مئات الآلاف من العرب القادمين كل عام من جميع أنحاء الشرق الأوسط، يتزاحمون من أجل الدخول إلى المدن الإسرائيلية، إلى الآلاف من العرب الذين يأتون من جميع أنحاء الشرق الأوسط لتلقي العلاج بإسرائيل، إلى التعايش السلمي الواقع بين الطرفين، إلى حقيقة أن اللغة العربية تعد لغة رسمية في إسرائيل شأنها في ذلك شأن اللغة العبرية، إلى حقيقة أنه من الطبيعي أن يعمل العربي في أي من الأشغال العامة في إسرائيل، في حين أنه لا يتم القبول بفكرة خدمة اليهودي في أي من الأشغال العامة بأية دولة عربية، تلك التي تلقى قبولاً من العديد من الدول العربية. هل هذه عنصرية؟ بالطبع لا! إنها سيدي الرئيس، الصهيونية.

إن الصهيونيــة هي محاولة منا لبناء مجتمع، قد يكــون غير مثالي، بهدف تحقيق رؤى أنبياء بني إسرائيل في المستقبل. أعلم أن لدينا مشــكلات، وأعلم أن هناك العديد لا يتفقون مع سياسات حكومتنا. أعلم أن هناك العديد من داخل إسرائيل لا يوافقون هم الآخرون من حين لآخر، على سياســات حكومتنا... وأن حرية الرفض مكفولة لهم؛ لأن الصهيونية قد أنشأت أول وأصدق دولة ديمقراطية في جزء من العالم، لم يعرف من قبل شيئًا عن الديمقراطية وحرية الرأي.

إن هــذا القرار الخبيث قد اتخذ بهدف الانحراف بنا عن الســبب الأصلي وراء اتخاذه، فهو جزء من مصطلح معاداة الســامية الخطير، والذي أصبح يتم الزج به في كل مناقشة عامة، من قبل هؤلاء الذين أقسموا على عرقلة التحرك الحالي، نحو تسوية الخلافات، وبالتالي نحو إحراز السلام في الشرق الأوســط. إن هذا القرار مع غيره من التحركات المشابهة، يهدف إلى تخريب الجهود التي بذلت في مؤتمر «جنيف» للســلام بالشرق الأوسط، وإلى الانحراف بهؤلاء الذين يسيرون على درب تحقيق الســلام، عن الوصول إلى هدفهم. ولكنهم لن ينجحوا فيما يسعون إليه؛ لأنني أؤكد أن سياســة حكومة بلادي تجعل من كل تحرك يقودنا نحو السلام تحركًا قائمًا على تسوية الخلافات والوصول بها إلى حل وسط.

إن ما نراه هنا اليوم ليس إلا مظهرًا آخر من المظاهر القاسية لمعاداة السامية، ولمشاعر الكره المعادية لليهــود التي تؤجج المجتمع العربي. من كان يتصور أن هذا العام، ١٩٧٥، سيشــهد توزيع الأكاذيب الخبيثة عن «حكماء صهيون» بين العرب بشــكل رسمي بواسطة حكوماتهم؟ من كان يتوقــع وصول المجتمع العــربي للدرجة التي تجعله يغرس في نفوس أطفاله، بســن الحضانة، مشــاعر الكره لليهود؟ إننا نواجه هجمة من مجتمع تدفعه مشاعر غاية في العنصرية، قــد عرفها العالم حتى اليوم. إن هذه النزعة العنصرية قد تــم التعبير عنها بلغة متناهية البراعة في الكلــمات التي اســتخدمها رئيس منظمة التحرير الفلســطينية «يــاسر عرفات» بالخطاب الافتتاحي، في الندوة التي عقدت في العاصمة الليبية «طرابلس»، حيث قال فيها:

«لن يكون هناك أي وجود في المنطقة باســتثناء الوجود العربي....» بمعنى آخر، إن الشرق الأوســط من المحيط الأطلنطي إلى الخليج الفارسي لن يســمح فيه إلا بتواجد واحد، ألا وهو

التواجد العربي. لن يسمح لشعب آخر، بغض النظر عن عمق جذوره الضاربة في هذه المنطقة، بممارسة حقه في تقرير مصيره بهذه الأرض.

انظـروا إلى المصير المحتوم الذي لقيه الأكراد في العراق، انظروا إلى ما حدث لسـكان جنوب السودان، انظروا إلى الخطر المحدق بكامل المجتمع المسـيحي في لبنان. انظروا إلى السياسة المعلنة لمنظمة التحرير الفلسـطينية، والتي تدعو في الميثاق الوطني الفلسـطيني لها عام ١٩٦٤ إلى تدمير دولة إسرائيل، والذي يرفض أية تسـوية بشـأن القضية الفلسطينية، والذي يعتبر، على حد القول المصرح به من ممثل المنظمة في اليوم التـالي بهذا المبنى، أن تل أبيب هي أرض محتلة. انظروا إلى كل هذه القضايا، وبعدها سيتضح لكم السبب الأصلي للشرين المتلازمين العاملين بهذا العالم؛ ألا وهما الكراهية العمياء المصاب بها مقترحو هذا القرار والجهل المطبق والشر الدفين بقلوب المؤيدين له.

إن القضية المطروحة أمام الجمعية العامة ليسـت إسرائيل ولا الصهيونية، إنها قضية مصير منظمة الأمم المتحدة، فبعد إيمانها بما عزم أنبيـاء بني إسرائيل على تحقيقه، وبعد أن ولدت من التحالف المناهض للنازية بعد المأسـاة، التي شـهدها العالم في الحـرب العالمية الثانية، تدهور بها الحال لتصبح الآن مجرد منتدى وصفه الأسـبوع الماضي «بول جونسـون»، وهو واحد من رواد الكتاب في مجال الفكر الليـبرالي الاجتماعي بالشرق؛ بأنه (أصبح واحدًا من أسرع وأكثر الكيانات فسادًا وإفسادًا على مر تاريخ المؤسسات الإنسانية... إن من هم في مركز الأغلبية بهذا المنتدى آتون دون اسـتثناء، من دول معروفه بالقمـع العنصري، من كل لون يمكن تصوره)، وقد استطرد «جونسون» في شرحه لظاهرة هذه المناظرة، قائلاً:

(إن إسرائيل دولة الديمقراطية الاشـتراكية، فهي الطريق الأقرب إلى الدولة الاشـتراكية الحـرة في هذا العالم. إن شـعبها وحكومتها يحملان بالغ الاحترام للحياة الإنسـانية، وتغلب عليهما العاطفة، على الرغم من كل أشـكال الاسـتفزاز والتحريض التي تعرضا لها، وهذا ما جعلهما على مدار ربع قرن لا يقومان بإخلاء أي أرض قد حصلا عليها من سـاكنيها. إن لدى إسرائيل ثقافة عريقة ونابضة بالحياة، ووسائل تكنولوجية تتقدم كل يوم عن الآخر. إن الدمج بين الصفات الوطنيـة التي جمعوها في المدة القليلة التي أصبح لهـم فيها دولة، لهو تهديد دائم

ومرير لغالبية الدول الجديدة، التي يتجرأ ممثلوها على الأمم المتحدة. إن إسرائيل في موضع حقد وحسد الآخرين لها، ولذا هناك الكثير من الجهود التي تبذل من أجل تدميرها. إن التعسف الذي يواجهه الإسرائيليون كان الهدف الأساسي الذي طالما سعى إلى تنفيذه الإرهاب الدولي، ذلك الذي ترى أطرافه أنه بكسر إسرائيل، سيكون من السهل أن تقع باقي الحضارات فريسة سهلة، بين أيديهم.

إن الحقيقة الباعثة على الحزن، والتي أخشاها، هي أن شموع الحضارة تحترق الآن. إن العالم أصبح تحت السيطرة المتزايدة ليس للحكومات الرأسمالية، أو الشيوعية، أو الاشتراكية الديمقراطية، أو حتى للنزعة القبلية البربرية، ولكن لسيل من الشعارات السياسية المزيفة. التي تراكمت بفعل استخدامها على مدار أكثر من نصف قرن ماضٍ، والتي أصبحت تعبر الآن عن سلطة كهنوتية متفسخة... نحن جميعًا أعلم بها.

لقد كتب على العديد من بني شعبي على مر القرون أن يلعبوا دور عامل الاختبار، لكل من الكرامة الإنسانية والحضارة، وأن يكونوا بوتقة الفحص للقيم الإنسانية الباقية أبد الدهر. هناك مقياس ثابت يحكم به على مستوى إنسانية أية أمة، ذلك المقياس هو سلوكها تجاه اليهود من بنيها. إن الاضطهاد والقمع ممارسات عادة ما يتعرض اليهود لها، ولكن يستحيل عليهم أن يعرضوا الآخرين لها. إن المذابح المنظمة التي تعرض لها اليهود في روسيا القيصرية لم تكن سوى حافة جبل الثلج، التي كشفت عن الفساد المتأصل لنظام الحكم بها، والذي ما لبث أن أطاحت به الثورة. إن التجاوزات المعادية للسامية التي أتت من جانب النازي قد أوضحت بما لا يدع مجالاً للشك الكارثة التي ستحل على البشرية، بأسرها في أوروبا).

في القضية محل النظر هنا، نجد أن العالم قسم نفسه إلى قسمين؛ جيد وسيئ، خيِّر وشرير. راقٍ ومتخلف. نحن - شعب اليهود - سنظل نذكر على مر التاريخ شعورنا بالشكر والامتنان للدول القليلة التي وقفت، وصوتت برفض دعم هذا القرار الشرير. أعلم أن هذه الحادثة ستعزز من قوى الحرية والكرامة بهذا العالم، كما أعلم أنها قد أكدت عزم العالم الحر على تقويته للمثل؛ التي طالما شملها بالرعاية. أعلم أن هذه الحادثة ستعزز من الصهيونية بالقدر نفسه الذي ستضعف به من قوة منظمة الأمم المتحدة.

إنني في هذه اللحظة التي أقف فيها على هذه المنصة، أتخيل شريط الذكريات الطويل والمشرف لتاريخ شعبي يمر أمام عيني. أرى كل طغاة شعبي على مدار العصور، وهم يمرون واحدًا تلو الآخر، في سلسلة تربط بين حلقاتها مشاعر الكره لتطويهم غياهب النسيان. إنني أقف هنا أمامكم ممثلاً عن شعب قوي، وواعد بالنمو استطاع أن يواجه هؤلاء الطغاة، وأن يظل على قيد الحياة، وسيستطيع مواجهة الموقف المشين الذي اتخذته هذه المنظمة، ومواجهة مؤيدي القرار الذي أصدرته بشأننا.

إني أجد عقلي يستحضر اللحظات العظيمة لتاريخ اليهود، في الوقت الذي أواجهكم فيه، كما أجده يستحضر مرة أخرى عددًا هائلاً من ضحايا مشاعر الكره والجهل والشر من أبنائه. إنني أعود لأتذكر هذه اللحظات العظيمة، وأسترجع عظمة هذا الشعب؛ الذي أشرف بتمثيله في هذا المنتدى. إنني أعني الشعب اليهودي في كل أنحاء العالم، الأحرار منهم والذين هم في الأسر، أولئك الذين تحيطني صلواتهم وأفكارهم في هذه اللحظة.

إنني لا أقف هنا موقف المتوسل إليكم، وإنما أطالبكم بالتصويت بما يمليه عليكم حسكم الأخلاقي. إن القضية ليست إسرائيل ولا الصهيونية، بل هي قضية الإبقاء على وجود هذه المنظمة؛ التي شهدت على يد تحالف من العنصريين والطغاة انحدارها لأقل مستويات المصداقية لها.

إن تصويت كل مفوض سيسجل بالتاريخ موقف دولته من معاداة السامية، ومن معادة اليهودية. ستتحمل هذه المنظمة مسؤولية الموقف الذي اتخذته أمام التاريخ، وبناءً على هذا الموقف سيصدر التاريخ حكمه عليها. أما نحن اليهود، فلن ننسى لها موقفها منا.

بالنسبة لنا، نحن الشعب اليهودي، هذا الموقف ما هو إلا مرحلة في التاريخ الثري والمفعم بالأحداث. نحن نثق بخالقنا، وبديننا وبمعتقداتنا وبتعاليم ديننا المقدسة، وبنضالنا لتحقيق التقدم الاجتماعي والقيم الإنسانية، وبأفراد شعبنا في أي من بقاع الأرض. نحن الشعب اليهودي، نرى أن هذا القرار الذي ارتكز على مشاعر الكره والزيف والتعالي، إنما هو قرار يخلو من أية قيمة أخلاقية أو قانونية».

خطبة
رونالد ريجان

مناسبة الخطاب:

في الثاني عشر من شهر يونية عام ١٩٨٧، وجه الرئيس رونالد ريجان خطابًا إلى شعب برلين الغربية من أمام بوابة براندنبرج، بالقرب من حائط برلين، ونتيجة لأسلوب المبالغة الذي استخدمه الرئيس في خطابه، كانت كلماته تصل إلى أسماع الجهة الشرقية من الحائط (الخاضعة للحكم الشيوعي). ويعتبر العديد من الناس أن هذا الخطاب الذي ألقاه الرئيس رونالد ريجان كان مؤكدًا لبداية نهاية الحرب الباردة وسقوط الشيوعية، وفي الفترة من ٩ إلى ١١ نوفمبر لعام ١٩٨٩، قام الشعب في برلين الحرة بهدم هذا الحائط.

نبذة عن حياة رونالد ريجان:

اسمه رونالد ويلسون ريجان كان ميلاده في ٦ فبراير ١٩١١، وهو الرئيس الأربعون للولايات المتحدة الأمريكية من عام ١٩٨١ إلى ١٩٨٩، وقبلها كان الحاكم رقم ٣٣ على ولاية كاليفورنيا من عام ١٩٦٧ إلى عام ١٩٧٥، وكان يعمل بمجال التمثيل قبل أن يدخل المجال السياسي الذي بدأه في بداية الخمسينيات.

ولما حانت وفاته كان أصيب بالزهايمر، ورونالد ريجان يعتبر أحد أكبر رؤساء أمريكا عمرًا؛ حيث بلغ عمره عند وفاته ٩٣ سنة و١١٩ يومًا، ويضاف إلى هذا أنه كان الأكبر، حين انتخابه فقد كان عمره حينها ٦٩ سنة و٣٤٩ يومًا، وكان قد عمل في أول حياته بالتمثيل فكان ممثلاً بارزًا، وشارك في الحملة المكارثية ضد الشيوعية، وكانت وفاته في ٥ يونية ٢٠٠٤ .

من بين جميع خطابات الرئيس رونالد ريجان الأخرى، قد يكون هذا الخطاب الذي أطلق عليه اسم «اهدم هذا الحائط»؛ من أكثر الخطابات التي يذكرها التاريخ لهذا الرئيس «البليغ»، وفيما يلي مقتطفات من نص خطاب الرئيس رونالد ريجان.

نص الخطاب:

«في الخمسينيات، تنبأ خروتشوف عند بناء حائط برلين قائلاً: "سوف ندفنكم" (قاصدًا الغرب). بيد أن الغرب قد أصبح اليوم عالمًا حرًّا حقق مستوى رائعًا من الازدهار والرفاهية التي لم يسبق لها مثيل في تاريخ البشرية. أما عند النظر إلى العالم الشيوعي، فنجد الفشل والتخلف التقني وانحطاط مستويات الصحة، وحتى عدم القدرة على توفير الاحتياجات الأساسية للإنسان؛ ألا وهي القليل من الطعام، ولا يزال الاتحاد السوفيتي، إلى اليوم، غير

قـــادر على توفير الطعام الذي يحتاجه. ولهذا بعد مـــرور أربعة عقود، تبقى هناك حقيقة واحدة عظيمة أمام العالم أجمع لا يمكـــن لأحد تجاهلها؛ وهي **أن الحرية هي الطريـق الوحيد الذي يقـود إلى الازدهار. إن الحرية تسـتأصل الكراهية القديمة التـي توطنت بين الأمم؛ لتحل محلها المجاملة والسلام. إن الحرية هي المنتصرة في النهاية.**

قد يكون الاتحاد السـوفيتي الآن على دراية بأهمية الحريـة، بالرغم من أن ذلك يتم بصورة محدودة. إننا نسمع الكثير عن سياسة الإصلاح والانفتاح الجديدة التي اتبعتها موسكو. لقد تم إطلاق سراح بعض المســجونين السياسيين، ولم يعد هناك حظر لإذاعات معينة أجنبية خاصة بنقل الأخبار، كما تم السـماح لبعض المؤسسـات الاقتصادية بالعمل مع إعطائها حرية كبيرة بعيدًا عن سيطرة الدولة.

هل هذه بداية تغيرات عميقة في الاتحاد السـوفيتي؟ أم إنها مجرد إشـارات تهدف إلى زيادة الآمال الكاذبة التي يعلقها عليهم الغرب؟ أم إنها تقوية للنظام السوفيتي دون إجراء أي تغيير فيه؟ إننا نرحب بالتغيير والانفتاح؛ لأننا نؤمن بأن الحرية والأمن يسـيران جنبًا إلى جنب معًا، وأن تقدم حرية الإنســان هو السبيل الوحيد لتعزيز عملية السلام العالمي. هناك إشارة واحدة يمكن أن تجعل الاتحاد السوفيتي ساعيًا، دون شك، إلى تحقيق الحرية والسلام.

حضرة الأمين العام جورباتشـوف، إذا كنت تسـعى للسـلام، وإذا كنت تسعى لتحقيق الازدهار للاتحاد السـوفيتي وأوربا الشرقية، وإذا كنت تسعى للتحرير، فتعالَ إلى هذه البوابة! سيد جورباتشوف، افتح هذه البوابة! سيد جورباتشوف، اهدم هذا الحائط!».

خطبة
شيرلي تشيشولم

مناسبة الخطاب:

ألقت شيرلي تشيشولم هذا الخطاب أمام مجلس النواب الأمريكي في الحادي والعشرين من مايو عام ١٩٦٩، وقد ناقشت فيه قضايا حقوق المرأة ومكانتها، وما يجب أن تناله في المجتمع الأمريكي المتمدن، وركزت على حقها في تولي المناصب الرسمية بغير تفرقة وتمييز عرقي وعنصري، وذلك بالاعتماد على مبدأ تكافؤ الفرص والمساواة بين الجميع.

نص الخطاب:

«السيد رئيس البرلمان..

عندما تتخرج سيدة شابة في الجامعة، وتبدأ في البحث عن عمل، غالبًا ما تجد نفسها في مواجهة تجربة محبطة ومهينة على حد سواء، فإذا دخلت هذه السيدة أحد المكاتب لتجري مقابلة شخصية لوظيفة، فإن أول سؤال سيتم توجيهه إليها هو: «هل تجيدين النسخ على الآلة الكاتبة؟».

يعبر هذا السؤال في طياته عن منهج متعمد من التحامل على المرأة، فلِمَ يكون

نبذة عن حياة شيرلي تشيشولم:

ولدت شيرلي تشيشولم في ٣٠ نوفمبر ١٩٢٤، وهي سياسية أمريكية تنتمي إلى الحزب الديمقراطي، وكانت أول امرأة سوداء تنتخب لعضوية الكونجرس الأمريكي (مجلس النواب) في الفترة بين عامي ١٩٦٩ إلى عام ١٩٨٣. وكانت شيرلي تشيشولم أول امرأة سوداء تخوض انتخابات الحزب الديمقراطي، وذلك لمنصب مرشح رئاسة الولايات المتحدة الأمريكية في سنة ١٩٧٢، وذلك قبل أن تخسر ترشيحها لصالح المرشح الديمقراطي الآخر جورج ماكغفرن.

ويجد الباحث أن شيرلي تشيشولم قد خدمت في مجلس النواب الأمريكي كممثلة عن ولاية نيويورك بين عامي ١٩٦٩ إلى عام ١٩٨٣، وبهذا أصبحت تشيشولم أول امرأة من ذوي البشرة السوداء تدخل لمجلس النواب الأمريكي، وفي يوم ٢٥ يناير من سنة ١٩٧٢ أعلنت ترشحها للرئاسة، وبذلك تكون تشيشولم أول امرأة من ذوي البشرة السوداء تسعى لنيل ترشيح الحزب لها لانتخابات الرئاسة الأمريكية؛ حيث وقفت تشيشولم أمام الكاميرات، وبالرغم من أنها لم تحصل على ترشيح فقد فازت تشيشولم بأصوات ٢٨ مندوبًا، وجمعت ١٥٢ صوتًا في المؤتمر الوطني الديمقراطي، وخسرت الترشح أمام المرشح جورج ماكغفرن. وفي سنة ١٩٨٢ أعلنت شيرلي تشيشولم تقاعدها من الكونجرس. وبعد ترك تشيشولم العمل السياسي. عملت شيرلي تشيشولم في كلية ماونت هوليوك في ساوث هادلي بولاية ماساشوستس كأستاذ، وبقيت تدرس هناك لمدة أربع سنوات تدرس السياسة ودراسات المرأة وفي عام ١٩٨٧ تقاعدت تشيشولم عن التدريس بالكلية، وكانت وفاتها في ١ يناير من سنة ٢٠٠٥، في مدينة دايتونا بيتش بولاية فلوريدا الأمريكية.

مقبولاً للمرأة أن تعمل كسكرتيرة وأمينة مكتبة ومعلمة؟ في حين يكون من غير المقبول تمامًا بالنسبة للنساء أن يعملن كمديرات وإداريات وطبيبات ومحاميات وعضوات في الكونجرس؟

هناك افتراض غير معلن بأن النساء مختلفات عن الرجال؛ فهن يفتقرن إلى العقول المنظمة القادرة على أداء المهام التنفيذية، وإلى الاستقرار والمهارات القيادية، بالإضافة إلى اتصافهن بالانفعالية المبالغ فيها.

لقد أدرك الجميع قبلاً أن المجتمع قد دأب لفترة طويلة على التمييز ضد أقلية أخرى، وهم السود، وذلك على الأساس نفسه ألا وأنهم مختلفون عن غيرهم وأقل منهم شأنًا. إن الصورة التي رسمها المجتمع للسود كنساء من ربات المنازل ورجال سود طاعنين قانعين بحالهم يعيشون في المزارع هي ثمرة لتحامل المجتمع على السود.

وبوصفي امرأة سوداء، فإنني قد نلت نصيبي من التحامل على بني عرقي، ولكن الحقيقة هي أنني قد تعرضت مرارًا في عالم السياسة للتمييز ضدي؛ بسبب كوني امرأة أكثر منه بسبب كوني سوداء البشرة.

على الرغم من أن التحامل ضد السود قد أصبح أمرًا غير مقبول، فإن القضاء على هذا التحامل سيتطلب سنوات عديدة. ولكنه أمر محتوم لأن أمريكا البيضاء تبدأ - ببطء - في الاعتراف بوجود هذا التحامل، ولكن التحامل ضد المرأة لا يزال أمرًا مقبولاً، ولا يزال إدراك الفساد الأخلاقي المصاحب لازدواجية سلم الأجور، وكذلك للتصنيف الذي تندرج تحته معظم الوظائف الجيدة على أنها «وظائف للرجال فقط» إدراكًا محدودًا.

إن أكثر من نصف عدد السكان في الولايات المتحدة الأمريكية من الإناث، وعلى الرغم من ذلك، تشغل النساء نسبة اثنين في المائة فقط من المناصب الإدارية، ولم تستطع النساء أن يحصلن حتى على درجة من القبول الرمزي في المجتمع؛ حيث لم تنضم أية سيدة للمجلس التنفيذي لاتحادات نقابات أمريكا أو للمحكمة الأمريكية العليا. كذلك، نجحت سيدتان فقط حتى الآن في الانضمام للمجلس الوزاري، وفي الوقت الحالي لا توجد أية سيدة في هذا

المجلس. وحاليًا، توجد سيدتان فقط في السلك الدبلوماسي تعملان كسفيرات للولايات المتحدة الأمريكية، كما تقلصت نسبة تمثيل المرأة لتصل إلى عضوة واحدة بمجلس الشيوخ وعشر عضوات بمجلس النواب.

بالنظر إلى أن عدد النساء في الولايات المتحدة الأمريكية يزيد عن عدد الرجال بحوالي ثلاثة ونصف مليون نسمة، فإننا نجد أن هذا الوضع مشين.

من الثابت أن جزءًا من المشكلة يكمن في عدم انتهاج النساء نهجًا عدوانيًا في المطالبة بحقوقهن، ونجد أن الأمر نفسه قد انطبق على المواطنين السود لسنوات طويلة؛ فقد خضعوا للقمع الذي تعرضوا له، بل وساهموا في وجوده. وهو ما فعلته النساء أيضًا. ولكننا الآن قد أصبحنا على وعي بحقيقة هذا الموقف؛ وبخاصة بين المواطنين الأصغر سنًّا في المجتمع.

أما بالنسبة لموضوع المساواة في الحقوق التي يجب أن يحصل عليها السود والأمريكيون ذوو الأصل الإسباني والهنود والمجموعات العرقية الأخرى - فإن القوانين لن تستطيع أن تغير المشكلات المزمنة المتعلقة بهم بين عشية وضحاها، ولكن يمكن استخدامها لتوفير الحماية لهذه الفئات الأكثر عرضة للإساءة، وللبدء في عملية التغيير التطوري عن طريق إجبار الأغلبية متبلدة الإحساس على أن تعيد النظر في مواقفها التي تفتقر إلى الشعور بهذه الفئات.

لهذا السبب أرغب في أن أقدم لكم اليوم اقتراحًا تم عرضه من قبل على كل كونجرس تم تشكيله في الأربعين عامًا الأخيرة، وهو اقتراح يجب أن يكون جزءًا من القانون الأساسي الذي يحكم البلاد؛ ألا وهو تعديل قانون المساواة في الحقوق.

اسمحوا لي أن أتحدث إليكم عن اثنتين من أكثر الحجج شيوعًا التي يتم التذرع بها لرفض هذا التعديل، وأحاول أن أفندهما. إحدى هاتين الحجتين هي أن النساء يتمتعن بالفعل بالحماية الكافية تحت مظلة القانون الحالي، وبالتالي لا يحتجن إلى سن أي تشريعات جديدة لهذا الغرض. إن القوانين الحالية ليست كافية لتأمين المساواة في الحقوق بين المرأة والرجل، ويوجد دليل كافٍ على هذا الأمر في تركز عمل النساء في الوظائف ذات الأجور المنخفضة والحقيرة وغير المجزية،

بينما نجد ندرة مذهلة لوجودهن في الوظائف عالية المستوى، فإذا كانت النساء يتمتعن بالفعل بحقوق متساوية مع الرجال، فلمَ يتم اعتبار انتخاب امرأة لتصبح عضوًا في الكونجرس الأمريكي حدثًا غريبًا؟

إن وجود التمييز ضد المرأة قد بات أمرًا واضحًا؛ فالنساء لا تتاح أمامهن الفرص التي تتوافر للرجال. أما النساء اللاتي لا يلتزمن بالنظام القائم، ويحاولن أن يحطمن النمط المقبول للسلوك في المجتمع، فيتم وصمهن بأنهن «غريبات الأطوار» و«يفتقرن إلى الأنوثة». والحقيقة هي أن المرأة التي تطمح إلى أن تكون رئيسًا لمجلس إدارة أو عضوًا في الكونجرس تفعل ذلك للأسباب نفسها التي يطمح من أجلها الرجل إلى شغل هذه المناصب. وبشكل أساسي، تكمن هذه الأسباب في اعتقادها أنها تستطيع أن تؤدي هذه الوظيفة، وأن لديها الرغبة في أن تحاول ذلك.

أما الحجة الثانية التي غالبًا ما يتم التذرع بها لرفض تعديل قانون المساواة في الحقوق - فهي أن هذا التعديل سوف يمحو التشريعات التي سنتها العديد من الولايات والحكومة الفيدرالية؛ لتأمين حماية خاصة للنساء بالإضافة إلى أنه سيحدث فوضى عارمة في قوانين الزواج والطلاق.

بالنسبة لقوانين الزواج، فإن مصيرها سيؤول في كل الأحوال إلى إصلاح شامل، وقد تكون البداية المثلى للقيام بذلك هي محو القوانين الحالية من كتب القانون. أما بالنسبة للحماية الخاصة التي توفرها القوانين الحالية للمرأة العاملة، فلا أرى حاجة لوجود مثل هذه القوانين، فالنساء لا يحتجن إلى أية حماية لا يحتاج إليها الرجال. أما ما نحتاجه بالفعل فهو قوانين لحماية العاملين، وضمان حصولهم على أجور عادلة، وعملهم في ظل ظروف عمل آمنة، وحمايتهم من المرض والتسريح من أعمالهم، وتخصيص معاش محترم يضمن لهم حياة كريمة بعد التقاعد. يتساوى الرجال والنساء في احتياجهم إلى هذه الأمور. أما الادعاء بأن أحد الجنسين يحتاج إلى الحماية أكثر من الجنس الآخر - فهو خرافة ذكورية عنصرية لا يضاهيها في سخفها وعدم جدارتها للاحترام سوى الخرافات العنصرية التي يتشدق بها أصحاب البشرة البيضاء، بأن المجتمع يعمل على علاج نفسه من هذه الآفة في الوقت الحالي».

خطبة
فاكلاف هافل

مناسبة الخطاب:

وجـه الرئيس فاكلاف هافـل، الرئيس الأخير لجمهورية تشيكوسـلوفاكيا، خطابًا إلى الأمة، بمناسبة الاحتفال بالعام الميلادي الجديـد، في قلعة بـراج، في الأول من يناير لعام ١٩٩٠.

نص الخطاب:

«إخواني المواطنين الأعزاء..

لقـد سـمعتم طيلـة أربعـين عامًا من الرؤساء السابقين في مثل هذا اليوم خطابات مختلفـة تتناول الموضوع نفسـه؛ وهو كيفية المضي ببلدنا في مسـيرة الازدهار، وكم من ملايين الأطنان من الحديد ننتجها سـنويًّا، والسعادة التي نعيش فيها، وكيفية منح الثقة للحكومة، والآفاق المشرقة التي نحن بصدد رؤيتها.

نبذة عن حياة فاكلاف هافل:

كان ميلاده في ٥ أكتوبر ١٩٣٦ وعن حياته هو منشق ورئيس تشـيكي سـابق وكاتب مسرحي - أيضًا - وقد كتب خلال حياته أكثـر من عشرين مسرحية، وعددًا من الكتب التـي ترجمت إلى لغات عالمية عدة، وكان أن اختير ليحتل رابعًا وفق ترتيب مجلة Prospect magazine لأفضل مئة مفكر على مسـتوى العـالم؛ وعند وفاته، كان هافل في منصب رئاسة مجلس إدارة منظمة حقوق الإنسان ومقرها نيويورك، ويعتبر هافل مؤسس مؤسسة VIZE ٩٧ والمؤسس الرئيس للمؤتمر العالمي السنوي Forum ٢٠٠٠.

إن هافل مهندس إسقاط الشيوعية في تشيكوسلوفاكيا السابقة إبان «الثورة المخملية» في نوفمبر ١٩٨٩، وقد تولى الرئاسة في تشيكوسلوفاكيا من ٢٩ ديسمبر ١٩٨٩ وحتى ٢٠ يولية ١٩٩٢، ثم رئاسـة جمهورية التشيك في ٢ فبراير ١٩٩٣، وحتـى ٢ فبراير ٢٠٠٣، وحاز على جائزة غاندي للسـلام الرفيعة، وتم اختيار هافيل لهذه الجائزة؛ بسـبب إسـهاماته للسـلام العالمي، والتزامه بحقوق الإنسـان في أصعب المواقف من خلال انتهاجه لأساليب الزعيم الهندي الراحل المهاتما غاندي.

كانت وفاته في ١٨ ديسمبر ٢٠١١، بعد صراع طويل مع مرض السرطان عن عمر خمس وسبعين سنة.

إنني أفترض أنكم لم تنتخبوني لهذا المنصب كي أكذب عليكم، بدوري أنا أيضًا.. إن بلادنا لا تزدهر، كما أن الإمكانية الرائعة والمبدعة والروحية لبلادنا لم تستغل بعد الاستغلال الأمثل. إن جميـع فروع الصناعة التـي نعمل بها تقدم بضائع لا تحوز على أي اهتمام من المسـتهلكين، وفي الوقت نفسـه نحن في حاجة إلى المنتجات التي نستخدمها. إن الدولة التي تطلق على ذاتها اسـم دولة عمال تهين عمالها وتسـتغلهم. إن اقتصادنا يقوم بالكامل على إهـدار كمية الطاقة

الصغيرة المتاحة بين أيدينا. إن الدولة التي استطاعت لمرة واحدة أن تفتخر بالمستوى التعليمي للمواطنين فيها، تنفق قليلاً جدًّا على التعليم وتحتل اليوم المكانة الثانية والسبعين على مستوى العالم. لقد لوثنا التربة والأنهار والغابات التي ورثناها من أجدادنا، ومن ثم نعيش الآن في البيئة الأكثر تلوثًا في أوربا. إن معدلات وفاة البالغين في بلادنا مبكرة مقارنة بمعظم البلاد الأوربية الأخرى.

اسمحوا لي بذكر ملحوظة شخصية صغيرة. عندما سافرت إلى مدينة براتيسلافا مؤخرًا، كان لدي بعض الوقت بين المناقشات للنظر من خلال نافذة الطائرة. لقد رأيت مجمعًا صناعيًّا يضم مصنعًا كيميائيًّا تابعًا لشركة سلوفنافت لتكرير البترول، وخلفه مباشرة شركة Petr alka العملاقة الخاصة بالعقارات والإسكان. إن هذا المشهد كان كافيًا لي كي أدرك أن رجال الدولة والقادة السياسيين عندنا لم ينظروا أو لم يودوا النظر خارج نوافذ طائراتهم. لم أجد دراسة للإحصائيات متاحة أمامي؛ لكي تساعدني على الإدراك السريع والأفضل للموقف الحالي الذي نعيشه الآن.

لكن هذا كله لا يزال لا يمثل المشكلة الرئيسية. إن أسوأ ما في الأمر هو أننا نعيش الآن في بيئة أخلاقية ملوثة، إن أخلاقنا باتت سيئة؛ لأننا اعتدنا النفاق. لقد تعلمنا ألا نصدق أي شيء، وأن يتجاهل كل منا الآخر، وألا نهتم إلا بمصالحنا الشخصية، ونتيجة لذلك فقدت مفاهيم، مثل الحب أو الصداقة أو الشفقة أو التواضع أو التسامح، عمقها وأبعادها، وأصبحت لا تمثل للكثير منا إلا مجرد خصائص نفسية، أو ذكريات من العصور القديمة، ومن ثم أصبحت قيمًا سخيفة في عصر الكمبيوتر وسفن الفضاء، قليل منا يستطيع أن يصرخ بصوت مرتفع؛ ليقول بأن موازين القوى الموجودة لا ينبغي أن تكون بمثل هذه القوة، وأن المزارع الخاصة، التي تنتج أطعمة غير ملوثة وعالية الجودة تخصص لأصحاب السلطة فقط، ينبغي أن ترسل إنتاجها إلى المدارس ودور رعاية الأطفال والمستشفيات، وذلك إذا كانت الثروة الزراعية في بلدنا غير قادرة على تغطية احتياجات الجميع.

إن نظام الحكم السابق - القائم على أيديولوجية متعجرفة وغير متسامحة - حقر من دور الإنسان؛ ليقتصر على قدرته على الإنتاج فقط، كما قصر دور الطبيعة على اعتبارها أداة من أدوات الإنتاج، بهذا استعدى جوهرهما الخالص، ومن ثم تأثرت العلاقة المشتركة بينهما. وهذا أدى إلى انخفاض نسبة الأشخاص الموهوبين والمستقلين ذاتيًّا، الذين يعملون بمهارة في بلدهم، فأصبحوا صواميل ومزاليج موجودة في آلة ضخمة ومزعجة وسيئة، لم يتضح معناها الحقيقي لأي شخص من قبل. وهذه الآلة عديمة الفائدة ولا تستطيع إلا أن تدمر نفسها ببطء وعناد، ومن ثم تدمر معها جميع الصواميل والمزاليج.

عندما أتحدث عن البيئة الأخلاقية الملوثة، فإنني لا أعني فقط الرجال المحترمين الذين يتناولون الخضراوات الأورجانيك، ولا ينظرون من خلال نوافذ طائراتهم؛ إنني أعنينا جميعًا. لقد اعتدنا جميعًا الخضوع للنظام الشمولي، وتعاملنا معه على أنه حقيقة غير قابلة للتغيير؛ مما ساعد على استمراره. بعبارة أخرى، إننا جميعًا مسؤولون عن تنفيذ هذه الآلية الاستبدادية - رغم أن ذلك بدرجات متفاوتة بالتأكيد. ليس فينا ضحية لهذه السياسة، إننا جميعًا ساعدنا في وجودها.

تودون سؤالي لماذا أقول هذا الكلام الآن؟ سيكون من غير المعقول تمامًا اعتبار الإرث الحزين الذي ورثناه من آخر أربعين عامًا شيئًا أجنبيًّا، تركه لنا بعض الأقارب من ذوي درجة القرابة البعيدة. بل على العكس، علينا أن نعتبر هذا الإرث ذنبًا اقترفناه ضد أنفسنا. إذا قبلنا بهذا التفسير، فسوف ندرك أن علينا، وعلينا فقط، أن نفعل شيئًا حيال هذا الأمر. لا نستطيع أن نلقي باللوم على حكامنا السابقين في كل شيء، ليس لأن هذا غير صحيح فحسب، بل أيضًا لأن ذلك سوف يقلل من أهمية الواجب الواقع على عاتق كل منا الآن؛ ألا وهو الالتزام بالعمل باستقلالية وحرية وعقلانية وسرعة. لا نريد أن نرتكب أخطاءً؛ إن أفضل حكومة في العالم، وأفضل برلمان وأفضل رئيس لا يمكنهم تحقيق كل شيء بمفردهم، كما أنه من الخطأ توقع الحصول على علاج عام منهم فقط، إن معاني الحرية والديمقراطية تتضمن المشاركة، ومن ثم تقع المسؤولية على عاتقنا جميعًا.

إذا أدركنا هذا الأمر، فسوف تزول جميع المخاوف التي سكنت عقولنا، حول الديمقراطية الجديدة في تشيكوسلوفاكيا، وستصبح أقل حدة. إذا أدركنا ذلك، فسوف يعود الأمل إلى قلوبنا.

في محاولة لإصلاح الأمور الخاصة بالمصالح العامة، فلدينا ما يمكن الاعتماد عليه. إن الفترة الأخيرة - وخاصةً الستة أسابيع الأخيرة؛ التي حدثت فيها ثورتنا السلمية - أظهرت الإمكانيات البشرية والروحية والأخلاقية الهائلة، وكذلك الثقافة المدنية التي توطنت في مجتمعنا تحت قناع قوي من اللامبالاة. عندما يدعي أي شخص بصورة مطلقة، أننا كنا هذا أو ذاك، فإنني أعارضه دائمًا محتجًا بأن المجتمع بات مخلوقًا شديد الغموض، ومن غير الحكمة أن تثق فقط بالوجه الذي يقدمه لك. إنني سعيد لأنني لم أكن مخطئًا. في كل مكان في العالم يتساءل الناس: أين وجد هؤلاء المواطنون المعتدلون والمتواضعون والمتشككون والذين يبدو عليهم التهكم - في تشيكوسلوفاكيا هذه القوة الهائلة التي استطاعوا بها هز نير الحكم الاستبدادي من على عواتقهم في عدة أسابيع، وبصورة محترمة وسلمية؟ ودعنا نسأل: من أين حصل هؤلاء الشباب الذين لم يعاصروا أبدًا أي نظام غير هذا النظام الشمولي - على رغبتهم في معرفة الحقيقة وحبهم لحرية الفكر وأفكارهم السياسية وشجاعتهم وتعقلهم المدني؟ كيف استطاعوا ضم آبائهم إليهم، بعد أن كنا نعتقد أنه جيل فقد فيه الأمل؟ كيف استطاع العديد من الناس إدراك ما يجب فعله على الفور، دون الاستعانة بأية مشورة أو تعليمات خارجية؟

أعتقد أن هناك سببين رئيسيين لهذه الصورة المليئة بالأمل الموجودة في مجتمعنا في الوقت الراهن. أولاً، إن الناس ليسوا مخلوقات قادمة من عالم خارجي؛ بل إنهم قادرون على ربط أنفسهم بأهداف رفيعة المستوى، مهما حاول العالم الخارجي بصورة منظمة قتل هذه القدرة المزروعة في نفوسهم. ثانيًا، إن التقاليد الإنسانية والديمقراطية، التي أثير بسببها الكثير من الأحاديث السخيفة، قد رسخت في العقل الباطن لأمتنا والأقليات العرقية، كما انتقلت بصورة مبهمة من جيل إلى جيل، لهذا يستطيع كل منا اكتشافها في الوقت المناسب وتحويلها إلى أفعال.

بالرغم من ذلك، علينا بذل الغالي والنفيس من أجل الحصول على حريتنا في الوقت الراهن. لقد توفي العديد من المواطنين في السجون في فترة الخمسينيات، بالإضافة إلى تنفيذ حكم الإعدام في حق الكثيرين، كما تم تدمير حياة الآلاف، فضلاً عن نفي مئات الآلاف من الموهوبين خارج البلاد. إن هؤلاء الذين دافعوا عن شرف أمتنا خلال الحرب العالمية الثانية، وهؤلاء الذين تمردوا على الحكم الشمولي، وهؤلاء الذين حاولوا أن يحافظوا على هويتهم وعلى حرية فكرهم، قد تم اضطهادهم جميعًا. لا ينبغي أن ننسى أيًا من هؤلاء الذين ضحوا بصورة أو بأخرى من أجل حصولنا على الحرية الآن. ينبغي على المحاكم المستقلة أن تنظر بصورة حيادية إلى الذنب المحتمل لهؤلاء المسؤولين عن عمليات الاضطهاد، ومن ثم يتم كشف النقاب عن حقيقة ماضينا القريب بالكامل.

يتعين علينا أن نضع في الاعتبار أيضًا الدول الأخرى التي بذلت الكثير من أجل الحصول على الحرية في الوقت الحاضر، ومن ثم ساهمت أيضًا بصورة غير مباشرة في حصولنا على حريتنا. لا ينبغي علينا أن ننسى أنهار الدم التي سالت في المجر وبولندا وألمانيا، ومؤخرًا بصورة رهيبة في رومانيا، وكذلك بحر الدم الذي سال في الدول التابعة للاتحاد السوفيتي. أولاً لأن جميع أنواع المعاناة الإنسانية تهم جميع الناس. بل الأكثر من ذلك، لا ينبغي نسيانهم أيضًا؛ لأن هذه التضحيات العظيمة التي قاموا بها كونت الخلفية التراجيدية لحرية اليوم أو تحرير الدول تدريجيًا من الاتحاد السوفيتي، ومن ثم ساهمت أيضًا في تكوين الخلفية التي قامت حريتنا الحديثة على أساسها، ومن دون هذه التغييرات التي حدثت في الاتحاد السوفيتي وبولندا والمجر والجمهورية الديمقراطية الألمانية، لأصبح من الصعب جدًا الوصول إلى ما وصلت إليه بلادنا الآن. ولو وصلت، لكان تم ذلك بالتأكيد دون اتباع النموذج السلمي الذي اتبعته.

الحقيقة هي أننا حظينا بظروف عالمية مثلى، لكن هذا لا يعني عدم وجود أشخاص آخرين، ساعدونا بصورة مباشرة في هذه الأسابيع الأخيرة. في الحقيقة، بعد مرور مئات السنين، رفعت دولنا رؤوسها عاليًا؛ لأنها حصلت على حريتها دون الاستعانة بالدول القوية، أو السلطات الأقوى. ويبدو لي أن هذا الأمر يمثل مكسبًا أخلاقيًا عظيمًا في اللحظة الراهنة. إن هذه اللحظة

تحمـــل في طياتها أملاً، بأننا لن نعاني في المســـتقبل من عقدة أولئـــك الذين يجب أن يعربوا عن امتنانهم طوال الوقت لشـــخص ما. إن الأمر يتوقف الآن علينا فقط، فهل ســـيتم تحقيق هذا الأمل، وإيقاظ المدنية والوطنية والثقة بالذات، في مجال السياسة بطريقة تاريخية جديدة أم لا؟

إن الثقـة بالنفس لا تعتبر كبرياء، بل على العكس تمامًا؛ إن الشخص أو الدولة التي تعتز بالثقة بالنفس قادرة على الاستماع للآخرين، وعلى قبولهم جميعًا دون الانحياز لأحد الأطراف، وقادرة على العفو عن أعدائها والندم على أخطائهـــا. دعونا نحاول تقديم هذا النوع من الثقة بالنفس، وننشره في مجتمعنا. أما على المســـتوى الدولي، فعلينا أن نطبق هذا المفهوم في سلوكياتنا التي نتبعها في علاقاتنا الدولية، وعندها فقط ســـوف نستعيد احترامنا لذاتنا، واحترام كل منا للآخر وكذلك احترام الدول الأخرى لنا.

ينبغـــي ألا تعود دولتنا مرة أخرى دولـــة تابعة أو في حاجة إلى مســـاعدة أية دولة أخرى، صحيح أنه يجب علينا أن نتقبل ونتعلم العديد من الأشـــياء عبر الآخرين، لكن علينا أن نفعل ذلك في المستقبل كشركاء، لا بد أن يكون لدينا ما نقدمه للآخرين بدورنا.

لقد كتب أول رئيس لتشيكوســـلوفاكيا: «اليسوع وليس القيصر»، وبهذا احتذى بفلاسفتنا تشـــيليك وكومينسكي. إن لدي جرأة على القول بأن لدينا فرصة لنشر هذه الفكرة مرة أخرى، وتقديم عنصر جديد للسياســـات الأوربية والعالمية. إن بلادنـــا - إذا كان ذلك هو ما نريده - تســـتطيع الآن ودائمًا نشر الحـــب والتفاهم وقوة الروح والأفكار، وهـــذا بالضبط هو ما نريد تقديمه كمساهمة خاصة منا إلى السياسات الدولية.

إن الرئيس مازاريك (وهو أول رئيس لجمهورية تشيكوســـلوفاكيا) قد اعتمد في سياساته على الأخلاق. دعونا نحاول، في فترة جديدة وبطريقة جديدة، اســـتعادة هذا المبدأ في السياسة التي نتبعها. دعونا نعلم أنفسنا والآخرين أن السياسات يجب أن تعبر عن الرغبة في المشاركة في إسعاد المجتمع، بدلاً من الحاجة لخداعه أو سلبه. دعونا نعلم أنفسنا والآخرين أن السياسات لا تكون مجرد إتقان لفن الممكن، لا سيما إذا كان هذا الفن يعني إجراء صفقات مشوبة بالتكهنات والحســـابات والمؤامرات السرية والمناورات العملية، لكنها تعني أيضًا إتقان فن المســـتحيل، وهذا هو الفن الذي يدفعنا إلى تحسين أنفسنا والعالم من حولنا.

إننـــا دولة صغيرة، بيد أننا في أحد الأوقات كنا مفترق طـــرق روحيًا لأوربا، هل هناك أي سبب يبرر عدم قدرتنا على أن نكون كذلك مرة أخرى؟ هل سيحقق ذلك فائدة أخرى يمكننا تقديمها إلى الدول الأخرى التي ساعدتنا في الماضي، والتي سوف نحتاج لمساعدتها في المستقبل؟

إن جهاز المافيـا الموجود في بلادنا، والـــذي أقصد به هؤلاء الذيـن لا ينظرون من نوافذ طائراتهم، ويأكلــون خنازير تم إطعامها طعامًا خاصًا، قد لا يــزال موجودًا حولنا وقد يقوم أحيانًــا بتعكير صفو المياه، بيد أنهم لم يعودوا عدوًا أساسـيًا لنا في الوقــت الراهن. إن عدونا الرئيسي هو أي نوع من أنواع المافيا الدولية. إن عدونا الرئيسي الآن هو ســماتنا السـيئة؛ عدم المبـالاة بالمصالح العامة والغرور والطموح الشـخصي والأنانية والتنافس. ينبغي أن نخوض هذا النضال الأساسي في هذا الاتجاه.

هناك انتخابات حرة وحملات انتخابية تنتظرنا، دعونا لا نسمح لهذا الصراع بتلويث الوجه الطاهر لثورتنا العظيمة. علينا ألا نسمح بخســارة تعاطف العالم بنفس الدرجة السريعة التي اكتسـبناه بها؛ نتيجة تورطنا في غابة من المناوشــات للحصول على السـلطة. علينا ألا نسمح للرغبة في خدمة مصالحنا بالسيطرة مرة أخرى على المجتمع، تحت المظلة المهيبة للرغبة في خدمة الصالح العام. ليس من المهم الآن من هو الحزب أو النادي أو المجموعة التي ســوف تفوز في الانتخابات. فالمهم هو أن يكون أولئك الفائزون هــم أفضلنا، من الناحية الأخلاقية والمدنية والسياسـية والمهنية، بغض النظر عن انتماءاتهم السياسية. إن سياساتنا المستقبلية ومكانة بلادنا سوف تعتمد على الشخصيات التي نختارها، وبعد ذلك، ننتخب الأجهزة الممثلة لنا.

إخواني المواطنين الأعزاء..

منذ ثلاثة أيام، أصبحت رئيسًا للجمهورية بناءً على إرادتكم التي تم التعبير عنها من خلال النواب في الجمعية الاتحادية. إن لكم الحق في توقع أنني سوف أخرج لكم اليوم لأشير إلى المهام المخولة لي كرئيس للبلاد.

أول هذه المهام؛ استخدام جميع سلطاتي ونفوذي لضمان وصولنا قريبًا إلى صناديق الاقتراع لإجراء انتخابات حرة، كذلك سوف يتسم طريقنا تجاه هذا الحدث التاريخي بالنزاهة والسلام.

وتتمثل مهمتي الثانيــة في ضمان اقترابنا من هذه الانتخابــات كدولتين ذواتي حكم ذاتي، تحترم كل منهما مصالح الأخرى وهويتهــا القومية وتقاليدها الدينية ورموزها. إنني كمواطن تشيكي؛ أدى اليمين الرئاسية لشعب سلوفاكيا القريب إلي بصورة شخصية، أشعر بالالتزام - بعد التجارب المريرة التي عاشها شعب سلوفاكيا في الماضي - بأن أرى احترامًا لجميع مصالح دولة سلوفاكيا، وكذلك ضمان عدم حظر أي منصب في الدولة، بما في ذلك أعلى المناصب، على سلوفاكيا في المستقبل.

أما بالنســبة لمهمتي الثالثة فتتمثل في دعم كل ما من شأنه أن يؤدي إلى تحسين الظروف، من أجل أطفالنا والمسنين والنســاء والمرضى والعمال الجادين في العمل والأقليات القومية وجميع المواطنين؛ الذين يعانون من حالة أســوأ من غيرهم لأي سبب من الأسباب. إن الأغذية عالية الجودة أو المستشفيات يجب ألا تعود حكرًا على الأقوياء فقط؛ بل يجب أن تكون متاحة لأولئك الذين هم في أشد الحاجة إليها.

إنني كقائد أعلى للقوات المســلحة أرغب في ضمان أن قدرة بلادنا في الدفاع عن نفسها، لن تســتخدم مرة أخرى كذريعة لأي شــخص؛ لكي يقف في طريق مبادرات السلام الشجاعة، والحد من الخدمة العسكرية وإنشاء خدمة عسكرية بديلة، وتهذيب الحياة العسكرية بصفة عامة.

يوجد في بلادنا العديد من الســجناء الذين ارتكبوا جرائــم خطيرة تم عقابهم عليها، وتم تقديمهم لعملية قضائية فاسدة قامت بتقليص حقوقهم. والآن أجبروا على العيش في سجون لا تسعى إلى إيقاظ الصفات الحسنة في كل منهم، بل على العكس تعمل على احتقارهم وتدميرهم جســديًّا وعقليًّا. وعلى ضوء هذه الحقيقة، قررت الإعلان عن عفو شــامل نسبيًّا. في الوقت نفسه، أدعو السجناء إلى إدراك أن الأربعين سنة الماضية، بما حدث فيها من تحقيقات ومحاكمات واعتقالات غير عادلة، لا يمكن إصلاحها بين عشــية وضحاهــا، وإدراك أن التغييرات التي يتــم إعدادها الآن بصورة سريعة لا تزال تحتاج إلى وقــت لتنفيذها. وفي حالة التمرد، لن يفيد الســجناء لا أنفســهم ولا مجتمعهم، كما أنني أدعو العامة إلى عدم الخوف من الســجناء، عند

إطلاق سراحهم، وألا يزيدوا من صعوبة حياتهم، وأن يساعدوهم بعد رجوعهم للعيش بيننا؛ لكي نكتشف فيهم ما لم تستطع السجون اكتشافه، ألا وهو القدرة على الندم والرغبة في أن يحيوا حياةً محترمة.

إن مهمتي الشريفة هي تعزيز سلطة دولتنا في العالم، فسوف أكون سعيدًا إذا احترمتنا الدول الأخرى؛ من أجل إظهارنا التفاهم والتسامح وحب السلام.. سوف أكون سعيدًا إذا أجرى كل من البابا يوحنا بولس الثاني والدلاي لاما في التبت زيارة لبلادنا قبل الانتخابات، حتى لو استمرت ليوم واحد.. سوف أكون سعيدًا إذا تم تعزيز علاقاتنا الودية مع جميع دول العالم.. سوف أكون سعيدًا إذا نجحنا قبل الانتخابات في إقامة علاقات دبلوماسية مع الفاتيكان وإسرائيل.. سوف أكون سعيدًا أيضًا للمساهمة في تحقيق السلام عن طريق إجراء زيارات قصيرة إلى دول الجوار والجمهورية الديمقراطية الألمانية والجمهورية الألمانية الاتحادية، كما ينبغي ألا أنسى دول الجوار الأخرى - بولندا الشقيقة ودولتي المجر والنمسا القريبتين.

في الختام، أود الإعراب عن رغبتي في أن أكون رئيسًا يقل كلامه وتكثر أفعاله. أود أن أكون رئيسًا لا يكتفي بالنظر من خلال نوافذ طائراته فحسب، بل سأتواجد، أولاً وقبل كل شيء، بين الشعب وأستمع إليهم جيدًا.

ربما تتساءلون الآن عن نوع الجمهورية التي أحلم بإقامتها. اسمحوا لي أن أجيبكم: إنني أحلم بجمهورية مستقلة وحرة وديمقراطية، إنني أحلم بجمهورية مزدهرة اقتصاديًّا واجتماعيًّا أيضًا؛ باختصار، إنني أحلم بجمهورية إنسانية تخدم الفرد، ومن ثم تأمل في أن يخدمها هذا الفرد بدوره. إنني أحلم بجمهورية تضم شعبًا له قيمة، لأنه من دون هذا الشعب يصعب علينا حل أية مشكلة تواجهنا؛ سواء أكانت مشكلة إنسانية أم اقتصادية أم بيئية أم اجتماعية أم سياسية.

إن الرئيس المميز بين الرؤساء السابقين افتتح خطابه الأول بمقولة للمربي التشيكي العظيم كومينسكي، لهذا اسمحوا لي أن أختتم خطابي الأول بإعادة صياغة المقولة نفسها:

(أيها المواطنون، إن حكومتكم قد عادت إليكم مرة أخرى لخدمتكم)».

خطبة
نيلسون مانديلا

مناسبة الخطاب:

أصدرت حكومة الفصل العنصري في جنوب إفريقيا حكمها على نيلسون مانديلا بالسجن مدى الحياة، فقضى خلف القضبان سبعة وعشرين عامًا من عمره، لم تمنعه من أن يرسل رسالة في يونية من عام ١٩٨٠ إلى شعب جنوب إفريقيا يحثه فيها على مقاومة سياسة الفصل العنصري الظالمة، قائلاً:

«اتحدوا، وجهزوا، وحاربوا.. إذ ما بين سندان التحرك الشعبي ومطرقة المقاومة المسلحة، سنسحق الفصل العنصري».

ويأتي هذا الخطاب في احتفال البلاد بتولي مانديلا رئاسة جمهورية جنوب إفريقيا؛ ليصبح أول رئيس أسود لجنوب إفريقيا (في الفترة ما بين مايو ١٩٩٤ ويونية ١٩٩٩)، وتنتقل البلاد انتقالاً كبيرًا من حكم الأقلية إلى حكم الأغلبية.

وفيما يلي النص الكامل للخطاب الذي ألقاه نيلسون مانديلا بعنوان «أخيرًا.. أصبحنا أحرارًا» بفندق كارلتون في جوهانسبرج بجنوب إفريقيا في الثاني من مايو من عام ١٩٩٤.

نبذة عن حياة نيلسون مانديلا:

اسمه نيلسون روليهلالا مانديلا، وكان ميلاده ١٨ يولية ١٩١٨، حيث كان رئيسًا لجمهورية جنوب إفريقيا، وأحد أبرز المناضلين والمقاومين لسياسة التمييز العنصري التي كانت متبعة في جنوب إفريقيا. لقبه أفراد قبيلته بـ «ماديبا» وتعني «العظيم المبجل»، وهو لقب يطلقه أفراد عشيرة مانديلا على الشخص الأرفع قدرًا بينهم، وأصبح مرادفًا لاسم نيلسون مانديلا. دائمًا ما اعتبر مانديلا أن المهاتما غاندي المصدر الأكبر لإلهامه في حياته وفلسفته حول نبذ العنف والمقاومة السلمية، ومواجهة المصائب والصعاب بكرامة وكبرياء، وعن ميلاد نيلسون مانديلا ونشأته، فقد كان في قرية صغيرة تدعى ميزو في منطقة ترانسكاي، وكان والده رئيس قبيلة، وقد توفي عندما كان نيلسون لا يزال صغيرًا، إلا أنه انتخب مكان والده، وبدأ إعداده لتولي المنصب عندما كان صغيرًا، وعن نشاطه السياسي، فبعد تخرجه أصبح مانديلا في عام ١٩٦١ رئيسًا للجناح العسكري للمجلس الإفريقي القومي، وفي فبراير ١٩٦٢ اعتقل مانديلا، وحكم عليه لمدة ٥ سنوات بتهمة السفر الغير قانوني، والتدبير للإضراب، وفي عام ١٩٦٤ حكم عليه مرة أخرى بتهمة التخطيط لعمل مسلح والخيانة العظمى؛ فحكم عليه بالسجن مدى الحياة، خلال سنوات سجنه الثمانية والعشرين، وأصبح النداء بتحرير مانديلا من السجن رمزًا لرفض سياسة التمييز العنصري، وفي ١٠ يونية ١٩٨٠ تم نشر رسالة استطاع مانديلا إرسالها للمجلس الإفريقي القومي قال فيها: «اتحدوا! وجهزوا! وحاربوا! إذ ما بين سندان التحرك الشعبي، ومطرقة المقاومة المسلحة، سنسحق الفصل العنصري».

وفي عام ١٩٨٥ عرض على مانديلا إطلاق السراح مقابل إعلان وقف المقاومة المسلحة، لكنه رفض

العرض، وبقي في السجن حتى١١ فبراير ١٩٩٠، عندما أثمرت مثابرة المجلس الإفريقي القومي، والضغوطات الدولية عن إطلاق سراحه، وذلك بأمر من رئيس الجمهورية فريدريك ويليام دي كليرك، الذي أعلن إيقاف الحظر الذي كان مفروضًا على المجلس الإفريقي، وحصل نيلسون مانديلا مع الرئيس فريدريك دكليرك في عام ١٩٩٣ على جائزة نوبل للسلام.

لقد شغل مانديلا منصب رئاسة المجلس الإفريقي من يونية ١٩٩١- إلى ديسمبر ١٩٩٧، وأصبح أول رئيس أسود لجنوب إفريقيا من مايو ١٩٩٤ إلى يونية ١٩٩٩، وخلال فترة حكمه شهدت جنوب إفريقيا انتقالاً كبيرًا من حكم الأقلية إلى حكم الأغلبية، ولكن ذلك لم يمنع البعض من انتقاد فترة حكمه لعدم اتخاذ سياسات صارمة لمكافحة الإيدز من جانب، ولعلاقاته المتينة من جانب آخر بزعماء معارضين للسياسات الأمريكية، كالرئيس الكوبي فيدل كاسترو، وقد تقاعد مانديلا عن الحكم في ١٩٩٩.

وقد توفي نيلسون مانديلا يوم الخميس الموافق ٥/ ١٢/ ٢٠١٣م عن عمر يناهز ٩٥ عامًا بعد صراع مع المرض.. وأقمت له جنازة رسمية مهيبة.

نص الخطاب:

«إخواني أبناء جنوب إفريقيا.. شعب جمهورية جنوب إفريقيا:

إنها بحق ليلة بهيجة، فعلى الرغم من أن فوزنا لم يتم الإعلان عنه بشكل نهائي، فإننا قد حصلنا على النتائج الأولية للانتخابات، وسعدنا بالتأييد الساحق الذي حصل عليه حزب المؤتمر الوطني الإفريقي في الانتخابات.

أتوجه بالشكر والعرفان لكل أعضاء حزب المؤتمر الوطني الإفريقي والحركة الديمقراطية الذين عملوا بمنتهى الجد في الأيام القليلة الأخيرة، وعلى مدار العديد من العقود السابقة.

إلى أبناء شعب جنوب إفريقيا، وإلى العالم بأسره الذي يتطلع إلينا الآن، أقول: إنها ليلة بهيجة للروح الإنسانية. إن النصر الذي حققناه هو نصر لكم أنتم أيضًا؛ أنتم من قدم لنا يد العون للقضاء على التفرقة العنصرية، ووقف إلى جوارنا ونحن نجتاز هذه المرحلة الانتقالية.

لقد راقبت، مثلما فعلتم كلكم، عشرات الآلاف من أبناء وطننا وقد اصطفوا في طوابير طويلة في صبر لعدة ساعات في انتظار الإدلاء بأصواتهم، في هذه الانتخابات بالغة الأهمية، حتى إن البعض منهم افترش الأرض لينام في الخلاء أثناء الليل؛ انتظارًا لدوره في الصباح التالي.

إن أبطال جنوب إفريقيا هم الأسطورة التي تتناقلها الأجيال، ولكن أبطالنا الحقيقيين هم أنتم.. شعب جنوب إفريقيا، فهذه اللحظة بحق هي واحدة من أهم اللحظات في تاريخ بلادنا.

أقف أمامكم الآن وقد غمرني شعور بالاعتزاز والبهجة.. أشعر بالاعتزاز بأبناء شعبي العاديين البسطاء؛ فقد أظهرتم إصرارًا يتسم بالهدوء والصبر على استرداد حقكم في وطنكم، وأشعر بالبهجة لأننا نستطيع الآن أن نجهر بأعلى صوت من فوق أسطح منازلنا قائلين: أخيرًا.. أصبحنا أحرارًا!

أقف أمامكم الآن في تواضع جم أمام شجاعتكم وقلبي يملؤه الحب لكل فرد فيكم، وأعتبر أن أعظم شرف قد حظيت به في حياتي هو رئاستي لحزب المؤتمر الوطني الإفريقي في هذه اللحظة الفاصلة في تاريخ بلادنا، وكذلك اختيار حزبنا لقيادة البلاد في القرن الجديد.

أعاهدكم على استخدام كل قواي وقدراتي؛ لأكون على مستوى ما تتوقعونه مني، ومن حزب المؤتمر الوطني الإفريقي.

إنني مدين بشكل شخصي وممتن لبعض القادة العظام في جنوب إفريقيا، ومنهم: جون ديوب، وجوسيا جوميد، وجي إم نايكر، و د.عبد الرحمن، والرئيس لوتولي، وليليان نيجويي، وهيلين جوزيف، ويوسف دادو، وموسى كوتاني، وكريس هاني، وأوليفر تامبو. كل هؤلاء يجب أن يكونوا هنا الآن ليحتفلوا معنا بالنصر؛ لأن ما حققناه هو إنجاز لهم أيضًا.

غدًا، تعود قيادة حزب المؤتمر الوطني الإفريقي، وأعود معهم إلى مكاتبنا. لقد شمرنا عن سواعدنا لنبدأ التعامل مع المشكلات التي تواجهها بلادنا، ونطلب منكم أن تنضموا إلينا. عودوا إلى أعمالكم في الصباح، ولتدر عجلة العمل في جمهورية جنوب إفريقيا.

يجب أن نبدأ معًا ودون إبطاء في بناء حياة أفضل لكل أبناء جنوب إفريقيا، وهو ما يعني أن علينا إيجاد فرص عمل وبناء منازل وتوفير التعليم، ونشر السلام والأمان بين الجميع.

إن مناخ الهدوء والتسامح الذي ساد أرجاء البلاد خلال فترة الانتخابات يرسم صورة لجمهورية جنوب إفريقيا التي نستطيع بناءها، ويوضح الصورة العامة للمستقبل في بلادنا.

قد تكون بيننا اختلافات، ولكننا أبناء شعب واحد نشترك في مصير واحد، وفي خلفية تزخر بتنوع ثري في الثقافات والأعراق والتقاليد.

لقد أدلى الشعب بأصواته لصالح الحزب الذي اختاره، وهو قرار نحترمه.. فهذه هي الديمقراطية.

ها أنا ذا أمد يد الصداقة لقادة الأحزاب جميعها وكذلك لأعضائها، وأطلب منهم جميعًا أن ينضموا إلينا لنعمل معًا؛ حتى نستطيع التعامل مع المشكلات التي تواجه أمتنا. إن حكومة حزب المؤتمر الوطني الإفريقي ستخدم شعب جنوب إفريقيا كله، وليس فقط أعضاء حزب المؤتمر الوطني الإفريقي.

نعبر أيضًا عن إشادتنا بالجهد الرائع الذي بذلته قوات الأمن، فما قاموا به قد وضع أساسًا متينًا لعمل قوات الأمن الاحترافية الحقيقية التي تكرس نفسها لخدمة الشعب، وتدين بالولاء لدستور البلاد الجديد.

أما الآن، فقد حان وقت الاحتفال.. حان الوقت الذي ينضم فيه أبناء جنوب إفريقيا إلى بعضهم البعض؛ للاحتفال بميلاد الديمقراطية في بلادهم. أحتفل معكم جميعًا بعملكم الجاد لتحقيق ما لا يمكن أن أصفه بأقل من معجزة صغيرة. ولنحافظ على المناخ الذي يسود احتفالاتنا بحيث يكون مماثلاً لذلك الذي ساد الانتخابات؛ مناخ مفعم بالسلام والاحترام والانضباط ومعبر عن شعب على استعداد كامل لتحمل المسؤوليات التي تكلفه بها حكومته.

أعاهدكم على بذل أقصى ما بوسعي؛ لأكون جديرًا بالإيمان والثقة اللذين وضعتموهما في شخصي وفي الحزب الذي أرأسه؛ حزب المؤتمر الوطني الإفريقي. دعونا نبني المستقبل معًا، ونحلم بحياة أفضل لكل أبناء جنوب إفريقيا».

مكتبة
t.me/soramnqraa

خطبة
ميخائيل جورباتشوف

مناسبة الخطبة:

ألقى الخطبة التالية «ميخائيل جورباتشوف»؛ الـذي شـغل منصـب رئيـس الدولة في الاتحاد السـوفيتي السابق بين عامي ١٩٨٨ و١٩٩١، ومنصب رئيس الحزب الشيوعي السـوفيتي بين عامي ١٩٨٥ و١٩٩١، وهو الآن رئيس المؤسسـة الدولية للدراسـات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية (مؤسسة جورباتشـوف)، وقد ألقى «جورباتشوف» هذه الكلمـة في مقر الأمم المتحدة في اجتماع الجمعيـة العموميـة الثالـث والأربعين في نيويورك، بحضور ممثلي مـا يزيد عن ١٥٠ دولة؛ ليعلـن نهاية الحرب البـاردة ونهاية تباعـد دولته عن الغـرب، وبدايـة حرية الشعب السـوفيتي في تقرير مصيره، وختم كل هـذا بإعلانه خفض حجم الجيش السـوفيتي إلى نصف مليون جندي فقط في شرق أوربا وعلى حدود الصين، الأمر الذي يعطي الدول التابعة للاتحاد السوفيتي الحرية لاختيار طريقها.

نبذة عن حياة ميخائيل جورباتشوف:

هـو ميخائيل سـيرجيفيتش جورباتشـوف ولد ٢ مارس ١٩٣١، وقد شغل منصب رئيس الدولة في الاتحاد السوفيتي السـابق، بين عامي ١٩٨٨ و١٩٩١، ورئيس الحزب الشـيوعي السـوفيتي، وذلك بين عامي ١٩٨٥ و١٩٩١ كان يدعـو إلى إعادة البناء أو البيروسـترويكا، وقـد تعاون مع الرئيس الأمريكـي رونالد ريجان في إنهاء الحـرب الباردة، وحصـل على جائزة نوبل للسـلام عام ١٩٩٠، والبيروسترويكا تعني إعادة البناء، وهي برنامج للإصلاحات الاقتصادية أطلقه رئيس الاتحاد السـوفيتي ميخائيل جورباتشـوف، وتشـير إلى إعادة بنـاء اقتصاد الاتحاد السـوفيتي، وقد صاحبت البيروسترويكا سياسة الجلاسنوسـت والتي تعني الشفافية، أدت السياستان معًا إلى انهيار الاتحاد السـوفيتي وتفككه سـنة ١٩٩١؛ عندما دخل الاتحـاد السـوفيتي صفحات كتـب التاريخ بعد توقيع بوريس يلتسين على اتفاقية حل اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية.

نص الخطبة:

«كان للثورتين العظيمتين؛ الثورة الفرنسـية في عام ١٧٨٩ والثورة الروسـية في عام ١٩١٧ - تأثير قـوي على الطبيعة الحاليـة التاريخية، وعملتا على تغيير مجرى الأحداث العالمية بشـكل جذري، فقد أعطت كل ثورة، كل بطريقتها، دفعـة هائلة لتقدم البشرية، وكان للثورتين دور أيضًا، بطرق مختلفة، في تشكيل طريقة التفكير التي لا تزال سائدة بين عامة الناس.

وهـــذه ثروة روحية عظيمة، ولكننا نعيش اليوم في عالم مختلف، علينا أن نســـعى فيه بطرق مختلفة نحو التقدم في المســـتقبل، اعتمادًا بالطبع على التجارب المتراكمة، ولكن أيضًا إلى جانب رؤية الاختلافات الجذرية بين ما كان يحدث في الأمس، وما يحدث اليوم.

إن المشـــكلة لا تكمن فقط في تغير المهام وصعوبتها في الوقت نفســـه، وإنما أيضًا في أننا قد دخلنا الآن عصرًا ســـيعتمد فيه التقدم على مراعاتنا لمصالح البشرية جمعاء. يتطلب الوعي بهذا الأمر أن تتحدد السياسة العالمية من خلال أولويات قيم البشرية.

إن تاريخ الألفيـــات والقرون الماضية كان تاريخًا لحروب في كل مـــكان تقريبًا، وفي بعض الأحيـــان معارك طاحنة تؤدي إلى دمار لجميع الأطراف، حدثت هذه الحروب والمعارك نتيجة لتضارب المصالح الاجتماعية والسياسية والعداء القومي؛ بسبب التضارب الديني والفكري. كان هذا هو الحال، والآن ما زال يزعم العديد من الناس أن هذا الماضي - الذي لم يتم التغلب عليه - هو نموذج غير قابـــل للتغيير. ومع ذلك، بالتوازي مع الحـــروب والكراهية وانعزال الشـــعوب والدول، بدأ - بشـــكل موضوعي - ظهور عالم مترابط ومتكامل، الأمر الذي كان يكتسب قوة كبيرة.

إن مزيدًا من التقدم في العالم قد يصبح ممكنًا الآن فقط من خلال الســـعي إلى اجتماع البشرية كلها على التحرك نحو نظام جديد للعالم. لقد وصلنا إلى حد تؤدي فيه العفوية المكبوحة إلى نهاية مأساوية، فعلى المجتمع الدولي أن يتعلم كيفية تشكيل وتوجيه التقدم بطريقة تعمل على الحفاظ على الحضارة؛ حتى تصبح آمنة للجميع، ومناسبة للحياة العادية. إنه أمر يتعلق بالتعاون، والذي يمكن أن يطلق عليه بشـــكل أكثر دقة التنمية المشتركة والإبداع المشترك. إن التنمية على حساب الآخر قد أصبحت مفهومًا باليًا. وفي ضوء الحقائق الحالية، فإن التقدم الحقيقي عن طريق انتهاك حقوق الإنسان والشعوب وحرياتهم، أو على حساب الطبيعة هو أمر مستحيل.

يتطلب التعامل الصحيح مع المشـــاكل العالمية مستوًى جديدًا من جودة التعاون وحجمه، من جانب الدول والتيارات الاجتماعية والسياســـية، بغض النظـــر عن الاختلافات الفكرية، وأي اختلافات أخرى.

بالطبع، تحدث الآن تغيرات ثورية وجذرية وسوف تستمر في الحدوث في الدول والهياكل الاجتماعية. كان ذلك هو الحال، وسوف يستمر كما هو، ولكننا نقوم الآن ببعض الإصلاحات. إن عمليات التغيير الداخلي لا يمكن أن تحقق أهدافها القومية، عن طريق مجرد اتخاذ طريق موازٍ للآخرين، دون الاستعانة بإنجازات العالم المحيط، وإمكانيات التعاون العادل. في هذه الظروف، نرى أن التدخل في هذه العمليات الداخلية بهدف تغييرها، وفقًا لقواعد شخص آخر سوف يكون الأكثر تدميرًا لظهور نظام سلمي. في الماضي، كان الاختلاف أحد العوامل المؤدية إلى ابتعاد الناس عن بعضهم البعض. والآن، أصبح هناك فرصة لأن يكون الاختلاف عاملاً في الإثراء والانجذاب المتبادل. في الواقع، تقف المصالح خلف الاختلافات في الهياكل الاجتماعية وفي أسلوب الحياة وفي تفضيل قيم معينة، وليس هناك من سبيل للخروج من ذلك، وكذلك ليس هناك سبيل للهروب من الحاجة لإيجاد توازن بين المصالح في إطار دولي، والذي أصبح شرطًا للتقدم والبقاء. حينما نفكر في كل ذلك، فسوف نستنتج أننا إذا أردنا أن نأخذ في اعتبارنا دروس الماضي وحقائق الحاضر، وإذا أردنا أن نأخذ في اعتبارنا المنطق الموضوعي لتطور العالم؛ فمن الضروري أن نسعى معًا تجاه طريقة لتحسين الوضع الدولي وبناء عالم جديد. وإذا كان الأمر كذلك، فإنه يستحق الاتفاق على المبادئ والمتطلبات الأساسية العالمية لمثل هذه الأفعال. فمن الواضح، على سبيل المثال، أن القوة والتهديد بها لا يمكن أن يكونا بعد الآن، ولا يجب أن يكونا أدوات السياسة الخارجية.

إن أهمية مبدأ حرية الاختيار أمر أيضًا واضح بالنسبة لنا، وإن الفشل في الاعتراف بذلك محفوف بعواقب خطيرة جدًا تتعلق بالسلام العالمي؛ ذلك حيث يعني إنكار حق الشعوب في ذلك، أيًا كانت الحجة، وأيًا كانت الكلمات المستخدمة لإخفائه - انتهاكًا حتى للتوازن غير المستقر الذي كان من الممكن تحقيقه.

إن حرية الاختيار مبدأ عالمي لا يجب أن ينطوي على أي استثناءات، وإننا لم نتوصل إلى حقيقة أن هذا المبدأ ثابت لا يمكن تغييره من خلال الدوافع الجيدة، فقد استنتجنا ذلك من خلال التحليل المحايد للأحداث الموضوعية في وقتنا الحالي. إن الأمثلة المتزايدة للتطور الاجتماعي

في دول مختلفــة قد أصبحت ملمحًا يمكن إدراكــه في تلك الأحداث أكثر من أي وقت مضى، وهذا يرتبط بالنظامين الاشــتراكي والرأســمالي. إن تنوع الهياكل السياسية الاجتماعية التي قد نمت على مدار العقود الأخيرة، من حركات التحرير الوطنية تظهر أيضًا ذلك، وتســتلزم هذه الحقيقة الموضوعية احترام التنافس بين الناس ومواقفهم والتسامح والاستعداد لرؤية الظاهرة المختلفة على أنها ليست بالضرورة سـيئة أو عدائية، والقدرة على التعلم وعلى العيش جنبًا إلى جنب، بينما يظل الاختلاف وعدم الاتفاق مع الآخر في كل قضية موجودًا.

لقــد أصبح عدم أيديولوجية العلاقات بين الدول مطلبًــا للمرحلة الجديدة. إننا لا نتخلى عن تقاليدنا وفلســفتنا وعاداتنــا، ولا ننادي كذلك بأن تتخلى أي دولــة أخرى عن تقاليدها وعاداتها، ولكننا لن نقوم بحصر أنفســنا في نطاق القيم الخاصة بنا، فهذا قد يؤدي إلى ســلب القوة الروحية، وهذا قد يعني التخلي عن مصدر فعال جدًّا من التنمية مثل مشاركة جميع القيم الأصلية التي أبدعتها كل دولة بشــكل مستقل. عند القيام بالمشــاركة، على كل طرف إثبات مزايا نظامه وطريقة معيشته وقيمه، ولكن ليس فقط من خلال الكلمات أو الدعاية، ولكن من خلال أفعال حقيقية أيضًا. وفي الحقيقة، هذا يعد كفاحًا صادقًا للأيديولوجية، ولكن يجب ألا ينتقل هذا الكفاح إلى العلاقات المتبادلة بين الدول، وإلا فلن نكون ببســاطة قادرين على حل مشكلة عالمية واحدة، أو تنســيق التعاون العادل المفيد المتبادل واسع النطاق بين الشعوب، أو إدارة إنجازات الثورة التقنية والعلمية بعقلانية، أو تغيير العلاقات الاقتصادية العالمية، أو حماية البيئة، أو التغلب على التخلف الحضاري، أو القضاء على الجوع والأمراض والجهل والمساوئ الاجتماعية الأخرى. في النهاية، في هذه الحالة، لن نســتطيع التحكم في وقف التهديد النووي والتسلط العسكري.

هذا تصورنا عن الترتيب الطبيعي للأشــياء في العالم، على مشــارف القرن الحادي والعشرين. إننا بالطبع لا يمكننا الزعم بأن لدينا حقيقــة مؤكدة لا تحتمل الخطأ، ولكن نظرًا لأننا قمنا بتحليل الحقائق الســابقة التي ظهرت مرة أخرى بدقة، فقد اســتنتجنا أنه من خــلال تلك الطرق علينا أن نبحث معًا عن سبيل لتحقيق السيادة للأفكار البشرية الشائعة، على العدد الكبير من القوى الطاردة.

إن دولتنـــا قد مرت بثورة قوية حقًّا. إن عملية إعادة الهيكلة تحظى بتقدم كبير؛ فإننا قد بدأنا عن طريق شرح المفاهيم النظرية لإعادة الهيكلة، وكان علينا أن نقيِّم طبيعة ونطاق المشـــاكل، وأن نترجم دروس الماضي، ونعبر عنها في شكل برامج واستنتاجات سياسية. هذا قد تم إنجازه بالفعل. لكن لم ينتــه العمل النظري، وإعادة ترجمة ما قد حــدث، والتحليل الأخير والإثراء وتصحيح المواقف السياسية. إنهم يســتمرون في عملهم. ومع ذلك، من المهم بشكل أساسي البــدء من مفهوم إجمالي، والذي يتم تأكيده بالفعل الآن عن طريق تجارب الســنوات الماضية، والتي تبين أنها كانت صحيحة بشكل عام ولا يوجد بديل لها.

من أجل إشراك المجتمع في تنفيذ خطط إعادة الهيكلة، يجب أن يصبح حقًّا أكثر ديمقراطية، وتحت شــعار إرســاء الديمقراطية، تشــمل إعادة الهيكلة الآن السياســة والاقتصاد والحياة الروحانيــة والأيديولوجية، ولقد قمنا بالإعلان عن إصلاح اقتصادي جذري، وقمنا بتجميع الخبرات، وبداية من العام الجديد، ســنقوم بتحويل الاقتصاد القومي الكلي إلى أشكال وطرق عمل جديدة، وهذا يعني إعادة تنظيم عميــق لعلاقات الإنتاج، وإدراك القوة الهائلة للملكية الاشتراكية.

في اتجاهنـــا نحو هذه التغيــيرات الثورية الجريئة، كنا على دراية بأنـــه قد يكون هناك بعض الأخطاء، وأنه سوف تكون هناك مقاومة، وأن الحداثة سوف تجلب مشاكل جديدة، ولقد تنبأنا بإمكانية انقسامنا إلى أقسام فردية. ومع ذلك، فإن الإصلاح الديمقراطي العميق للنظام الكلي للســلطة والحكومة هو الضمان أن العملية الإجمالية لإعادة الهيكلة، سوف تسير بثبات للأمام وسوف تجمع القوى.

لقد أكملنا المرحلة الأولى لعملية الإصلاح السياسي بالقرارات الأخيرة التي أصدرها برلمان الاتحاد السوفيتي، حول تعديلات دســتورية وإقرار قانون الانتخابات، وقد باشرنا العمل في المرحلــة الثانية دون توقف. لقد قمنـــا في المرحلة الثانية بأكثر المهام أهميــة، وهي العمل على التفاعل بين الحكومة المركزية والدول، وتســوية العلاقات بين الجنسيات المختلفة على أساس سياسة التعاون الدولية الخاصة بمذهب «لينين» في الشيوعية التي انتقلت إلينا من خلال الثورة

العظيمة، وفي الوقت نفسه، إعادة تنظيم قوة السوفيتيين محليًّا. لدينا الكثير من العمل، وفي الوقت نفسه علينا إيجاد حلول لمشكلات كبيرة.

لدينا ثقة هائلة، حيث إننا نمتلك النظرية والسياسة والقوة الأولية، لإعادة هيكلة حزب يقوم أيضًا بإعادة هيكلة نفسه؛ وفقًا للمهام الجديدة والتغيرات الجذرية في المجتمع، وأود أن أؤكد على شيء مهم، وهو أن جميع الشعوب والأجيال من المواطنين في دولتنا العظيمة يدعمون نظام إعادة الهيكلة.

لقد مضينا بقوة وعمق تجاه بناء دولة اشتراكية تقوم على سلطة القانون، فقد تم إعداد مجموعة من القوانين الجديدة أو قرب الانتهاء منها، وستدخل بعض هذه القوانين حيز التنفيذ عام ١٩٨٩، وإننا على ثقة بأنها سوف تتوافق مع أفضل المعايير، من منطلق ضمان حقوق الفرد. إن الديمقراطية السوفيتية هي اكتساب قاعدة معيارية راسخة، وهذا يعني إصدار بعض القوانين مثل قانون حرية التفكير، وقانون مناقشة مشاكل الدولة، وقانون المنظمات والجمعيات العامة، وغير ذلك الكثير. لا يوجد الآن أحد في سجون الدولة تم حبسه بسبب قضايا دينية أو سياسية. وقد تم تقديم اقتراح بشأن إدراج ضمانات إضافية في مشاريع القوانين الجديدة، تستبعد أي اضطهاد على هذه الأسس. بالطبع، هذا لا ينطبق على هؤلاء الذين ارتكبوا جرائم حقيقية أو جرائم دولية؛ مثل الجاسوسية وأعمال التخريب والإرهاب وغير ذلك من الجرائم، أيًّا كانت الآراء الفلسفية أو السياسية التي يعتنقونها.

إن مشروع تعديل قانون الجرائم جاهز، وفي انتظار دوره.. فبشكل خاص، تتم مراجعة تلك القوانين المتعلقة باستخدام الإجراء العقابي الأعلى. إن مشكلة الخروج والدخول من وإلى الدولة، يتم حلها - أيضًا - بروح إنسانية، بما فيها قضية ترك الدولة؛ من أجل اللحاق بالأقارب في دول أخرى. وكما تعلمون، من بين أسباب رفض الحصول على تأشيرات هو رفض المواطنين الإفصاح عن أسباب سفرهم. سيتم تحديد شروط صارمة مقدمًا للفترة الزمنية لعدم الإفصاح عن سبب السفر. عند بدء العمل في هذا الأمر، سوف يتم تعريف كل فرد بهذا القانون. ويمكن الاحتكام إلى القانون لحل النزاعات الناشئة. لذلك، سيتم التغلب على مشكلة المواطنين السوفيتيين اليهود الذين لا يسمح لهم بالهجرة.

إننا ننوي توسيع مشاركة الاتحاد السوفيتي في آلية مراقبة حقوق الإنسان، في الأمم المتحدة وفي إطار التأييد الأوربي. إننا نرى أن صلاحيات المحكمة الدولية في لاهاي، فيما يتعلق بتفسير وتطبيق اتفاقيات في مجال حقوق الإنسان يجب أن تكون إجبارية لجميع الدول.

في إطار عملية هلسنكي، إننا - أيضًا - نبحث عن حل للتشويش على جميع إذاعات الراديو الأجنبية إلى الاتحاد السوفيتي. وفي المجمل، إن عقيدتنا تتمثل فيما يلي: يجب حل المشاكل السياسية فقط بطرق سياسية، والمشاكل الإنسانية فقط بطرق إنسانية.

والآن سوف أتطرق إلى أكثر الموضوعات أهمية، والتي بدونها لا يمكن حل أي مشكلة في القرن القادم، وهي نزع السلاح.

اليوم سوف أخبركم بأمر مهم: اتخذ الاتحاد السوفيتي قرارًا بتقليل قواته المسلحة؛ ففي خلال العامين القادمين، سيتم تقليل القوة العددية؛ لتصل إلى ٥٠٠٠٠٠ جندي، وسوف يتم تقليل حجم الأسلحة كثيرًا. هذا التقليل سوف يتم القيام به من جانب واحد، وهو غير مرتبط بالمفاوضات الخاصة بالتفويض لمؤتمر فيينا. بالاتفاق مع حلفائنا في اتفاقية وارسو، فقد اتخذنا قرارًا بسحب ست فرق دبابات من ألمانيا وتشيكوسلوفاكيا والمجر، وأن يتم تسريح الجيوش بحلول ١٩٩١، وسوف يتم سحب أيضًا وحدات وتشكيلات هبوط الانقضاض وقوات عبور الأنهار بأسلحتها وعدتها الحربية، من مجموعات القوات السوفيتية الموجودة في هذه الدول، وسوف يتم أيضًا تخفيض القوات السوفيتية في هذه الدول لتصبح ٥٠٠٠٠ جندي، وتخفيض تسليحها إلى ٥٠٠٠ دبابة. بالإضافة إلى ذلك، سيتم إعادة تنظيم جميع الفرق السوفيتية المتبقية على أراضي حلفائنا، وسوف يتم تشكيلها بشكل مختلف عن تشكيل اليوم، والتي سوف تصبح دفاعية بشكل لا غموض فيه، بعد تقليل عدد كبير من دباباتها.

فمن خلال هذا الإجراء، مثل جميع الإجراءات الأخرى التي اتخذناها والهادفة إلى تجريد علاقاتنا الدولية من الصفة العسكرية، فإننا نريد أيضًا أن نلفت انتباه المجتمع الدولي لمشكلة أخرى مهمة؛ ألا وهي مشكلة الانتقال من اقتصاد امتلاك السلاح إلى اقتصاد نزع السلاح. فهل تحويل الإنتاج العسكري أمر واقعي؟ إن لدي الفرصة لكي أتحدث عن هذا الأمر. إننا

نرى بالفعل أن تحويل الإنتاج العسكري أمر واقعي. ومن جانبنا، فإن الاتحاد السوفيتي مستعد للقيام بالآتي. في إطار الإصلاح الاقتصادي، إننا مستعدون لإعداد خطتنا الداخلية وتقديمها لكي يتم تغييرها، وإعداد خطط تغيير اثنين أو ثلاث من المؤسسات الدفاعية في غضون عام ١٩٨٩ كتجربة، ومستعدون كذلك لنشر تجربتنا الخاصة بالانتقال الوظيفي للخبراء من مجال الصناعة العسكرية، وكذلك استخدام معداتها ومنشآتها وأعمالها في الصناعة المدنية، فمن الأفضل أن تقدم جميع الدول - وخاصة القوى العسكرية العظمى - خططها القومية حول تلك القضية إلى هيئة الأمم المتحدة.

سيكون من الضروري تشكيل فريق من العلماء، تكون مسؤوليته إجراء تحليل شامل لمشكلات تحويل المؤسسات الدفاعية ككل، كما تنطبق على كل دولة وإقليم، على أن يتم إطلاع الأمين العام للأمم المتحدة عليها، ومن ثم يقوم بدراسة هذا الأمر في اجتماع الجمعية العامة للأمم المتحدة.

وفي النهاية، بما أنني على أرض الولايات المتحدة الأمريكية، ولأسباب أخرى مفهومة، علي أن أنتقل للحديث عن نقطة أخرى؛ ألا وهي علاقاتنا بهذه الدولة العظمى.

لقد دامت العلاقات بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الأمريكية، على مدار خمسة عقود ونصف، ومع تغير العالم من حولنا، تغيرت طبيعة تلك العلاقات وكذلك دورها ومكانتها بين السياسات العالمية. وقد قامت هذه العلاقات طويلاً في ظل جو من الخلافات، وفي بعض الأحيان العداء، سواء تم إظهاره أو إخفاؤه. ولكن خلال الأعوام القليلة الماضية، أصبح الناس في جميع أنحاء العالم قادرين على التقاط أنفاسهم والشعور بالراحة؛ بفضل تغير إطار العلاقات وجوهرها بين موسكو وواشنطن إلى الأفضل.

إننا لا نقصد هنا التقليل من قدر الخلافات الشديدة فيما بيننا، والصعوبات التي تواجهنا في حل المشكلات التي لم يتم تسويتها بعد. مع ذلك، لقد خطونا الخطوة الأولى نحو التفاهم المشترك فيما بيننا، ومحاولة البحث عن حلول تتناسب مع مصالحنا والمصالح المشتركة بيننا. لقد أنشأ الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الأمريكية أكبر ترسانة صواريخ نووية، ولكن

بعد أن أدركت الدولتان مسـؤولياتها بموضوعية، كانتـا قادرتين على أن تكونا أول من يعقد اتفاقية؛ لتقليل وتدمير جزء من هذه الأسـلحة التي مثلت مصـدر تهديد لكل من الدولتين، وباقي الدول الأخرى.

يمتلك كلا الجانبين أخطر الأسرار العسكرية وأكثرها دقة، ولكن هاتان الدولتان هما اللتان وضعتا أسـاس نظام التصديق المتبادل وتقومان بتطويره فيما يتعلق بتدمير الأسـلحة، وتقليل إنتاجها ومنـع امتلاكها، وهاتان الدولتان هما اللتان تمتلكان الخبرة لعقد اتفاقيات مسـتقبلية ثنائية أو متعددة الأطراف، ونحن نقدر ذلك.

إننا نشكر ونقدر مسـاهمات الرئيس «رونالد ريجان» وأعضاء إدارته، وعلى رأسهم السيد «جورج شـولتز»، فكل ذلك يعد رأس المال الذي تم استثماره في مسؤولية مشتركة ذات أهمية تاريخيـة. لا يجب إهدار رأس المال هذا أو تركه دون تداوله. إن الإدارة الأمريكية القادمة التي يرأسـها الرئيس المنتخب الجديد «جورج بوش»، ستجد فينا الشريك المستعد - دون وقفات طويلة أو تقهقر للخلف - لاستمرار الحوار بروح الواقعية والصراحة والنوايا الحسنة مع بذل الجهد للوصول إلى نتائج ملموسـة، من خلال جدول أعمال يشـتمل على القضايا الأساسية للعلاقات بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة إلى جانب السياسات الدولية.

إننـا نتحدث أولاً وقبل كل شيء عـن التقدم بثبات نحو توقيع معاهدة تقليل الأسـلحة الاستراتيجية الهجومية إلى ٥٠٪، مع الإبقاء على المعاهدة الخاصة بالأسلحة المضادة للصواريخ الباليسـتية، وعن عقد اتفاقية منع الأسـلحة الكيماوية - وهذا سوف يدفعنا إلى أن نجعل عام ١٩٨٩ العام الحاسـم - وعن محادثات تقليل الأسلحة العادية والقوات المسلحة في أوربا. إننا نتحدث - أيضًا - عن المشكلات الاقتصادية والبيئية والإنسانية على أوسع نطاق ممكن.

إننـا لا نميل إلى المبالغة في تبسـيط الموقف الراهن في العالم. بالفعـل، إن الاتجاه نحو نزع السـلاح قد نال دفعة قوية، وأصبح في تقدم مستمر، ولكن الأمور من الممكن أن تعود لسابق عهدها. لا شـك أن محاولات إحلال الحوار والتعاون محل المواجهة العسكرية أصبح لها الآن صدًى كبير، ولكنها لم تتخذ بعد وضعها المأمول في مجال العلاقات الدولية. بالفعل، إن التحرك

نحو عالم خالٍ من الأسلحة النووية وأعمال العنف؛ سيؤدي بشكل أساسي إلى تغيير الوجه الروحي والسياسي للعالم، ولكن الخطوات الأولى فقط هي التي تم اتخاذها في هذا الشأن. بالإضافة إلى ذلك، ففي بعض الدوائر السياسية ذات النفوذ، استقبلت هذه المحاولات بشيء من عدم الثقة والمقاومة.

إن توارث سلبيات الماضي ما زال مستمرًا؛ فللأسف لم تختف خلافات عميقة وجذور العديد من الصراعات، وتظل الحقيقة الأساسية كامنة في أن تشكيل الفترة السلمية سوف يحدث في ظل وجود الأنظمة السياسية والاقتصادية والاجتماعية المتعددة وتنافسها. ومع ذلك، فإن هدف جهودنا الدولية، وأحد المعتقدات الأساسية للفكر الجديد هو إضفاء صفة العقلانية على التنافس مع احترام حرية الاختيار وتوازن المصالح. وفي هذه الحالة، ستظل المنافسة مفيدة ومثمرة من وجهة نظر التطور العام للعالم؛ ولكن إذا ظل العنصر الأساسي هو التنافس في تصنيع وامتلاك الأسلحة، كما هو الحال حتى الآن، فسوف يكون التنافس فتاكًا. وبالفعل، بدأت أعداد كبيرة من الناس حول العالم، بداية من رجل الشارع وحتى قادة الدول، في فهم هذا الأمر.

السيد السكرتير العام للأمم المتحدة الموقر، السادة المندوبون الموقرون: إنني أختم خطابي الأول في هيئة الأمم المتحدة بالشعور نفسه الذي بدأته به، وهو الشعور بالمسؤولية تجاه شعبي والمجتمع الدولي. لقد التقينا في نهاية عام يعد نقطة فاصلة في تاريخ الأمم المتحدة، وفي مطلع عام يتوقع جميعنا الكثير منه. إنني أؤمن بأن جهودنا المشتركة التي تهدف إلى إنهاء عصر الحروب والمواجهات والصراعات الإقليمية والتعدي على الطبيعة، والخوف من الجوع والفقر، وكذلك الإرهاب السياسي، سوف تكون على مستوى آمالنا. هذا هو هدفنا المشترك الذي سوف نصل إليه فقط من خلال العمل معًا.. شكرًا لكم».

خطبة

فريدريك ويليام دي كليرك

مناسبة الخطاب:

ألقى «فريدريك ويليام دي كليرك»، آخر رئيس أبيض لجنوب إفريقيا، هذا الخطاب في بداية الجلسة الثانية، للبرلمان التاسع، لجمهورية جنوب إفريقيا في العاصمة كيب تاون في الثاني من فبراير عام ١٩٩٠. ولقد غير هذا الخطاب مصير أمة؛ حيث دعا فيه إلى نبذ العنصرية بين أبناء الوطن الواحد، والتمهيد إلى المساواة والعدالة، وإرساء قواعد دولة ديمقراطية في جنوب إفريقيا، كما أعلن فيه قرار الإفراج عن أهم رؤساء جنوب إفريقيا في السنوات التالية «نيلسون مانديلا»، وإعادته إلى الحياة السياسية مجددًا.

نبذة عن حياة فريدريك ويليام دي كليرك:

عن حياته فهو سياسي ومحامٍ جنوب إفريقي ولد في ١٨ مارس ١٩٣٦ في جوهانسبرج، وعن قيمته التاريخية فهو آخر رئيس أبيض لجنوب إفريقيا، وقد امتدت ولايته من ١٩٨٩ إلى ١٩٩٤، وقد قام فريدريك بعدة تعديلات أدت إلى إنهاء الفصل العنصري سنة ١٩٩١، كما قاد عدة حوارات مع المجلس الإفريقي القومي بقيادة نيلسون مانديلا حيث أدت إلى تشكيل أول حكومة متعددة الأعراق في تاريخ البلاد، وقد عملت هذه العوامل على حصوله على جائزة نوبل للسلام مناصفة، مع نيلسون مانديلا سنة ١٩٩٣ وقد شغل بين ١٩٩٤ و١٩٩٦ منصب نائب الرئيس (نيلسون مانديلا في ذلك الوقت)، كما شغل بين ١٩٨٩ و ١٩٩٧ منصب رئيس الحزب الوطني (جنوب إفريقيا).

نص الخطاب:

«أيها السادة أعضاء البرلمان..

لقد وضعت الانتخابات العامة؛ التي أجريت في السادس من سبتمبر لعام ١٩٨٩، بشكل نهائي بلدنا على طريق تغيير كبير، وتتمثل أهمية ذلك في دلالته على إدراك متزايد من قبل عدد كبير من شعب جنوب إفريقيا، بأن التفاهم القائم على التفاوض فقط، بين القادة الممثلين للشعب كافة هو السبيل الوحيد لضمان السلام الدائم في البلاد.

فإن البديل المقابل لذلك هو العنف والتوتر والصراع المتزايد، وهذا غير مقبول وليس في صالح الجميع، ويرتبط خير هذه الأمة ومصلحتها حتميًّا بقدرة زعمائها على الاتفاق على عهد جديد لإدارة البلاد، ولا يمكن لأحد أن ينكر هذه الحقيقة البسيطة.

مـــن جانبها، أولت الحكومة الأولوية القصوى لعملية التفاوض، بهدف إيجاد إدارة جديدة تمامًا ودســتورية، يتمتع في ظلها كل أطياف الشــعب بحقوق متساوية ومعاملة عادلة وفرص متكافئة، في كل مناحي الحياة؛ الدستورية والاجتماعية والاقتصادية.

إني آمــل أن يلعب البرلمان الجديد دورًا بناءً، في مرحلة مــا قبل المفاوضات وخلال عملية التفاوض نفسها. وأرغب أن أتوجه إلى كل من يتبنى الهدف الكبير الذي يتمثل في إرساء قواعد لجنوب إفريقيا جديد، وهؤلاء أغلبية ساحقة، ببعض المطالب وهي:

- تنحية السياسات الثانوية جانبًا، عندما نناقش شؤون مستقبل البلاد في هذه الجلسة.
- التعاون للوصول إلى إجماع عام، على مبادئ أساسية لإدارة جديدة واقعية وديمقراطية.
- التعاون لوضع خطة لتحرير بلدنا من مناخ التشكك الذي ساده، وإبعاده عن السيطرة أو التطرف من أي نوع.

خلال دورة هــذا البرلمان الجديد، يجــب أن نتعامل على نحو مكمــل لبعضنا البعض، مع العمليات الطبيعية للتشريع والمهام اليومية للحكومة، وكذلك مع عملية التفاوض والتجديد.

خلال هذا النطــاق، أود أن أتطــرق أولاً إلى العديد من الأمور التي ترتبــط كثيرًا بالمهام الطبيعية للحكومة، قبل الانتقال خصيصًا إلى التفاوض والأمور ذات الصلة به.

١- العلاقات الخارجية:

تعــي الحكومة الدور المهم الذي يجب أن يلعبه العالم كله، في تحقيق المصالح الوطنية لبلدنا. إنه دون التواصل والتعاون مع باقي دول العالم، لن نستطيع تعزيز رفاهية وأمان مواطنينا، لقد أدت التطورات المتغيرة في السياسات الدولية، إلى إتاحة فرص جديدة أمام جنوب إفريقيا، كما كان هناك تحســينات عديدة مهمة في مناحٍ عديدة، منها اتصالاتنا الخارجية، خاصة تلك التي كانت محظورة من قبل لاعتبارات أيديولوجية. إني أطمح أن يعمل التغيير المهم للمناخ الذي يسود جنوب إفريقيا الآن، على تشجيع هذا الاتجاه.

بالنسبة لجنوب إفريقيا، بل وللعالم كله، كان العام الماضي أحد التغييرات والتطورات الكبيرة، ففي أوربا الشرقية وحتى في الاتحاد السوفيتي نفسه، اجتاحت الموجة السياسية والاقتصادية البلاد، بمد لا يمكن مواجهته أو إيقافه. في الوقت نفسه، تعرضت بكين لموجة عارضة قاسية من العنف؛ بسبب حنين شعب الصين إلى قدر كبير من الحرية. سيدون التاريخ عام ١٩٨٩، كنهاية لنظام الشيوعية الذي أرسى قواعده «ستالين».

ستؤدي حتماً هذه التطورات إلى عواقب غير متوقعة، لها تأثيرها على أوربا، لكنها أيضًا ذات أهمية حاسمة لإفريقيا، فهؤلاء الذين يسعون لفرض فشل نظم ما على جنوب إفريقيا، لا بد أن يعيدوا النظر في وجهات نظرهم، ولا بد أن يتضح للجميع أن حل ذلك ليس هنا، ويوضح الموقف الجديد في أوربا الشرقية أيضًا أن التدخل الخارجي ليس سبيلاً لأي تغيير في الأحوال الداخلية للبلاد؛ فإنه لن يكون مجديًا، بغض النظر عن دافعه الأيديولوجي، وحدثت تلك الثورة في أوربا الغربية دون تدخل القوى العظمى لمنظمة الأمم المتحدة.

تواجه دول جنوب إفريقيا تحديًا معينًا؛ فإنها تتمتع بفرصة تاريخية لتنحية صراعاتها واختلافاتها الأيديولوجية جانبًا، ووضع برنامج مشترك لإعادة البناء. ويجب أن يكون هذا البرنامج جذابًا بشكل كافٍ لضمان حصول منطقة جنوب إفريقيا على استثمارات كافية، ورأس مال مقترض من الدول الصناعية في العالم. إذا لم تحقق دول جنوب إفريقيا الاستقرار وتتخذ مبدأ مشتركًا للتطور الاقتصادي بسرعة، فسوف تواجه المزيد من الانهيار والتدهور.

تستعد الحكومة الآن لبدء مناقشات مع دول جنوب إفريقيا الأخرى، بهدف صياغة خطة تطوير واقعية، وتعتقد الحكومة أنه قد تم التغلب تمامًا على كل العوائق التي قد تحول دون انعقاد مؤتمر، يجمع كل دول جنوب إفريقيا.

يجب أن يحل التعاون محل العداء؛ والتواصل محل المواجهة، والترابط محل الفرقة، والنقاش الحريص محل الشعارات. لقد انتهى عهد العنف، وحان وقت إعادة البناء والمصالحة.

بالفعل، حققت علاقات واتصالات جنوب إفريقيا مع الدول الإفريقية الأخرى على نحو غير معتاد نتائج إيجابية، وأثناء زياراتي إلى بعض الدول الإفريقية، اســتقبلني رؤساؤها السيد «موبوتو» والســيد «تشيسـانو» والسيد «هوفويه بواني» والســيد «كاوندا» بود وترحاب على المســتويين الخاص والعام، وعبر هؤلاء الرؤساء عن خالص اهتمامهم بالمشكلات الاقتصادية الخطــيرة في منطقتنا، وأبــدوا موافقتهم على أنه يجب أن تلعب جنــوب إفريقيا دورًا إيجابيًّا في التعاون والتطور الإقليمي.

لقد أدرك العالم مساهمتنا الإيجابية في عملية الاستقلال؛ التي حصلت عليها جمهورية إفريقيا الجنوبية الغربية، فلقد أســهم حسن نوايا بلدنا وشعوره بالمسؤولية كمفاوض - كثيرًا في نجاح الأحداث، وهذا أيضًا كان ملحوظًا. بالمثل، لاقت جهودنا في إنهاء مواقف الصراع الداخلية في موزمبيق وأنجولا إقرارًا إيجابيًّا بها.

حاليًّا، تشــترك حكومة بلدنا في المفاوضات المعنية بعلاقاتنا المستقبلية مع ناميبيا المستقلة، وليس هناك أســباب وراء عدم وجود علاقات جيدة تربط بين البلدين، وتحتاج ناميبيا جنوب إفريقيا، ونحن على استعداد للعب دور بناء تجاهها.

في نهايــة جولتي في المنطقة، قمت بزيارات مثمرة إلى فيندا وإقليم ترانســكي وسيســكي، وأنوي زيارة بوتســوانا. في الآونة الأخيرة، كان هناك نقاش مثير عن العلاقات المستقبلية التي ســتربط بين بلدنا وتلك الدول، وخاصة ما إذا كان يجب إعادة ضم تلك البلاد إلى بلدنا مجددًا أم لا.

دون رفض هذه الفكرة ودون التفكير فيها، لا بد من الأخذ في الاعتبار أنها أحد الاحتمالات، وتعتبر هذه الدول دســتوريًّا مستقلة، وفي حالة ضمها مجددًا لجنوب إفريقيا، لا بد من التعامل معهــا بأية صورة، ليس فقط عن طريق التشريع في مجالســهم البرلمانية، ولكن أيضًا عن طريق التشريع في مجلسنا البرلماني هذا، ومن الطبيعي أن يسبق هذا الأمر محادثات واتفاقيات.

٢- حقوق الإنسان:

في وقــت مضى، أحالت الحكومة طلبًا لحماية حقوق الإنســان الأساســية إلى لجنة القانون بجنــوب إفريقيا، الأمر الذي أدى إلى إصدار وثيقة عمل مؤقتــة من قبل اللجنة تضم حقوق الفرد والأقليات، إنها طرحت استنباطًا للمصلحة الأساسية للشعب.

لــدي قناعة أن كل فرد ومنظمــة في الدولة لديه فرصة كبيرة، لتقديــم تصورات إلى لجنة القانــون، وللنقد بحرية، ولتقديــم اقتراحات. حاليًا، تدرس لجنة القانــون التصورات التي تلقتها، ومن المتوقع أن تقدم تقريرًا نهائيًا عنها خلال هذا العام.

من ناحية الأهمية الاســتثنائية التي يتمتع بها موضوع حقوق الإنسان، بالنسبة لبلدنا وكل شعبه، أود أن أطلب من لجنة القانون قبول هذه المهمة وإعطاءها أولوية كبيرة.

ما زالت كل قضية لحماية حقوق الفرد والأقليات، والتي تتضمن الحقوق الجماعية وحقوق المجموعــات الوطنية - قيد بحث ومناقشــة لجنــة القانون. لذلك، فليس مناســبًا أن تعرب الحكومة عن أية رؤية عن التفاصيل الآن. ومع ذلك، تجلت بعض الأمور الأساســية بوضوح كافٍ، وأتمنى أن أعلق عليها.

توافق الحكومة على مبدأ الإقرار بحقوق الفرد الأساسية، التي تشكل أساسًا دستوريًا لمعظم الأمثلة بدول الغرب الديمقراطية، وحمايته، ونحن نقر أيضًا بأن الأسلوب الأكثر عملية لحماية هذه الحقوق، هــو تضمينها في إعلان للحقوق تصدره هيئة قضائية مســتقلة. ومع ذلك، من الواضح أن أي نظام لحماية حقوق الأفراد والأقليات والكيانات الوطنية، يجب أن يشكل كيانًا شــاملاً ومتوازنًا. إن بلدنا يتمتع بتركيبته الوطنية، ويجب أن يضع نظامنا الدســتوري ذلك في الاعتبار. ولا يعني الإقرار الرسمي بحقوق الفرد وضع نهاية لمشكلة اختلاف أجناس الفئات الســكانية من حيث خصائصها، ولا يعتبر أي دســتور جديد مناسبًا أو ملائمًا إذا تجاهل، أو لم يكترث بتلك الحقيقة، بل سيثبت حتى ضرره.

من الطبيعي ألا تؤدي حماية الحقوق الجماعية وحقوق الأقليات والحقوق القومية إلى اختلال

التوازن، فيما يتعلق بحقوق الفرد، فلن تكون سياسة الحكومة بالأمر الذي سيحصل على تأييد أية مجموعة واستحسانها مهما كانت هويتها، أو فيما يتعلق بأي من المجموعات الأخرى.

تطالب الحكومة لجنة القانون أن تتولى مسـؤولية إضافيـة، وإعداد تقرير عنها، تتمثل هذه المهمـة في كفالة الحماية المتوازنة لحقوق الإنسـان، وضمانها لكل المواطنـين، وكذلك لحقوق الوحدات الجماعية والمؤسسـات والأقليات والأمم في الدستور المستقبلي. سوف يفي البحث أيضًا بهدف دفع المفاوضات قدمًا نحو وضع دستور جديد.

تتضمن أيضًا بنود المرجعية:

- تمييز الأنواع الأساسية ونماذج الدساتير الديمقراطية التي تستحق الدراسة والاحتذاء بها في السياق السابق ذكره.
- تحليل طرق حماية الحقوق ذات الصلة في كل نموذج.
- بيـان الطرق المحتملة التي يمكـن من خلالها العمل على نجاح مثل هذه الدسـاتير، وحمايتها بأسلوب مشروع وقانوني.

٣- عقوبة الإعدام:

لقد كانت عقوبة الإعدام محل مناقشة كبيرة في الشهور الأخيرة، ومع ذلك، أولت الحكومة اهتمامها إلى هذا الأمر شديد الحساسية لبعض الوقت. في السابع والعشرين من شهر إبريل لعام ١٩٨٩، أشار وزير العدل المبجل، إلى أن هناك حاجة إلى اقتراحات الإصلاح في هذا الأمر. في الواقع، منذ ١٩٨٨ اتخذت أنا والوزير السـابق قرارات تخص إرجاء تنفيذ عقوبات الإعدام، الأمر الذي أدى نسبيًا إلى انخفاض كبير في عمليات تنفيذ عقوبات الإعدام.

لقد وصلنا لوضع نستطيع أن نطرح فيه اقتراحات ملموسة للإصلاح، وبعد استشارة قاضي القضاة، والذي بدوره استشار السـلطة القضائية، وبعد أن ذكرت الحكومة آراء الأكاديميين والأطراف المهتمة الأخرى، قررت الحكومة الاعتراف بالمبادئ العامة الأساسية، من مجموعة متنوعة من الخيارات المتاحة، وهي:

- تمت الإشارة إلى هذا الإصلاح.
- يجب أن تكـــون عقوبة الإعدام محدودة التنفيذ، كخيار في عقوبة القضايا بالغة العنف، وخاصة من خلال تصرف قضائي عام في فرض العقوبة.
- يتم منح حق الاســـتئناف في الحكم تلقائيًّا لمن حكم عليهم بالإعدام، وإذا كان ينبغي تبني هذه الاقتراحات، فلا بد أن تكون مؤثرة بشـــكل كبير على فرض أحكام الإعدام من ناحيـــة، ومن ناحية أخرى يجب ضمان أن كل قضية حكم فيها على المتهم بالإعدام سيتم عرضها أمام محكمة النقض.

تتطلب تلك الاقتراحات أن تتم الموافقة على اســـتفادة كل متهـــم ينتظر حاليًّا تنفيذ عقوبة الإعدام فيه، من الأســـلوب الجديد المقترح. لذلك، تم تعليق تنفيذ كل عقوبات الإعدام حتى يتخـــذ البرلمان قرارًا نهائيًّا في الاقتراحات الجديدة. وحتى عند تبني تلك الاقتراحات، ســـيتم التعامل مع كل قضية معنية وفقًا للتعليمات الجديدة. في غضون ذلك، لن يتم تنفيذ أية عقوبات بالإعدام، منذ الرابع عشر من نوفمبر عام ١٩٨٩.

ســـيظل الحكم في القضايا الجديدة وغير المحكوم فيها خاضعًـــا لبنود القانون الحالي، لكن فقط عند فرض عقوبة الإعدام، ســـوف يتم تطبيق الاقتراحـــات الجديدة، كما في حالة هؤلاء الذين ينتظرون حاليًّا تنفيذ عقوبة الإعدام.

يتطلـــب القانون المعني أيضًا مبادئ أخرى ذات صلة والتي ســـيتم إعلانها وتوضيحها في الوقت المناســـب، من قبل وزير العدل، وستتم صياغته بالتشـــاور مع الخبراء، وسيتم تقديمه للبرلمان في أقرب وقت ممكن.

أرغب أن أحث الجميع على مشاركتنا في التعامل مع هذا الأمر شديد الحساسية، بقدر كبير من المسؤولية.

٤- المناحي الاقتصادية ذات الصبغة الاجتماعية:

يتضمن النظام الإداري الذي تم تغييره أكثر من مجرد أمور دســـتورية وسياسية، فلن يمكن اســـتمراره بنجاح بشـــكل منفصل عن مشـــكلات النواحي الأخرى من الحياة التي تتطلب

حلولاً عملية. ما زالت هناك قضايا ومشكلات مثل الفقر والبطالة وأزمة الإسكان والتعليم والتدريب غير المجدي والأمية والاحتياجات الصحية، وغيرها من المشكلات الأخرى تقف حجر عثرة في طريق التقدم والازدهار وتحسين جودة الحياة.

تعتبر حماية البيئة المادية والإنسانية ذات أهمية كبيرة بالنسبة لجودة حياتنا ووجودنا. من أجل ذلك، تعمل الحكومة على تطوير استراتيجية بمساعدة أحد أبحاث مجلس الرئيس.

فكل هذه التحديات جارٍ التعامل معها بشكل ملح وشامل، ولا بد من إيجاد القدرة على ذلك بطريقة محسوبة اقتصاديًا. وبالتالي، تخضع كل الاستراتيجيات والأهداف الموجودة إلى مراجعة شاملة.

ينبثق من هذا قيام الوزراء المعنيين أثناء الجلسة بإعلان سياسات مهمة في النطاق الاقتصادي ذي الصبغة الاجتماعية، ومن الأمور التي يمكن أن يصدر عنها إعلان ملموس قانون المرافق المنفصلة الصادر عام ١٩٥٣. استكمالاً لخطابي أمام مجلس الرئيس في أواخر العام الماضي، أعلن إلغاء هذا القانون خلال هذه الجلسة البرلمانية.

لن تستطيع الدولة التعامل بمفردها مع كل هذه التحسينات الاجتماعية التي تتطلبها ظروف بلدنا، فالمجتمع بشكل عام والقطاع الخاص بشكل خاص، يتحملان أيضًا مسؤولية كبيرة تجاه ازدهار بلدنا ورفاهية شعبه.

٥- الاقتصاد:

يمكن فقط إرساء قواعد جنوب إفريقيا جديد، إذا تم دعمه باقتصاد نام سليم، مع توجيه اهتمام خاص إلى توفير فرص عمل وسوق توظيف. من خلال تلك الرؤية، قد أخذت الحكومة في اعتبارها الاستشارة التي اتضحت لها في تقارير عديدة قدمتها هيئات استشارية متنوعة. تتمثل الرسالة الجوهرية لهذه التقارير في أن جنوب إفريقيا يجب أن تقوم أيضًا بتغييرات هيكلية معينة في اقتصادها مثلما اضطر أن يفعل كبار شركائها التجاريين منذ عقد أو أكثر.

انتهت فترة الارتفاع الاستثنائي لمعدل النمو الاقتصادي في دول الغرب في فترة الستينيات من القرن الماضي، بأزمة البترول في عام ١٩٧٣، وصارت التعديلات الهيكلية الكبيرة ضرورة حتمية لهـذه الدول، خاصة بعد أزمة البـترول الثانية في عـام ١٩٧٩، عندما كان هناك عدم توازنات خطيرة في اقتصاديات تلك الدول. وبعـد تقديم بعض التضحيات الكبيرة، تعافت اقتصاديًـا تلك الدول التي ثابـرت على برامج تكيفها الهيكلي؛ حيـث كانت هناك احتمالات لوجود فترات طويلة تتسم بارتفاع معدل النمو الاقتصادي وانخفاض التضخم المالي.

خلال هذه الفترة المحددة، تمتع جنوب إفريقيا بحماية مؤقتة - من خلال ارتفاع سعر الذهب - من ضرورة عمل تعديلات شـبيهة على الفور. في الواقع، أدى سعر الذهب المرتفع إلى ازدهار لفترة محدودة. من ناحية أخرى، أدى تحسـن الاقتصاد العالمي وانخفاض سعر الذهب وغيره من المنتجات الأساسـية إلى ظهـور اتجاهات غير صحية؛ منها ارتفاع معـدل التضخم المالي. وانخفـاض خطير في إنتاجيـة رأس المال، وركود في قدرة الاقتصاد عـلى توليد دخل وتوفير فرص عمل. كل هذه المؤثرات أدت إلى ضرورة وجود تغير هيكلي كبير في اقتصادنا.

إن الهدف الأسـاسي من انسـحاب الحكومة هو تقليص دور القطـاع العام في الاقتصاد. وإعطاء القطاع الخاص فرصة أكبر لأداء أفضل. في هذه العملية، يجب إعطاء الأولوية للسماح لقوى السوق، وأي هيكل تنافسي كبير بعمل التغييرات والتعديلات اللازمة.

من الطبيعي أن يقوم هؤلاء الذين يضعون سياسـة اقتصادية وينفذونها بتحمل مسـؤولية كبيرة في الوقت نفسـه؛ لتهيئة بيئة تتيح إقامة الاسـتثمارات بشكل أفضل، وتوفر فرص عمل ونموًّا اقتصاديًّا من خلال التنسيق المتقن لسياسة نقدية ومالية مناسبة. وستظل الحكومة ملتزمة بالعمل وفقًا لهذا الأسلوب العملي والمتوازن.

من خلال الحد من نفقات رأس المال في المؤسسـات شـبه الحكومية والخصخصة وتحرير التجـارة وتخفيض النفقات الحكومية، يمكن تحقيق تقدم ملمـوس بالفعل، تجاه تقليص دور الهيئات في الاقتصاد. ويجب أن نواصل بهذا الأسلوب بطريقة منسقة جيدًا.

هذا لا يعني أن الدولة ستهجر دورها التطوري الذي لا يمكن الاستغناء عنه، خاصة في ظروفنا المعينة الحالية. على العكس، ستهتم الحكومة بشكل كبير بتركيز جزء عادل من قدرتها على هذه الأهداف من خلال تقريرها الدقيق لأولوياتها.

بعد التقدم الذي تم إحرازه في هذه النواحي من الاقتصاد، في السنوات الأخيرة، حانت الفرصة الآن لتوجيه اهتمام خاص إلى جانب الإمداد من الاقتصاد.

من العوامل الأساسية التي ستسهم في نجاح إعادة الهيكلة الحالية، ما يلي:

- التخفيض التدريجي للتضخم المالي، إلى مستويات مقاربة لتلك الخاصة بشركائنا المتاجرين الأساسيين.
- تشجيع المبادرات والمدخرات الشخصية.
- إخضاع كل القرارات الاقتصادية التي تتخذها الهيئات إلى معايير ونظم مالية صارمة.
- التوجه نحو التقدم السريع، بجانب إصلاح نظم الضرائب المتبعة.
- تشجيع الصادرات كدافع لزيادة معدل التصنيع وتنشيط الصناعة وجلب العملات الأجنبية.

يجب اعتبار هذه التغييرات وغيرها، والتي تتطلب بعض التضحيات - متطلبات لفترة جديدة من دعم النمو، في سوق عمل منتجة، في فترة التسعينيات.

إن الحكومة على دراية تامة بضرورة التنسيق الجيد، والتنفيذ المنظم لسياستها الاقتصادية. من أجل هذا، فإنه جارٍ إعطاء الأولوية لتأسيس هياكل وخبرات ضرورية، لضمان هذا التنسيق. وهذا ينطبق على كل من المهام المتنوعة داخل الحكومة، وعلى التفاعل بين الهيئات والقطاع الخاص.

من الواضح أني لست في حاجة إلى التعامل بمزيد من التفاصيل مع استراتيجيتنا الاقتصادية الكلية، أو مع اتجاه الاقتصاد الحالي.

سوف أكتفي بأن أبدي بعض التعليقات المحددة القليلة، على أحد جوانب السياسة المالية التي كانت محل نقد للحكومة في بعض الأحيان، وعلى الأخص نفقات الدولة.

سينتهي العام المالي للحكومة فقط في غضون شهرين، وستظل العديد من المؤشرات الاقتصادية المهمة الأخرى لعام ١٩٨٩ خاضعة للتنقيح والتحليل، في هذه المرحلة. وعلى الرغم من ذلك، يتضح العديد من الاتجاهات المهمة بشكل متزايد. إني ممتن لأني أستطيع أن أقول إننا نجحنا بشكل واضح لدرجة ملموسة في تحقيق معظم أهدافنا الاقتصادية في العام الماضي.

فيما يتعلق بنفقات الحكومة، سوف تكون ميزانية العام المالي الحالي الأكثر دقة من تلك الخاصة بالعديد من السنوات الماضية، وسوف توضح الأرقام المالية:

- أن نفقات الحكومة تحت السيطرة تمامًا.
- أن برنامجنا التمويلي العادي لم يسبب أي ضغط ملحوظ على معدلات الفائدة.
- أن هذا العام سينتهي بوجود فائض حتى دون تضمين الدخل الوارد، من خصخصة شركة إسكور لصناعة الصلب.

دون المساس بالميزانية الرئيسية لهذا العام، أريد التأكيد على أنه يقع في محط اهتمامنا تنسيق السياسة النقدية والمالية في العام المالي القادم، بطريقة تمكننا من تحقيق الأهداف التالية:

- التعامل مع الانخفاض الحالي في النشاط التجاري والاقتصادي، كهبوط آمن يساعدنا على عمل التغييرات اللازمة بسهولة قدر الإمكان.
- تعزيز اقتصادنا قبل مرحلة الانتعاش التالية؛ لكي نستطيع النمو بناءً على أساس واضح متين.
- الاستمرار في تنفيذنا التعديلات الهيكلية اللازمة فيما يتعلق ببعض الأمور، والتي منها: تخفيف عبء الضرائب خاصة بالنسبة للأفراد، والتوليد الكافي والمستمر لفائضات الحساب الحالي لميزان المدفوعات، وإعادة بناء مخزوننا من الذهب والعملات الأجنبية.

من الأمور التي تتسم بأهمية كبيرة بالنسبة للحكومة، خاصة في تلك الفترة المحددة من تاريخنا؛ دعم الاقتصاد الديناميكي المتحرك الذي يتيح زيادة عدد فرص عمل الأفراد، والمشاركة في رفع مستويات المعيشة.

٦- التفاوض:

في النهاية، أود أن ألقي الضوء على عملية التفاوض، والأمور المتعلقة بها. ففي المرحلة الحالية، أحجم عمدًا عن مناقشة حقائق العديد من القضايا السياسية، التي ستكون محل جدل بلا شك، خلال الأسابيع القليلة القادمة. يجب أن يوجه التركيز الآن إلى عملية التفاوض.

عمليًا، يتفق جميع القادة على أن عملية التفاوض هي السبيل الوحيد للمصالحة والسلام، وبدء عهد جديد من الإدارة. ومع ذلك، هناك العديد من المبررات وراء رفض المشاركة فيها، والتي يعد بعضها مشروعًا وصحيحًا، بينما يعد البعض الآخر فقط جزءًا من مناورات سياسية. لكن، هناك وقت ثمين سيتم إهداره في حال استمرار تلك المناورات؛ واعتراضًا مني على هذه المناورات، فإني كلفت الحكومة أثناء خطابي الافتتاحي عند توليتي الرئاسة؛ بأن تولي بالغ اهتمامها للعقبات الأكثر أهمية، التي تقف حجر عثرة في طريق التفاوض. واليوم لدي القدرة على إعلان القرارات بعيدة المدى المتعلقة بهذا الأمر.

أعتقد أن هذه القرارات ستشكل مرحلة جديدة، سنتحرك خلالها بعيدًا عن المعايير التي طالما كانت تبريرًا لوجود مواجهات وعنف بين الأطراف المختلفة. يجب أن يتحول الاهتمام، وسوف يتحول، إلى نقاش وجهات النظر السياسية والاقتصادية كجزء من عملية التفاوض.

إن الخطوات التي تقرر اتخاذها هي:

- إلغاء إيقاف حزب المؤتمر الوطني الإفريقي، وحزب المؤتمر الإفريقي العام، والحزب الشيوعي في جنوب إفريقيا، وعدد من المنظمات الفرعية.
- الإفراج عن كل المعتقلين والمسجونين، بتهمة أنهم فقط أعضاء في أي من تلك المنظمات، أو لأنهم ارتكبوا فعلاً لم يتم تجريمه إلا بسبب إيقاف أي من هذه المنظمات. أما المتهمون

المعتقلون في السجون لتهم أخرى؛ مثل القتل أو الإرهاب أو الإضرار بممتلكات الغير، فلا يخضعون لهذا القرار.

- إلغاء قوانين الطوارئ الإعلامية والتعليمية بالكامل.
- تعديل قوانين الطوارئ الأمنية؛ لتظل توفر رقابة فعالة على أي مظاهر مرئية لانعدام النظام.
- إلغاء قيود قوانين الطوارئ المفروضة على ٣٣ منظمة، وتشمل:
  - اللجنة الوطنية المعنية بأزمة التعليم.
  - حركة مؤتمر الطلاب الوطنيين بجنوب إفريقيا.
  - منظمة الجبهة الديمقراطية المتحدة.
  - اتحاد نقابات عمال جنوب إفريقيا.
  - جبهة التحرير البيضاء بجنوب إفريقيا.
- إيقاف تفعيل الشروط المفروضة على ٣٧٤ شخصًا، فيما يتعلق بقوانين الطوارئ الأمنية عند الإفراج عنهم، كما تم إلغاء القوانين التي تجيز تلك الشروط والظروف.
- تحديد فترة القبض والاعتقال، فيما يتعلق بقوانين الطوارئ الأمنية من الآن، على ألا تتعدى ٦ أشهر، وللمعتقلين والمحتجزين الحق في اختيار من يقوم بتمثيلهم قانونيًّا، وكذلك من يتولى رعايتهم طبيًّا.

اتخذ مجلس الوزراء هذه القرارات وفقًا للهدف الذي أعلنته الحكومة، والذي يتمثل في تطبيع العملية السياسية في جنوب إفريقيا، دون المخاطرة بالحفاظ على النظام المستتب للبلاد، وقد جاءت تلك القرارات بناءً على استشارة شاملة، وبإجماع من مجموعة مسؤولين، منهم أعضاء الجماعة الأمنية.

تعد تلك القرارات سارية النفاذ على الفور، ويتم عند الضرورة نشر إخطارات بها في الجريدة الرسمية بدءًا من الغد.

من أهم نقاط الاستشارة التي حصلت عليها الحكومة في هذا الأمر، ما يلي:

- تضعف الأحداث الجارية في الاتحاد السوفيتي وأوربا الشرقية، التي أشرت إليها بالفعل، قدرة المنظمات، التي كانت تدعمها بقوة تلك الأجزاء من العالم من قبل.
- لم تعد تمثل أنشطة المنظمات، التي تم إلغاء أمر إيقافها، الدرجة نفسها من تهديد الأمن الداخلي، الذي استلزم من البداية فرض إيقافها.
- لقد كانت هناك تغيرات مهمة لمواطن التأكيد، في بيانات ووجهات نظر أهم المنظمات المعنية، التي أشارت إلى أسلوب جديد وأولوية طرح الحلول السلمية.
- يقتنع جهاز شرطة جنوب إفريقيا بأنه قادر في الظروف الراهنة، على مكافحة العنف والجرائم الأخرى التي ارتكبها أيضًا أعضاء هذه المنظمات، وتقديم الجناة إلى العدالة، دون الاستعانة بأوامر الحظر والإيقاف المفروضة على هذه المنظمات.

هناك أمر واحد لا ينبغي الشك فيه؛ وهو أن إلغاء أمر إيقاف المنظمات المذكورة لا يعني على الأقل الموافقة أو التغاضي عن الإرهاب، أو جرائم العنف التي يتم ارتكابها حاليًّا، أو في المستقبل تحت شعار هذه المنظمات. بالمثل، لا يجب تفسير ذلك القرار كانحراف عن مبادئ الحكومة، كأحد الإجراءات الأخرى المتخذة، ضد سياستها الاقتصادية، ونواحي السياسة الدستورية، والتي سوف يتم التطرق إليها في المناقشات والمفاوضات.

في الوقت نفسه، أرغب أن أؤكد على عدم المخاطرة، بالحفاظ على القانون والنظام. ولن تتواني الحكومة عن أداء واجبها في ذلك. بالإضافة إلى هذا، سوف يتم التعامل مع العنف الصادر عن أية جهة بكل ما أوتيت الدولة من قوة، وقد لا تصير أية معارضة أو احتجاج سلمي الحجة لاختراق القانون أو سيادة الفوضى والعنف والخوف. فليس هناك دولة ديمقراطية يمكن أن تسمح بمثل هذه الأفعال.

علاوة على ذلك، سوف يتم توجيه المزيد من التأكيد على تفعيل القانون بشكل أكثر فاعلية، وسيتم توجيه المزيد من الاهتمام إلى توفير العدد الكافي من القوة البشرية، والأدوات لجهاز

الشرطة، وكل من يشترك في تفعيل القانون. في الواقع، ستبدأ بالفعل ميزانية العام المالي القادم التأثير في ذلك.

أود أن أشكر أعضاء القوى الأمنية والخدمات المتعلقة بها على الخدمة المخصصة التي يقدمونها لجمهورية جنوب إفريقيا، وقد أدت خدماتهم إلى إتاحة مناخ مستقر للسير على طريق الإصلاح.

في حالة الطوارئ، فقد حصلت على توصية بأن أي موقف طارئ يبرر اتخاذ كل هذه التدابير الخاصة سيظل موجودًا، فما زال هناك صراع يفصح عن نفسه بشكل أساسي في ناتال. كنتيجة لصراع القوى السياسية على مستوى الدولة كلها. بالإضافة إلى ذلك، هناك مؤشرات بأن المتشددين ما زالوا يحاولون إجهاض كل احتمالات وفرص التفاوض، من خلال إفشاء حركات العنف بين الشعب.

إنني أنوي إنهاء حالة الطوارئ تمامًا بمجرد أن تتيح الظروف ذلك وأطالب بتعاون الجميع في تحقيق هذا، ويجب أن يتحمل هؤلاء المسؤولون عن حالة الاضطراب والصراع - اللوم على استمرار حالة الطوارئ، حتى الآن. في الوقت ذاته، يهدف استمرار حالة الطوارئ إلى تثبيط وعرقلة نشاط هؤلاء الذين يثيرون الفوضى وعدم النظام كطرق سياسية لتحقيق أهداف خاصة بهم. إلا أنه في ظل حالة الطوارئ تنطبق القواعد نفسها على الجميع.

بناءً على تلك الخلفية، لدى الحكومة قناعة بأن القرارات التي قد أعلنتها مبررة من وجهة النظر الأمنية، وكذلك من وجهة النظر السياسية.

لقد تورط بلدنا.وشعبه في صراعات ونزاعات وتوترات وعنف لعقود مضت، وقد حان الوقت لنا أن نخرج من دائرة العنف هذه، ونبدأ مرحلة يسودها السلام والمصالحة التي تتوق إليها الغالبية الصامتة، والتي يستحقها أبناؤنا الشباب.

لقد أثبتت الحكومة حسن نيتها من خلال الخطوات التي اتخذتها، ودعوتها للزعماء العقلاء إلى مائدة التفاوض، لمناقشة عهد إدارة جديد، للوصول إلى نقطة تفاهم من خلال الحوار والنقاش.

إن جدول أعمالنا واضح، ويجب أن تكون الأهداف بشكل عام التي نطمح إلى تحقيقها مقبولة، لكل عقلاء هذه الأمة.

من الأشياء الأخرى التي أود التحدث عنها أن هذه الأهداف تشمل تأسيس دستور ديمقراطي جديد، وتجارة حرة دولية، والقضاء على كل أوجه السيطرة، وتساوي كل المواطنين أمام قضاء مستقل، وحماية حقوق الأقليات والأفراد، وحرية ممارسة العقيدة، وبناء اقتصاد قوي قائم على مبادئ اقتصادية ثابتة، وتشجيع المشروعات الخاصة، ووضع برامج فعالة موجهة نحو تطوير تعليم أفضل، وتوفير خدمات صحية وإسكانية جيدة، وتوفير ظروف اجتماعية مريحة للجميع.

في هذا الجانب، سوف يلعب «نيلسون مانديلا» دورًا مهمًّا. فقد نوهت الحكومة أنه قد أعلن عن رغبته في المساهمة بشكل بنَّاء في العملية السياسية السلمية في جنوب إفريقيا.

وأود أن أوضح أن الحكومة قد اتخذت قرارًا جديًّا بإطلاق سراح السيد «مانديلا» دون شروط، وأنا جاد في تنفيذ هذا الأمر دون أي تأخير. كما ستتخذ الحكومة قرارًا قريبًا، بشأن ميعاد الإفراج عنه. ولكن للأسف، لن تستطيع الحكومة فعل ذلك قبل مرور وقت قصير قبله.

فمن الطبيعي أن يمر قدر محدود من الوقت بين اتخاذ قرار الإفراج، وبين تنفيذه بسبب المتطلبات اللوجستية والإدارية، وفي حالة السيد «مانديلا»، هناك عوامل تعوق التنفيذ الفوري لقرار الإفراج عنه، منها عدم تهيئة الحد الأدنى من ظروفه الشخصية، ومعايير الأمن له على الأقل؛ فإنه لم يكن سجينًا عاديًّا لفترة من الزمن، وبسبب ذلك تتطلب حالته بعض الاحتياطات الخاصة.

يعد ما أعلنته اليوم خاصة هو ما طالما كان ينادي به كل الزعماء السود، وأيضًا السيد «مانديلا»، خلال السنوات الماضية، وكان مبررهم في اللجوء للعنف. لقد كان الادعاء السائد

هو أن الحكومة لا ترغب في التحدث معهم، وأنهم محرومون من حقهم في ممارسة النشاط السياسي العادي، من خلال إيقاف منظماتهم وحظر نشاطها.

دون الإقرار بصحة أن العنف كان مبررًا، أرغب أن أقول اليوم لهؤلاء الذين جادلوا في صحة هذا السلوك، ما يلي:

- تريد الحكومة التحدث مع هؤلاء الزعماء الذين يبحثون عن السلام.
- يضع رفع الحظر غير المشروط عن المنظمات المذكورة سابقًا الجميع في موقف إمكانية ممارسة السياسات بحرية.
- لم يعد هناك مبرر للعنف الذي كان موجودًا دائمًا.

إن هذه الحقائق تضع الجميع في جنوب إفريقيا أمام أمر واقع، وبناءً على العديد من البيانات السابقة، **لم يعد هناك عذر مقبول لاستمرار العنف، فقد حان وقت التفاوض والنقاش**، ولهذا فإن أي طرف ما زال يقدم مبررات للعنف، فإنه في الحقيقة لا يرغب في النقاش.

لذلك، أكرر دعوتي باقتناع أكبر من ذي قبل:

فليتقدم الجميع ويأخذ مكانه على مائدة التفاوض جنبًا إلى جنب، مع الحكومة والزعماء الآخرين الذين يتمتعون بمراكز قوة مهمة، داخل البرلمان وخارجه.

من الآن فصاعدًا، سوف تتم مقارنة كل وجهات النظر السياسية؛ من حيث حقيقتها ومدى فاعليتها وعدالتها. فقد بدأ عهد التفاوض.

إنني أشكر هؤلاء الزعماء السياسيين الذين كانوا دومًا يقاومون العنف على مواقفهم الراسخة، وهذا يشمل كل زعماء الأحزاب البرلمانية والمنظمات والحركات المهمة؛ مثل رئيس الوزراء «بوثليزي»، وكل رؤساء الوزراء الآخرين وزعماء المجتمع المدني.

فمن خلال مساهمتهم ومناقشاتهم، قد أسهموا بشكل مهم، في هذه اللحظة التي يمكن فيها استعادة ممارسة عملية المساهمة السياسية الحرة، وبالطبع فإن أدوارهم في عملية التفاوض أكيدة».

خطبة
جورج دبليو بوش

مناسبة الخطاب:

ألقى الرئيس الأمريكي جورج دبليو بوش هذا الخطاب، في أعقاب أحداث الحادي عشر من سبتمبر عام ٢٠٠١، وفيه أدان الهجمات التي شنت على مدينة نيويورك وواشنطن، متعهدًا بتتبع المسؤولين عن تلك الهجمات الإرهابية.

نص الخطاب:

«عمتم مساءً..

أيها الإخوة المواطنون، لقد شُن اليوم هجوم استهدف طريقة حياتنا وحريتنا، عبر سلسلة من الأعمال الإرهابية المهلكة المتعمدة. كان الضحايا على متن طائرات أو جالسين إلى مكاتبهم؛ فكان من بينهم موظفون ورجال أعمال ونساء وأفراد عاملون بالجيش والهيئات الفيدرالية، وآباء وأمهات وأصدقاء وجيران.

لقد ذهبت حياة آلاف الأشخاص ضحية أعمال إرهابية خسيسة وبغيضة.

كانت مشاهد الطائرات وهي تخترق المباني والنيران تضطرم بها، والأبنية الضخمة

نبذة عن حياة جورج دبليو بوش:

اسمه جورج واكر (دبيلو) بوش (ابن الرئيس السابق جورج هربرت ووكر بوش)، كان ميلاده في ٦ يولية ١٩٤٦، وهو رئيس الولايات المتحدة الثالث والأربعون، وذلك من ٢٠ يناير ٢٠٠١ إلى ٢٠ يناير ٢٠٠٩، فقد كان حاكمًا لولاية تكساس قبل توليه رئاسة الدولة، وذلك من ١٩٩٥ إلى ٢٠٠٠، وقد انتخب رئيسًا بعد انتخابات أتت نتيجتها متقاربة، مع منافسه الديمقراطي (آل جور)، وفي عام ٢٠٠٤ أعيد انتخابه للمرة الثانية، لمدة أربع سنوات بعد تغلبه على مرشح الحزب الديمقراطي جون كيري، وذلك بعد حملة هي الأكبر في تاريخ الانتخابات الرئاسية لأكبر بلدان العالم؛ حيث كان له ستة داعمين من رجال الأعمال والشركات؛ وهم مورجان ستانلي - ميريل لينتش - برايس واتر هاوس - يو بي إس - مشروبات كوكاكولا - جولدمان ساكس.

قبل دخوله السياسة كان رجل أعمال، وكانت أعماله تتضمن عدة شركات للنفط، كما إنه كان أحد المالكين لنادي تكساس رنجر للبيسبول من ١٩٨٩ إلى ١٩٩٨، ويملك مزرعة في كروفورد تكساس.

وعن فترة حكم جورج دبليو بوش للولايات المتحدة الأمريكية، فهي تعتبر فترة حرجة؛ حيث تعرضت نيويورك لهجوم بالطائرات، ينسب إلى تنظيم القاعدة على برجي التجارة العالمي في ١١ سبتمبر ٢٠٠١؛ حيث راح ضحيته كثير من المدنيين، فأعلن بعدها عن ما دعاه بالحرب ضد الإرهاب في أفغانستان.

كما تسببت حربه على العراق في مقتل الآلاف من المدنيين العراقيين، بالإضافة إلى مقتل حوالي ٨٠٠٠ جندي أمريكي في العراق؛ بسبب المعارك مع الفصائل العراقية المناهضة للوجود الأمريكي في العراق، وسبب

تنهار إثرها؛ تملأ نفوسنا بمشاعر هي مزيج ما بين الإنكار والحزن الرهيب، والغضب الذي لا حدود له.

ما كانت ترمي إليه مثل هذه الصور من جرائم القتل الجماعي هو إشاعة الخوف والفوضى في وطننا، ودفعه إلى الاستسلام، ولكنها فشلت في ذلك؛ فبلادنا قوية تحرك شعبها العظيم للدفاع عن أمة عظيمة.

العنف الطائفي، بالإضافة إلى القتال المستمر مع المسلحين الإسلاميين، كما تمت محاكمة جنود أمريكان في المحاكم العسكرية الأمريكية، كانوا وراء عمليات متفرقة من تعذيب المدنيين والأسرى.

ومن الناحية الاقتصادية اتخذ إجراءات حازمة، بإعادة هيكلة للبنوك، مع ضخ لقيمة مالية كبيرة في الأسواق حفاظًا ومنعًا لسقوطها؛ نتيجة أزمة اقتصادية تعتبر الأكبر منذ ١٩٢٩؛ نتج عنها ركود عدد من الدول ووصول البطالة لأعلى مستوياتها في ٥ سنين.

تستطيع الهجمات الإرهابية أن تزعزع أساسات أكبر أبنيتنا حجمًا، ولكنها لا تستطيع المساس بأساس أمريكا.

هذه الهجمات تكسر الحديد، لكنها لا تستطيع أن تحدث صدعًا في البنيان الفولاذي للعزيمة الأمريكية.

كانت أمريكا هدفًا للهجوم؛ لأننا المنارة الأكثر سطوعًا للحرية وإتاحة الفرص في العالم، ولن يستطيع أي شخص أن يمنع هذا الضوء من السطوع.

شهدت أمتنا اليوم الشر، وهو أسوأ تجسيد للطبيعة البشرية، ولكننا واجهناه بأفضل ما تملكه أمريكا وبجسارة عمال الإنقاذ، وباهتمام الغرباء والجيران الذين هبوا للتبرع بالدماء وتقديم العون بأية طريقة يمكنهم بها ذلك.

عقب وقوع الهجمة الإرهابية الأولى على الفور، قمت بتنفيذ خطط الاستجابة لحالات الطوارئ التي وضعتها حكومتنا، فجيشنا قوي وهو دومًا على أهبة الاستعداد، وتشارك فرق الاستجابة للطوارئ في مدينة نيويورك وواشنطن العاصمة في جهود الإنقاذ المحلية المبذولة. إن أولى أولوياتنا هي تقديم المساعدة للمصابين، واتخاذ جميع التدابير الوقائية الممكنة، لحماية مواطنينا من التعرض للمزيد من الهجمات في وطنهم، وفي أنحاء العالم كافة.

مهام حكومتنا مستمرة دون انقطاع، والوكالات الفيدرالية في واشنطن التي كان لا بد من إجلائها اليوم، سـيعاد فتحها من أجل توفير إمدادات بشرية ضرورية الليلة، وسـيجري فتح أبوابها للعمل المسـتديم في الغد، ولا تزال مؤسساتنا المالية قوية، وسيجري مواصلة تعاملات الاقتصاد الأمريكي أيضًا.

والبحـث جارٍ عن أولئك الذين يقفون خلف تلك العمليات الإجرامية الخسيسـة، ولقد أصدرت تعليماتي لجهاز اسـتخباراتنا والجهات المعنية بتنفيذ القانون، بالبحث عن المسؤولين عن تلـك الجرائم وتقديمهم للعدالة، ولن نبدي أي تمييز بـين الإرهابيين الذين ارتكبوا هذه الجرائم، وأولئك الذين يتسترون عليهم.

وأود في هذا الصدد أن أوجه التقدير لأعضاء الكونجرس الذين شاركوني في إدانة وشجب هذه الهجمات بشدة، وبالنيابة عن الشعب الأمريكي أتوجه أيضًا بالشكر لقادة العالم الكثيرين الذين اتصلوا بي هاتفيًّا؛ لإبداء مواساتهم وتقديم العون.

وسـتتحد أمريكا وأصدقاؤها وحلفاؤها، مع كل من يريد سيادة السلام والأمان في العالم، وستتكاتف معهم للفوز في الحرب ضد الإرهاب.

واليوم أسـألكم الدعاء لكل من ألَمَّ بهم الحزن، ولكل الأطفال الذين تهشـمت عوالمهم، ولكل من استشـعروا خطرًا يهدد إحساسـهم بالأمن والأمان، وأنا أتوسـل للرب أن يجدوا السـلوان لدى من تفوق قوته قوة أي منا، على نحو ما أشير في المزمور ٢٣ على مرور العصور: «حتى إذا اجتزت وادي ظلال الموت، لا أخاف سوءًا لأنك ترافقني».

يومنا هذا هو يوم فيه سـيتحد الأمريكيون من كل دروب الحياة في عزيمتنا القوية؛ لإرساء العدل والسلام. لقد انتهينا من أمر أعدائنا من قبل، وهكذا سنفعل هذه المرة.

لن ينسى أي منا هذا اليوم، ومع ذلك سنسير قدمًا في سعينا للدفاع عن الحرية، وعن كل ما هو صالح وعادل في عالمنا.

شكرًا لكم.. تصبحون على خير، وبارك الرب أمريكا».

خطبة
باراك أوباما

مناسبة الخطاب:

في الرابع من يونية ٢٠٠٩م ألقى الرئيس الأمريكي باراك أوباما خطابًا بقاعة الاستقبال الكبرى في جامعة القاهرة بجمهورية مصر العربية، وشاركت جامعة الأزهر في الإعداد للحدث. وكان ذلك الخطاب وفاءً بوعد من أوباما أثناء حملته الانتخابية بأن يوجه رسالة إلى المسلمين من عاصمة إسلامية في أشهره الرئاسية الأولى.

وقد برّر السكرتير الصحفي للبيت الأبيض «روبوت جيبس» اختيار مصر بأنها الدولة التي تمثل قلب العالم العربي من مختلف الجوانب، وإحدى القوى الأساسية في عملية السلام في الشرق الأوسط. وذكرت «رويترز» أن هدف الخطبة هو تحسين العلاقة بين أمريكا والعالم الإسلامي، والتي تشوّهت كثيرًا أثناء فترة رئاسة جورج بوش الابن.

وقد زار أوباما قبيل إلقاء خطابه مسجد السلطان حسن بالقاهرة؛ ليظهر الاحترام للحضارة الإسلامية، ورفض أوباما ارتداء الخف المخصص للسياح واكتفى بالجورب،

نبذة عن حياة باراك أوباما:

باراك حسين أوباما، الرئيس الرابع والأربعون للولايات المتحدة الأمريكية منذ ٢٠ يناير ٢٠٠٩م، وهو مسيحي الديانة، رغم أن والده وحماه وبعض إخوته مسلمين، وهو أول رئيس من أصول إفريقية يصل للبيت الأبيض. حقق انتصارًا ساحقًا على خصمه جون ماكين؛ وذلك بفوزه في بعض معاقل الجمهوريين؛ مثل أوهايو وفيرجينيا في ٤ نوفمبر ٢٠٠٨م، وحصل على جائزة نوبل للسلام لعام ٢٠٠٩م نظير جهوده في تقوية الدبلوماسية الدولية والتعاون بين الشعوب، وذلك قبل إكماله سنة في السلطة.

ولد أوباما في ٤ أغسطس ١٩٦١م، وتخرج في كلية كولومبيا بجامعة كولومبيا وكلية الحقوق بجامعة هارفارد، وكان من أوائل الأمريكيين من أصول أفريقية يتولى رئاسة مجلة هارفارد للقانون، كما كان يعمل في الأنشطة الاجتماعية في شيكاغو قبل حصوله على شهادة المحاماة، وعمل كمستشار للحقوق المدنية في شيكاغو، وقام بتدريس مادة القانون الدستوري في كلية الحقوق بجامعة شيكاغو في الفترة من ١٩٩٢ إلى ٢٠٠٤م.

رشح أوباما نفسه لمجلس الشيوخ عام ٢٠٠٤م، واستطاع أن يحوز على مقعد بالمجلس في مارس ٢٠٠٤م، واستطاع بهذا الفور جذب انتباه الحزب الديمقراطي، وكان خطابه التلفزيوني الذي تم بثه محليًّا خلال المؤتمر الوطني الديمقراطي في يوليو من عام ٢٠٠٤م جعله نجمًا صاعدًا على الصعيد الوطني في الحزب، وبعدها تم انتخابه لعضوية مجلس الشيوخ في نوفمبر ٢٠٠٤م، وحاز على أكبر نسبة في تاريخ إلينوي.

و كانت ترافقه وزيرة الخارجية الأمريكية هيلاري كلينتون التي ارتدت الحجاب، وقد قامت فضائيات عربية وعالمية عدة بتغطية تلك الزيارة القصيرة للمسجد.

ودعا خطاب أوباما إلى الفهم المتبادل بين العالم الإسلامي والعالم الغربي، وكان الجزء الأطول في الخطبة هو حديثه عن السلام بين إسرائيل والفلسطينيين. كما أكد أوباما العلاقة القوية بين أمريكا وإسرائيل، لكنه وصف أيضًا حال الفلسطينيين بأنه (لا يطاق)، ووصف تطلعاتهم لبناء الدولة بأنها شرعية تمامًا كشرعية طموح إسرائيل في وطن يهودي.

بدأ أوباما خوض منافسات انتخابات الرئاسة في فبراير عام ٢٠٠٧م، وبعد حملة شديدة التنافس داخل الحزب الديمقراطي من أجل الحصول على ترشيح الحزب لخوض الانتخابات الرئاسية استطاع الحصول على ترشيح حزبه، وذلك بعد تغلبه على منافسته هيلاري كلينتون؛ ليصبح أول مرشح للرئاسة من أصل إفريقي لحزب أمريكي كبير.

وفي الانتخابات العامة التي جرت في ٤ نوفمبر ٢٠٠٨م استطاع باراك أوباما أن يهزم المرشح الجمهوري جون ماكين، ونُصِّب رئيسًا للولايات المتحدة الأمريكية في ٢٠ يناير ٢٠٠٩م.

وبعد انتهاء فترة رئاسته الأولى أعلن أوباما ترشيح نفسه رئيسًا للولايات المتحدة لمدة ثانية وأخيرة في انتخابات رئاسة أمريكا سنة ٢٠١٢م، وكان مرشح الحزب الجمهوري ميت رومني، ودخل الاثنين في ثلاث مناظرات رئاسية في أكتوبر، و يوم ٦ نوفمبر ٢٠١٢م كسب باراك أوباما الانتخابات، وفاز بولاية رئاسية ثانية وأخيرة للولايات المتحدة الأمريكية.

نص الخطاب:

«السلام عليكم..

إنه لمن دواعي شرفي أن أزور مدينة القاهرة الأزلية؛ حيث تستضيفني فيها مؤسستان مرموقتان للغاية؛ إحداهما الأزهر الذي بقي لأكثر من ألف سنة منارة العلوم الإسلامية، بينما كانت جامعة القاهرة على مدى أكثر من قرن بمثابة منهل من مناهل التقدم في مصر. ومعًا تمثلان حسن الاتساق والانسجام ما بين التقاليد والتقدم. وإنني ممتن لكم لحسن ضيافتكم ولحفاوة شعب مصر، كما أنني فخور بنقل أطيب مشاعر الشعب الأمريكي لكم مقرونة بتحية السلام من المجتمعات المحلية المسلمة في بلدي.

«السلام عليكم»

مكتبة
t.me/soramnqraa

إننا نلتقي في وقت يشــوبه التوتر بين الولايات المتحدة والعالم الإســلامي، وهو توتر تمتد جذوره إلى قوى تاريخية تتجاوز أي نقاش ســياسي راهن، وتشــمل العلاقة ما بين الإســلام والغرب قرونًا ســادها حسن التعايش والتعاون، كما تشــمل هذه العلاقة صراعات وحروبًا دينية. وســاهم الاســتعمار خلال العصر الحديث في تغذية التوتر بســبب حرمان العديد من المسلمين من الحقوق والفرص، كما ســاهم في ذلك الحرب الباردة التي عوملت فيها كثير من البلدان ذات الأغلبية المسلمة بلا حق، كأنها مجرد دول وكيلة لا يجب مراعاة تطلعاتها الخاصة. وعلاوة على ذلك حدا التغيير الكاســح الذي رافقته الحداثة والعولمة بالعديد من المسلمين إلى اعتبار الغرب معاديًا لتقاليد الإسلام.

لقد اســتغل المتطرفون الذين يمارســون العنف هذه التوترات في قطــاع صغير من العالم الإسلامي بشــكل فعال. ثم وقعت أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١، واستمر هؤلاء المتطرفون في مساعيهم الرامية إلى ارتكاب أعمال العنف ضد المدنيين، الأمر الذي حدا بالبعض في بلدي إلى اعتبار الإسلام معاديًا لا محالة، ليس فقط لأمريكا وللبلدان الغربية وإنما أيضًا لحقوق الإنسان. ونتج عن ذلك مزيد من الخوف وعدم الثقة.

هذا، وما لم نتوقف عن تحديد مفهوم علاقاتنا المشتركة من خلال أوجه الاختلاف فيما بيننا، فإننا سنســاهم في تمكين أولئك الذين يزرعون الكراهية ويرجحونها على الســلام، ويروجون للصراعات ويرجحونها على التعاون الذي من شــأنه أن يساعد شعوبنا على تحقيق الازدهار. هذه هي دائرة الارتياب والشقاق التي يجب علينا إنهاؤها.

لقــد أتيت إلى هنا للبحث عن بداية جديدة بين الولايات المتحدة والعالم الإســلامي، اســتناذا إلــى المصلحة المشــتركة والاحتــرام المتبادل، وهــي بداية مبنية على أســاس حقيقــة أن أمريكا والإســلام لا يعارضــان بعضهما البعض، ولا داعي أبــدًا للتنافس فيما بينهمــا، بــل ولهما قواســم ومبادئ مشــتركة يلتقيان عبرهــا، ألا وهي مبــادئ العدالة والتقدم والتسامح وكرامة كل إنسان.

إنني أقوم بذلــك إدراكًا مني بأن التغيير لا يحدث بين ليلــة وضحاها، ولا يمكن لخطاب واحد أن يلغي ســنوات من عدم الثقة، كما لا يمكنني أن أقدم الإجابة عن كافة المسائل المعقدة

التـــي أدت بنا إلى هذه النقطـــة. غير أنني على يقين من أنه يجب علينا مـــن أجل المضي قدمًا أن نعبر بصراحة عما هـــو في قلوبنا، وعما لا يقال إلا وراء الأبـــواب المغلقة. كما يجب أن يتم بذل جهود مســـتديمة للاستماع إلى بعضنا البعض، وللتعلم من بعضنا البعض، وللاحترام المتبادل، والبحث عن أرضية مشتركة. وينص القرآن الكريم على ما يلي: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا﴾، وهذا ما ســـأحاول بها في وسعي أن أفعله، وأن أقول الحقيقة بكل تواضع أمام المهمة التي نحن بصددها؛ اعتقادًا مني كل الاعتقاد أن المصالح المشـــتركة بيننا كبشر هي أقوى بكثير من القوى الفاصلة بيننا.

يعود جزء من اعتقادي هذا إلى تجربتي الشـــخصية، إنني مسيحي بينما كان والدي من أسرة كينية تشمل أجيالاً من المسلمين، ولما كنت صبيًّا قضيت عدة سنوات في إندونيسيا، واستمعت إلى الأذان ســـاعات الفجـــر والمغرب، ولما كنت شـــابًّا عملت في المجتمعـــات المحلية بمدينة شيكاغو؛ حيث وجد الكثير من المسلمين في عقيدتهم روح الكرامة والسلام.

إنني أدرك بحكم دراستي للتاريخ أن الحضارة مدينة للإسلام الذي حمل معه في أماكن مثل جامعة الأزهر نور العلم عبر قرون عدة، الأمر الذي مهد الطريق أمام النهضة الأوربية وعصر التنوير. ونجد روح الابتكار الذي ساد المجتمعات الإسلامية وراء تطوير علم الجبر، وكذلك البوصلة المغناطيســـية، وأدوات الملاحة، وفن الأقلام والطباعة، بالإضافة إلى فهمنا لانتشـــار الأمراض وتوفير العلاج المناسب لها.

لقد حصلنا بفضل الثقافة الإسلامية على أروقة عظيمة وقمم عالية الارتفاع، وكذلك على أشعار وموســـيقى خالدة الذكر، وفن الخط الراقي، وأماكن التأمل السلمي. وأظهر الإسلام على مدى التاريخ قلبًا وقالبًا الفرص الكامنة في التسامح الديني والمساواة ما بين الأعراق.

أعلم كذلك أن الإســـلام كان دائمًا جزءًا لا يتجزأ من قصة أمريكا؛ حيث كان المغرب هو أول بلد اعترف بالولايات المتحدة الأمريكية. وبمناســـبة قيام الرئيس الأمريكي الثاني «جون

أدامس» عـام ١٧٩٦ بالتوقيع على معاهدة طرابلس، فقد كتب ذلـك الرئيس أن «الولايات المتحدة لا تكن أي نوع من العداوة تجاه قوانين أو ديانة المسلمين أو حتى راحتهم».

منذ عصر تأسيس بلدنا ساهم المسـلمون الأمريكان في إثراء الولايات المتحدة، لقد قاتلوا في حروبنا، وخدموا في المناصب الحكومية، ودافعوا عن الحقوق المدنية، وأسسـوا المؤسسات التجارية، كما قاموا بالتدريس في جامعاتنا، وتفوقوا في الملاعب الرياضية، وفازوا بجوائز نوبل، وبنوا أكثر عماراتنا ارتفاعًا، وأشـعلوا الشـعلة الأولمبية. وعندما تم أخيرًا انتخاب أول مسلم أمريكي في الكونجرس، قام ذلك النائب بأداء اليمين الدستورية مستخدمًا في ذلك نفس النسخة من القرآن الكريم التي احتفظ بها أحد آبائنا المؤسسين «توماس جيفرسون» في مكتبته الخاصة.

إنني إذن تعرفت على الإسلام في قارات ثلاث قبل مجيئي إلى المنطقة التي نشأ فيها الإسلام، ومن منطلق تجربتي الشـخصية أسـتمد اعتقادي بأن الشراكة بين أمريكا والإسـلام يجب أن تسـتند إلى حقيقة الإسلام وليس إلى ما هو غير إسـلامي، وأرى في ذلك جزءًا من مسؤوليتي كرئيس للولايات المتحدة؛ حتى أتصدى للصور النمطية السلبية عن الإسلام أينما ظهرت.

لكـن نفس المبدأ يجب أن ينطبـق على صورة أمريكا لدى الآخريـن، ومثلما لا تنطبق على المسـلمين الصورة النمطية البدائية فإن الصورة النمطية البدائية للإمبراطورية التي لا تهتم إلا بمصالح نفسـها لا تنطبق على أمريكا. وكانت الولايات المتحدة أحد أكبر المناهل للتقدم عبر تاريخ العالم، وقمنا من ثورة ضد إحدى الإمبراطوريات، وأُسسـت دولتنا على أسـاس مثال مفاده أن جميع البشر قد خلقوا سواسـية، كما سالت دماؤنا في الصراعات عبر القرون لإضفاء المعنى على هذه الكلمات بداخل حدودنا وفي مختلف أرجاء العالم. وقد سـاهمت كافة الثقافات مـن كل أنحاء الكرة الأرضية في تكويننا تكريسًـا لمفهوم بالغ البسـاطة باللغة اللاتينية.. من الكثير واحد.

لقد تم تعليق أهمية كبيرة على إمكانية انتخاب شخص من أصل أمريكي إفريقي يدعى «باراك حسين أوباما» إلى منصب الرئيس. ولكن قصتي الشخصية ليست فريدة إلى هذا الحد، ولم يتحقق

حلم الفرص المتاحة للجميع بالنسبة لكل فرد في أمريكا، ولكن الوعد قائم بالنسبة لجميع من يصل إلى شواطئنا، ويشمل ذلك ما يضاهي سبعة ملايين من المسلمين الأمريكان في بلدنا اليوم. ويحظى المسلمون الأمريكان بدخل ومستوى للتعليم يعتبران أعلى مما يحظى به معدل السكان.

علاوة على ذلك، **لا يمكن فصل الحرية في أمريكا عن حرية إقامة الشعائر الدينية، كما أن ذلك السبب وراء وجود مسجد في كل ولاية من الولايات المتحدة، ووجود أكثر من ١٢٠٠ مسجد داخل حدودنا، وأيضًا السبب وراء خوض الحكومة الأمريكية إجراءات المقاضاة من أجل صون حق النساء والفتيات في ارتداء الحجاب، ومعاقبة من يتجرأ على حرمانهن من ذلك الحق.**

ليس هناك أي شك في أن الإسلام هو جزء لا يتجزأ من أمريكا، وأعتقد أن أمريكا تمثل التطلعات المشتركة بيننا جميعًا بغض النظر عن العرق أو الديانة أو المكانة الاجتماعية.. ألا وهي تطلعات العيش في ظل السلام والأمن، والحصول على التعليم، والعمل بكرامة، والتعبير عن المحبة التي نكنها لعائلاتنا ومجتمعاتنا وكذلك لربنا. هذه هي قواسمنا المشتركة، وهي تمثل أيضًا آمال البشرية جمعاء.

يمثل إدراك أوجه الإنسانية المشتركة فيما بيننا بطبيعة الحال مجرد البداية لمهمتنا. إن الكلمات وحدها لا تستطيع سد احتياجات شعوبنا، ولن نسد هذه الاحتياجات إلا إذا عملنا بشجاعة على مدى السنين القادمة، وإذا أدركنا حقيقة أن التحديات التي نواجهها هي تحديات مشتركة، وإذا أخفقنا في التصدي لها، فسوف يلحق ذلك الأذى بنا جميعًا.

لقد تعلمنا من تجاربنا الأخيرة ما يحدث من إلحاق الضرر بالرفاهية في كل مكان إذا ضعف النظام المالي في بلد واحد، وإذا أصيب شخص واحد بالإنفلونزا يعرض ذلك الجميع للخطر، وإذا سعى بلد واحد وراء امتلاك السلاح النووي يزداد خطر وقوع هجوم نووي بالنسبة لكل الدول، وعندما يمارس المتطرفون العنف في منطقة جبلية واحدة يعرض ذلك الناس من وراء البحار للخطر، وعندما يتم ذبح الأبرياء في دارفور والبوسنة يسبب ذلك وصمة في ضميرنا

المشترك. هذا هو معنى التشارك في هذا العالم في القرن الحادي والعشرين، وهذه هي المسؤولية التي يتحملها كل منا تجاه الآخر كأبناء البشرية.

إنها مسؤولية تصعب مباشرتها، وكان تاريخ البشرية في كثير من الأحيان بمثابة سجل للشعوب والقبائل التي قمعت بعضها البعض لتحقيق مصلحتها الخاصة. ولكن في عصرنا الحديث، تؤدي مثل هذه التوجهات إلى إلحاق الهزيمة بالنفس. ونظرًا للاعتماد الدولي المتبادل، فأي نظام عالمي يعلي شعبًا أو مجموعة من البشر فوق غيرهم سوف يبوء بالفشل لا محالة. وبغض النظر عن أفكارنا حول أحداث الماضي فلا يجب أن نصبح أبدًا سجناء لأحداث قد مضت، إنما يجب معالجة مشاكلنا بواسطة الشراكة، كما يجب أن نحقق التقدم بصفة مشتركة.

لا يعني ذلك بالنسبة لنا أن نفضل التغاضي عن مصادر التوتر، وفي الحقيقة فإن العكس هو الأرجح.. يجب علينا مجابهة هذه التوترات بصفة مفتوحة. واسمحوا لي انطلاقًا من هذه الروح أن أتطرق بمنتهى الصراحة، وأكبر قدر ممكن من البساطة، إلى بعض الأمور المحددة التي أعتقد أنه يتعين علينا مواجهتها في نهاية المطاف بجهد مشترك.

إن المسألة الأولى التي يجب أن نجابهها هي التطرف العنيف بكافة أشكاله. وقد صرحت بمدينة «أنقرة» بكل وضوح أن أمريكا ليست، ولن تكون أبدًا، في حالة حرب مع الإسلام. **وعلى أية حال، سوف نتصدى لمتطرفي العنف الذين يشكلون تهديدًا جسيمًا لأمننا. والسبب هو أننا نرفض ما يرفضه أهل كافة المعتقدات.. قتل الأبرياء من الرجال والنساء والأطفال. ومن واجباتي كرئيس أن أتولى حماية الشعب الأمريكي.**

يبين الوضع في أفغانستان أهداف أمريكا وحاجتنا إلى العمل المشترك. وقبل أكثر من سبع سنوات قامت الولايات المتحدة بملاحقة تنظيم القاعدة ونظام طالبان بدعم دولي واسع النطاق. لم نذهب إلى هناك باختيارنا، وإنما بسبب الضرورة. إنني على وعي بالتساؤلات التي يطرحها البعض بالنسبة لأحداث ١١ سبتمبر، أو حتى تبريرهم لتلك الأحداث. ولكن دعونا نكون صريحين.. قام تنظيم القاعدة بقتل ما يضاهي ٣٠٠٠ شخص في ذلك اليوم، وكان الضحايا من الرجال والنساء والأطفال الأبرياء. ورغم ذلك اختارت القاعدة بلا ضمير قتل هؤلاء الأبرياء

وتباهت بالهجوم، وأكدت إلى الآن عزمها على ارتكاب القتل مجددًا وبأعداد ضخمة. إن هناك للقاعدة من ينتسبون لها في عدة بلدان، ومن يسعون إلى توسعة نطاق أنشطتهم. وما أقوله ليس بآراء قابلة للنقاش، وإنما هي حقائق يجب معالجتها.

ولا بد أن تكونوا على علم بأننا لا نريد من جيشنا أن يبقى في أفغانستان، ولا نسعى لإقامة قواعد عسكرية هناك. فخسائرنا بين الشباب والشابات هناك تسبب لأمريكا بالغ الأذى، كما يسبب استمرار هذا النزاع تكاليف باهظة ومصاعب سياسية جمة. ونريد بكل سرور أن نرحب بكافة جنودنا وهم عائدون إلى الوطن إذا استطعنا أن نكون واثقين من عدم وجود متطرفي العنف في كل من أفغانستان وباكستان، والذين يحرصون على قتل أكبر عدد ممكن من الأمريكيين.

ورغم ذلك كله، لن تشهد أمريكا أي حالة من الضعف لإرادتها، ولا ينبغي لأحد منا أن يتسامح مع أولئك المتطرفين. لقد مارسوا القتل في كثير من البلدان؛ لقد قتلوا أبناء مختلف العقائد ومعظم ضحاياهم من المسلمين. إن أعمالهم غير متطابقة على الإطلاق مع كل من حقوق البشر وتقدم الأمم والإسلام، وينص القران الكريم على أن ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾.

ولا شك أن العقيدة التي يتحلى بها أكثر من مليار مسلم تفوق عظمتها بشكل كبير الكراهية الضيقة التي يكنها البعض. إن الإسلام ليس جزءًا من المشكلة المتلخصة في مكافحة التطرف العنيف، وإنما يجب أن يكون الإسلام جزءًا من حل هذه المشكلة.

علاوة على ذلك، نحن **نعلم أن القوة العسكرية وحدها لن تكفي لحل المشاكل في كل من أفغانستان وباكستان؛ ولذلك وضعنا خطة لاستثمار (واحد ونصف مليار دولار) سنويًا على مدى السنوات الخمس القادمة؛ لإقامة شراكة مع الباكستانيين لبناء المدارس والمستشفيات والطرق والمؤسسات التجارية، وكذلك توفير مئات الملايين لمساعدة النازحين. وهذا أيضًا السبب وراء قيامنا بتخصيص ما يربو على اثنين مليار وثمانمائة مليون دولار لمساعدة الأفغان على تنمية اقتصادهم وتوفير خدمات يعتمد عليها الشعب.**

اسـمحوا لي أيضًا أن أتطرق إلى موضوع العراق؛ لقد اختلف الوضع هناك عن الوضع في أفغانسـتان؛ حيث وقع القرار بحرب العراق بصفة اختيارية مما أثار خلافات شديدة سواء في بلدي أو في الخارج. ورغم اعتقادي بأن الشـعب العراقي في نهاية المطاف هو الطرف الكاسب في معادلة التخلص من الطاغية صدام حسين، فإنني أعتقد أيضًا أن أحداث العراق قد ذكرت أمريكا بضرورة اسـتخدام الدبلوماسية لتسوية مشاكلنا كلما كان ذلك ممكنًا. وفي الحقيقة فإننا نتذكر كلمات أحد كبار رؤسـائنا «توماس جيفرسون» الذي قال: «إنني أتمنى أن تنمو حكمتنا بقـدر ما تنمو قوتنـا، وأن تعلمنا هذه الحكمة درسًـا مفاده أن القوة سـتزداد عظمة كلما قل استخدامها».

تتحمل أمريكا اليوم مسؤولية مزدوجة تتلخص في مساعدة العراق على بناء مستقبل أفضل، وترك العراق للعراقيين. إنني أوضحت للشـعب العراقي أننا لا نسـعى لإقامة أية قواعد في العراق، أو لمطالبة العراق بأي من أراضيه أو موارده. يتمتع العراق بسيادته الخاصة به بمفرده. لذا أصدرت الأوامر بسـحب الوحدات القتالية مع حلول شهر أغسطس القادم، ولذا سوف نحترم الاتفاق المبرم مع الحكومة العراقية المنتخبة بأسلوب ديمقراطي، والذي يقتضي سحب القوات القتالية من المدن العراقية بحلول شـهر يولية، وكذلك سحب جميع قواتنا بحلول عام ٢٠١٢م. سوف نساعد العراق على تدريب قواته الأمنية وتنمية اقتصاده، ولكننا سنقدم الدعم للعراق والأمن بصفتنا شريكًا له وليس بصفة الراعي.

وأخيرًا، مثلما لا يمكن لأمريكا أن تتسامح مع عنف المتطرفين، فلا يجب علينا أن نقوم بتغيير مبادئنا أبدًا. لقد ألحقت أحداث ١١ سـبتمبر إصابة ضخمـة ببلدنا؛ حيث يمكن تفهم مدى الخوف والغضب الذي خلفته تلك الأحـداث، ولكن في بعض الحالات أدى ذلك إلى القيام بأعمال تخالف مبادئنا. إننا نتخـذ إجراءات محددة لتغيير الاتجاه. وقد **قمت بمنع اسـتخدام أساليب التعذيب من قبل الولايات المتحدة منعًا باتًا، كما أصدرت الأوامر بإغلاق السجن في خليج «جوانتانامو» مع حلول مطلع العام القادم.**

نحن في أمريكا سوف ندافع عن أنفسنا محترمين في ذلك سيادة الدول وحكم القانون، وسوف نقوم بذلك في إطار الشراكة بيننا وبين المجتمعات الإسلامية التي يحدق بها الخطر أيضًا؛ لأننا سنحقق مستوى أعلى من الأمن في وقت أقرب إذا نجحنا بصفة سريعة في عزل المتطرفين، مع عدم التسامح معهم داخل المجتمعات الإسلامية.

أما المصدر الرئيسي الثاني للتوتر الذي أود مناقشته، فهو الوضع ما بين الإسرائيليين والفلسطينيين والعالم العربي.

إن متانة الأواصر الرابطة بين أمريكا وإسرائيل معروفة على نطاق واسع، ولا يمكن قطع هذه الأواصر أبدًا، وهي تستند إلى علاقات ثقافية وتاريخية، وكذلك الاعتراف بأن رغبة اليهود في وجود وطن خاص لهم هي رغبة متأصلة في تاريخ مأساوي لا يمكن لأحد نفيه.

لقد تعرض اليهود على مر القرون للاضطهاد، وتفاقمت أحوال معاداة السامية في وقوع المحرقة التي لم يسبق لها عبر التاريخ أي مثيل. وإنني سوف أقوم غدًا بزيارة معسكر «بوخنفالد» الذي كان جزءًا من شبكة معسكرات الموت التي استخدمت لاسترقاق وتعذيب وقتل اليهود رميًا بالأسلحة النارية وتسميمًا بالغازات. لقد تم قتل ٦ ملايين من اليهود؛ يعني أكثر من إجمالي عدد اليهود بين سكان إسرائيل اليوم. إن نفي هذه الحقيقة هو أمر لا أساس له، وينم عن الجهل وبالغ الكراهية. كما أن تهديد إسرائيل بتدميرها أو تكرار الصور النمطية الحقيرة عن اليهود أمران ظالمان للغاية، يسببان استحضار الأحداث الأكثر إيذاء إلى أذهان الإسرائيليين، ويمنعان حلول السلام الذي يستحقه سكان هذه المنطقة.

أما من ناحية أخرى، فلا يمكن نفي أن الشعب الفلسطيني مسلمين ومسيحيين قد عانى أيضًا في سعيه إلى إقامة وطن خاص له. وقد تحمل الفلسطينيون آلام النزوح على مدى أكثر من ٦٠ سنة؛ حيث ينتظر العديد منهم في الضفة الغربية وغزة والبلدان المجاورة؛ لكي يعيشوا حياة يسودها السلام والأمن، هذه الحياة التي لم يستطيعوا عيشها حتى الآن. يتحمل الفلسطينيون الإهانات اليومية صغيرة كانت أم كبيرة، والتي هي ناتجة عن الاحتلال. **وليس هناك أي شك**

من أن وضع الفلسطينيين لا يطاق، ولن تدير أمريكا ظهرها عن التطلعات المشروعة للفلسطينيين، ألا وهي تطلعات الكرامة، ووجود الفرص، ودولة خاصة بهم.

لقد استمرت حالة الجمود لعشرات السنوات.. شعبان لكل منهما طموحاته المشروعة، ولكل منهما تاريخ مؤلم يجعل من التراضي أمرًا صعب المنال. إن توجيه اللوم أمر سهل؛ إذ يشير الفلسطينيون إلى تأسيس دولة إسرائيل وما أدت إليه من تشريد للفلسطينيين، ويشير الإسرائيليون إلى العداء المستمر والاعتداءات التي يتعرضون لها داخل حدود إسرائيل وخارج هذه الحدود على مدى التاريخ. ولكننا إذا نظرنا إلى هذا الصراع من هذا الجانب أو من الجانب الآخر، فإننا لن نتمكن من رؤية الحقيقة.. لأن السبيل الوحيد للتوصل إلى تحقيق طموحات الطرفين يكون من خلال دولتين؛ يستطيع فيهما الإسرائيليون والفلسطينيون أن يعيشوا في سلام وأمن.

إن هذا السبيل يخدم مصلحة إسرائيل ومصلحة فلسطين ومصلحة أمريكا؛ ولذلك سوف أسعى شخصيًا للوصول إلى هذه النتيجة متحليًا بالقدر اللازم من الصبر الذي تقتضيه هذه المهمة. إن الالتزامات التي وافق عليها الطرفان بموجب خريطة الطريق هي التزامات واضحة. لقد آن الأوان من أجل إحلال السلام؛ لكي يتحمل الجانبان مسؤولياتهما، ولكي نتحمل جميعنا مسؤولياتنا كذلك.

يجب على الفلسطينيين أن يتخلوا عن العنف، إن المقاومة عن طريق العنف والقتل أسلوب خاطئ ولا يؤدي إلى النجاح. لقد عانى السود في أمريكا طوال قرون من الزمن من سوط العبودية ومن مهانة التفرقة والفصل بين البيض والسود، ولكن العنف لم يكن السبيل الذي مكنهم من الحصول على حقوقهم الكاملة والمتساوية، بل كان السبيل إلى ذلك إصرارهم وعزمهم السلمي على الالتزام بالمثل التي كانت بمثابة الركيزة التي اعتمد عليها مؤسسو أمريكا، وهذا هو ذات التاريخ الذي شاهدته شعوب كثيرة تشمل شعب جنوب إفريقيا وجنوب آسيا وأوربا الشرقية وإندونيسيا.

وينطوي هذا التاريخ على حقيقة بسيطة؛ ألا وهي أن طريق العنف طريق مسدود، وأن إطلاق الصواريخ على الأطفال الإسرائيليين في مضاجعهم أو تفجير حافلة على متنها سيدات مسنات لا يعبر عن الشجاعة أو عن القوة، ولا يمكن اكتساب سلطة التأثير المعنوي عن طريق مثل هذه الأعمال؛ إذ يؤدي هذا الأسلوب إلى التنازل عن هذه السلطة.

والآن على الفلسطينيين تركيز اهتمامهم على الأشياء التي يستطيعون إنجازها، ويجب على السلطة الفلسطينية تنمية قدرتها على ممارسة الحكم من خلال مؤسسات تقدم خدمات للشعب وتلبي احتياجاته. **إن تنظيم حماس يحظى بالدعم من قبل بعض الفلسطينيين، ولكنه يتحمل مسؤوليات كذلك، ويتعين على تنظيم حماس حتى يؤدي دوره في تلبية طموحات الفلسطينيين وتوحيد الشعب الفلسطيني أن يضع حدًا للعنف، وأن يعترف بالاتفاقات السابقة، وأن يعترف بحق إسرائيل في البقاء.**

وفي نفس الوقت يجب على الإسرائيليين الإقرار بأن حق فلسطين في البقاء هو حق لا يمكن إنكاره، مثلما لا يمكن إنكار حق إسرائيل في البقاء. إن الولايات المتحدة لا تقبل مشروعية من يتحدثون عن إلقاء إسرائيل في البحر، كما أننا لا نقبل مشروعية استمرار المستوطنات الإسرائيلية. إن عمليات البناء هذه تنتهك الاتفاقات السابقة، وتقوض من الجهود المبذولة لتحقيق السلام. لقد آن الأوان لكي تتوقف هذه المستوطنات.

كما يجب على إسرائيل أن تفي بالتزاماتها لتأمين تمكين الفلسطينيين من أن يعيشوا ويعملوا ويطوروا مجتمعهم؛ لأن أمن إسرائيل لا يتوافر عن طريق الأزمة الإنسانية في غزة التي تصيب الأسر الفلسطينية بالهلاك، أو عن طريق انعدام الفرص في الضفة الغربية. إن التقدم في الحياة اليومية التي يعيشها الشعب الفلسطيني يجب أن يكون جزءًا من الطريق المؤدي للسلام، ويجب على إسرائيل أن تتخذ خطوات ملموسة لتحقيق مثل هذا التقدم.

وأخيرًا، يجب على الدول العربية أن تعترف بأن مبادرة السلام العربية كانت بداية مهمة، وأن مسؤولياتها لا تنتهي بهذه المبادرة، كما ينبغي عليها ألا تستخدم الصراع بين العرب وإسرائيل

لإلهاء الشعوب العربية عن مشاكلها الأخرى، بل يجب أن تكون هذه المبادرة سببًا لحثهم على العمل لمساعدة الشعب الفلسطيني على تطوير مؤسساته التي سوف تعمل على مساندة الدولة الفلسطينية، ومساعدة الشعب الفلسطيني على الاعتراف بشرعية إسرائيل، واختيار سبيل التقدم بدلاً من السبيل الانهزامي الذي يركز الاهتمام على الماضي.

سوف تنسق أمريكا سياساتنا مع سياسات أولئك الذين يسعون من أجل السلام، وسوف تكون تصريحاتنا التي تصدر علنًا هي ذات التصريحات التي نعبر عنها في اجتماعاتنا الخاصة مع الإسرائيليين والفلسطينيين والعرب. إننا لا نستطيع أن نفرض السلام، ويدرك كثيرون من المسلمين في قرارة أنفسهم أن إسرائيل لن تختفي، وبالمثل يدرك الكثيرون من الإسرائيليين أن دولة فلسطينية أمر ضروري. لقد آن الأوان للقيام بعمل يعتمد على الحقيقة التي يدركها الجميع.

لقد تدفقت دموع الكثيرين، وسالت دماء الكثيرين، وعلينا جميعًا تقع مسؤولية العمل من أجل ذلك اليوم الذي تستطيع فيه أمهات الإسرائيليين والفلسطينيين مشاهدة أبنائهم يتقدمون في حياتهم دون خوف، وعندما تصبح الأرض المقدسة التي نشأت فيها الأديان الثلاثة العظيمة مكانًا للسلام الذي أراده الله لها، وعندما تصبح مدينة القدس وطنًا دائمًا لليهود والمسيحيين والمسلمين، المكان الذي يستطيع فيه أبناء سيدنا إبراهيم عليه السلام أن يتعايشوا في سلام، تمامًا كما ورد في قصة الإسراء عندما أقام الأنبياء موسى وعيسى ومحمد - سلام الله عليهم - الصلاة معًا.

إن المصدر الثالث للتوتر يتعلق باهتمامنا المشترك بحقوق الدول، ومسؤولياتها بشأن الأسلحة النووية. لقد كان هذا الموضوع مصدرًا للتوتر الذي طرأ مؤخرًا على العلاقات بين الولايات المتحدة وجمهورية إيران الإسلامية؛ التي ظلت لسنوات كثيرة تعبر عن هويتها من خلال موقفها المناهض لبلدي، والتاريخ بين بلدينا تاريخ عاصف بالفعل، إذ لعبت الولايات المتحدة في إبان فترة الحرب الباردة دورًا في الإطاحة بالحكومة الإيرانية المنتخبة بأسلوب ديمقراطي. أما إيران فإنها لعبت دورًا منذ قيام الثورة الإسلامية في أعمال اختطاف الرهائن

وأعمال العنف ضد القوات والمدنيين الأمريكيين. هذا التاريخ تاريخ معروف. لقد أعلنت بوضوح لقادة إيران وشعب إيران أن بلدي بدلاً من أن يتقيد بالماضي يقف مستعدًا للمضي قدمًا. والسؤال المطروح الآن لا يتعلق بالأمور التي تناهضها إيران، ولكنه يرتبط بالمستقبل الذي تريد إيران أن تبنيه.

إن التغلب على فقدان الثقة الذي استمر لعشرات السنوات سوف يكون صعبًا، ولكننا سوف نمضي قدمًا مسلحين بالشجاعة واستقامة النوايا والعزم. سيكون هناك الكثير من القضايا التي سيناقشها البلدان، ونحن مستعدون للمضي قدمًا دون شروط مسبقة على أساس الاحترام المتبادل. إن الأمر الواضح لجميع المعنيين بموضوع الأسلحة النووية أننا قد وصلنا إلى نقطة تتطلب الحسم، وهي ببساطة لا ترتبط بمصالح أمريكا ولكنها ترتبط بمنع سباق للتسلح النووي الذي قد يدفع بالمنطقة إلى طريق محفوف بالمخاطر، ويدمر النظام العالمي لمنع انتشار الأسلحة النووية.

إنني مدرك أن البعض يعترض على حيازة بعض الدول لأسلحة لا توجد مثلها لدى دول أخرى، ولا ينبغي على أية دولة أن تختار الدول التي تملك أسلحة نووية، وهذا هو سبب قيامي بالتأكيد مجددًا وبشدة على التزام أمريكا بالسعي من أجل عدم امتلاك أي من الدول للأسلحة النووية، وينبغي على أية دولة بما في ذلك إيران أن يكون لها حق الوصول إلى الطاقة النووية السلمية، إذا امتثلت لمسؤولياتها بموجب معاهدة منع انتشار الأسلحة النووية، وهذا الالتزام هو التزام جوهري في المعاهدة، ويجب الحفاظ عليه من أجل جميع الملتزمين به.

إن الموضوع الرابع الذي أريد أن أتطرق إليه هو الديمقراطية. **إن نظام الحكم الذي يسمع صوت الشعب ويحترم حكم القانون وحقوق جميع البشر هو النظام الذي أؤمن به.** وأعلم أن جدلاً حول تعزيز الديمقراطية وحقوق جميع البشر كان يدور خلال السنوات الأخيرة، وأن جزءًا كبيرًا من هذا الجدل كان متصلاً بالحرب في العراق. اسمحوا لي أن أتحدث بوضوح وأقول ما يلي: **لا يمكن لأية دولة ولا ينبغي على أية دولة أن تفرض نظامًا للحكم على أية دولة أخرى.**

ومع ذلك، لن يقلل ذلك من التزامي تجاه الحكومات التي تعبر عن إرادة الشعب، حيث يتم التعبير عن هذا المبدأ في كل دولة وفقًا لتقاليد شعبها. إن أمريكا لا تفترض أنها تعلم ما هو أفضل شيء بالنسبة للجميع، كما أننا لا نفترض أن تكون نتائج الانتخابات السلمية هي النتائج التي نختارها، ومع ذلك يلازمني اعتقاد راسخ أن جميع البشر يتطلعون لامتلاك قدرة التعبير عن أفكارهم وآرائهم في أسلوب الحكم المتبع في بلدهم، ويتطلعون للشعور بالثقة في حكم القانون، وفي الالتزام بالعدالة والمساواة في تطبيقه، ويتطلعون كذلك لشفافية الحكومة وامتناعها عن نهب أموال الشعب، ويتطلعون لحرية اختيار طريقهم في الحياة. إن هذه الأفكار ليست أفكارًا أمريكية فحسب، بل هي حقوق إنسانية، وهي لذلك الحقوق التي سوف ندعمها في كل مكان.

لا يوجد طريق سهل ومستقيم لتلبية هذا الوعد، ولكن الأمر الواضح بالتأكيد هو أن الحكومات التي تحمي هذه الحقوق هي في نهاية المطاف الحكومات التي تتمتع بقدر أكبر من الاستقرار والنجاح والأمن. إن قمع الأفكار لا ينجح أبدًا في القضاء عليها. إن أمريكا تحترم حق جميع من يرفعون أصواتهم حول العالم للتعبير عن آرائهم بأسلوب سلمي يراعي القانون حتى لو كانت آراؤهم مخالفة لآرائنا، وسوف نرحب بجميع الحكومات السلمية المنتخبة شرط أن تحترم جميع أفراد الشعب في ممارستها للحكم.

هذه النقطة لها أهميتها، لأن البعض لا ينادون بالديمقراطية إلا عندما يكونون خارج مراكز السلطة، ولا يرحمون الغير في ممارساتهم القمعية لحقوق الآخرين عند وصولهم إلى السلطة. إن الحكومة التي تتكون من أفراد الشعب وتدار بواسطة الشعب هي المعيار الوحيد لجميع من يشغلون مراكز السلطة بغض النظر عن المكان الذي تتولى فيه مثل هذه الحكومة ممارسة مهامها.. إذ يجب على الحكام أن يمارسوا سلطاتهم من خلال الاتفاق في الرأي وليس عن طريق الإكراه، ويجب على الحكام أن يحترموا حقوق الأقليات، وأن يعطوا مصالح الشعب الأولوية على مصالح الحزب الذي ينتمون إليه.

أما الموضـوع الخامس الذي يجب علينا الوقوف أمامه معًا، فهو موضوع الحرية الدينية. **إن التسـامح تقليد عريق يفخر به الإسـلام. لقد شاهدت بنفسـي هذا التسامح عندما كنت طفـلاً في إندونيسـيا؛ إذ كان المسـيحيون في ذلك البلد الذي يشـكل فيه المسـلمون الغالبية يمارسـون طقوسـهم الدينية بحرية.** إن روح التسامح التي شاهدتها هناك هي ما نحتاجه اليوم، إذ يجب أن تتمتع الشعوب في جميع البلدان بحرية اختيار العقيدة وأسلوب الحياة القائم على مـا تمليه عليهم عقولهم وقلوبهم وأرواحهم بغض النظر عن العقيدة التي يختارونها لأنفسهم؛ لأن روح التسـامح هذه ضرورية لازدهار الدين، ومع ذلك تواجه روح التسامح هذه تحديات مختلفة.

ثمة توجه في بعض أماكن العالم الإسـلامي ينزع إلى تحديد قوة عقيدة الشخص وفقًا لموقفه الرافض لعقيدة الآخر. إن التعددية الدينية هي ثروة يجب الحفاظ عليها، ويجب أن يشمل ذلك الموارنة في لبنان، أو الأقباط في مصر، ويجب إصلاح خطوط الانفصال في أوسـاط المسـلمين كذلك؛ لأن الانقسام بين السنيين والشيعيين قد أدى إلى عنف مأساوي ولا سيما في العراق.

إن الحريـة الدينية هي الحرية الأساسـية التي تمكن الشـعوب مـن التعايش، ويجب علينـا دائمًا أن نفحص الأسـاليب التـي نتبعها لحماية هـذه الحريـة. فالقواعد التي تنظم التبرعات الخيرية في الولايات المتحدة على سـبيل المثـال أدت إلى تصعيب تأدية فريضة الزكاة بالنسبة للمسلمين، وهذا هو سـبب التزامي بالعمل مع الأمريكيين المسلمين لضمان تمكينهم من تأدية فريضة الزكاة.

وبالمثل، مـن الأهمية بمكان أن تمتنع البلـدان الغربية عن وضع العقبـات أمام المواطنين المسـلمين لمنعهم من التعبير عن دينهم على النحو الذي يعتبرونه مناسبًا، فعلى سبيل المثال عن طريق فرض الثياب التي ينبغي على المرأة المسـلمة أن ترتديها. إننا ببساطة لا نستطيع التظاهر بالليبرالية عن طريق التستر على معاداة أي دين.

ينبغي أن يكون الإيمان عاملاً للتقارب فيما بيننا، ولذا نعمل الآن على تأسيس مشاريع جديدة تطوعية في أمريكا من شـأنها التقريب فيما بين المسيحيين والمسلمين واليهود. إننا لذلك نرحب

بالجهود المماثلة لمبادرة جلالة الملك «عبد الله» المتمثلة في حوار الأديان، كما نرحب بالموقف الريادي الذي اتخذته تركيا في تحالف الحضارات. إننا نستطيع أن نقوم بجهود حول العالم لتحويل حوار الأديان إلى خدمات تقدمها الأديان يكون من شأنها بناء الجسور التي تربط بين الشعوب وتؤدي بهم إلى تأدية أعمال تدفع إلى الأمام عجلة التقدم لجهودنا الإنسانية المشتركة، سواء كان ذلك في مجال مكافحة الملاريا في إفريقيا أو توفير الإغاثة في أعقاب كارثة طبيعية.

إن الموضوع السادس الذي أريد التطرق إليه هو موضوع حقوق المرأة. أعلم أن الجدل يدور حول هذا الموضوع وأرفض الرأي الذي يعبر عنه البعض في الغرب ويعتبر المرأة التي تختار غطاء لشعرها أقل شأنًا من غيرها، ولكنني أعتقد أن المرأة التي تحرم من التعليم تحرم كذلك من المساواة. إن البلدان التي تحصل فيها المرأة على تعليم جيد هي غالبًا بلدان تتمتع بقدر أكبر من الرفاهية، وهذا ليس من باب المصادفة.

اسمحوا لي أن أتحدث بوضوح؛ إن قضايا مساواة المرأة ليست ببساطة قضايا للإسلام وحده، لقد شاهدنا بلدانًا غالبية سكانها من المسلمين مثل تركيا وباكستان وبنجلادش وإندونيسيا تنتخب المرأة لتولي قيادة البلد. وفي نفس الوقت يستمر الكفاح من أجل تحقيق المساواة للمرأة في بعض جوانب الحياة الأمريكية وفي بلدان العالم، ولذلك سوف تعمل الولايات المتحدة مع أي بلد غالبية سكانه من المسلمين من خلال شراكة لدعم توسيع برامج محو الأمية للفتيات، ومساعدتهن على السعي في سبيل العمل عن طريق توفير التمويل الأصغر الذي يساعد الناس على تحقيق أحلامهم.

باستطاعة بناتنا تقديم مساهمات إلى مجتمعاتنا تتساوى مع ما يقدمه لها أبناؤنا، وسوف يتم تحقيق التقدم في رفاهيتنا المشتركة من خلال إتاحة الفرصة لجميع الرجال والنساء لتحقيق كل ما يستطيعون تحقيقه من إنجازات. أنا لا أعتقد أن على المرأة أن تسلك ذات الطريق الذي يختاره الرجل لكي تحقق المساواة معه، كما أحترم كل امرأة تختار ممارسة دور تقليدي في حياتها، ولكن هذا الخيار ينبغي أن يكون للمرأة نفسها.

وأخيرًا أريد أن أتحدث عن التنمية الاقتصادية وتنمية الفرص. أعلم أن الكثيرين يشاهدون تناقضات في مظاهر العولمة؛ لأن شبكة الإنترنت وقنوات التلفزيون لديها قدرات لنقل المعرفة والمعلومات، ولديها كذلك قدرات لبث مشاهد جنسية منفرة وفظة وعنف غير عقلاني، وباستطاعة التجارة أن تأتي بثروات وفرص جديدة، ولكنها في ذات الوقت تُحدث في المجتمعات اختلالات وتغييرات كبيرة، وتأتي مشاعر الخوف في جميع البلدان حتى في بلدي مع هذه التغييرات. وهذا الخوف هو خوف من أن تؤدي الحداثة إلى فقدان السيطرة على خياراتنا الاقتصادية وسياساتنا، والأهم من ذلك على هوياتنا، وهي الأشياء التي نعتز بها في مجتمعاتنا وفي أسرنا وفي تقاليدنا وفي عقيدتنا.

ولكني أعلم أيضًا أن التقدم البشري لا يمكن إنكاره، فالتناقض بين التطور والتقاليد ليس أمرًا ضروريًا؛ إذ تمكنت بلدان مثل اليابان وكوريا الجنوبية من تنمية أنظمتها الاقتصادية والحفاظ على ثقافتها المتميزة في ذات الوقت. وينطبق ذلك على التقدم الباهر الذي شاهده العالم الإسلامي من كوالالمبور إلى دبي، لقد أثبتت المجتمعات الإسلامية منذ قديم الزمان وفي عصرنا الحالي أنها تستطيع أن تتبوأ مركز الطليعة في الابتكار والتعليم.

وهذا أمر مهم؛ **إذ لا يمكن أن تعتمد أية استراتيجية للتنمية على الثروات المستخرجة من تحت الأرض، ولا يمكن إدامة التنمية مع وجود البطالة في أوساط الشباب.** لقد استمتع عدد كبير من دول الخليج بالثراء المتولد عن النفط، وتبدأ بعض هذه الدول الآن بالتركيز على قدر أعرض من التنمية، ولكن علينا جميعًا أن ندرك أن التعليم والابتكار سيكونان مفتاحًا للثروة في القرن الحادي والعشرين. إنني أؤكد على ذلك. في بلدي؛ كانت أمريكا في الماضي تركز اهتمامها على النفط والغاز في هذا الجزء من العالم، ولكننا نسعى الآن للتعامل مع أمور تشمل أكثر من ذلك.

فيما يتعلق بالتعليم، سوف نتوسع في برامج التبادل، ونرفع من عدد المنح الدراسية؛ مثل تلك التي أتت بوالدي إلى أمريكا، وسوف نقوم في نفس الوقت بتشجيع عدد أكبر من الأمريكيين على الدراسة في المجتمعات الإسلامية، وسوف نوفر للطلاب المسلمين الواعدين

فرصًا للتدريب في أمريكا، وسوف نستثمر في سبل التعليم الافتراضي للمعلمين والتلاميذ في جميع أنحاء العالم عبر الفضاء الإلكتروني، وسوف نستحدث شبكة إلكترونية جديدة؛ لتمكين المراهقين والمراهقات في ولاية كنساس من الاتصال المباشر مع نظرائهم في القاهرة.

وفيما يتعلق بالتنمية الاقتصادية، سوف نستحدث هيئة جديدة من رجال الأعمال المتطوعين لتكوين شراكة مع نظرائهم في البلدان التي يشكل فيها المسلمون أغلبية السكان، وسوف أستضيف مؤتمر قمة لأصحاب المشاريع المبتكرة هذا العام؛ لتحديد كيفية تعميق العلاقات بين الشخصيات القيادية في مجال العمل التجاري والمهني والمؤسسات وأصحاب المشاريع الابتكارية الاجتماعية في الولايات المتحدة وفي المجتمعات الإسلامية في جميع أنحاء العالم.

وفيما يتعلق بالعلوم والتكنولوجيا، سوف نؤسس صندوقًا ماليًا جديدًا لدعم التنمية والتطور التكنولوجي في البلدان التي يشكل فيها المسلمون غالبية السكان، وللمساهمة في نقل الأفكار إلى السوق حتى تستطيع هذه البلدان استحداث فرص للعمل، وسوف نفتتح مراكز للتفوق العلمي في إفريقيا والشرق الأوسط وجنوب شرق آسيا، وسوف نعين موفدين علميين للتعاون في برامج من شأنها تطوير مصادر جديدة للطاقة، واستحداث فرص خضراء للعمل لا تضر بالبيئة، وسبل لترقيم السجلات، وتنظيف المياه، وزراعة محاصيل جديدة.

واليوم، أعلن عن جهود عالمية جديدة مع منظمة المؤتمر الإسلامي للقضاء على مرض شلل الأطفال، وسوف نسعى من أجل توسيع الشراكة مع المجتمعات الإسلامية لتعزيز صحة الأطفال والأمهات.

يجب إنجاز جميع هذه الأمور عن طريق الشراكة. **إن الأمريكيين مستعدون للعمل مع المواطنين والحكومات ومع المنظمات الأهلية والقيادات الدينية والشركات التجارية والمهنية في المجتمعات الإسلامية حول العالم؛ من أجل مساعدة شعوبنا في مساعيهم الرامية لتحقيق حياة أفضل.**

إن معالجة الأمور التي وصفتها لن تكون سهلة، ولكننا نتحمل معًا مسؤولية ضم صفوفنا والعمل معًا نيابة عن العالم الذي نسـعى من أجله؛ وهو عالم لا يهدد فيه المتطرفون شـعوبنا.. عالم تعود فيه القوات الأمريكية إلى ديارها.. عالم ينعم فيه الفلسطينيون والإسرائيليون بالأمان في دولـة لكل منهم.. وعالم تسـتخدم فيه الطاقة النووية لأغراض سـلمية.. وعالم تعمل فيه الحكومـات على خدمة المواطنين.. وعـالم تحظى فيه حقوق جميع البـشر بالاحترام. هذه هي مصالحنا المشـتركة، وهذا هو العالم الذي نسعى من أجله، والسبيل الوحيد لتحقيق هذا العالم هو العمل معًا.

أعلم أن هناك الكثيرين من المسلمين وغير المسلمين الذين تراودهم الشكوك حول قدرتنا على اسـت هلال هذه البداية، وهناك البعض الذين يسعون إلى تأجيج نيران الفرقة والانقسام والوقـوف في وجه تحقيق التقدم، ويرى البعـض أن الجهود المبذولة في هذا الصدد غير مجدية، ويقولـون إن الاختلاف فيـما بيننا أمر محتم، وإن الحضارات سـوف تصطـدم حتمًا، وهناك الكثيرون كذلك الذين يتشككون ببساطة في إمكانية تحقيق التغيير الحقيقي.. فالمخاوف كثيرة وانعدام الثقة كبير.. ولكننا **لن نتقدم أبدًا إلى الأمام إذا اخترنا التقيد بالماضي.**

إن الفـترة الزمنية التي نعيش فيها جميعًا مع بعضنا البعـض في هذا العالم هي فترة قصيرة، والسـؤال المطروح علينا هو: هل سـنركز اهتمامنا خلال هذه الفترة الزمنية على الأمور التي تفرق بيننا، أم سـنلتزم بجهود مسـتديمة للوصول إلى موقف مشـترك وتركيـز اهتمامنا على المستقبل الذي نسعى إليه من أجل أبنائنا واحترام كرامة جميع البشر؟!

هذه الأمور ليسـت أمورًا سهلة، إن خوض الحروب أسهل من إنهائها، كما أن توجيه اللوم للآخرين أسـهل من أن ننظر إلى ما يـدور في أعماقنا، كما أن ملاحظـة الجوانب التي نختلف فيها مع الآخرين أسـهل من العثور على الجوانب المشتركة بيننا، ولكل دين من الأديان قاعدة جوهرية تدعونا لأن نعامل الناس مثلما نريد منهم أن يعاملونا، وتعلو هذه الحقيقة على البلدان

والشـعوب، وهي عقيدة ليست بجديدة، وهي ليست عقيدة السود أو البيض أو السمر، وليست هذه العقيدة مسيحية أو مسلمة أو يهودية.. هي عقيدة الإيمان التي بدأت نبضاتها في مهد الحضارة، والتي ما زالت تنبض اليوم في قلوب آلاف الملايين من البشر.. هي الإيمان بالآخرين.. الإيمان الذي أتى بي إلى هنا اليوم.

إننا نملك القدرة على تشكيل العالم الذي نسعى من أجله، ولكن يتطلب ذلك منا أن نتحلى بالشجاعة اللازمة لاستحداث هذه البداية الجديدة، آخذين بعين الاعتبار ما كتب في القرآن الكريم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ﴾.

ونقرأ في التلمود ما يلي: «إن الغرض من النص الكامل للتوراة هو تعزيز السلام».

ويقول لنا الكتاب المقدس: «هنيئًا لصانعي السلام لأنهم أبناء الله يدعون».

باستطاعة شعوب العالم أن تعيش معًا في سلام. إننا نعلم أن هذه رؤية الرب، وعلينا الآن أن نعمل على الأرض لتحقيق هذه الرؤية.

شكرًا لكم، والسلام عليكم».

مكتبة
t.me/soramnqraa

الفهرس

الموضوع | **الصفحة**

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٥
خطبة الوداع لسيدنا محمد ﷺ	٧
خطبة أبي بكر الصديق ﷺ عند توليه الخلافة	١١
خطبة الحجاج عند توليه إمارة العراق للحجاج بن يوسف الثقفي	١٣
خطبة الملكة «إليزابيث الأولى» إلى قوات جيش المملكة البريطانية	١٧
خطبة حل البرلمان الطويل لأوليفر كرومويل	٢١
خطبة جورج واشنطن	٢٥
خطبة نابليون بونابرت	٣٥
خطبة توماس جيفرسون	٣٩
خطبة أبراهام لينكولن	٤٧
خطبة فلاديمير لينين	٥١
خطبة وودرو ويلسون	٥٥
خطبة ماري كوري	٦٧
خطبة كلارنس دارو	٧١
خطبة نيفيل تشامبرلين	٧٥
خطبة هتلر	٧٩
خطبة فرانكلين روزفلت	٩٧

خطبة جـــورج بـاتــن ١٠٧
خطبة المهاتما غاندي ١١٥
خطبة جوزيف ستالين ١٢٥
خطبة جـــون كينيـــدي ١٣١
جواهـــــر لال نهـــرو ١٣٧
خطبة دوجلاس ماك أرثر ١٤٣
خطبة وينستون تشرشل ١٥٧
خطبة مالكوم إكس ١٧٧
خطبة مارتن لوثر كينج ١٨١
خطبة شـــارل ديجـول ١٨٩
خطبة جمال عبد الناصر ١٩٣
خطبة جولـــدا مائيـــر ٢٠٩
خطبة الســادات ٢٤٣
خطبة أنديـــرا غاندي ٢٧٧
خطبة مـــولـــوتـــوف ٢٨٧
خطبة الإمبراطور هيروهيتو ٢٩١
خطبة ريتشارد نيكسون ٢٩٥
خطبة هرتســـوج ٣٠٧
خطبة رونـــالد ريجـــان ٣٢١
خطبة شيرلي تشيشولم ٣٢٥

خطبة فاكــلاف هافــل ٣٣١
خطبة نيـــلسون مانديـــلا ٣٤١
خطبة ميخائيل جورباتشوف ٣٤٧
خطبة فريدريك ويليام دي كليرك ٣٥٩
خطبة جورج دبليو بوش ٣٧٧
خطبة أوبـــامــا ٣٨١
الفهرس ٤٠٣

خطب غيرت التاريخ

الخطبة عبارة عن كلمات تلقى على المسامع لتحدث في نفوس السامعين الأثر المطلوب، ومن المعروف أن الكلمة لها مفعول السحر في النفوس، فكلمة واحدة من الخير ربما كانت سببًا عريضا في توفيق الناس وجمع شملهم واستقرار حياتهم ، وكلمة واحدة في المقابل من الشر ربما كانت البوابة التي فتحت على الناس كل معاني الفوضى والشتات والاضطراب في حياتهم، ودمار بلادهم، وضياع حاضرهم ومستقبلهم.

ومما لا شك فيه أن هناك خطبًا أثرت بشكل كبير في مستمعيها، وغيرت من سلوكهم؛ فأعطتهم الأمل، ودفعت بهم إلى البذل والعطاء، وغيرت مجريات حياتهم، فغيروا بدورهم مجريات التاريخ وأحداث العالم، كما أن هناك خطبًا غيرت مستمعيها إلى السلوك السلبي، وأفقدتهم الأمل، وانجرفت بهم إلى مستنقع اليأس، فغيرت حياتهم إلى الأسوأ، وكانت وبالا على البلاد والعباد.

وفي هذا الكتاب، تناول المؤلف بعض الخطب التي غيرت من خريطة العالم وتاريخه؛ وبدأها بخطبة الوداع التي ألقاها رسول الله ﷺ في موسم الحج، ثم خطبة الصديق أبي بكر التي بين فيها سياسته العادلة وأكد فيها على أسس ومبادئ الحكم في الإسلام، ثم تناول المؤلف أشهر خطب القادة والملوك والرؤساء في العصر الحديث، وختم الكتاب بخطبة الرئيس الأمريكي باراك أوباما في جامعة القاهرة بجمهورية مصر العربية.

مكتبة
t.me/soramnqraa

ISBN 978-977-455-912-9
9 789774 559129

دار الفاروق للاستثمارات الثقافية